



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



ارشد
علیه
اصحاب
السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبَرِّيَّةِ

فَتْحُ مَنَاجِجِ الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِينِ

الْعَلَّامِ الْمُحَرَّرِ الرَّحِيمِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ

الْكُوفِيِّ عَمْرٍاءَ

الجزء الرابع

من مشوراته

الكتبية الإسلامية

هذا كتاب من كتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

آيت الله العظمى سيد ابوالقاسم خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست	۵
منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ۴	۱۹
مشخصات كتاب	۱۹
تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره	۲۰
و من خطبه له عليه السلام و هى الثامنه	۲۰
اشاره	۲۰
اللغه	۲۳
الاعراب	۲۳
المعنى	۲۴
اشاره	۲۴
تكملة	۲۸
ترهيد و ترغيب	۲۹
الترجمه	۳۱
و من خطبه له عليه السلام و هى التاسعه	۳۳
اشاره	۳۳
اللغه	۳۴
الاعراب	۳۵
المعنى	۳۶
اشاره	۳۶
تكملة	۴۰
الترجمه	۴۵
و من كلام له عليه السلام فى معنى قتل عثمان	۴۶
اشاره	۴۶
اللغه	۴۶

٤٧ الاعراب

٤٨ المعنى

٤٨ اشاره

٥٢ تذييل

٦١ الترجمة

٦١ و من كلام له عليه السلام قاله لابن عباس لما انفذه الى الزبير

٦١ اشاره

٦٢ اللغة

٦٢ الاعراب

٦٢ المعنى

٦٤ الترجمة

٦٧ و من خطبه له عليه السلام و هي الثانية و الثلاثون

٦٧ اشاره

٦٩ اللغة

٧٠ الاعراب

٧٠ المعنى

٧٧ الترجمة

٧٩ و من خطبه له عليه السلام عند خروجه

٧٩ اشاره

٨٠ اللغة

٨٠ الاعراب

٨١ المعنى

٨١ اشاره

٨٦ تكمله

٨٧ تبصره

٨٧ الترجمة

٨٨	و من خطبه له عليه السلام فى استنفار الناس
٨٨	اشاره
٩٠	اللغه
٩٠	الاعراب
٩١	المعنى
٩١	اشاره
٩٦	تنبيه
٩٩	تكملة
١٠١	الترجمة
١٠٣	و من خطبه له عليه السلام بعد التحكيم
١٠٣	اشاره
١٠٤	اللغه
١٠٤	الاعراب
١٠٥	المعنى
١٣٦	الترجمة
١٣٧	و من خطبه له عليه السلام فى تخويف اهل النهروان
١٣٧	اشاره
١٣٧	اللغه
١٣٨	الاعراب
١٣٨	المعنى
١٣٨	اشاره
١٣٩	الاول
١٤٢	الثانى
١٥٩	الترجمة
١٦٠	و من كلام له عليه السلام يجرى مجرى
١٦٠	اشاره

اللغة - ١٦٠ -

الاعراب - ١٦١ -

المعنى - ١٦١ -

اشاره - ١٦١ -

فالفصل الاول - ١٦٢ -

و الفصل الثاني - ١٦٤ -

و الفصل الثالث - ١٦٥ -

الفصل الرابع - ١٦٥ -

الاول - ١٦٥ -

الثاني - ١٧٣ -

الترجمه - ١٨٥ -

اشاره - ١٨٥ -

فصل اول - ١٨٥ -

فصل دويم - ١٨٥ -

فصل سيم - ١٨٦ -

فصل چهارم - ١٨٦ -

و من خطبه له عليه السلام و هي الثامنه و الثلاثون من المختار - ١٨٦ -

اشاره - ١٨٦ -

اللغة - ١٨٧ -

الاعراب - ١٨٧ -

المعنى - ١٨٧ -

اشاره - ١٨٧ -

فالفصل الاول - ١٨٧ -

و الفصل الثاني - ١٩٣ -

الترجمه - ١٩٤ -

و من خطبه له عليه السلام و هي التاسعه - ١٩٤ -

١٩٤ اشارة

١٩٥ اللغة

١٩٦ الاعراب

١٩٦ المعنى

٢٠٠ الترجمة

٢٠١ و من كلام له عليه السلام فى الخوارج و هو الاربعون من

٢٠١ اشارة

٢٠٢ اللغة

٢٠٢ الاعراب

٢٠٣ المعنى

٢٠٣ اشارة

٢٠٧ تنبيه

٢٠٨ الترجمة

٢٠٩ و من خطبه له عليه السلام و هى الاحدى

٢٠٩ اشارة

٢١٠ اللغة

٢١٠ الاعراب

٢١١ المعنى

٢١١ اشارة

٢١٤ تبصره

٢١٩ الترجمة

٢٢٠ و من خطبه له عليه السلام و هى الثانية

٢٢٠ اشارة

٢٢٠ اللغة

٢٢٠ الاعراب

٢٢١ المعنى

٢٢١	اشاره
٢٢٤	تبصره
٢٢٦	تكملة
٢٢٧	الترجمة
٢٢٨	و من كلام له عليه السلام و هو الثالث
٢٢٨	اشاره
٢٢٩	اللغة
٢٢٩	الاعراب
٢٣٠	المعنى
٢٣٠	اشاره
٢٣٤	الاول
٢٤٠	التذييل الثانى
٢٤٠	اشاره
٢٤٠	الاول
٢٤٠	الثانى
٢٤٠	الثالث
٢٤١	الرابع
٢٤١	الخامس
٢٤١	السادس
٢٤٢	السابع
٢٤٢	الثامن
٢٤٤	التاسع
٢٤٤	العاشر
٢٤٤	الحادى عشر
٢٤٤	الثانى عشر
٢٤٥	الثالث عشر

٢٤٥	الرابع عشر
٢٤٦	الخامس عشر
٢٤٦	السادس عشر
٢٤٧	السابع عشر
٢٤٧	الثامن عشر
٢٤٧	التاسع عشر
٢٤٨	الطعن العشرون
٢٥١	تبصره
٢٥٢	الترجمه
٢٥٣	و من كلام له عليه السلام و هو الرابع و الاربعون من المختار في
٢٥٣	اشاره
٢٥٣	اللغه
٢٥٤	الاعراب
٢٥٤	المعنى
٢٦٣	الترجمه
٢٦٤	و من خطبه له عليه السلام و هى الخامسة و الاربعون من
٢٦٤	اشاره
٢٦٤	اللغه
٢٦٤	الاعراب
٢٦٥	المعنى
٢٦٥	اشاره
٢٦٥	الفصل الاول
٢٦٩	الفصل الثانى
٢٧١	هدايه
٢٧٢	تكمله
٢٧٤	الترجمه

٢٧٥	و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى
٢٧٥	اشاره
٢٧٦	اللغه
٢٧٦	الاعراب
٢٧٦	المعنى
٢٧٦	اشاره
٢٧٧	تنبيه و تحقيق
٢٨٦	الترجمه
٢٨٦	و من كلام له عليه السلام فى ذكر الكوفه و هو
٢٨٦	اشاره
٢٨٦	اللغه
٢٨٧	الاعراب
٢٨٧	المعنى
٢٩٠	الترجمه
٢٩٠	و من خطبه له عليه السلام عند المسير الى الشام و هى الثامنه
٢٩٠	اشاره
٢٩١	اللغه
٢٩٢	الاعراب
٢٩٢	المعنى
٢٩٢	اشاره
٢٩٥	تكملة
٢٩٥	الترجمه
٢٩٦	و من خطبه له عليه السلام و هى التاسعه و الاربعون من
٢٩٦	اشاره
٢٩٧	اللغه
٢٩٧	الاعراب

المعنى ٢٩٧

الترجمه ٣١٣

و من خطبه له عليه السلام و هي الخمسون من ٣١٣

اشاره ٣١٣

اللغه ٣١٤

الاعراب ٣١٥

المعنى ٣١٥

اشاره ٣١٥

تكمله ٣١٧

اشاره ٣١٧

بيان ٣٢٠

الترجمه ٣٢٢

و من خطبه له عليه السلام لما غلب أصحاب معاويه ٣٢٣

اشاره ٣٢٣

اللغه ٣٢٤

الاعراب ٣٢٤

المعنى ٣٢٤

الترجمه ٣٣٢

و من خطبه له عليه السلام و هي الثانيه و الخمسون من المختار ٣٣٣

اشاره ٣٣٣

الفصل الاول ٣٣٣

اشاره ٣٣٣

اللغه ٣٣٤

الاعراب ٣٣٤

المعنى ٣٣٥

اشاره ٣٣٥

٣٣٥ الفصل الاول

٣٣٨ و الفصل الثاني

٣٤٠ و الفصل الثالث

٣٤٠ الترجمة

٣٤١ الفصل الثاني

٣٤١ اشاره

٣٤٢ اللغة

٣٤٢ الاعراب

٣٤٢ المعنى

٣٤٢ اشاره

٣٤٣ فروع

٣٤٣ الاول

٣٤٤ الثاني

٣٤٤ الثالث

٣٤٥ تكمله استبصاره

٣٤٧ الترجمة

٣٤٧ و من خطبه له عليه السلام و هي الثالثه و الخمسون

٣٤٧ اشاره

٣٤٧ اللغة

٣٤٨ الاعراب

٣٤٨ المعنى

٣٤٩ الترجمة

٣٥٠ و من كلام له عليه السلام و هو الرابع و الخمسون من المختار

٣٥٠ اشاره

٣٥٠ اللغة

٣٥٠ الاعراب

المعنى ٣٥١

الترجمه ٣٥٢

و من كلام له عليه السلام و هو الخامس و الخمسون ٣٥٢

اشاره ٣٥٢

اللغه ٣٥٣

الاعراب ٣٥٣

المعنى ٣٥٤

اشاره ٣٥٤

تنبيه ٣٥٤

الترجمه ٣٦٠

و من كلام له عليه السلام و هو السادس و الخمسون من ٣٦١

اشاره ٣٦١

اللغه ٣٦٢

الاعراب ٣٦٢

المعنى ٣٦٢

اشاره ٣٦٢

الاول ٣٦٣

الثاني ٣٦٨

الثالث ٣٧١

الترجمه ٣٧٣

و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج و هو السابع ٣٧٣

اشاره ٣٧٣

اللغه ٣٧٤

الاعراب ٣٧٤

المعنى ٣٧٤

الترجمه ٣٧٤

٣٧٦	و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج و هو
٣٧٦	اشاره
٣٧٧	اللغه
٣٧٧	الاعراب
٣٧٧	المعنى
٣٧٧	اشاره
٣٧٧	تذكره
٣٧٨	تنبيه و تحقيق
٣٧٨	اشاره
٣٨٥	الاول
٣٨٨	الثانى
٣٩٤	الثالث
٣٩٥	الرابع
٣٩٦	الخامس
٣٩٧	السادس
٣٩٧	الترجمه
٣٩٧	و قال عليه السلام لما قتل الخوارج و هو التاسع و الخمسون
٣٩٧	اشاره
٣٩٨	اللغه
٣٩٨	الاعراب
٣٩٨	المعنى
٣٩٨	اشاره
٣٩٨	احداها المحكمه
٣٩٩	الثانيه البيهسيه
٣٩٩	الثالثه الازارقه
٤٠٠	الرابعه النجدات

٤٠١الخامسه الاباضيه

٤٠١السادسه العجارده

٤٠٣السابعه الثعالبه

٤٠٣الترجمه

٤٠٤و قال عليه السلام و هو الستون من المختار

٤٠٤اشاره

٤٠٤اللغه

٤٠٤الاعراب

٤٠٥المعنى

٤٠٧الترجمه

٤٠٧و من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيله

٤٠٧اشاره

٤٠٧اللغه

٤٠٧الاعراب

٤٠٧المعنى

٤١١الترجمه

٤١٢و من خطبه له عليه السلام و هى الثانيه و الستون

٤١٢اشاره

٤١٢اللغه

٤١٢الاعراب

٤١٣المعنى

٤١٧الترجمه

٤١٧و من خطبه له عليه السلام و هى الثالثه و الستون من المختار

٤١٧اشاره

٤١٨اللغه

٤١٩الاعراب

المعنى ٤١٩

اشاره ٤١٩

هدايه فيها درايه ٤٢٩

الترجمه ٤٣٤

درباره مرکز ٤٣٧

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبیب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

و من خطبه له عليه السّلام و هي الثامنة

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

و العشرون من المختار فى باب الخطب

و رواها فى البحار من كتاب مطالب السؤل لمحمد بن طلحه، و من إرشاد الديلمى بتغيير تطلع عليه.

أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت و آذنت بوداع، و إن الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطلاع، ألا و إن اليوم المضممار و غدا السباق، و السبقه الجنة، و الغايه النار، أفلا- تائب من خطيئته قبل ميته؟ ألا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه؟ ألا و إنكم فى أيام أمل من ورائه أجل، فمن عمل فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله و لم يضره أجله، و من قصر

ص: ٢

فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله و ضرّه أجله، ألا فاعملوا فى الرّغبه كما تعملون فى الرّهبه، ألا و إننى لم أر كالجّنّه نام طالبها، و لا كالنّار نام هاربها، ألا و أنّه من لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، و من لا يستقيم به الهدى يجرّ به الضّلال إلى الرّدى، ألا- و إنكم قد أمرتم بالظّعن و دلّتم على الزاد، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى و طول الأمل، فتزوّدوا فى الدّنيا من الدّنيا ما تجهزون «تحرزون خ» به أنفسكم غدا. قال الرضى «قد» أقول: لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الرّهد فى الدّنيا و يضطرّ إلى عمل الآخره، لكان هذا الكلام، و كفى به قاطعا لعلايق الآمال، و قادحا زناد الانعاظ و الازدجار، و من أعجبه قوله عليه السّلام: ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السّباق و السّبقه الجّنّه و الغايه النّار، فإنّ فيه مع فخامه اللفظ و عظم قدر المعنى و صادق التمثيل و واقع التشبيه، سرّا عجيبا و معنى لطيفا، و هو قوله عليه السّلام:

و السّبقه الجّنّه و الغايه النّار، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، و لم يقل:

السّبقه النّار كما قال: و السّبقه الجّنّه. لأنّ الاستباق إنّما يكون إلى أمر محبوب و غرض مطلوب، و هذه صفه الجّنّه، و ليس هذا المعنى موجودا فى النّار نعوذ بالله منها فلم يجوز أن يقول: و السّبقه النّار، بل قال: و الغايه النّار، لأنّ الغايه قد ينتهى إليها من لا يسرّه الانتهاء و من يسرّه ذلك، فصلح أن يعبرّ بها عن الأمرين معا. فهى فى هذا الموضع كالمصير و المآل قال الله تعالى: «قُلْ تَمَتّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» و لا يجوز فى هذا الموضع أن يقال: سبقتكم بسكون الباء إلى النّار فتأمل ذلك، فباطنه عجيب و غوره بعيد لطيف، و كذلك أكثر كلامه عليه السّلام.

وقد جاء في روايه اخرى و السَّيِّبِقَه الجَنَّة بضمَّ السَّيِّين، و السَّيِّبِقَه عندهم اسم لما يجعل للسَّيِّاق إذا سبق من مال أو عرض، و المعنيان متقاربان لأنَّ ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم، و إنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

اللغة

(آذنت) بالمدّ أى أعلمت من الأذان بمعنى الاعلام قال سبحانه: «و أذان من الله و رسوله» و (أشرف) عليه اطلع من فوق و (الاطلاع) هو العلم يقال طلع على الأمر طلوعاً علمه كاطلعه على افتعل و ضمّر الخيل تضميراً علفها القوت بعد السمن كأضمّرها و (المضمار) الموضع يضمّر فيه الخيل، و غايه الفرس فى السَّيِّاق و (السَّيِّاق) هو المسابقه و (السَّيِّبِقَه) بالضمّ الخطر يوضع بين أهل السَّيِّاق كما ذكره السيّد «ره» و (البؤس) الشدّه و (ظعن) ظعننا و ظعننا بالسكون و التَّحريك من باب نفع سار و ارتحل و (تجهّزّت) الأمر كذا تهَيَّأت له و جهاز الميّت و العروس و المسافر بالكسر و الفتح ما يحتاجون إليه.

الاعراب

المضمار و السَّيِّاق وردا بالرفع و النَّصب أمّا رفع المضمار فعلى كونه خبر إنّ و اليوم اسمها، و أمّا نصبه فعلى كونه اسما و اليوم خبراً.

و أورد بأنّه يلزم الاخبار عن الزّمان بالزّمان، إذا المضمار زمان و اليوم كذلك فلو اخبر عنه باليوم فكان ذلك اخباراً بوقوع الزّمان فى الزّمان، فيكون الزّمان محتاجاً إلى زمان آخر و هو محال.

و اجيب بمنع استلزام الاخبار بالزمان عن الزّمان كون الزّمان محتاجاً إلى زمان آخر إذ ربّما يخبر عن بعض أجزاء الزّمان بالزّمان لافاده الجزئيّه لا- بمعنى حصوله فيه و المضمار لمّا كان عباره عن الزّمان الذى يضمّر فيه الخيل، و هو زمان مخصوص لتقييده بوصف مخصوص صحّ الاخبار عنه باليوم.

و أمّا رفع السَّيِّاق فأمّا على كونه مبتدأ مؤخراً و غدا خبره و اسم إنّ ضمير شأن مستتر، أو على جعله خبر إنّ و يحتاج حينئذ إلى تقدير المضاف أى غدا وقت

السَّباق، و أمّا نصبه فعلى كونه اسم أنّ و غدا خبرها، و هو واضح.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ المستفاد من شرح البحرانى أنّ هذه الخطبه من فقرات خطبه طويله خطب بها يوم الفطر و سيجىء أولها فى الكتاب، و هى الخطبه الرابعه و الأربعون المصدّره بقوله: الحمد لله غير مقنوط من رحمته، و نذكر تمامها هناك إنشاء الله بروايه الصدوق فانتظر.

و إنّما قدّمها الرّضى عليها مع كونها بعدها، لما سبق من اعتذاره فى خطبه الكتاب من أنّه لا يراعى التّالى و النّسق و إنّما يراعى النّكت و اللمع، و كيف كان فمدار ما ذكره هنا على التّرهيد فى الدّنيا و التّغيب فى الآخرة فأشار أولاً إلى عدم جواز الرّكون و الاعتماد على الدّنيا بقوله:

(أمّا بعد فإنّ الدّنيا قد أدبرت و آذنت بوداع) و أشار بادبارها إلى تقصّي أحوالها الحاضره و شهواتها الموجوده لكلّ أحد أحد شيئاً فشيئاً كما قال عليه الصّلاه و السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه:

رأيت الدّهر مختلفاً يدور فلا حزن يدوم و لا سرور

و قد بنت الملوک به قصورا فما بقى الملوک و لا القصور

و إنّما اطلق اسم الادبار على هذا التقصّي باعتبار أنّ اللذات الدّنيويّه لما كانت دائماً فى التّغیّر و التقصّي المقتضى لمفارقة الانسان لها و بعدها عنه، لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار عليه تشبيها لها بالحيوان المدبر، و لما كانت مفارقة الانسان عنها مستلزمه لأسفه عليها و وجده بها، أشبه ذلك ما يفعله الانسان فى حقّ محبوبه المرتحل عنه فى وداعه له من الحزن و الكابه، فاستعير اسم الوداع له و كنى باعلامها بذلك عن الشّعور الحاصل بمفارقتها من تقصّيها شيئاً فشيئاً و هو اعلام بلسان الحال.

ثمّ نبّه على وجوب الاستعداد للآخرة بدنوّها من الانسان بقوله: (و إنّ الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطلاع) و مثله قال لقمان لابنه و هو يعظه: يا بنی إنّک منذ سقطت إلى الدّنيا استدبرتها و استقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير أقرب إليك

من دار أنت عنها متباعد.

و قال الشّارح البحرانى: و لَمّا كانت الآخرة عبارة عن الدّار الجامعه للأحوال التى يكون الانسان عليها بعد الموت من سعادته و شقاوته و لذّه و ألم، و كان تقصّي العمر مقرباً للوصول إلى تلك الدّار و الحصول فيما يشتمل عليه من خير أو شرّ، حسن إطلاق لفظ الاقبال عليها مجازاً ثمّ نزلها لشرفها على الدّنيا فى حال إقبالها منزله عال عند سافل فأسند إليها لفظ الاشراف، و لأجل إحصاء الأعمال الدّنيويه فيها منزله عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع.

أقول: و الى هذا المعنى اشير فى الحديث القدسى: يابن آدم الموت يكشف أسرارك و القيامه يتلو أخبارك، و الكتاب يهتك استارك الحديث.

ثمّ تبّه على وجوب التّهيّأ بذكر ما يسير إليه و هو الجنّه و ما يصار إليه و هو النّار بقوله:(ألا و إنّ اليوم المضمار و غدا السّباق) أراد باليوم مدّه العمر الباقيه و أطلق اسم المضمار عليها باعتبار أنّ الانسان فى تلك المدّه يستعدّ بالتّقوى و العمل الصّالح للسّبقه إلى لقاء الله و التّقرّب إلى حضرته كما أنّ الفرس يستعدّ بالتّضمير إلى سبق مثله.

و كنى بالغدعمّا بعد الموت و أطلق اسم السّباق عليه باعتبار أنّ أفراد النّاس لَمّا كانت متفاوتة فى حبّ الدّنيا و الاعراض عنها، و ذلك التّفاوت كان موجبا للقرب و البعد و السّبق و اللّحق فى الدار الآخرة، فكان السّباق هناك.

بيان ذلك أنّ من كان أكثر استعدادا و أقطع لعلايق الدّنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق عن الوصول إلى الله و مانع عن إدراك رضوان الله.

و من اشرب قلبه حب الدّنيا و افتتنت بها لا- يمكن له الوصول الى درجات السّابقين الأوّلين و النيل الى مراتب المقربين، و من كان أقلّ استعدادا من هؤلاء و أشدّ علاقه للدّنيا، كان من التّالين المقصّرين كما قال عليه السّلام فى بعض كلماته السّالفه:

ساع سريع نجى و طالب بطىء رجى و مقصّر فى النّار هوى و السّبقه الجنّه يستبق إليها السّاع السّريع و الغايه النّار يصير إليها التّالى الوضيع.

ص: ٦

ثم أمر بالتوبة قبل الموت و إدراك الفوت بقوله: (أ فلا تائب من خطيئته قبل متيته) إذ بالتوبة يتخلى النفس عن الرذائل و تستعدّ للتحليه بالفضائل، فلا تنتظروا بالتوبة غدا فإنّ دون غديو ما و ليله قضاء الله فيها يغدو و يروح.

و «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَ لَا-الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

(أ لا- عامل لنفسه قبل يوم يؤسه) عملا ينجيه من البأس و العذاب و يفضيه إلى الراحة و حسن الثواب، و هو الاتيان بالطاعات و الانتهاء عن المنهيات.

(ألا- و إنكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن عمل) لنفسه (فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله) الذى اكتسبه (و لم يضره أجله) الذى حلّ به، و يكون حاله بعد موته حال الغايب الذى قدم على وطنه و أهله (و من قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله) و فرط فى طاعه ربه و التزود لآخرفته (فقد خسر عمله) الذى عمله (و ضره أجله) الذى حلّ و يكون حاله بعد موته حال الآبق الذى قدم به على مولاه.

و قريب من هذا المضمون كلامه عليه السلام المروى فى البحار عن كتاب اعلام الدين قال: الناس فى الدنيا عامل فى الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته، يخشى على من يخلفه الفقر و يأمنه على نفسه، فيفنى عمره فى منفعه غيره، و آخر عمل فى الدنيا لما بعدها، فجائه له من الدنيا بغير عمله فأصبح ملكا لا يسأل الله شيئا فيمنعه.

(ألا- فاعملوا فى الرغبه كما تعملون فى الرهبه) و هو تنبيه على وجوب التسويه فى العمل بين حال الأمن و الخوف و حاله الرّخاء و الشّدّه، و لا يكون ذلك إلا عن نيّه صادقّه و عبوديه خالصه و فيه إشعار بالتوبه على الغفله عن ذكر الله و الاعراض عن عبادته فى حال اللذات الحاضرّه و الخيرات الواصله و اللجأ إليه و الفرع

منه عند الحوادث الهائلة و المصائب النازله.

قال سبحانه: «وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» (ألا و ائى لم أر) نعمه (كالجنه نام طالبها و لا-) نقمه (كالنار نام هاربها) و فيه تنبيه للموقنين بالجنه و النار على كونهم نائمين فى مراقده الطبعه ليتنبهوا منها و يستعدوا بالعمل لما ورائهم من النعم و النقم.

و فيه شميمه التعجب من جمع الموقن بالجنه و بين عمله بما فى الجنه من تمام النعمه و بين تقصيره عن طلبها بما يؤدى إليها من صالح الأعمال و كريم الأفعال و من جمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من تمام النقمه و بين الغفله عن الهرب منها إلى ما يخلص عنها.

(ألا-) و إن الحق كاسب للمنفعه و الباطل جالب للمضره (و إنه من لم ينفعه الحق) لاعراضه عنه و عدم سلوكه سبيله (يضره الباطل) الذى وقع فيه و يستنصر به لا محاله (و من لا يستقم به الهدى) و نور العلم و العرفان (يجرّبه الضلال) و ظلمه الجهل (الى الردى) و الخذلان.

يعنى أنّ من لم يكن الهدى دليله القائد له بزمام عقله فى سبيل الله و يستقم به فى سلوك صراطه المستقيم، فلا بدّ و أن ينحرف به الضلال عن سواء الصراط إلى أحد جانبي التفریط و الافراط.

(ألا-) و إنكم قد امرتم بالظعن) و الرحيل و السلوك إلى الله و السعى الى رضوان الله (و دلتم على الزاد) المقوى على السير و السلوك و المهية للوصول الى حظيره القدس، و هو التقوى الذى هو مفتاح السداد و ذخيره المعاد كما قال سبحانه و تعالى: «و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» (و إنّ أخوف ما أخاف عليكم) من امور الدنيا اثنتان، احدهما (اتباع الهوى) القائد إلى الردى (و) الثانيه (طول الأمل) الشاغل عن الآخرة (فتزودوا فى الدنيا من الدنيا) بالعلم و العمل.

أمّا العلم فلائ الاستكمال به إنّما يحصل بواسطه هذا البدن إما بواسطه

الحواس الظاهره أو الباطنه و تفتن النفس لمشاركات بين المحسوسات و مبايناتها و ظاهر أنّ هذا من الدّنيا فى الدّنيا.

و أما العمل فلاّنه عباره عن حركات و سكنات مستلزمه لهيئات مخصوصه و هى إنّما تحصل بواسطه هذا البدن أيضا، و كلّ ذلك من الدّنيا فى الدّنيا، و كيف كان فهما زادان موصلان إلى الله سبحانه فليتزوّد منهما (ما تحرزون به أنفسكم غدا) و تحفظونها من عذاب النّار و من غضب الجبار.

تكملة

قد أشرنا إلى أنّ هذه الخطبه مرويّه فى البحار من كتاب مطالب السّؤول و من إرشاد المفيد، و لمّا كان روايه الارشاد مختلفه لروايه السيّد أحبينا ذكرها.

فأقول: قال فى الارشاد: من كلام أمير المؤمنين ما اشتهر بين العلماء و حفظه ذووا الفهم و الحكماء: أما بعد فإنّ الدّنيا قد ادبرت و آذنت بوداع، و إنّ الآخره قد أقبلت و أشرفت باطلاع ألا و إنّ المضمار اليوم و غدا السّباق، و السّبقه الجنه و الغايه النار ألا و إنكم فى أيام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص لله عمله لم يضرّه امله، و من أبطأ به عمله فى أيام مهله قبل حضور أجله فقد خسر عمله و ضرّه أمله.

ألا- فاعملوا فى الرّغبه و الرّهبه فان نزلت بكم رغبه فاشكروا لله و اجمعوا معها رهبه، و إن نزلت بكم رهبه فاذكرو الله و اجمعوا معها رغبه، فإنّ الله قد تأذن للمحسنين بالحسنى و لمن شكر بالزياده و لا كسب خير من كسبه ليوم تدّخر فيه الذخائر و يجمع فيه الكباير و تبلى فيه السّرائر.

و إنّى لم أركالجنّه نام طالبها و لا مثل النّار نام هاربها، ألا و إنّّه من لا ينفعه اليقين لضرّه الشّك، و من لا ينفعه حاضر لّبه و رأيه فغائله عنه أعجز، ألا- و إنكم قد أمرتم بالظّعن و دلّتم على الرّاد و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان: اتباع الهوى و طول الأمل، لأنّ اتباع الهوى يضدّ عن الحقّ و طول الأمل ينسى الآخره.

و إنّ الدّنيا قد ترحلت مدبره و أنّ الآخره قد ترحلت مقبله و لكلّ واحد منهما بنون

فكونوا ان استطعتم من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل

تزهد و ترغيب

فى ذكر طائفة من الأحاديث المتّبعة عن نوم الغفلة و المزهّدة عن الدّنيا المرّغبة فى الآخرة.

مثل ما رواه محمّد بن يعقوب الكليني عطر الله مرقدّه باسناده عن محمّد بن مسلم بن عبيد الله قال: سئل على بن الحسين عليهما السلام أى الأعمال أفضل عند الله عزّ و جلّ قال: ما من عمل بعد معرفه الله تعالى و معرفه رسول الله أفضل من بغض الدّنيا، فإنّ لذلك شعبا كثيره و للمعاصى شعب فأوّل ما عصى الله عزّ و جلّ به الكبير معصيه ابليس لعنه الله حين أبى و استكبر و كان من الكافرين.

ثمّ الحرص و هى معصيه آدم و حواء حين قال الله لهما: «فَكُلَا- مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا- تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» فأخذما ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذريتهما إلى يوم القيامة فلذلك ان أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه.

ثمّ الحسد و هى معصيه ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله فتشعب من ذلك حبّ النساء و حبّ الدّنيا «الدينار خ ل» و حبّ الرّياسه و حبّ الرّاحه و حبّ الكلام و حبّ العلوّ و حبّ الثروه فصرن سبع خصال فاجتمعن كلّهنّ فى حبّ الدّنيا فقالت الأنبياء و العلماء بعد معرفه ذلك: حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئه و الدّنيا دنيا آن:

دنيا بلاغ و دنيا ملعونه.

و بهذا الاسناد عن المنقرى عن حفص بن غياث عن أبى عبد الله عليه السّلام قال فى مناجاه موسى عليه السّلام: يا موسى إنّ الدّنيا دار عقوبه عاقبت فيها آدم عند خطيئته و جعلتها ملعونه ملعون ما فيها إلّا ما كان فيها لى، يا موسى إنّ عبادى الصّالحين زهد و افى الدّنيا بقدر علمهم و سائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، و ما من أحد عظّمها

فقرّت عينه فيها و لم يحقّرها احد الا انتفع بها.

و باسناده عن مهاجر الأسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ عيسى بن مريم على قريه قد مات أهلها و طيرها و دوابّها، فقال: أما أنّهم لم يموتوا إلا بسخطه و لو ماتوا متفرقين لتدافنوا.

فقال الحواريون: يا روح الله و كلمته ادع الله أن يجيبهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنبها فدعى عيسى ربّه، فنودی من الجوّ: نادهم.

فقال عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القريه، فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله و كلمته فقال: و يحكم ما كانت أعمالكم؟ قال:

عباده الطاغوت و حبّ الدّنيا مع خوف قليل و أمل بعيد و غفله فى لهو و لعب.

فقال: كيف كان حبّكم للدّنيا؟ قال: كحبّ الصّبيّ لأمّه إذا قبلت علينا فرحنا و سررنا، و إذا أدبرت عنّا بكينا و حزنا قال: كيف كان عبادتكم الطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي، قال: كيف كان عاقبه أمركم؟ قال: بتنا ليله فى عافيه و أصبحنا فى الهاويه.

قال: و ما الهاويه؟ قال: سجين، قال: و ما سجين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة، قال، فما قلتم و ما قيل لكم؟ قال: قلنا: ردّنا إلى الدّنيا فنزهد فيها قيل: لنا كذبتكم قال: ويحك كيف لم يكلمنى غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله و كلمته أنّهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكه غلاظ شداد، و إني كنت فيهم و لم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّنى معهم، فأنا معلق بشعره على شفير جهنّم لا أدري اكبكب فيها أم أنجو منها.

فالتفت عيسى إلى الحواريين فقال: يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش و التّوم على المزابل خير كثير مع عافيه الدّنيا و الآخره.

و عن ابن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق بثلاث خصال: همّ لا يفنى و أمل لا يدرك و رجاء لا ينال.

و عن أبي حمزه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام: إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبره و إنّ الآخرة قد ارتحلت مقبله، و لكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا.

ألا و كونوا من الزّاهدين فى الدّنيا الرّاغبين فى الآخرة، ألا إنّ الزّاهدين فى الدّنيا اتّخذوا الأرض بساطا و التراب فراشا و الماء طيبا، و قرضوا من الدّنيا تقريضا.

ألا- و من اشتاق إلى الجنّة سلا من الشّهوات، و من أشفق من النّار رجع عن المحرّمات، و من زهد فى الدنيا هانت عليه المصائب، ألا إنّ لله عبادا كمن رأى أهل الجنّة فى الجنة مخمّدين، و كمن رأى أهل النّار فى النار معذّبين، شرورهم مأمونه و قلوبهم محزون، أنفسهم عفيفة و حوائجهم خفيفة، صبروا أيّاما قليلا، فصاروا بعقبى راحه طويلا.

أمّا الليل فصافّون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجأرون إلى ربّهم يسعون فى فكاك رقابهم و أمّا النّهار فحكّاء علماء برره أتقياء، كأنّهم القداح قد بريهم الخوف من العبادة ينظر إليهم النّاظر فيقول: مرضى و ما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النّار و ما فيها.

و من عيون أخبار الرّضا عن أبيه عن سعد عن ابن هاشم عن ابن المغيرة قال:

سمعت الرّضا عليه السلام يقول

انك فى دار لها مدّيقبل فيها عمل العامل

الأتري الموت محيط بها يكذب فيها امل الآمل

تعجل الذنب بما تشتهيو تأمل التوبه فى قابل

و الموت يأتى اهله بغتهما ذاك فعل الحازم العاقل

الترجمه

:

از جمله خطب شریفه آن حضرتست که ترهید می فرماید در آن بندگان را

از دنیا و ترغیب می نماید ایشان را در اخروی و می فرماید:

پس از حمد خدا و درود بر خاتم انبیا پس بتحقیق که دنیا رو گردانیده و اعلام کرده بوداع و فراق، و بدرستی که آخرت رو آورده و مشرف شده است بظهور و اطلاع، آگاه باشید که امروز که زمان مدت عمر است وقت گداختن بدنست و ریاضات نفسانیه بأعمال صالحه، و فردا که روز قیامت است پیشی جستن است و ترقی نمودن در درجات عالیه، و پیش برد اهل آن سرا بهشت جاویدانست، و منتهای کار این سرا آتش سوزان.

پس آیا هیچ توبه کننده نیست از گناهان خود پیش از رسیدن مرگ؟ و آیا هیچ عمل کننده نیست پیش از روز سختی و شدت؟ آگاه باشید بدرستی که شما هستید در روزگار امیدواری که از عقب اوست مرگ و گرفتاری، پس هر که عمل کند در روزهای امید خود پیش از حضور اجل او پس بتحقیق که زیان نبخشد او را عمل او و ضرر نرساند او را اجل او.

آگاه باشید پس عمل نمائید در زمان فراغت و رغبت همچنان که عمل می کنید در زمان خوف و خشیت، بدانید و آگاه باشید بدرستی که من ندیدم نعمتی همچو بهشت که بخواهد طالب او، و نه نعمتی مانند آتش سوزنده که بخواهد گریزنده او، بدانید بتحقیق کسی که سود نرساند او را حق و راستی زیان رساند او را باطل و ناراستی، و هر که براه راست نیارد او را هدایت بکشد او را گمراهی بچاه هلاکت.

آگاه باشید بدرستی که شما امر کرده شده اید برفتن جانب خداوند احدیت و دلالت کرده شده اید بر ذخیره و توشه این طریقت، و بدرستی که ترسناک ترین چیزی که می ترسم بر شما متابعت خواهشات نفسانیه است، و درازی امید بزخارف دنیویه، توشه بر دارید در دنیا از دنیا آن مقداری که با آن چیزی که بتوانید نگه بدارید با آن نفسهای خود را فردا.

و العشرون من المختار فى باب الخطب

خطب بها فى غاره الضحاك بن قيس على ما تعرفها تفصيلا و قد رواها فى شرح المعتزلى من ثقه الاسلام محمد بن يعقوب الكليني و علامه المجلسى فى البحار من امالى الشيخ و ارشاد المفيد، و الشيخ السعيد أبو المنصور احمد بن على الطبرسى فى كتاب الاحتجاج باختلاف كثير تطلع عليه بعد الفراغ من شرح ما اورده السيد فى الكتاب و هو قوله أيها الناس المجتمعه أبدانهم المختلفه أهوائهم، كلامكم يوهى الصم الصيلا، و فعلكم يطمع فيكم الأعداء، تقولون فى المجالس كيت و كيت، فإذا جاء الجهاد قلتم حيدى حيا، ما عزت دعوه من دعاكم و لا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، و سألتمنى التّطويل، دفاع ذى الدّين المطول لا- يمنع الضّيم الدّليل، و لا- يدرك الحقّ إلّا بالجدّ أى دار بعد داركم تمنعون، و مع أىّ إمام بعدى تقاتلون، المغرور و الله من غررتموه، و من فاز بكم فقد فاز بالسّهم الأخي، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل أصبحت، و الله لا أصدّق قولكم، و لا أطمع فى نصركم، و لا أوعد العدو بكم، ما بالكم ما دوائكم ما طبّكم، القوم رجال أمثالكم، أقولا بغير علم، و غفله «و عفه خ» من غير ورع، و طمعا فى غير حقّ.

(الوهى) الضعف و وهى الحجر و السقاء كوقى انشق و اواه شقه و (الصم) و (الصلاب) من أوصاف الحجر و الصخره الصماء التى ليس فيها صدع و لا خرق و (كيت و كيت) كناية عن القول و (حيدى حياذ) قال الشارح المعترلى كلمه يقولها الهارب الفار و هى نظير قولهم: فيحى فياح اى اتسعى، و أصلها من حاد الشىء أى انحرف و قال الشارح البحرانى حياذ اسم للمغاره و المعنى اعدلى عنا أيتها الحرب، و يحتمل أن يكون من اسماء الأفعال كنزال فيكون قد امر بالنتحى مرّتين بلفظين مختلفين.

أقول: قال نجم الأئمه الرضىّ فعال المبنى على أربعة أضرب: الاول اسم فعل كنزال الثانى المصدر نحو لا مساس أى لا مس الثالث الصّيفه المؤنثه و لم يجىء فى المذكر و جميعها يستعمل من دون الموصوف و هى بعد ذلك على ضربين: إما لازمه للنداء سماعا نحو يا لكاع اى لكعاء و يا فساق و يا خباث اى يا فاسقه و يا خبيثه و أما غير لازمه للنداء و هى على ضربين.

أحدهما ما صار بالغلبه علما جنسيا كاسامه و جعل من هذا القسم حلاق و جباذ للمنيه كانت فى الأصل صفه لكل ما تحلق عامه و تجبذ أى تجذب ثم اختصت بجنس المنايا و فشاش و صمام و حياذ للداهيه لأنها تفش اى تخرج ريح الكبر و تحيد اى تميل سميت بها تفولا و تصم اى تشتدّه يقال فشاش فشييه من استه الى فيه اى اخرجى ريح الكبر منه من استه مع فيه و يقال حيدى حياذ أى ارجعى يا راجعه و يقال صمى صمام اى اشتدّى يا شديده اى زيدى فى الشدّه و أبقي على شدتك و فياح للغاره يقولون فيحى فياح اى اتسعى يا متسعه على تأويل صمى صمام.

قال فهذه و امثالها أعلام للجنس بدليل وصفها بالمعرفه نحو حناذ الطالع و لو لم يكن معارف لم يجز حذف حرف النداء معها فى نحو فشاش فشييه و حيدى حياذ.

و الضرب الثانى من غير اللازمه للنداء ما بقى على وصفيتها نحو قطاط اى قاطه، و لزام اى لازمه، و بداد اى متبدده متفرقه و الرابع الأعلام الشخصيه و جميع ألفاظها مؤنثه و إن كان المسمى بها مذكرا ايضا نحو لصاف منزل من منازل بنى

تميم و خصاف فحل و حضار كوكب و ظفار مدينه و قطام اسم امرأه إلى آخر ما ذكره.

و قد لخصناه بطوله لعدم اقتضاء المجال إلا ذكر هذا القدر و قد تحصل منه أنّ حياد علم جنس للدهاهيه فعلى ما ذكره بطل ما توهمه الشارح البحراني من جعلها علما للغاره او اسم فعل كنز.

و (عز) فلان بالزاء المعجمه المشدده قوى بعد ذله و (قاساه) كابده و (اعاليل) و (اضاليل) قال البحراني: جمع أعلال و أضلال و هما جمع عله اسم لما يتعلل به من مرض و غيره و ضله اسم من الضلال و (المطول) كصبور كثير المطال، و هو تطويل الوعد و تسويفه و (الضيم) الظلم، و فى بعض النسخ بدل تمنعون تمتعون على التفعّل بحذف إحدى التائين أى تنتفعون و (الاخيـب) أشدّ خيبه و هى الحرمان و (الافوق) السهم المكسور الفوق و هو موضع الوتر منه و (الناصل) الذى لا نصل فيه و (غفله) فى بعض النسخ عفه بدله.

الاعراب

كلمه كيت لا تستعمل إلا مكرره بواو العطف، و هى مبتيّه لوقوعها موقع الجملة الغير المستحقه للاعراب.

فان قيل: و كان يجب أن لا تكون مبتيّه كالجمل.

قيل: يجوز خلوّ الجمل عن الاعراب و البناء لأنهما من صفات المفردات و لا يجوز خلوّ المفرد عنهما فلما وقع المفرد ما لا إعراب له فى الأصل و لا بناء و لم يجر أن يخلو أيضا عنهما مثله بقى على الأصل الذى ينبغى أن تكون الكلمات عليه و هو البناء إذ بعض المبتيات و هو الخالى عن التركيب يكفيه عريه عن سبب الأعراب فعريه عن سبب الاعراب سبب البناء كما قيل عدم العله عله عدم.

فان قلت: إنّها وضعت لتكون كناية عن جملة لها محلّ من الاعراب نحو قال فلان كيت و كيت أى زيد قائم مثلا و هى فى موضع النصب.

قيل: إنّ الاعراب المحلى فى الجملة عارض فلم يعتد به و كيف كان فبنائها على الفتح أكثر لثقل الياء كما فى أين و كيف و لكونها فى الأغلب كناية عن الجملة المنصوبه المحل، و يجوز بنائها على الضمّ و الكسر أيضا تشبيها بحيث و جير و حياد و امثالها مبتية على الكسر.

قال نجم الأئمة الرضى: و أما الأعلام الجنسية فكان حقّها الاعراب لأنّ الكلمة المبتية إذا سمى بها غير ذلك اللفظ وجب إعرابها كما يسمّى باين شخص لكنّها بنيت لأنّ الأعلام الجنسيّة أعلام لفظية، فمعنى الوصف باق فى جميعها إذ هى أوصاف غالبه انتهى.

و فى اسناد عزت إلى الدّعوة توسع، و أعاليل خبر مبتدأ محذوف، و بأضاليل متعلقه بأعاليل نفسها أى إذا دعوتكم إلى القتال تعلّتم و هى أعاليل بالأضاليل التى لا جدوى لها.

و دفاع إمّا منصوب بحذف الجار تشبيها لدفاعهم بدفاع ذى الدّين، أو مرفوع استعاره لدفاعهم، و المغرور مبتدأ و من خبره، و هو أولى من جعله خبرا مقدّما و من مبتدأ لكونه أبلغ فى إثبات الغرور لمن اغترّبهم من حيث إفادته الحصر دون العكس، و قولا و غفله و طمعا منصوبات بالأفعال المقدّره

المعنى

إشارة

قد أشرنا أنّ السّبب فى هذه الخطبه هو غاره الضّحّاك بن قيس بعد قصّه الحكمين و عزمه على المسير الى الشام و ذلك على ما روى فى شرح المعتزلى و غيره من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثّقفى باختصار ممّا هو:

أنّ معاويه لما بلغه أنّ عليّا بعد واقعه الحكمين تحمل إليه مقبلاها له ذلك فخرج من دمشق معسكرا و بعث إلى كور الشّام فصاح فيها أنّ عليّا قد ساء إليكم فاجتمع إليه النّاس من كلّ كوره و أرادوا المسير إلى صفّين.

فمكثوا يجيلون الرّأى يومين أو ثلاثة حتّى قدمت عليهم عيونهم أنّ عليّا اختلف عليه أصحابه ففارقته منهم فرقه انكرت أمر الحكومه و أنّه قد رجع عنكم

إليهم فكبر الناس سرورا لانصرافه عنهم و ما ألقى الله عزّ وجلّ من الخلاف بينهم.

فلم يزل معاويه معسكرا فى مكانه منتظرا لما يكون من علىّ و أصحابه و هل يقبل بالناس أم لا، فما برح حتّى جاء الخبر أنّ عليّا قد قتل اولئك الخوارج و أنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالناس و أنّهم استنظروه و دافعوه فسرّ بذلك هو و من قبله من الناس.

فعند ذلك دعى معاويه الضّحّاك بن قيس الفهرى و قال له: سرّ حتّى تمر بناحية الكوفه و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب فى طاعه علىّ فأغر عليه و إن وجدت له مسلحه أو خيلا فاغر عليها و إذا أصبحت فى بلده فامس فى اخرى و لا تقيمنّ لخيل بلغك أنّها قد سرحت إليك لتلقاها فتقاتلها.

فسرّحه فيما بين ثلاثه آلاف إلى أربعه آلاف، فأقبل الضّحّاك فنهب الأموال و قتل من لقي من الأعراب حتّى مرّ بالشّعليه فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود الدّهلى و هو ابن أخى عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله فقتله فى طريق الحاج عند القطقطانه و قتل معه ناسا من أصحابه فخرج علىّ عليه السّلام إلى الناس و هو يقول على المنبر:

يا أهل الكوفه اخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف آخر اخرجوا فقاتلوا عدوكم و امنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين.

فردّوا عليه ردّا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا فقال: و الله لو ددت إنّ لى بكلّ ثمانيه منكم رجلا منهم و يحكم اخرجوا معى ثمّ فزّوا عنى ما بدا لكم فو الله ما أكره لقاء ربّى على نيتى و بصيرتى و فى ذلك لى روح عظيم و فرج من مناجاتكم و لما رأى تثاقل أصحابه و تقاعدهم عنه خطبهم بهذه الخطبه فقال:

(أيّها الناس المجتمعه أبدانهم المختلفه أهوائهم) و المتفرّقه آرائهم (كلامكم يوهى) الجبال (الصّم الصّلاب) أى الضعيف القلوب الصّلبه التى هى كالحجاره أو أشدّ قسوه، و يظنّ السّامعون أنّ ورائه بأسا و نجده (و فعلكم يطمع فيكم الأعداء) أراد به تخاذلهم عن الجدل و تقاعدهم عن

القتال (تقولون في المجالس) إذا حنيتم و أنفستكم (كيت و كيت) اى سنغلب عدونا و نقتل خصومنا و لا محلّ لهم منا و نحو ذلك (و إذا جاء الجهاد) و شاهدتم الانجاد (قلتم حيدى حياذ) و كنتم كالحمره المستنفره فرّت من قسوره.

(ما عزّت دعوه من دعاكم و لا استراح قلب من قاساكم) يعنى من دعاكم لم يعز بدعوته من ذلته، و من قاساكم لم يسترح قلبه من تعبته و إذا دعوتكم إلى الجهاد و القتال تعلتتم بامور و هى (أعاليل) باطله (بأضاليل) لا- جدوى لها و لا- طائل تحتها (و سألتمونى) التأخير (و التطويل) كلّ ذلك ذبا عنكم و دفاعا عن أنفسكم (كدفاع ذى الدّين المطول) عن نفسه المماطل لدينه اللازم له (لا- يمنع الضيم الدليل) الحقير (و لا- يدرك الحقّ الآ بالجدّ) و الاجتهاد و التّشمير فى (اى دار) أو عن اى دار (بعد داركم) التى أنتم عليها و هو العراق أو دار الاسلام التى لا- نسبه لغيرها إليها (تمنعون) عدوكم إذا أخرجوكم عن دياركم و مساكنكم (و مع اى امام بعدى تقاتلون) خصومكم إذ تركتم القتال و نئيتم عنه بجانبكم.

ليس (المغرور و الله) إلّا- (من غررتموه) حيث اغترّبكم مع كثره ما يشاهد منكم من خلف المواعيد و التّثاقل عن الجهاد و ما يصدر عنكم من أفعال الرذول الاوغاد (و من فاز بكم فقد فاز بالسهم الاخيب) إخبار عن سوء حال من كانوا حزبه و من يقاتل بهم و التّعبير عن الابتلاء بهم بالفوز على التهكم و السّهم الأخبى التى لا غنم لها فى المسير كالثلاثة المسّماه بالاوغاد أو التى فيها غم كالتى لم تخرج حتّى استوفيت أجزاء الجزور فحصل لصاحبها غم و خيبه.

و قد شبّه نفسه و خصومه باللاعبين بالميسر و شبّه فوزه بهم بالفوز بأحد السّهام الخايبه فلأجل ملاحظه هذا الشّبه استعار لهم لفظ السّهم بصفه الاخيب و اطلاق الفوز هنا مجاز من باب اطلاق أحد الضّدين على الآخر مثل تسميه السيئه جزاء

(و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) شبه إرسالهم فى الحرب بالرّمى بالسّهام واستعار لهم أوصاف السّهم من الأفوق و استعار لفظ الرّمى لمقاتلته بهم ثم خصّصهم بأرده الاوصاف للسّهم التى يبطل معها فايده لمشابهتهم ذلك السّهم فى عدم الانتفاع بهم فى الحرب و عدم الظفر معهم بالمقصود.

(اصبحت و الله لا- اصدّق قولكم) لكثره ما شاهدت منكم من العداة الباطله و الأقوال الكاذبه (و لا أطمع فى نصركم) مع تثاقلكم عن الجهاد و تقاعدكم عن القتال غير مرّه (و لا اوعد بكم العدو) اذ الوعيد بهم مع طول تخلفهم و شعور العدو بذلك ممّا يوجب جرئته العدو و تسلّطه و جسارته.

(ما بالكم) و ما شأنكم الذى اوجب لكم التّخاؤل و التّصامم عن ندائى و (ما دوائكم) و (ما طبكم) كى اداوى و اعالج للمرض الذى اضعفكم عن استماع دعائى.

و قيل أنّ الطّب بمعنى العاده على حدّ قوله:

فما ان طبنا جبن و لكن منا يانا و دوله آخرينا

و الأوّل هو الأظهر (القوم رجال أمثالكم) فما أخوفكم منهم.

قال الشّاعر:

قاتلوا القوم يا خزاع و لا يدخلكم من قتالهم فشل

القوم أمثالكم لهم شعر فى الرّأس لا ينشرون ان قتلوا

ثمّ غيرهم على امور مستقبحه شرعا منفور عنها عاده.

احدها ما أشار إليه بقوله: (أقولا بغير علم) أراد به قولهم إنّنا نفعل بالخصوم كذا و كذا مع أنّه لم يكن فى قلوبهم إرادته الحرب أو دعويهم الايمان و الطاعه مع عدم الاطاعه فكأنّهم لا يدعون بما يقولون، و على الرّوايه الاخرى و هى أقولا بغير عمل كما هو الأظهر فيكون إشاره إلى ما يعدونه به من التّهوؤ إلى الحرب مع عدم وفائهم بالوعد و عدم قيامهم بما قالوا تذكيرا لهم بما فى ذلك من المقت الشديد و الخزى الأكيد، قال سبحانه: «لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ»

«تَقُولُوا مَا لَا- تَفْعَلُونَ» الثَّانِي مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ (و غفله من غير ورع) أَرَادَ بِهِ غَفْلَتَهُمْ عَمَّا يَصْلَحُهُمْ مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ يَحْجِزُهُمْ عَنِ الْمَحَارِمِ وَ يَتَّبِعُهُمْ عَنِ نَوْمِ الْغَفْلَةِ.

الثَّالِثُ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ (و طمعا في غير حق) لَعَلَّهُ أَرَادَ بِهِ طَمَعَهُمْ فِي أَنْ يُوفَرَ عَطِيَّاتُهُمْ وَ يُمنَحَهُمْ زِيَادَةً عَلَى مَا كَانَ يُؤْتِيهِمْ، وَ كَأَنَّهُ عَقَلَ مِنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ سَبَبَ تَسْوِيفِهِمْ وَ تَخَلُّفِهِمْ عَنْ نِدَائِهِ هُوَ الطَّمَعُ فِي التَّوْفِيرِ كَمَا فَعَلَ مُعَاوِيَةُ وَ الْخُلَفَاءُ قَبْلَهُ خَذَلَهُمُ اللَّهُ، فَرَدَعَهُمْ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ طَمَعٌ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ هَذَا.

و رَوَى فِي شَرْحِ الْمُعْتَزَلِيِّ مِنْ كِتَابِ الْغَارَاتِ لِابِرَاهِيمَ الثَّقَفِيِّ أَنَّ عَلِيًّا دَعَا حَجَرَ بْنَ عَدِيٍّ الْكِنْدِيَّ بَعْدَ غَارِهِ الضَّحَاكَ فَعَقَدَ لَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَلْفٍ فَخَرَجَ حَجَرٌ حَتَّى مَرَّ بِالسَّيِّحَاوَةِ وَ هِيَ أَرْضٌ كَلَبَ فَلَقِيَ بِهَا امْرَأَةَ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ أَوْسَ بْنِ جَابِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَلِيمِ الْكَلْبِيِّ وَ هُمُ أَصْهَارُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَكَانُوا وَلَاءَهُ فِي الطَّرِيقِ وَ عَلَى الْمِيَاهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي أَثَرِ الضَّحَاكِ حَتَّى لَقَاهُ بِنَاحِيَةِ تَرْمَدٍ فَوَاقَعَهُ فَاقْتَتَلَا سَاعَةً فَقَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ الضَّحَاكِ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَ قَتَلَ مِنْ أَصْحَابِ حَجَرَ رَجُلَانِ وَ حَجَزَ اللَّيْلَ بَيْنَهُمَا، فَمَضَى الضَّحَاكُ فَلَمَّا أَصْبَحُوا لَمْ يَجِدُوا لَهُ وَ لَا لِأَصْحَابِهِ أَثَرًا، وَ كَانَ الضَّحَاكُ يَقُولُ بَعْدَ، أَنَا ابْنُ قَيْسٍ أَنَا ابْنُ أَبِي أَنَا قَاتِلُ عَمْرٍو بْنِ عَمِيسٍ.

تكملة

قَدْ أَشْرْنَا سَابِقًا إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْخُطْبَةَ مَرْوِيَّةٌ بِطَرَقٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَ الْمُسْتَفَادُ مِنْ رَوَايَةِ الْاِحْتِجَاجِ وَ الْبَحَارِ مِنَ الْاِرْشَادِ أَنَّهَا مِنَ الْخُطْبَةِ السَّابِعَةِ وَ الْعَشْرِينَ مُلْتَقِطَةٌ مِنْ خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لَا بَأْسَ بِذِكْرِ تِلْكَ الرِّوَايَةِ زِيَادَةً لِلْبَصِيرَةِ.

فَأَقُولُ: قَالَ فِي الْاِحْتِجَاجِ وَ الْاِرْشَادِ عَلَى مَا رَوَاهُ مِنَ الْآخِرِ فِي الْبَحَارِ: وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْرِي مَجْرَى الْاِحْتِجَاجِ مُشْتَمِلًا عَلَى التَّوْبِيخِ لِأَصْحَابِهِ عَلَى تَثَاقُلِهِمْ عَنْ قِتَالِ مُعَاوِيَةَ وَ التَّنْفِيزِ مُتَضَمِّنًا لِلْوَمِّ وَ الْوَعِيدِ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لَجِهَادِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَلَمْ تَنْفَرُوا، وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَجِيبُوا، وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا شُهُودًا بِالْغَيْبِ، أَتَلُو عَلَيْكُمْ الْحُكْمَ فَتَعْرِضُونَ عَنْهَا،

و أعظكم بالموعظه البالغه فتفرقون عنها، كأنكم حمر مستنفره فزت من قسوره، و أحثكم على جهاد أهل الجور، فما اتى على آخر قولي حتى اراكم متفرقين أيادي سبا، ترجعون إلى مجالسكم، تتربعون حلقا، تضربون الأمثال، و تنشدون الأشعار، و تجسسون الأخبار.

حتى إذا تفرقتم تسئلون عن الأشعار جهله من غير علم، و غفله من غير ورع و تتبعا من غير خوف، و نسيتم الحرب و الاستعداد لها، فأصبحت قلوبكم فارغه من ذكرها، شغلتموها بالأعالي و الأضاليل، فالعجب كل العجب و كيف لا اعجب من اجتماع قوم على باطلهم و تخاذلكم عن حثكم.

يا اهل الكوفه أنتم كأم مجالد حملت فاملصت(١) فمات قيمها، و طال ايمها، و ورثها ابعدها و الذي فلق الحبه و برء النسمة إن من ورائكم الأعور الأدبر جهنم الدنيا لا تبقى و لا تذر، و من بعده النهاس(٢) الفراس الجموع المنوع.

ثم ليتوارثكم من بنى اميّه عدّه ما لآخر بأرأف بكم من الأوّل ما خلا رجلا واحدا(٣)، بلاء قضاه الله على هذه الامه لا محاله كايّن، يقتلون أخياركم، و يستعبدون أراذلكم، و يستخرجون كنوزكم و ذخايركم من جوف حجالكم نقمه بما ضيعتم من اموركم، و صلاح انفسكم و دينكم.

يا اهل الكوفه اخبركم بما يكون قبل ان يكون لتكونوا منه على حذر، و لتندروا به من اتعظ و اعتبر، كأني بكم تقولون: إن علينا يكذب كما قالت قريش لنييها و سيدها نبي الرّحمه محمّد بن عبد الله حبيب الله.

فيا ويلكم فعلى من اكذب؟ أعلى الله فأنا أوّل من عبد الله و وحده، أم على

ص: ٢٢

١- (١) املصت المره بولدها أسقطت.

٢- (٢) النهاس اللحم اخذه بمقدم الاسنان و نهس الحيه لسعها و فرس الاسد فريسته دق عنقها و المراد بالنهاس الفراس، اما هشام بن عبد الملك لاشتهاره بالبخل او سليمان بن عبد الملك فانه الذي قنيت له الخلافه بعد وفات الحجاج بقليل بحار.

٣- (٣) عمر بن عبد العزيز.

رسول الله فأنا أول من آمن به و صدّقه و نصره، كلّاً و لكنّها لهجه (١) خدعه كنتم عنها أغنياء.

و الذى فلق الحَبّه و برء النّسمه لتعلمنّ نبأها بعد حين، و ذلك إذا صيّرها، اليكم جهلكم لا ينفعكم عندها علمكم، فقبحا لكم يا أشباح الرّجال و لا رجال و حلوم الأطفال و عقول ربّات الحجال، أما و الله أيّها الشّاهده أبدانهم، الغائبه عنهم عقولهم، المختلفه أهوائهم، ما أعزّ الله نصر من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، و لا قرّت عين من أراكم، كلامكم يوهن الصّم الصّيلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوّكم المرتاب.

يا ويحكم أيّ دار بعد داركم تمنعون، و مع أيّ إمام بعدى تقاتلون، المغرور و الله من غرر تموه، و من فاز بكم فاز بالسّيهم الأخبب، أصبحت لا- أطمع فى نصرتكم و لا- اصدّق قولكم، فرّق الله بينى و بينكم، و أعقبني ربّكم من هو خير لى منكم، و أعقبكم من هو شرّ لكم منّى.

إمامكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و إمام أهل الشّام يعصى الله و هم يطيعونه، و الله لوددت إنّ معاويه صارفنى بكم صرف الدّينار بالدّرهم فأخذ منّى عشره منكم و أعطانى واحدا منهم، و الله لوددت أنّى لم أعرفكم و لم تعرفونى، فأنّه معرفه جرّت ندما، لقد وريتم (٢) صدرى غيظا و أفسدتم علىّ أمرى بالخذلان و العصيان، حتى لقد قالت قريش إنّ عليّا رجل شجاع لكن لا علم له بالحرب.

لله درّهم هل كان فيهم أطول لها مراسا منّى، و أشدّ لها مقاساه، لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين ثمّ ها أنا ذا قد ذرفت على السّتين و لكن لا أمر

ص: ٢٣

١- (١) اى اذا قلت لكم ساظفر على الخصم انشاء الله فليس هذا من الكذب بل هو من مصالح الحرب و كذا اشباهه من مصالح و غيره و يحتمل ارجاع ضمير و لكنها الى ما ذكره من نسبته الى الكذب خصوصا على نسخه اغنيا بالنون اى ما ذكرتم لهجه خدعتم فيها من الشيطان و لم يكن لكم حاجه الى ذكرها بحار.

٢- (٢) ورى القيق جوفه يريه وريا اكله و الاسم الورى بالتحريك بحار.

أما والله لوددت أن ربي أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، فإن المنية لترصدني (١) فما يمنع أشقاها أن يخضبها، وترك يده على رأسه و لحيته، عهدا عهدا إلى النبي الامي، وقد خاب من افتري، و نجى من اتقى و صدق بالحسنى.

يا اهل الكوفة دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سراً و إعلانا و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم فإنه ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولي، و استصعب عليكم أمري و اتخذتموه ورائكم ظهرية، حتى شنت عليكم الغارات، و ظهرت فيكم الفواحش و المنكرات، تمسيكم (٢) و تصبحكم كما فعل بأهل المثالات من قبلكم حيث أخبر الله عن الجبابرة العتاة الطغاة و المستضعفين الغواة في قوله تعالى: «يَذَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» أما و الذي فلق الحبة و برء النسمه لقد حلّ بكم الذي توعدون، عاتبتكم يا أهل الكوفة بمواعظ القرآن فلم انتفع بكم و أعطيتكم بالدره فلم تستقيموا لي، و عاقبتكم بالسوط الذي يقام به الحدود فلم ترعوا، و لقد علمت أن الذي يصلحكم هو السيف، و ما كنت متحرّياً صلاحكم بفساد نفسي، و لكن سيسلّط عليكم سلطان صعب لا يوقّر كبيركم، و لا يرحم صغيركم، و لا يكرم عالمكم، و لا يقسم الفىء بالسوية بينكم، و ليضربنكم و ليدلنكم و ليجهزنكم في المغازى و يقطعن سبلكم

ص: ٢٤

١- (١) رصده رقبه و الرصيد الرقيب بحار.

٢- (٢) تمسيكم و تصبحكم لعل الضمير المستتر فيهما راجع الى الفواحش و المنكرات اى يأتيكم اما صباحا او مساء عقوبات تلك المنكرات كما فعل بمن فيكم و الكاف اسمى اى يأتيكم مثل ما فعل بهم اوصله تقدير اى يأتيكم عقوبه كما فعل بهم او الضميران راجعان الى شئ الغارات و ظهور الفواحش و المنكرات و يكون المراد ظهورها من المخالفين فيهم و هذه عقوبه اعمالهم بحار.

و ليحجبنكم (١) على بابہ حتى يأكل قويعكم ضعيفكم ثم لا يبعد الله إلا من ظلم و لقل ما أدبر شيء فأقبل و انى لأظنكم على فتره و ما على إلا النصح لكم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث و اثنتين صم و ذو أسمع، و بكم و ذو ألسن و عمى و ذو أبصار لا إخوان صدق عند اللقاء و لا إخوان ثقه عند البلاء.

اللهم قد مللتهم و ملّوني، و سئمتهم و سئموني، اللهم لا ترض عنهم أميرا، و لا ترضيهم عن أمير، و أمث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء، أما و الله لو أجد بدا من كلامكم و مراسلتكم ما فعلت، و لقد عاتبتكم فى رشدكم حتى لقد سئمت الحياه كل ذلك ترجعون بالهزو من القول، فرارا من الحق، و الحادا إلى الباطل الذى لا يغر الله بأهله الدين.

و انى لأعلم بكم أنكم لا- تزيدوننى غير تخسير كلما أمرتكم بجهاد عدوكم أثاقلتم إلى الأرض، و سألتمونى التأخير دفاع ذى الدين المطول، إن قلت لكم فى القيظ: سيروا، قلت: الحرّ شديد، و إن قلت لكم فى البرد: سيروا، قلت: القرّ شديد، كل ذلك فرارا عن الحرب، إذا كنتم من الحرّ و البرد تعجزون فأنتم من حراره السيف أعجز و أعجز، فانا لله و إنا إليه راجعون.

يا أهل الكوفة قد أتانى الصريح (٢) يخبر فى أنّ ابن غامد قد نزل بالأبّار على اهلها ليلا فى أربعه آلاف، فأغار عليهم كما يغار على الروم و الخزر (٣) فقتل بها عاملى ابن حسان و قتل معه رجالا صالحين ذوى فضل و عباده و نجده، بوء الله لهم جنات النعيم و أنّه أباحها.

و لقد بلغنى أنّ العصبه (٤) من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأة المسلمه،

ص: ٢٥

-
- ١- (١) ضمن معنى القيام و لذا عدى بعلى بحار.
 - ٢- (٢) الصريح فى أكثر النسخ بالحاء المهمله و هو الرجل خالص النسب و كل خالص صريح و الاظهر إنه بالخاء المعجمه كما فى الارشاد اى المستغيث أو من يطلب الاغاثة بحار.
 - ٣- (٣) بضم الخا و الزاء المعجمه و الراء اخيرا طائفه من الامم.
 - ٤- (٤) العصبه من الرجال ما بين العشره الى الاربعين بحار.

و الاخرى المعاهده فيهتكون سترها، و يأخذون القناع من رأسها، و الخرص من اذنهما، و الأوضاح(١) من يديها و رجليها و عضديها، و الخلخال و الميزر عن سوقها، فما تمتنع ألا بالاسترجاع و النداء يا للمسلمين فلا يغيثها مغيث، و لا ينصرها ناصر فلو أن مؤمنات من دون هذا ما كان عندي ملوما بل كان عندي بارًا محسنا.

و اعجبا كل العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم و فشلهم عن حقكم قد صرتم غرضا يرمى و لا ترمون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون فترتب أيديكم، يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها، كلما اجتمعت من جانب تفزقت من جانب.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست که تویخ می فرماید در آن اصحاب خود را بسوء افعال و اعمال از جهت تسامح ایشان در جدال و قتال باین نحو که می فرماید.

ای مردمانی که مجتمع است بدن های ایشان و مختلفست خواهشات ایشان قولهای شما ضعیف می نماید سنگهای سخت را، و فعلهای شما بطمع می اندازد در شما دشمنان را می گوئید در مجلسها چنین و چنان پس چون می آید وقت محاربه و مجادله می گوئید: حیدی حیاد یعنی برگرد ای داهیه(٢) عزیز نشد دعوت آن کسی که دعوت نمود شما را، و راحت نگردید قلب آن کسی که کشید رنج شما را، زمانی که دعوت کنم شما را بجهاد عذر می آورید و آن عذرهای شما عذرهایست با گمراهیها، و مدافعه شما محاربه را از خودتان مثل مدافعه کردن صاحب دین بسیار ملاحظه کننده است غریم خود را.

منع نمی نماید مرد ذلیل ظلم را از خود و ادراک نمی شود حق مگر بجهاد

ص: ٢٦

١- (١) نوع من الحلی يعمل من الفضه سمیت بها لیباضها واحدها واضح.

٢- (٢) و لنعم ما قیل: در میان همدگر مردانه ای در غزا چون عورتان خانه اید بهر آن گفت آن سپهد ارغیوبلا شجاعه یا فتی قبل الحروب

و کوشش، از کدام خانه بعد از خانه خودتان که دار اسلامست مانع می شوید، و با کدام امام بعد از من مقاتله می کنید، فریب داده شده بخدا سوگند آن کس است که شما فریب دادید او را و کسی که فایز شود بشما فایز می شود بسهمی که نویدتر باشد از سهمای قمار و کسی که تیر اندازد با شما بدشمنان پس بتحقیق که تیر انداخته به تیر شکسته بی پیکان.

قسم بخداوند که گردیدم بمرتبه که باور ندارم گفتار شما را، و طمع ندارم در یاری دادن شما، و نمی ترسانم دشمن را با شما، چیست حال شما چیست دواي شما علاج ناخوشی شما، گروهی که طرف مقابل شمايند مردانند مانند شما، آیا می گوئید گفتار بی اعتقاد، و غفلت می ورزید بدون ورع، و طمع تفضیل دارید بدون استحقاق.

و من کلام له علیه السلام فی معنی قتل عثمان

اشاره

و هو الثلاثون من المختار فی باب الخطب

لو أمرت به لکنت قاتلاً، أو نهيت عنه لکنت ناصراً، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني، و أنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثره، و جزعتم فأسأتم الجزع، و لله حکم واقع فی المستأثر و الجازع.

اللغة

(الاستیثار) بالشّیء الانفراد به و الاسم الاثره بالتحريك (و الجزع) الاضطراب و عدم الصّبر.

ص: ۲۷

قوله: غير أنّ من نصره اه كلمه غير هنا للاستثناء فيفيد مفاد إلا الاستثنائية، لكن لا بطريق الاصاله بل بطريق الحمل على إلا، و تقريره على ما ذكره نجم الأئمة الرضى هو أنّ أصل غير الصّفه المفيده لمغايره مجرورها لموصوفها إمّا بالذّات نحو مررت برجل غير زيد، و إمّا بالصّيغيات نحو قولك: دخلت بوجه غير الوجه الذى خرجت به، فإنّ الوجه الذى تبين فيه أثر الغضب كأنه غير الوجه الذى لا يكون فيه ذلك بالذّات.

و ماهيه المستثنى كما ذكر فى حدّه هو المغاير لما قبل أداه الاستثناء نفيا و اثباتا فلما اجتمع ما بعد غير و ما بعد أداه الاستثناء فى معنى المغاير لما قبلهما حملت أم أدواه الاستثنا أى إلا على غير فى الصّفه و حملت غير على إلا فى الاستثناء فى بعض المواضع.

و معنى الحمل أنّه صار ما بعد إلا- مغايرا لما قبلها ذاتا أو صفه كما بعد غير، و لا يعتبر مغايرته له نفيا و إثباتا كما كانت فى أصلها و صار ما بعد غير مغايرا لما قبلها نفيا و إثباتا كما بعد إلا و لا يعتبر مغايرته له ذاتا أو صفه كما كانت فى الأصل إلا أنّ حمل غير على إلا أكثر من العكس، لأنّ غير اسم و التّصرف فى الأسماء أكثر منه فى الحروف، فوقع فى جميع مواقع إلا إلا أنّه لا يدخل على الجملة كإلا لتعذر الاضافه إليها هنا.

و أمّا إعرابه فى الكلام الذى يقع فيه فهو إعراب الاسم التّالى إلا فى ذلك الكلام فتقول: جاء القوم غير زيد بالنّصب كما تقول: إلا زيدا، و ما جائنى أحد غير زيد بالنّصب و الرفع.

و سرّ ذلك على ما ذكره الرضى هو أنّ أصل غير من حيث كونه اسما جواز تحمل الاعراب و ما بعده الذى صار مستثنى بتطفل غير على إلا مشغول بالجرّ لكونه مضافا إليه فى الأصل فجعل اعرابه الذى كان يستحقّه لو لا المانع المذكور أعنى اشتغاله بالجرّ على نفس غير عاريه لا بطريق الأصاله.

و إعرابه فى كلام الامام هو النصب لكونه استثناء منقطعاً، و يجوز بنائه على الفتح لعدم الخلاف بين علماء الأدب فى جواز بنائه على الفتح إذا اضيف إلى ان، و نظيره فيه ما وقع فى قوله غير أنى قد استعين (١) على الهم إذا خف بالثوى النجاء، و قد صرح الرضى فيه بجواز الوجهين حسبما ذكرناه.

المعنى

إشارة

قوله: (لو أمرت به) أى بقتل عثمان (لكنت قاتلاً) لأنّ القاتل و ان كان موضوعاً فى اللغة للمباشر للقتل إلاّ أنّه يطلق فى العرف على الأعمّ من السبب و المباشر فيستلزم الأمر به له عرفاً (أو نهيت عنه لكنت ناصراً) لاستلزام النهى عنه النصرة له و هو ظاهر.

و هاتان القضيتان منتجتان لعدم مداخلته عليه السلام فى قتله بالأمر و النهى. إذ باستثناء نقيض تا ليهما يثبت نقيض المقدمين، و المقصود بهذا الكلام إظهار التبرى من دم عثمان وردّ ما نسبته إليه معاويه و أتباعه من كونه دخيلاً فيه، حيث إنهم لم يستندوا فى الخروج عليه و المحاربه معه إلاّ بما شهروه بين الناس من أنّه أمر بقتل عثمان هذا.

و ما ذكره الشارح المعتزلى من أنّ هذا الكلام بظاهره يقتضى أنّه ما امر بقتله و لا نهى عنه، فيكون دمه عنده فى حكم الأمور المباحه التى لا يؤمر بها و لا ينهى عنها.

فيه أنّ غايه ما يستفاد من كلامه هو عدم مدخليته فيه و أما أنّ جهه عدم المدخلية هل هى استباحه دمه أو ساير الجهات فلا دلالة فى الكلام عليه.

لا- يقال أنّ قتله إمّا أن يكون واجباً عنده عليه السلام، أو محرّماً أو مباحاً لا سبيل إلى الأولين إذ لو كان واجباً لكان آمراً به من باب الأمر بالمعروف، و لو كان محرّماً لنهى عنه من باب النهى عن المنكر فحيث لم يأمر به و لم ينه عنه ثبت كونه مباحاً عنده لأننا نقول أولاً إنّ عدم الأمر به أعمّ من عدم الوجوب، لاحتمال أنّه لم يأمر

ص: ٢٩

١- (١) أى استعين على همى إذا خف بالمقيم الانطلاق و النجاء بمعنى الاسراع.

لعلمه بما يترتب عليه من المفاسد، و يؤيده ما سنحكيه من البحار و ما روى عنه عليه السلام الله قتله و أنا معه.

و ثانياً أنّ عدم نهيه عنه أعمّ من عدم كونه منكراً عنده، لاحتمال أنّه ترك النهي لعلمه بأنّه لا يترتب على ذلك ثمره، و وجوب إنكار المنكر إنّما هو إذا علم المنكر أو غلب على ظنّه تأثير إنكاره، و أما إذا علم أو غلب على ظنّه أنّ أنكاره لا يؤثّر و نهيه لا يثمر فيقبح حينئذ النهي و الانكار، لأنّه إن كان الغرض تعريف الفاعل قبح فعله، فذلك حاصل من دون الانكار و إن كان الغرض أن لا يقع المنكر فذلك غير حاصل.

و يؤيد ذلك ما في البحار من أنّه جمع الناس و وعظهم ثمّ قال: لتقم قتله عثمان، فقام الناس بأسرهم إلّا قليل و كان ذلك الفعل استشهاداً منه عليه السلام على عدم تمكنه من دفعهم و يدلّ على ذلك بعض كلماته الآتية أيضاً(١).

و ثالثاً لا نسلم أنّه لم ينه عنه فقد روى في البحار من الأماشي باسناده عن مجاهد عن ابن عباس عنه قال: إن شاء الناس قمت لهم خلف مقام إبراهيم فحلفت لهم بالله ما قتلت عثمان و لا أمرت بقتله و لقد نهيتهم فعصوني.

فان قلت: كيف الجمع بين هذه الرواية و بين قوله عليه السلام: أو نهيت عنه لكنت ناصراً.

قلت: يمكن الجمع بأن يكون المراد به استثناء عين المقدم فيتتبع عين التّالي أي لكني نهيت عنه فكنت ناصراً و كيف كان، فقد تحصيل ممّا ذكرنا أنّ كلامه عليه السلام مجمل متشابه المراد كإجمال ساير ما روى عنه في المقام و السرّ في الاجمال هو إبهام المقصود على السامعين.

و ذلك لما رواه في البحار من المناقب من أنّ أصحاب أمير المؤمنين كانوا

ص: ٣٠

١- (١) و هو ما يأتي في الكتاب بعنوان و من كلام له بعد ما بويع بالخلافه و قال له قوم من الصحابه لو عاقبت قوما ممن اصلب على عثمان فقال (عليه السلام) يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون و لكن كيف لي بقوه و القوم المجلبون على حدّ شوكتهم تملكوننا و لا نملكهم اه.

فرقتين احدهما اعتقدوا أنّ عثمان قتل مظلوماً و يتولّاه و يتبرّء من أعدائه، و الاخرى و هم جمهور أهل الحرب و أهل العناء و البأس اعتقدوا أنّ عثمان قتل لأحداث أوجبت عليه القتل، و منهم من يصرّح بتكفيره و كلّ من هاتين الفرقتين تزعم أنّ عليّاً موافق له على رأيه و كان عليه السّلام يعلم أنّه متى وافق إحدى الطائفتين باينته الاخرى و أسلمته و تولّت عنه و خذلته فكان يستعمل فى كلامه ما يوافق كلّ واحده من الطائفتين.

أقول: و لأجل اشتباه كلامه على السّامعين قال شاعر الشّام الأبيات التى منها:

أرى الشّام تكره اهل العراق و أهل العراق لهم كارهونا

و كلّ لصاحبه مبغض يرى كلّ ما كان من ذاك دينا

إذا ما رمونا رميناهم و دناهم مثل ما يقرضونا

و قالوا علىّ إمام لنا و قلنا رضينا ابن هند رضينا

و قالوا نرى أنّ تدينوا لنا فقلنا ألا لا نرى أنّ تدينا

و من دون ذلك خرط القتاد و طعن و ضرب يقرّ العيوننا

و كلّ يسرّ بما عنده يرى غثّ ما فى يديه سمينا

و ما فى علىّ لمستعتب يقال سوى ضمّه المحدثينا

و ايثاره اليوم أهل الذّنوب و رفع القصاص عن القاتلينا

إذا سئل عنه حذا شبهه و عمى الجواب على السّائلينا

فليس براض و لا ساخط و لا فى التّهات و لا الآمرينا

و لا هو ساء و لا سرّه و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا

هذا و قد تلخّص ممّا ذكرنا أنّه عليه السّلام كان بنائه على ابهام المرام فى تلك الواقعة للمصالح المترتّبه على ذلك إلّا أنّه غير خفى على أهل البصيره و الحجى أنّ و جنات حاله عليه السّلام مع أفعاله و أقواله فى تلك الواقعة يدلّ على أنّه كان منكرا لأفعاله و خلافته راضيا بدفعه.

قال المجلسى: و لم يأمر بقتله صريحا لعلمه بما يترتب عليه من المفاسد أو تقيّه و لم ينه القاتلين أيضا لأنهم كانوا محققين، و كان يتكلم فى الاحتجاج على الخصوم على وجه لا يخالف الواقع و لا يكون للجّهال و أهل الضلال أيضا عليه حجه، و كان هذا ممّا يخصّه من فصل الخطاب و ممّا يدلّ على و فور علمه فى كلّ باب، و يمكن استشمام ذلك من ترجيحه الخاذلين على الناصرين بقوله: (غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير منى).

قال الشارح المعتزلى معناه إنّ خاذليه كانوا خيرا من ناصريه لأنّ الذين نصروه كانوا فساقا كمروان بن الحكم و احزابه و خذله المهاجرون و الانصار.

أقول: كون ناصرى الرّجل منحصر فى مروان الفاسق و نظرائه و خاذليه وجوه الصّحابه من المهاجر و الأنصار غير خفى على العارف الأريب ما فيه من الاشاره الى حاله و رتبته، و إلى كون المنصور مثل الناصر و العاقل يكفيه الاشاره (و أنا جامع لكم أمره) اى مبيّن له بلفظ وجيز.

قال الفيومى: و كان عليه السلام: يتكلم بجوامع الكلم أى كان كلامه قليل الألفاظ كثير المعانى (استأثر فأساء الأثره) اى استبدّ برأيه فى الخلافه و إحداث ما أحدث فى الاستبداد و الاستقلال حيث أدى إلى فساد نظم الخلافه حتّى انجرّ الأمر إلى قتله (و جزعتم) من افعاله (فأساتم الجزع) حيث قتلتموه و قد كان ينبغى عليكم التثبت و إصلاح الأمر بينكم و بينه بدون القتل و بخلعه من الخلافه و إقامه غيره مقامه.

و قيل: أراد أنكم أساتم الجزع عليه بعد القتل و قد كان ينبغى منكم ذلك الجزع قبل القتل (و لله حكم واقع) اى ثابت محقق فى علمه تعالى يحكم به فى الآخره أو الاولى، أو سيقع أو يتحقّق خارجا فى الآخره أو الدّنيا لأنّ مجموعه لم يتحقّق بعد و إن تحقّق بعضه (فى المستأثر و الجازع) و الأظهر أنّ المراد خصوص الحكم الاخرى

يعنى أنّ له سبحانه حكما واقعا فيهما يحكم به يوم القيامة بمقتضى عدله فيعاقب المذنب و يثيب المصيب.

تذييل

فى الاشارة الى كيفيه قتل عثمان إجمالا على ما رواه فى شرح المعتزلى من الواقدى و الطبرى و هو أنّه أحدث أحداثا مشهوره نقمها الناس عليه من تأمير بنى اميه و لا سيما الفساق و أرباب السيفه و قلّه الدين، و إخراج مال الفياء إليهم و ما جرى فى أمر عمار و أبى ذر و عبد الله بن مسعود و غير ذلك من الامور التى جرت فى أواخر خلافته، فلما دخلت سنه خمس و ثلاثين كاتب أعداء عثمان و بنى اميه فى البلاد و حرّض بعضهم بعضا على خلعه من الخلافه و عزل عمّا له من الأمصار فخرج ناس من مصر و كانوا فى ألفتين، و خرج ناس من أهل الكوفه فى ألفتين، و خرج ناس من أهل البصره و أظهروا أنّهم يريدون الحجّ، فلما كانوا من المدينه على ثلث تقدّم أهل البصره فنزلوا ذا خشب و كان هواهم فى طلحه، و تقدّم أهل الكوفه فنزلوا الأعوص و كان هواهم فى الزبير، و جاء أهل مصر فنزلوا ذا المروه و كان هواهم فى علىّ، و دخل ناس منهم المدينه يخبرون ما فى قلوب الناس لعثمان فلقوا جماعه من المهاجرين و الأنصار و لقوا أزواج النّبىّ و قالوا: إنّما نريد الحجّ و نستعفى من عما لنا.

ثم لقي جماعه من المصرّيين عليّا و هو متقلّد سيفه عند أحجار الزّيت فسلمّوا عليه و عرضوا عليه أمرهم فصاح و طردهم و قال: لقد علم الصّالحون أنّ جيش ذى المروه و ذى خشب و الأعوص ملعونون على لسان محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم فانصرفوا عنه، و أتى البصريّون طلحه فقال لهم مثل ذلك، و أتى الكوفيّون الزّبير فقال لهم مثل ذلك ففرّقوا و خرجوا من المدينه إلى أصحابهم.

فلما أمن أهل المدينه منهم و اطمأنّوا إلى رجوعهم لم يشعروا إلّا و التّكبير فى نواحي المدينه و قد نزلوها و أحاطوا بعثمان و نادى مناديهم: يا أهل المدينه من كفّ يده عن الحرب فهو آمن.

فحصروه فى منزله إلا أنهم لم يمنعو الناس من كلامه و لقائه، فجاءهم جماعه من رؤساء المهاجرين و سألوهم ما شأنهم؟ فقالوا: لا حاجه لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا لنوكله غيره لم يزيد و هم على ذلك.

و خرج عثمان يوم الجمعة فصلّى بالناس و قام على المنبر فقال: يا هؤلاء الله الله فوالله إن أهل المدينه يعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد صلى الله عليه و آله فامحوا الخطاء بالصواب، فقام محمد بن مسلمة الأنصارى فقال: نعم أنا أعلم ذلك فأقعه حكيم بن جبله البصرى، و قام زيد بن ثابت فأقعه قنيره بن وهب المصرى.

و ثار القوم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد و حصبوا عثمان حتى صرع عن المنبر مغشياً عليه فادخل داره و أقبل على و طلحه و الزبير فدخلوا على عثمان يعودونه من صرخته و عند عثمان نفر من بنى اميه منهم مروان بن الحكم فقالوا لعلى أهلكتنا و صنعت هذا الذى صنعت و الله إن بلغت هذا الأمر الذى تريده ليمرن عليك الدنيا فقام مغضباً و خرج جماعه الذين معه إلى منازلهم.

ثم إن أهل المدينه تفرقوا عنه و لزموا بيوتهم لا يخرج أحد منهم إلا بسيفه يمتنع به فكان حصاره أربعين يوماً.

و فى روايه الطبرى فما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون و علم عثمان ذلك جاء إلى منزل على فدخل و قال: يابن عم إن قرابتى قريبه و قد جاء ما ترى من القوم و هم مصبحى و لك عند الناس قدروهم يسمعون منك و أحب أن تركب إليهم و تردهم عني فإن فى دخولهم على و هنا لأمرى و جرئه على.

فقال عليه السلام: على أى شىء أردتهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أمرت به و رأيت فى، فقال على إننى قد كلمتك مره بعد اخرى فكل ذلك تخرج و تقول و تعد ثم ترجع و هذا من فعل مروان و معاويه و ابن عامر و عبد الله بن سعد فانك أطعتهم و عصيتنى.

قال عثمان فانى أعصيه و اطيعك، فأمر على عليه السلام الناس أن يركبوا معه فركب معه ثلاثون

رجلا من المهاجر و الأنصار فأتوا المصریین فكلّموهم فكان الذى يكلمهم على عليه السّلام و محمّد بن مسلمة فسمعوا منهما و رجعوا بأصحابهم يطلبون مصر.

و رجع علىّ حتّى دخل على عثمان فأشار عليه أن يتكلّم بكلام يسمعه النّاس منه ليسكنوا إلى ما يعدّهم به من التّزوع، و قال: إنّ البلاد قد تمحّصت عليك و لا امن أنّه يجىء ركب من جهة اخرى فتقول لى يا على اركب إليهم فان لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك و استخففت بحقّك.

فخرج عثمان فخطب الخطبة التى ينزع فيها و أعطى النّاس من نفسه التّوبة و قال لهم: أنا أوّل من اتعظ و استغفر الله و أتوب إليه فمثلى نزع و تاب فاذا نزلت فليأتنى أشرافكم فليرون رأيهم، و ليذكر كلّ واحد ظلامته لأكشفها و حاجته لأقضيها فو الله لأن ردّنى الحق عبد الأسنن سنّه العبيد، و لا ذلّ ذلّ العبيد، و ما عن الله مذهب إلا إليه و الله لأعطينكم الرّضا و لا يحنّ مروان و ذريه و لا أحتجب عنكم.

فلما نزل وجد مروان و سعدا و نفرا من بنى اميّة فى منزله قعودا لم يكونوا شهدوا خطبته و لكنها بلغهم.

فلما جلس قال مروان: يا أمير المؤمنين أ أتكلّم؟ فقالت نائله: امرأه عثمان:

لا بل تسكت، فأنتم و الله قاتلوه و موتّموا أطفاله إنّّه قد قال مقاله لا ينبغى أن ينزع عنها، فقال لها مروان: و ما أنت و ذلك؟ و الله لقد مات أبوك و ما يحسن أن يتوضّأ، فقالت: مهلا يا مروان عن ذكر أبى إلّا بخير و الله لو لا أنّ أباك عمّ عثمان و أنّه يناله غمّه و عيبه لأخبرتكم بما لا أكذب فيه عليه، فأعرض عنه عثمان.

ثمّ عاد فقال: ءأتكلّم أم أسكت؟ فقال: تكلم، فقال و الله لوددت أنّ مقاتلك هذه كانت و أنت ممتنع أوّل من رضى بها و أعان عليها، و لكنك قلت و قد بلغ الحزام الطيبين و جاوز السّيل الرّبى، و الله لاقامه على خطيئه تستغفر الله منها أجمل من توبه تخوف عليها ما زدت على أن جرئت عليك النّاس.

فقال عثمان قد كان من قولى ما كان، و إنّ الفايث لا يرّد و لم آل خيرا فقال مروان: إنّ النّاس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال قال: ما شأنهم؟ قال: أنت دعوتهم

إلى نفسك، فهذا يذكر مظلّمه و هذا يطلب مالا و هذا سأل نزع عامل من عمّا لك و هذا ما جنيت على خلافتك.

و لو استمسكت و صبرت كان خيرا لك، قال: فاخرج أنت إلى الناس فكلّمهم فأنى أستحي أن أكلّمهم و ردّهم فخرج مروان إلى الناس و قد ركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب، شامت الوجوه أ تريدون ان تنزعوا ملكنا من أيدينا، أعزّبوا عنيّ و الله ان رمتونا لنمرّن عليكم ما حلا- و لنحلن بكم ما لا يسركم و لا تحمدوا فيه رأيكم، ارجعوا إلى منازلكم، فأنا و الله غير مغلوبين على ما في أيدينا.

فرجع الناس خايين يشتمون عثمان و مروان و أتى بعضهم عليّا فأخبره الخبر، فأقبل عليّ على عبد الرحمن بن الاسود بن عبد يغوث الزهري، فقال أحضرت خطبه عثمان؟ قال: نعم قال أ حضرت مقاله مروان للناس قال: نعم.

فقال عليه السّلام: اى عباد الله، يا لله للمسلمين إنى قعدت فى بيتى، قال لى تركتنى و خذلتنى و إن تكلمت فبلغت له ما يريد جاء مروان و يلعب به حتّى قد صار سيقه له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السنّ و قام مغضبا من فوره حتى دخل على عثمان، فقال عليه السّلام له أما يرضى مروان منك إلّا- أن يحرفك عن دينك و عقلك فانت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يسار به، و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا عقله، و انى لأراه يوردك ثم لا يصدرك و ما أنا عايد بعد مقامى هذا لمعا تبتك أفسدت شرفك و غلبت على رأيك ثم نهض.

فدخلت نائله فقالت قد سمعت قول عليّ لك و أنّه ليس براجع إليك و لا معاود لك و قد أطعت مروان يقودك حيث يشاء قال فما أصنع؟ قالت تتقى الله و تتبع سنّه صاحبيك، فانك متى أطعت مروان قتلوك، و ليس لمروان عند الناس قدر و لا هيبة و لا محبّه و إنّما تركك الناس لمكانه، و إنّما رجع عنك أهل مصر لقول عليّ عليه السّلام، فأرسل إليه فاستصلحه، فإنّ له عند الناس قدما و أنّه لا يعص فأرسل إلى عليّ فلم يأته و قال:

قد أعلمته أنّى غير عايد.

و فى البحار من الامالى عن أحمد بن محمد بن الصيلى عن ابن عقده الحافظ عن جعفر بن عبد الله العلوى عن عمه القاسم بن جعفر بن عبد الله عن عبد الله بن محمد بن عبد الله عن ابيه عن عبد الله بن أبى بكر عن أبى جعفر عليه السلام قال حدثنى عبد الرحمن بن أبى عمرة الانصارى:

قال لَمَّا نزل المصريون بعثمان بن عفان فى مَرَّتِهِمُ الثَّانِيَةِ، دعى مروان بن الحكم فاستشاره، فقال له: انَّ القوم ليس هم لأحد أطوع منهم لعلّى بن أبى طالب عليه السَّلام، و هو أطوع النَّاسِ فى النَّاسِ، فابعثه إليهم فليعطهم الرضا و ليأخذ لك عليهم الطاعة و يحذّرهم الفتنة.

فكتب عثمان إلى عليّ بن أبى طالب: سلام عليك، أمّا بعد قد جاز السَّيلُ الزَّبى (1)، و بلغ الحزام الطيبين، و ارتفع امر النَّاسِ بى فوق قدر، و طمع فى من كان يعجز عن نفسه، فاقبل عليّ و تمثّل:

فان كنت ماكولا فكن خير آكل و إلّا فأدركنى و لَمّا امزّق و السَّلام.

فجاءه عليّ فقال: يا أبا الحسن انت هؤلاء القوم فادعهم إلى كتاب الله و سنّه نبيّه فقال: نعم إن أعطيتنى عهد الله و ميثاقه على أن تفى لهم بكلّ شىء أعطيته عنك، فقال: نعم فأخذ عليه عهدا غليظا و مشى إلى القوم فلما دنى منهم قالوا وراءك قال:

لا، قالوا: وراءك، قال: لا.

ص: ٣٧

١- (١) قال فى البحار قال فى النهايه الزبى هى جمع الزبيّه و هى الزابيه و هى الرابيه التى لا يعلوها الماء و قيل انما اراد الحفره للسبوع و لا- تحفر الا فى مكان عال من الارض لئلا يبلغه السيل و هو مثل يضرب للامر بما تجاوز الحد و يتفاقم و قال الاطباء واحدها طبى بالضم و الكسر و قيل يقال لموضع الاخلاف من الخيل و السباع اطباء كما يقال لذوات الخف و الظلف خلف و ضرع و قوله و بلغ الحزام الطيبين كناية عن المبالغه فى تجاوزه حد الشر و الاذى لان الحزام اذا انتهى الى الطيبين فقد انتهى الى بعد غايته فكيف اذا جاوزته منه.

فجاء بعضهم ليدفع فى صدره فقال القوم بعضهم لبعض: سبحان الله أتاكم ابن عمّ رسول الله يعرض كتاب الله، اسمعوا منه و اقبلوا، قالوا تضمن لنا كذلك، قال:

نعم فأقبل معه أشرافهم و وجوههم حتّى دخلوا على عثمان فعاتبوه فأجابهم إلى ما أحبّوا فقالوا اكتب لنا على هذا كتابا و ليضمن علىّ عنك ما فى الكتاب قال اكتبوا أنى شئتم فكتبوا بينهم:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب عبد الله عثمان أمير المؤمنين لمن نقم عليه من المؤمنين و المسلمين إنّ لكم علىّ أن أعمل بكتاب الله و سنّه نيّيه، و أنّ المحروم يعطى، و أنّ الخائف يؤمن، و أنّ المنفى يردّ، و أنّ المبعوث لا يجمر، و أنّ الفىء لا يكون دوله بين الأغنياء، و علىّ بن أبى طالب ضامن للمؤمنين و المسلمين على عثمان الوفاء لهم على ما فى الكتاب شهد الزبير بن العوام و طلحه بن عبيد الله و سعد ابن مالك و عبد الله بن عمر و أبو أيوب بن زيد، و كتب فى ذى القعدة سنه خمس و عشرين.

فأخذوا الكتاب ثم انصرفوا فلما نزلوا ايله، إذا هم براكب فأخذوه فقالوا من أنت؟ قال: أنا رسول عثمان إلى عبد الله بن سعد قال بعضهم لبعض: لو فتّشناه لثلا يكون قد كتب فينا، ففتّشوه فلم يجدوا معه شيئا.

فقال كنانة بن بشر النجيبى: انظروا إلى أدواته فان للناس حىلا، فاذا قاروره مختومه بموم فاذا فيها كتاب إلى عبد الله بن سعد إذا جاءك كتابى هذا فاقطع أيدى الثلاثة مع أرجلهم فلما قرءوا الكتاب رجعوا حتّى أتوا عليّا، فأتاه فدخل عليه، فقال استعبتك القوم فاعتبتهم ثم كتبت هذا كتابك نعرفه الخط الخط و الخاتم الخاتم فخرج علىّ مغضبا و أقبل الناس عليه فخرج سعد من المدينة فلقاه رجل فقال: يا أبا إسحاق أين تريد؟ قال: إنى فررت بدينى من مكّه إلى المدينة و أنا اليوم أهرب بدينى من المدينة إلى مكّه.

و قال الحسن بن علىّ لعلّى عليه السّلام حين أحاط الناس بعثمان: اخرج من المدينة

واعتزل فإنّ النَّاس لا بدّ لهم منك و أنّهم ليأتونك و لو كنت بصنعاء، و أخاف أن يقتل هذا الرّجل و أنت حاضره.

فقال يا بنى أخرج عن دار هجرتى و ما أظنّ يجترى على هذا القول كلمه، و قام كنانه بن بشر فقال: يا عبد الله أقم لنا كتاب الله فانا لا نرضى بالقول دون الفعل قد كتبت و اشهدت لنا شهودا و أعطيتنا عهد الله و ميثاقه، فقال ما كتبت بينكم كتابا.

فقام إليه المغيره بن الأخنس و ضرب بكتابه وجهه و خرج إليهم عثمان ليكلّمهم فصعد المنبر و رفعت عايشه قميص رسول الله و نادت أيّها النَّاس هذا قميص رسول الله لم يبل و قد غيّرت سنّته، فنهض النَّاس و كسر اللغظ و حصبوا عثمان حتى نزل من المنبر، و دخل بيته.

فكتب نسخه واحده إلى معاويه و عبد الله بن عامر: أمّا بعد فإنّ أهل السّيفه و البغى و العدوان من أهل العراق و مصر و المدينه أحاطوا بدارى و لن يرضيهم منى دون خلعى أو قتلى، و أنا ملاقى الله قبل أن اتابعهم على شىء من ذلك فأعينونى.

فلما بلغ كتابه ابن عامر قام و قال: أيّها النَّاس إنّ امير المؤمنين عثمان ذكر أنّ شر ذمه من أهل مصر و العراق نزلوا بساحته فدعاهم إلى الحقّ فلم يجيبوا فكتب إلى أن ابعث إليه منكم ذوى الدّين و الرّأى و الصّلاح، لعلّ الله أن يدفع عنه ظلم الظالم و عدوان المعتدى فلم يجيبوه إلى الخروج.

ثم أنّه قيل لعلّى إنّ عثمان قد منع الماء فأمر بالروايا فعكمت و جاء النَّاس إلى علىّ عليه السّلام فصاح بهم صيحه انفرجوا فدخلت الروايا فلما رأى علىّ اجتماع النَّاس دخل على طلحه بن عبد الله و هو متكى على و سائد، فقال: إنّ الرّجل مقتول فامنعوه فقال: أمّ و الله دون أن تعطى بنو أميه الحقّ من أنفسها.

و فى شرح المعتزلى عن الطبرى عن عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى قال: دخلت على عثمان فأخذ بيدي فأسمعنى كلام من على بابهِ من النَّاس فمنهم من يقول: ما تنتظرون به، و منهم من يقول: لا تعجلوا به فعساه ينزع و يراجع

فبينما نحن إذ مرّ طلحه فقام إليه ابن عديس البلوى فناجاه ثمّ رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا احدا يدخل إلى عثمان و لا يخرج من عنده، قال لى عثمان هذا ما امره به طلحه.

اللهم اكفنى طلحه فانه حمل هؤلاء القوم و اكبهم علىّ، و الله لأرجو ان يكون منها صفرا و ان يسفك دمه قال فأردت ان اخرج فمنعوني حتّى امرهم محمّد بن ابى بكر فتركونى اخرج.

قال الطبرى: فلما طال الأمر و علم المصريون انهم قد اجرموا إليه جرما كجرم القتل و أنّه لا فرق بين قتله و بين ما اتوا إليه و خافوا على نفوسهم من تركه حتّى راموا الدخول عليه من باب داره، فاغلقت الباب، و قام رجل من اسلم يقال له: نيار بن عياض و كان من الصّحابة فنادى عثمان و أمره أن يخلع نفسه، فبينما هو يناشده و يسوّمه خلع نفسه رماه كثير بن الصّلت الكندى و كان من أصحاب عثمان من أهل الدار نسبهم فقتله.

فصاح المصريون و غيرهم عند ذلك: ادفعوا إلينا قاتل ابن عياض لنقتله به، فقال عثمان: لم اكن لأدفع إليكم رجلا نصرنى و أنتم تريدون قتلى فثاروا إلى الباب فاغلق دونهم فجاءوا بنار فأحرقوه و أحرقوا السقيفه التى عليه.

و خرج مروان بسيفه يحاله الناس فضربه رجل من بنى ليث على رقبتة فأثبتته و قطع احد عيياوته فعاش مروان بعد ذلك اوقص، و قتل المغيرة بن الاخنس و هو يحامى عن عثمان بالسيف.

و اقتحم القوم الدار و دخل كثير منهم الدّور المجاوره لها و تسوّروا من دار عمرو بن حزم إليها حتّى ملئوها و غلب الناس على عثمان و ندبوا رجلا لقتله، فدخل إليه البيت فقال له: اخلعها و ندعك، فقال: و يحك و الله ما كشفت عن امرئه فى جاهليه و لا اسلام و لا تغيت و لا تمنيت و لا وضعت يمينى على عورتى منذ بايعت رسول الله و لست بخالع قميصا كسانيه الله حتى يكرم اهل السّعادة و يهين اهل الشقاوه.

فخرج عنه فقالوا له ما صنعت قال: إني لم استحلّ قتله فادخلو إليه رجلا من الصّحابة فقال له: لست بصاحبى إنّ النّبىّ دعا لك أن يحفظك يوم كذا

و لن تصنع فرجع عنه، فادخلوا إليه رجلا من قريش فقال له: ان رسول الله استغفر لك يوم كذا فلن يقارف دما حراما فرجع.

فدخل عليه محمّد بن أبي بكر و فى روايه الواقدي أنّه أوّل من دخل عليه فقال له عثمان: و يحكك أعلى الله تغضب هل لى إليك جرم إلا أنّى أخذت حقّ الله منك، فأخذ محمّد بلحيته و قال: أخزأك الله يا نعثل، قال: لست بنعثل، و لكننى عثمان و أمير المؤمنين فقال: ما أغنى عنك معاويه و فلان و فلان، فقال عثمان: يابن أخى دعها من يدك فما كان أبوك ليقبض عليها، فقال: لو عملت ما عملت فى حياه أبى لقبض عليها و الذى اريد بك أشدّ من قبضى عليها، فقال: استنصر الله عليك و استعين بك فتركه و خرج.

و قيل: بل طعن جنبه بمشقص كان فى يده فثار سودان بن حمران، و ابو حرب الغانقى و قنبره بن وهب السكسكى فضربه الغانقى بعمود كان فى يده و ضرب المصحف برجله و كان فى حجره فنزل بين يديه و سال عليه الدّم، و جاء سودان ليضربه بالسيف فاكبت عليه امرأته نائله و ألقت السيف بيدها و هى تصرخ فنفح أصابعها فأطنها فولت فغمرت بعضهم إوراكها و قال إنّها لكبيره العجز و ضرب سودان عثمان فقتله.

و قيل: بل قتله كنانه بن بشير النجيبى، و قيل: بل قنبره بن وهب، و دخل غلمان عثمان و مواليه فضرب أحدهم عنق سودان فقتله، فوثب قنبره بن وهب على ذلك الغلام فقتله، فوثب غلام آخر على قنبره فقتله، و نهب دار عثمان و اخذ ما على نسائه و ما كان فى بيت المال.

و كان فيه غزارتان دراهم و وثب عمرو بن الحمق على صدر عثمان و به رمق فطعنه تسع طعنات و قال: أما ثلاث منها فانى طعنتهن لله و أما ستّ منها فلما كان فى صدرى عليه و أرادوا قطع رأسه فوقع عليه زوجته فضجن و ضربن الوجوه فقال ابن عديس: اتركوه.

و اقبل عمير بن الصّابى فوثب عليه فكسر ضلعين من أضلاعه و قال له سجت أبى حتّى مات فى السّجن.

و كان قتله يوم الثامن عشر من ذى الحجه سنه خمس و ثلاثين، و كان عمره ستا و ثمانين سنه و دفن فى حشّ كوكب(۱) بعد ثلاثه ايام باذن علىّ على ما مرّ فى شرح الخطبه الشّشقيّه.

الترجمه

:

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالیمقامست در معنی قتل عثمان و اظهار تبری خود از مداخله آن می فرماید.

اگر امر می کردم بقتل او هر آینه قاتل او می شدم، و اگر نهی می کردم از قتل او هر آینه ناصر می شدم إلاّ این که کسی که نصره نمود او را نمی تواند که گوید خار نمود او را کسی که من بهترم از او، و کسی که خار نمود او را نمی تواند که گوید یاری نمود او را کسی که او بهتر است از من، و من بیان کننده ام به لفظ مختصر کار او را، سر خود نمود او امور عظیمه را بی مشاورت دیگران، پس بد نمود آن استقلال برأی را، و بیصبری کردید پس بد کردید شما در بی صبری، و مر خداوند راست حکم عدلی که واقع می شود در روز قیامت در حق مستقل برأی و در حق بی صبری کننده، یعنی جزای عملی که شد از خطا یا صواب بصاحب عمل خواهد رسید.

و من کلام له علیه السلام قاله لابن عباس لما انفذه الى الزبير

اشاره

يستفيئه الى طاعته قبل حرب الجمل و هو الاحد

و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

لا تلقين طلحه فإنّك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصّعب، و يقول هو الذّلول، و لكن ألق الزّبير، فإنّه ألين عريکه،

ص: ۴۲

۱- (۱) اسم یهودی کان بالمدينه منه.

فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز، و أنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا. أقول: و هو عليه السّلام أوّل من سمعت منه هذه اللفظه أعنى فما عدا ممّا بدا.

اللغة

(يستفيئه) أى يسترجه من فاء يفيء إذا رجع و (تلقه) فى بعض النسخ بالفاء أى تجده (عقص) الثور قرنه بالفتح متعدّد و عقص بالكسر لازم و الأعقص من الثيوس ما التوى قرناه على اذنيه من خلفه و المعقاص الشاه المعوّجه القرن (و الصعب) نقيض الذلول و هى المنقاده من الدّواب، و الجمع ذلل كرسول و رسل و (العريكه) الطبيعه يقال فلان لئن العريكه إذا كان سلسا و (عداه) عن الأمر عدوا و عدوانا صرفه و شغله، و عدا الأمر دعتة جاوزه و (بدا) ظهر.

الاعراب

عاقصا إمّا مفعول ثان لتجده أو حال عن الثور، كلمه ما للاستفهام، و مفعول عدا محذوف أى ما عداك على حدّ قوله سبحانه: «وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» أى أرسلناه، و كلمه من فى قوله ممّا بدا بمعنى عن على حدّ قوله سبحانه: «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» و قال الشّارح البحرانى: إنّها لتبيين الجنس، و الأوّل أظهر.

المعنى

قوله (لا- تلقين طلحه) نهى لابن عباس عن لقاء طلحه من أجل يأسه عنه لمكان الغرور و الكبر الذى كان فيه على ما أشار اليه بقوله (فأنك إن تلقه تجده كالثور عاقصا) أى عاطفا (قرنه) على اذنه.

قال الشّارح البحرانى: شبهه بالثور فى عقص قرنه و كنى بلفظ القرن عن شجاعته، لأنّ القرن آله القوّه للثور، و منع ما يراد به عن نفسه، و كذلك الشّجاعه يلزمها الغلبه و القوّه و منع الجانب، و كنى بلفظ العقص لما يتبع تعاطيه

بالقوة والشجاعة من منع الجانب و عدم الانقياد تحت طاعه الغير اللازم عن الكبر و العجب الذى قد يعرض للشجاع.

و ذلك لأنّ الثور عند اراده الخصام يعقص قرنيه أى يرخى رأسه و يعطف قرنيه ليصوبهما إلى جهة خصمه و يقارن ذلك منه نفخ صادر عن توهم غلبته لمقاومه و أنّه لا قدر له عنده.

و كذلك الشّبه ههنا علم منه عليه السلام أنّه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه متهيئا للقتال مقابلا للخشونه و عدم الانقياد له الصّادر عن عجه بنفسه و غروره لشجاعته فلذلك حسن التشبيه.

و قوله: (يركب الصّعب و يقول هو الدّلول) يعنى أنّه يستهين بالمستصعب من الامور ثمّ إنّّه لمّا نهاه عن لقاء طلحه أمره بلقاء الزّبير بقوله: (و لكن ألق الزّبير) معلّلا بقوله: (فأنّه ألين عريكه) أى احسن طبيعه و أسهل جانبا (فقل له يقول لك ابن خالك).

التّعبير بابن الخال للاستماله و الملاطفه و الاذكار بالنسب و الرّحم على حدّ قوله: «ابن أمّ إنّ القوم اشتضعفوني و كادوا يقتلونى فلا تُشمت بى الأعداء» فإنّ هارون لما رأى غضب موسى خاطبه بقوله يا بن أمّ، لكونه أدعى إلى عطفه عليه من أن يقول يا موسى أو يا أيها النّبيّ و نحو ذلك.

و كذلك لقوله: يقول لك ابن خالك فى القلب موقع ليس لقوله يقول لك أمير المؤمنين، و أما كونه عليه السّلام ابن خال الزّبير فلا أنّ صفيه أمّ الزّبير كانت اختا لأبى طالب بنت عبد المطلب.

و قوله: (عرفتنى بالحجاز و أنكرتنى بالعراق) يعنى أنّك بايعتنى بالمدينه و كنت أشدّ الناس حمايه لى يوم الشورى و السّقيفه، و أنكرتنى بالبصره حيث نكثت بيعتى و بارزتنى بالمحاربه (فما عدا ممّا بدا) أى أى شىء صرفك عمّا ظهر منك أولا و ما الذى صدّك عن طاعتي بعد اظهارك لها.

و قال الشّارح البحرانى: عدا بمعنى جاوز و من لبيان الجنس، و المراد

ما لذی جاوز بک عن بیعتی ممّا بدا لک بعدها من الامور التي ظهر لک و الأظهر ما ذکرناه هذا.

و روى فى شرح المعتزلى عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: سألت ابن عباس رضى الله عنه عن ذلك فقال: أنى أتيت الزبير فقلت له:

فقال: قال له انى اريد ما تريد كأنه يقول الملك لم يزدنى على ذلك فرجعت إلى على فأخبرته و روى عن محمد بن إسحاق الكلبي عن ابن عباس قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدنى على أن قال: قل له أنا مع الخوف الشديد لنطمع، و سئل ابن عباس عما يعنى بقوله هذا، فقال: أنا على الخوف لنطمع أن نلى من الأمر ما وليتم.

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرتست در حینی که فرستاد عبد الله بن عباس را بسوی زبیر پیش از واقع شدن جنک در روز جمل تا باز گرداند او را بسوی طاعت او، فرمود ابن عباس را که:

البته ملاقات مکن با طلحه پس بدرستی که اگر تو ملاقات کنی با او یا بی او را مثل گاو عاصی در حالتی که پیچیده باشد شاخ خود را بر گرداگرد گوش خود، سوار می شود بر دابه سرکش و بی آرام و با وجود این می گوید که رام است، و ملاقات کن با زبیر پس بتحقیق که او نرمتر است از روی طبیعت، پس بگوی او را که می گوید تو را پسر خال تو شناختی تو مرا در حجاز و بیعت کردی و انکار کردی مرا در عراق و تمرد از طاعت نمودی پس چه چیز منع نمود و بگردانید تو را از آنچه ظاهر شد از اطاعت من.

تمّ الجزء الأوّل من شرح نهج البلاغه بحمد الله و حسن توفيقه، و نسأل الله سبحانه التوفيق لشرح ما يتلو ذلك من خطبه المختاره و من كلامه المختار فى باب الخطب الجارى مجرى الخطبه، و كان الفراغ من ذلك ليلة عيد الغدير من أعياد

ألف و ثلاثمأه سنه، و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا سنه ١٣٠٠(١) بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى أرانا آيات قدرته و جبروته فى الانفس و الآفاق، و هداانا إلى مشاهد سلطنته و عظموته بما رقم فى صفحات السبع الطباق، و دلّنا على مشاهده انوار جماله فى ملكوت السموات و الارض، و مطالعه اسرار جلاله فى الحجب و السرادقات ذات الطول و العرض، فأشهد أنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى دلّ على وحدانيته بوجوب وجوده، و على قدرته و حكمته ببدايع خلقه وجوده، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله المنتجب، و صفيه و أمينه المنتخب، أرسله لايضاح النهج و ابلاغ المنهج، و شرع الدين و اتمام الحجج، فأوضح المحجّه و أتمّ الحجّه، و أقام أعلام الاهتداء و أنار منار الضياء، و جعل قوائم الاسلام قويمة بعد اعوجاجه، و دعائم الايمان متينه بعد انفراجة:

رأيتك يا خير البريه كلّها نشرت كتابا جاء بالحقّ معلما

سنت لنا فيه الهدى بعد جورنا عن الحقّ لما أصبح الحقّ مظلما

و نورّت بالبرهان أمرا مدمسا(٢) و أطفأت بالبرهان جمرا تضرّما

ص: ٤٦

-
- ١- (١) الى هنا ينتهى الجزء الاول من شرح نهج البلاغه حسب تجزئه المصنفت أعلى الله مقامه على ما فى الطبعة الاولى، ثم يشرع (ره) فى الجزء الثانى و يصدره بالخطبه أولا ثم يأتى بالمقصود، و نحن ثبتها هنا كما هى حفظا للامانه فى النقل. قال (ره) بعد البسملة: الحمد لله الذى أرانا آيات قدرته و جبروته: الى آخر ما فى المتن «المصحح»
- ٢- (٢) الى هنا ينتهى الجزء الاول من شرح نهج البلاغه حسب تجزئه المصنفت أعلى الله مقامه على ما فى الطبعة الاولى، ثم يشرع (ره) فى الجزء الثانى و يصدره بالخطبه أولا ثم يأتى بالمقصود، و نحن ثبتها هنا كما هى حفظا للامانه فى النقل. قال (ره) بعد البسملة: الحمد لله الذى أرانا آيات قدرته و جبروته: الى آخر ما فى المتن «المصحح»

اقتت سبيل الحق بعد اعوجاجها و دانت قديما وجهها قد تهدما

صلى الله عليه و آله الذينهم مراتب النعم، و مصايح الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتحهم، و لا تكشف الظلمات الا بمصايحهم،
قوام الله على خلقه و عرفاؤه على عباده، لا يدخل الجنة الا من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النار الا من أنكرهم و أنكروه.

فمن لم يكن يعرف امام زمانه و مات فقد لاقى المتيه بالجهل

لا سيما من أخذ بضبعيه فى الغدير و قد شهد هذا المشهد الجم الغفير فأقامه للناس علما و اماما، و للدين قيما و قواما، و نادى
بصوت جهورى يقرع الاسماع، و يملأ القلوب و الصماخ، من كنت مولاة فعلى مولاة، فسلم قوم ففازوا، و تولى آخرون و غاظوا
فخاضوا، ثم فتح أبواب العلم، و أورثه جوامع الكلم، و علمه تبليغ الرسالات، و تأويل الآيات، و تمام الكلمات، فاجتهد سلام الله
عليه و آله فى تأسيس قواعد الكلم، و تشييد ضوابط الحكم، و هدايا إلى نهج البلاغه ببديع بيانه، و سلك بنا منهاج البراه
بعذب لسانه، و أرشدنا إلى شرايع الدين بأنواره، و أوضح لنا سبل اليقين بآثاره:

عليم بما قد كان أو هو كائن و ما هو دق فى الشرائع أو جل

مسمى مجلا فى الصحايف كلها فسل أهلها و اسمع تلاوه من يتلو

و لو لا قضاياه التى شاع ذكرها لعطلت الأحكام و الفرض و النفل

و بعد فهذا هو المجلد الثانى من مجلّدات منهاج البراهه إملاءه راجى عفو ربّه الغنى حبيب الله بن محمد بن هاشم العلوى
الموسوى غفر الله له و لوالديه، و احسن إليهما و إليه، فأنه تعالى ولى الاحسان، و الغفور المنان، فأقول و به التكلان:

قال السيد «ره»:

من المختار في باب الخطب

و رواها المحدث العلامة المجلسي (ره) في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمد بن طلحه، قال قال عليه السلام يوما في مسجد الكوفة و عنده وجوه الناس:

أيها الناس إنا قد أصبحنا في دهر عنود، و زمن شديد (كنود خ)، يعدّ فيه المحسن مسيئا، و يزداد الظالم فيه عتوا، لا ننتفع بما علمنا، و لا نسئل عما جهلنا، و لا نتخوّف قارعه حتّى تحلّ بنا، فالتاس على أربعة أصناف:

منهم من لا يمنع الفساد في الأرض إلا مهانه نفسه، و كلاله حدّه، و نضيض و فره. و منهم المصلت بسيفه، و المعلن بشرّه، و المجلب بخيله و رجله، قد أشرط نفسه و أوبق دينه، لحطام ينتهزه، أو مقنب يقوده، أو منبر يفرعه، و لبئس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمنا، و ممّا لك عند الله عوضا. و منهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة و لا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا، قد طامن بشخصه، و قارب من خطوه، و شمّر من ثوبه، و زخرف من نفسه للأمانه، و اتّخذ ستر الله ذريعه إلى المعصيه.

و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئوله نفسه، و انقطاع سببه فقصرته الحال على حاله، فتحلى باسم القناعه، و تزین بلباس أهل الزّهاده، و ليس من ذلك فى مراح و لا مغدى. و بقى رجال غصّ أبصارهم ذكر المرجع، و أراق دموعهم خوف المحشر، فهم بين شريد نادّ، و خائف مقموع، و ساكت مكعوم، و داع مخلص، و ثكلان موجه، قد أخملتهم التّقيه، و شملتهم الدّله، فهم فى بحر أجاج، أفواههم ضامزه، و قلوبهم قرحه، قد و عظوا حتّى ملّوا، و قهروا حتّى ذلّوا، و قتلوا حتّى قلّوا، فلتكن الدّنيا فى أعينكم أصغر من حثاله القرظ، و قراضه الجلم، و اتّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم، و ارفضوها ذميمه، فإنّها قد رفضت من كان أشعف بها منكم.

قال السيّد (ره) أقول هذه الخطبه ربّما نسبها من لا علم لها إلى معاويه و هى من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام الذى لا شك فيه، و أين الذّهب من الرّغام و العذب من الاجاج، و قد دلّ على ذلك الدّليل الخريّت و نقده النّاقد البصير: عمرو بن بحر الجاحظ، فإنّه ذكر هذه الخطبه فى كتاب البيان و التّبيين، و ذكر من نسبها إلى معاويه، ثمّ قال: هى بكلام علىّ عليه السّلام أشبه و بمذهبه فى تصنيف النّاس و فى الاخبار عمّا هم عليه من القهر و الاذلال و من التّقيه و الخوف أليق، قال: و متى وجدنا معاويه فى حال من الأحوال سلك فى كلامه مسلك الزّهاد و مذاهب العباد.

(عنود) على وزن صبور من عند القصد عنودا من باب قعد مال، و فى بعض النسخ بدل الشديد (الكنود) و هو ككفور لفظا و معنى قال سبحانه: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فى تفسيره: الكنود الذى يأكل وحده و يمنع رفته و يضرب عبده (و العتوّ) مصدر من عتا الرجل يعتو من باب قعد إذا استكبر و تجاوز عن الحدّ (و القارعه) الدّاهيه و (مهانه) النَّفس بالفتح ذلّها و (كلّ) السّيف كلّا و كلاله لم يقطع و (نضيض و فره) أى قلّه ماله من نضّ الماء نضّا و نضيضا سال قليلا قليلا و خرج رشحا.

و (المصلت) من أصلت سيفه إذا جرّده عن غمده و (المجلب) اسم فاعل من أجلب عليهم أى أعال عليهم و (الرجل) جمع راجل كالركب و راكب قال سبحانه:

«وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ» و (اشرط) نفسه أعدّها للفساد فى الارض و (حطام) الدنيا متاعها و أصله ما تكسر من اليبس و (الانتهاز) بالزاء المعجمه الاغتنام و (المقنب) بالكسر ما بين الثلاثين و الأربعين من الخيل و (يفرعه) يعلوه و (طامن) ظهره حناه و خفضه و (شمر) ثوبه قصّره و رفعه و (زخرف) نفسه زينها و (ضئوله) النَّفس بفتح الضّاد حقارتها و (المراح) بضّم الميم حيث تاوى الماشيه بالليل و المناخ و المأوى مثله.

و فى بعض النسخ بفتح الميم و هو الموضع الذى يروح منه القوم أو يرجعون اليه يقال ما ترك فلان من ابيه مغدى و لا مراحا و مغداه و لا-مراحه و (الشريد) من شرد البعير اذا نفر و (النّاد) المنفرد و (المقموع) المغلوب و (كعم) البعير من باب منع فهو مكعوم و كعيم شدّ فاه لئلا يأكل أو يقضّ، و منه الكعام، و هو ما يجعل فى فم البعير عند الهياج.

و (الضامزه) بالزاء المعجمه الساكنه و (القرظ) محرّكه ورق السّلم يدبغ به و (الجلّم) بالتحريك أيضا المقصّ يجزّبه أو بارا لابل، و قراضته ما يقع من قرضه و قطعه و (الرّغام) تراب لين او رمل مختلط بتراب و (الخریت) بالكسر و تشديد الرّاء الدّليل الحاذق و (صنّف) النَّاس تصنيفا جعلهم صنفا صنفا.

نسبها إلى الدهر من باب التوسع، و اضافته التضيض إلى الموفر من باب اضافته الصيغه إلى الموصوف، و الباء في بسيفه و بشره و بخيله زائده، و لبس المتجر بئس فعل ذم و المتجر فاعله، و ان ترى الدنيا مؤل بالمصدر مخصوص بالذم و هو في محل الرفع على كونه مبتداء و بئس فاعله خبر اله أو على أنه خبر حذف مبتدؤه، و قوله بعمل الدنيا الباء للآله، و من في قوله من شخصه للزيادة كالثلاث بعدها، لأن الافعال الأربعة متعدية بنفسها.

المعنى

اعلم أن الزمان لما كان من الاسباب المعدّه لحصول ما يحصل في عالم الكون و الفساد من الشرور و الخيرات صحّ بذلك توصيف بعض الازمنه بالخير فيقال: زمان خير و زمان عدل لكثرة ما يكون فيه بشهاده الاستقراء من الخير و انتظام حال الخلق و مواظبتهم على القوانين الشرعيه و السنين النبويه، و توصيف بعضها بالشر فيقال زمان جائر و زمان صعب شديد لكثرة ما يقع فيه من الشرور و المفسد و عدم انتظام أمر الخلق فيه من حيث المعاش أو المعاد، إذا عرفت ذلك فأقول: قوله عليه السلام: (أيها الناس انا قد أصبحنا في دهر عنود و زمن شديد) ذمّ لزمانه عليه السلام بالجور و العدوان و الشده و الكفران من حيث غلبه الضلال و دوله الجهال و اضمحلال الحق و استيلاء الباطل و رجوع أغلب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى أعقابهم القهقري و ارتدادهم عن الامام الحق و اقتدائهم بالامام الباطل، و عدم تمكنه عليه السلام من اقامه المعروف و إزاحه المنكر و من ذلك نشأ الشرور و المفسد التي عدوها و هي امور.

الاول أنه (يعدّ فيه المحسن مسيئاً) و ذلك لغلبه الاساءه من حيث كثره المسيئين و قلّه الاحسان لقلّه المحسنين، فيعدّ المسيء إحسان المحسن إساءه كما أنه يعدّ إساءه نفسه إحساناً، لكون السيئه في نظره بدعه و البدعه سنّه، أو أنه يحمل احسان المحسن على الاسائه كحمله عبادته على الرياء و السّمعه، و انفاقه

على الخوف أو الرّغبة في المجازاة و نحو ذلك من الامور الناشئه من سوء الظنّ من أجل تنزيله حال الغير منزله نفسه.

(و) الثاني أنّه (يزداد الظالم فيه عتوا) و ذلك لقيام المقتضى لظلمه و عدم رادع له عن ذلك فيزداد فيه شيئا فشيئا و حيناً فحيناً.

بيان ذلك أنّ المقتضى لظلم الظالم هو نفسه الأماره بالسوء، فلو كانت في زمان العدل تكون مقهوره تحت حكم الحاكم العادل غير متمكّنه من القيام و الاقدام على الظلم و الجور، و لما لم يتمكّن عليه السّلام في زمانه من قمع الباطل حقّ التّمكن، لا جرم ازداد الظالم فيه على ظلمه و بلغ الغايه في استكباره و عتوّه باقتضاء دواعي نفسه.

و الثالث أنّه (لا- ننتفع بما علمنا) و الاتيان بصيغه المتكلم من قبيل اياك أعنى و اسمعى يا جاره، و المقصود به توبيخ العالمين لتقصيرهم عن القيام بوظايف العلم إذ الانتفاع بالعلم إنّما يكون إذا وافقه العمل، لأنّ العلم و العمل كالروح و الجسد يتصاحبان و يتكاملان معا و كلّ مرتبه من العلم يقتضى عملاً معيناً بحسبه و كلّ عمل يتهيأ به لضرب من العلم.

و إلى ذلك أشار في روايه الكافي عن اسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: العلم مقرون إلى العمل فمن علم عمل، و من عمل علم، و العلم يهتف بالعمل فان أجابه و الّا ارتحل عنه:

فان المراد بهتفه للعمل هو اقتضاؤه العمل و استدعاؤه له و من ارتحاله عدم الانتفاع به أو زواله بالمرّه.

و فيه عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السّلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام:

مكتوب في الانجيل لا- تطلبوا علم ما لا تعلمون و لما تعملوا بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبّه إلّا كفراً، و لم يزد من الله إلّا بعداً.

(و) الرابع أنّه (لا نسأل عمّا جهلنا) و هو توبيخ للجاهلين المقصّرين في

طلب العلم و سؤال العلماء لعدم معرفتهم فضل العلم و عدم رغبتهم فى العمل و لذلك قال الصادق عليه السّلام لحرمان بن أعين فى شىء سأله إنّما هلك النّاس لأنّهم لا يسألون رواه فى الكافى.

و فيه أيضا عن على بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عمّن ذكره عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أفّ لرجل لا يفرغ نفسه فى كلّ جمعه لأمر دينه فيتعاهده و يسأل عن دينه.

و عن الحسين بن محمّد عن على بن محمّد بن سعد رفعه عن أبى حمزه عن على ابن الحسين عليهما السّلام قال: لو يعلم النّاس ما فى طلب العلم لطلبوه و لو بسفك المهج و خوض اللّجج إنّ الله تعالى أوحى إلى دانيال أنّ أمقت عبيدى إلى الجاهل المستخفّ بحقّ أهل العلم التّيارك للاقتداء بهم، و أنّ أحبّ عبيدى إلى التّقى الطالب للشّواب الجزيل اللّازم للعلماء التّابع للحكماء القایل عن الحكماء.

(و) الخامس أنّه (لا نتخوف قارعه) و داهيه (حتىّ تحلّ بنا) و هو توبيخ للغافلين و المشغولين بلذايذ الدّنيا الحاضره الغير الملتفتين إلى البليات و الدّواهي النّازله.

ثمّ إنّّه عليه السّلام بعد شكايته من زمانه قسّم أهل الزّمان إلى أقسام خمس، و وجه القسّمه أنّ النّاس إمّا يريدون للآخرة و هم الذين أفردهم بالذكر فى مقابل الأقسام الاربعه و أشار إليهم بقوله و بقى رجال غضّ أبصارهم (إلخ) و إمّا يريدون للدنيا و هؤلاء إمّا قادرون عليها بالسّيطنه و الاستيلاء، و إمّا عاجزون عنها، و هؤلاء إمّا غير محتالين للدّنيا، أو محتالون لها، و المحتالون إمّا مقصودهم من الاحتيال هو خصوص ملكك الدّنيا و مالها، أو الأعمّ من ذلك فهذه أقسام خمسه أربعه منهم أهل الدّنيا و واحد أهل الآخرة.

و أشار إلى الأوّلين بقوله (فالتّياس على أربعه أصناف) الأول (منهم) العاجز عن الدّنيا غير المحتال لها و هو (من لا يمنعه) من العلوّ و (الفساد فى الأرض إلّا مهانه نفسه) و حقارتها (و كلاله حدّ) سيف (ه) و وقوعه عن القطع و عدم الحقيقه

للمنظور إليه (و نضيض وفره) اى قلّه ماله، و هذه كلّها إشاره إلى عدم تمكن هذا الرّجل من الوصول إلى مطلوبه و عدم قدرته على تحصيل مقصوده لانقطاع الاسباب دونه مضافا إلى ضعف نفسه.

(و) الثّانى (منهم) القادر على الدّنيا بالسّلاطنه و الاستيلاء و هو (المصلت بسيفه) الشّاهر له (و المعلن بشره و المجلب بخيله و رجليه) و هو كناية عن جمعه أسباب الظلم و الغلبه و الاستعلاء (قد اشترط نفسه) و اهلها للفساد فى الأرض (و اوبق دينه لحطام ينتهزه) و يغتنمه، و تشبيه مال الدّنيا بالحطام لكونه قليل النّفع بالنّسبه إلى الأعمال الصّالحه الباقي نفعها فى الآخرة، كما أنّ اليبس من الثّبات قليل المنفعه بالقياس إلى ما تبقى خضرته (او مقنب) اى خيل (يقوده او منبر يفرعه) و يعلوه.

و هذه الأوصاف المذكوره لهذا القسم مطابق المصداق مع خلفاء بنى اميّة و بنى العباس لعنهم الله و أشار إلى خسران هؤلاء فى أفعالهم بقوله: (و ليس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمنا و ممّا لك عند الله عوضا) كما قال تعالى:

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْطَلَاها مِذْمُوماً مَدْحُوراً وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً».

(و) الثّالث (منهم) العاجز عن الوصول إلى الدّنيا المحتال لها بالسّمع و الرّياء و يرأى بالزّي و الهيئه و هو (من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة) لكون همّه فيها (و لا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا) لعدم رغبته إليها أصلا، و المراد بعمل الدّنيا ما يفعله المكلف فيها أو ما يصير بانضمام القربه و التّوصل إلى الطّاعه طاعه (قد طامن من شخصه) اظهارا للتّواضع (و قارب من خطوه) اظهارا للوقار (و شمّر من ثوبه) اظهارا للطّهاره و التنزه من النّجاسه (و زخرف من نفسه) اى زينها للنّاس بزينه الصّلحاء و الاتقياء.

و مقصوده من ذلك كله أن يفتتن به الناس و يرغب إليه قلوبهم و يعظم قدره عندهم و يروه أهلا (للأمانه) و يسكنوا إليه في أماناتهم و يثقوا به في اموراتهم، فويل لهذا الرجل تحبب إلى العباد بالتبغض إلى الله و تزين لهم بالشين عند الله و تحمد إليهم بالتدّم عند الله (و اتخذ ستر الله) الذي حمى به أهل التقوى أن يردوا موارد الهلكه (ذريعه إلى المعصيه) و وسيله إلى ما اتيه من الدنيا الفانيه.

قال في البحار: قال الكيدري: في كتاب المضاف و المنسوب ستر الله الاسلام و الشيب و الكعبه و ضمائر صدور الناس يعنى جعل ظاهر الاسلام و ما يجتّه صدره بحيث لا يطلع عليه مخلوق وسيله و طريقا إلى معصيه الله.

و أقول: يحتمل أن يكون المراد أنّه اتخذ ستر الله على عيوبه حيث لم يفضحه و لم يطلع الناس على بواطنه ذريعه إلى أن يخدع الناس.

(و) الرابع (منهم) العاجز المحتال الذي رغبته في الملك و المال و هو (من أقعده) في بيته (عن طلب الملك ضئوله نفسه) و حقارتها (و انقطاع سببه) من عدم البضاعه و نحوها من الاسباب المحصله لمطلوبه، (ف) لأجل ذلك (قصرته الحال على حاله) اى وقفت به حال القدر على حاله التي لم يبلغ معها ما أراد و قصرته عليها، (ف) لذلك عدل إلى الحيله الجاذبه لرغبات الخلق إليه (قتحلى باسم القناعه و تزين بلباس أهل الزّهاده) و قام بالطاعات و واظب على العبادات (و) الحال أنّه (ليس من ذلك) اى من القناعه و الزهد (في مراح و لا مغدى).

يعنى إنّّه ليس منهما في شيء و إنّما اتّصافه بهما ظاهريّ و صورى لا حقيقى و واقعى، و يحتمل أن يكون الاشاره بذلك إلى أهل الزّهاده و يكون المعنى أنّه ليس يومه كيومهم في الصّوم و غيره، و لا ليله كليلهم في العبادات هذا.

و لما فرغ من أصناف أهل الدّنيا الأربعه و أوصافها أشار إلى أهل الآخره المقابل لهم بقوله: (و بقى رجال) و ميّزهم بأوصاف مخصوصه بهم متميّزين بها عن غيرهم و هى أنّه (قد غض أبصارهم ذكر المرجع) عن النظر إلى محارم الله أو عن الالتفات إلى مطلق ما سوى الله.

و ذلك لأنّ القلب إذا كان مشغولا بذكر الله مستغرقا في شهود جمال الحقّ

و ملا حظہ جلالہ عارفا بأن المسير و المنقلب إليه سبحانه، يكون الحس تابعا له لا محاله لكونه رئيس الأعضاء و الحواس، فلا يكون له حينئذ التفات إلى الغير و توجه من طريقه إلى أمر آخر (و أراق دموعهم خوف المحشر) و هول المطلع فإن بين الجنه و النار عقبه لا يجوزها إلا البكاءون من خشية الله كما رواه في عدّه الدّاعي و فيه أيضا عن الصادق عليه السلام كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث عيون: عين غصّت عن محارم الله، و عين سهرت في طاعه الله، و عين بكت في جوف الليل من خشية الله.

و عنه عليه السّلام ما من شيء إلا- و له كيل أو وزن إلا الدّموع فإن القطره يطفى بحارا من النار، فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق(1) قتر و لا ذلّه، فاذا فاضت حرّمه الله على النار و لو أنّ باكيابكي في امّه لرحموا.

و عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا أحبّ الله عبدا نصب في قلبه نائحه من الحزن فإنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين و أنّه لا يدخل النار من بكى من خشية الله تعالى حتّى يعود اللّبن إلى الصّرع، و أنّه لا يجتمع غبار في سبيل الله و دخان جهنّم في منخرى مؤمن أبدا و إذا أبغض الله عبدا جعل قلبه مزارا «مزمارا» من الصّحك و إنّ الصّحك يميت القلب و الله لا- يحبّ الفرحين.

و كيف كان (فهم بين شريد ناد) أى نافر عن الخلق و منفرد عنهم و متوحش منهم إمّا لكثرة أذى الظالمين فى الأوطان، لانكاره المنكر أو لقلّة صبره على مشاهدته المنكرات (و خائف مقموع و ساكت مكعوم) كان التّقيه سدّت فاه من الكلام (و داع مخلص) لله فى دعائه (و ثكلان موجد) إمّا لمصابه فى الدّين أو من كثره أذى الظالمين.

و فى البحار و لعلّ المعنى أنّ بعضهم ترك الأوطان أو مجامع النّاس لما ذكر، و بعضهم لم يترك ذلك و ينكر منكرا، ثمّ يخاف ممّا يجرى عليه بعد ذلك و منهم من هو بينهم و لا ينهاهم تقّيه و معرض عنهم و مشغول بالدّعاء، و منهم من هو

ص: ٥٦

بينهم بالضروره و يرى أعمالهم و لا يؤثر نهيه فيهم فهو كالشكلاّن الموجع (قد أخملتهم التّقيه) من الظالمين (و شملتهم الدّله) بسبب التّقيه منهم (فهم فى بحر اجاج).

يعنى أنّ حالهم فى الدّنيا كحال العطشان فى البحر الاجاج يريد عدم انتفاعهم بها و عدم استمتاعهم فيها كما لا يستغنى ذو العطاش بالماء المالح (أفواههم ضامزه) اى ساكته و ساكنه من الكلام (و قلوبهم قرحه) من خشيه الرّب تعالى أو لكثره مشاهده المنكرات مع عدم التمكن من دفعها و رفعها (قد وعظوا حتّى ملّوا) من الوعظ لعدم التفات الخلق اليهم و عدم تأثير موعظتهم فيهم.

(و قهروا حتّى ذلّوا) بين النّاس (و قتلوا حتّى قتلوا) نسبه القتل إلى الجميع مع بقاء البعض من باب اسناد حكم البعض إلى الكلّ، و هو شايع يقال: بنو فلان قتلوا فلانا، و إنّما قتله بعضهم و إذا كان حال كرام النّاس الرّاهدين فى الدّنيا ذلك (فلتكن) لكم بهم أسوه حسنه و لتكن (الدّنيا) الدّنيه (فى أعينكم اصغر) و احقر (من حثاله القرظ و قراضه الجلم) و هو أمر للسامعين باستصغار الدّنيا و استحقارها إلى حدّ لا يكون فى نظرهم أحقر منها، و الغرض من ذلك تركهم لها و اعراضهم عنها.

قيل: أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله مرّ على سخله منبوذه على ظهر الطريق فقال صلّى الله عليه و آله اترون هذه هينه على أهلها فو الله الدّنيا أهون على الله من هذه على أهلها، ثمّ قال:

الدّنيا دار من لا دار له، و مال من لا مال له، و لها يجمع من لا عقل له، و شهواتها يطلب من لا فهم له، و عليها يعادى من لا علم له، و عليها يحسد من لا فقه له، و لها يسعى من لا يقين له.

(و اتّعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم) و هو أمر بالاعتّاظ بالأمم السّالفه و تنبيه على أنّهم مفارقون للدّنيا لا محاله و كايّنون عبره لغيرهم، كما أنّ السّابقين عليهم صاروا عبره لهم (و ارفضوها ذميمه) أى فارقوا عنها و اتركوها حال كونها مذمومه عند العقلا و أولى البصيره.

و ذلك لزوال نعيمها و فناء سرورها و نفاد صحبتها و انقطاع لذّتها (فانّها)

لو دام سرورها و بهجتها لأحد لدامت فى حقّ أحبّ الخلق إليها مع أنّها لم تدم فى حقّهم بل (قد رفضت من كان أشعف بها منكم) و تركت من كان أشدّ حرصا إليها، و إذا كان طباعها رفض كلّ محبّ فالأولى للعاقل رفضه لها قبل رفضها له.

روى أنّ عيسى عليه السّلام كوشف بالدّنيا فرآها فى صورة عجوزه هتماء عليها من كلّ زينه فقال لها كم تزوّجت؟ قال: لا احصيه، قال: فكّلهم مات عنك أو طلقوك؟ قال: بل كلّهم قتلت قال عيسى عليه السّلام: بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف أهلكتهم واحدا واحدا و لا يكونون منك على حذر، و لنعم ما قيل:

يا طالب الدّنيا يغرّك وجهها و لتندمنّ إذا رأيت قفاها

الترجمه

:

از جمله خطب آن حضرتست که شکایت میکند در آن از اهل زمان خود و می فرماید:

ای مردمان بدرستی که ما صبح کرده ایم در روزگار بسیار ستیزه کننده و ستمکار و در زمان بسیار ناسپاس در نعمت آفریدگار که شمرده می شود در او نیکو کار بد کردار و زیاده می کند در آن ستمکار سرکشی و افتخار را و منتفع نمی شویم به آنچه دانسته ایم، و سؤال نمی کنیم از آنچه ندانسته ایم و نمی ترسیم از بلاهای خطرناک که کوبنده دلهاست تا این که نازل شود آن بلاها بما.

پس مردمان دنیا چهار صنفند: یکی از ایشان کسی است که باز نمی دارد او را از فتنه و فساد مگر رذالت و خاری نفس او و کند بودن تیزی شمشیر او و کمی مال و ثروت او.

دوّمی از ایشان کسیست که کشنده است شمشیر خود را و آشکار کننده است شرّ خود را و کشنده است سواره و پیاده خود را، یعنی اسباب سلطنت و ظلم در حق او مهیاست بتحقیق این مرد مهیا نموده از برای شرارت نفس خود را و تباه ساخته دین خود را از برای متاع دنیا که غنیمت می شمارد آنرا یا از برای سوارانی که

بکشد ایشان را یا از برای منبری که بالا می رود بر او و هر آینه بد تجارتیست آن که به بینی دنیا را از برای نفس خودت ثمن و بها و از آنچه مر تو راست در نزد خدای تعالی از نعم آن سرا عوض و سزا.

و سیمی از ایشان کسی است که طلب کند دنیا را بعمل آخرت و طلب نمی کند آخرت را بعمل دنیا، بتحقیق که این شخص پست کرد تن خود را بجهت اظهار تواضع، و نزدیک نهاد کام خود را بجهت اظهار وقار و برچید دامن جامه خود را بجهت اظهار احتیاط از نجاست، و زینت داد نفس خود را برای امانت و دیانت، و فرا گرفته طریقه خدا را وسیله رفتن بسوی معصیت.

و چهارمی از ایشان کسی است که نشانده او را از طلب ملک و مال حقارت نفس او و بریده شدن علاج او، پس کوتاه ساخته او را حال تنکی او بر حالتی که اراده نموده از رفعت و مرتبت پس آراسته است خود را باسم قناعت و پیراسته بلباس اهل زهد و طاعت، و حال آنکه نیست از اهل قناعت و زهد نه در محل شب و نه در محل روز یعنی در هیچ وقت در سلک زاهدان حقیقی نیست بلکه زهد و قناعت او صوری و ظاهریست.

و باقیماند مردمانی که اهل آخرت هستند که پوشانید چشمهای ایشان را از محارم یا از مطلق ما سوی الله یاد کردن بازگشت او نزد خداوند سبحانه و ریخت اشکهای ایشان را ترس روز محشر پس آنها میان رمیده هستند و مطرود شده و ترسنده و مقهور گردیده و خاموش شونده و ممنوع از کلام و دعا کننده با اخلاص و فریاد کننده و رنجور شده.

بتحقیق که افکنده است ایشان را بگوشه خمول تقیه و پرهیزکاری و شامل شده ایشان را ذلت و خاری، دهنهای ایشان خاموش است از سخن، و قلبهای ایشان مجروحست از خشیه خداوند ذو المنن، بتحقیق که موعظه فرمودند تا این که ملول شدند، و مقهور گشتند تا این که ذلیل گردیدند، و کشته شدند تا این که اندک ماندند.

چون حال روزگار غدار در حق این طایفه عالمقدار بر این منوالست، پس باید که باشد دنیای فانی در نظر شما خارتر از دردی برک سلم که بآن دباغی می کنند و از ریزهای پشم بز که از مقراض می افتد، و نصیحت بپذیرید با کسانی که بودند پیش از شما پیش از آنکه پند گیرند با شما آن کسانی که می آیند بعد از شما و بگذارید و ترک نمائید متاع دنیا را در حالتی که مضموم است و معیوب نزد اهل دانش و بینش، پس بتحقیق که ترک کرده است دنیا کسی را که حریص تر بود و مایل تر بآن از شما.

و من خطبه له علیه السلام عند خروجه

اشاره

لقتال اهل البصره و هی الثالثه و الثلاثون من

المختار فی باب الخطب

قال ابن عباس دخلت علی أمير المؤمنين علیه السلام بذی قار و هو یخصف نعله فقال لی: ما قیمه هذا النعل؟ فقلت: لا قیمه لها: فقال علیه السلام:

و الله لهی أحبّ إلی من إمرتکم إلا أن أقیم حقاً أو ادفع باطلا ثم خرج فخطب الناس فقال:

إنّ الله سبحانه بعث محمّدا و لیس أحد من العرب یقرأ کتابا و لا یدعی نبوّه، فساق الناس حتّی بوّاهم محلّتهم، و بلغهم منجاتهم، فاستقامت قناتهم، و اطمأنت صفاتهم، أما و الله إن كنت لفی ساقتها حتّی تولّت بحذافیرها ما عجزت، و لا جبت، و إنّ مسیری هذا لمثلها، و لأنقبنّ (و لأبقرنّ خ) الباطل حتّی یرج الحقّ من خاصرته (جنبه خ ل)، ما لی و لقریش و الله لقد قاتلتهم کافرین، و لا قاتلتهم

مفتونين، و إني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم.

اللغة

(ذوقار) موضع قرب البصره، و هو المكان الذى كان فيه الحرب بين العرب و الفرس و نصرت العرب على الفرس و فيه عين يشبه لون مائه القير و (خصف النعل) خرزها و هى مؤنثه سماعيّه و (بواه) المكان أسكنه فيه و (المنجاه) موضع النجاه و (القناه) الرّمح و هو إذا كانت معوجا لا يترتب عليه الأثر و (الصيفاه) بفتح الصاد الحجر الصّلبه الضّخم لا ينبت و (السّاقه) جمع سائق كالحاكه و الحائك ثم استعملت للأخير لأن السائق إنّما يكون فى آخر الرّكب أو الجيش (تولّت) و فى نسخه الشّارح المعتزلى ولت بالواو و كليهما بمعنى واحد أى أدبرت هاربا و (الحذافير) جمع الحذفار بكسر الحاء و هو الجانب و الشّريف و الجمع الكثير يقال أخذه بحذافيره بأسره أو بجوانبه أو بأعاليه و (ضعف و جبن) بضّم العين من باب كرم و (الثّقب) الثّقب و فى بعض النسخ بدل لأنقبن لأبقرن من البقر و هو الشق.

الاعراب

جمله و ليس احد، اه حاليه و ان كنت لفى ساقته ان بالكسر مخفّفه من الثّقيله و اسمها محذوف، و اللام فى قوله لفى ساقته عوض عن المحذوف على حدّ قوله سبحانه:

«وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً» و قيل فصل باللام بين ان المخفّفه و بين غيرها من أقسام ان.

و عن الكوفيين أنّ إنّ المشدّده لا تخفّف و أنّ إنّ فى هذه الموارد بمعنى ما التّافيه، و اللّام بمعنى إلّا فاذا قلت: إنّ زيد لمنطلق فمعناه ما زيد إلّا منطلق و ردّ أولا بأنّ وقوع اللّام بمعنى إلّا لم يثبت سماعا و لا قياسا، و ثانيا بأنّ هذا ينافى اعمالها مع التّخفيف و قد حكى عن سيويه إنّ عمروا لمنطلق بالنصب و قرء الحرمين و أبو بكر:

«وَإِنْ كُلاًّ لَّمَّا لَيُؤْفِقْنَهُمْ» و جملة ما عجزت حاليه، و لمثلها بكسر اللام على ما فى أكثر النسخ أو بفتحها على أنها للتوكيد على ما فى بعضها، و مالى و لقريش استفهام على سبيل إنكار معاندتهم له و جحودهم لفضله، و كافرين و مفتونين منصوبتان على الحال

المعنى

إشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه لاطهار أنّ غرضه من حرب أهل الجمل كان إقامه الحقّ و إزاحه الباطل و أنّ حربه معهم جارى مجرى حربه مع الكفار و أهل الجاهليه فى زمن الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و لذلك أشار أولاً إلى بعثه الرّسول ثمّ رتب عليها مقصوده فقال: (إنّ الله سبحانه بعث محمّدا) صلّى الله عليه و آله و سلّم (و ليس أحد من العرب) فى زمان بعثه (يقرأ كتابا و لا يدعى نبوه).

يحتمل أن يكون المراد بالعرب أقلهم، فإنّ أكثرهم لم يكن لهم يومئذ دين و لا كتاب كما مرّ تفصيلا فى الفصل السادس عشر من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله عليه السّلام: و أهل الارض يومئذ ملل متفرّقه اه.

و أمّا على إرادته العموم كما هو ظاهر العبارة فيمكن الجواب بأنّ الكتاب الذى كان بأيدي اليهود و النصارى حين بعثه لم يكن بالتّوراه و الانجيل المنزل من السماء، لمكان التّحريف و التّغيير الذى وقع فيهما كما يشهد به قوله تعالى:

«وَإِنْ مِنْهُمْ» (١) «لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ».

قال أبو على الطبرسى فى مجمع البيان قيل: نزلت فى جماعه من أخبار اليهود

ص: ٦٢

١- (١) أى من أهل الكتاب و هو عطف على قوله و من أهل الكتاب إلخ مجمع البيان.

كتبوا بأيديهم ما ليس فى كتاب الله من بعث النبى و غيره و أضافوه إلى كتاب الله، و قيل: نزلت فى اليهود و النصارى حَرَفُوا التَّوراه و الانجيل و ضربوا كتاب الله بعضه ببعض و الحقوا به ما ليس منه و أسقطوا منه الدين الحنيف.

قال ابن عباس و كيف كان فالمقصود أنَّ النَّاس يوم بعث النبى كانوا أهل جاهليه غافلين عن الكتاب و السنّه (فساق) صلوات الله و سلامه عليه و آله (النَّاس حتى بَوَّاهم محلَّتْهم) يعنى أنَّه ضرب النَّاس بسيفه حتى أسكنهم منزلتهم و مرتبتهم التى خلقوا لاجلها (و بلغهم منجاتهم) التى لا خوف على من كان بها و لا سلامه للمنحرف عنها.

و المراد بهما هو الاسلام و الدين و بذلك يحصل النَّجاة من النَّار و يتقى من غضب الجبار و يسكن دار القرار، و ذلك هو المراد من خلقه الانسان و به يحصل مزيته على ساير أنواع الحيوان (فاستقامت به قناتهم) التى كانت معوّجه (و اطمأنت صفاتهم) التى كانت متزلزله مضطربه.

قال الشَّارح البحرانى: و المراد بالقناه القوّه و الغلبه و الدَّوله التى حصلت لهم مجازا من باب اطلاق السبب على المسبب، فإنَّ الرَّمح سبب للقوّه و الشدّه، و معنى إسناد الاستقامه إليها انتظام قهرهم و دولتهم، و لفظ الصفات استعاره لحالهم التى كانوا عليها.

و وجه المشابهه أنَّهم كانوا قبل الاسلام فى مواطنهم و على أحوالهم متزلزلين لا يقرّ بعضهم بعضا فى موطن و لا على حال بل كانوا أبدا فى التَّهيب و الغاره و الجلاء، فكانوا كالواقف على حجر أملس متزلزل مضطرب فاطمأنت أحوالهم و سكنوا فى مواطنهم (أما و الله ان كنت لفى ساقتها) شَبّه أمر الجاهليه إمّا بعجاجة ثائره (١) أو بكتيبة مقبله للحرب.

فقال إننى طردتها فولّت بين يدى و لم أزل فى ساقتها أنا أطردها و هى تنفر أمامى (حتّى تولّت) هاربه (بحذافيرها) و لم يبق منها شىء (ما عجزت) من سوقها

ص: ٦٣

(و لا جنت) من طردها (و أنّ مسيرى هذا لمثلها) أى لمثل تلك الحال التى كنت عليها معهم فى زمن الرّسول صلّى الله عليه و آله من سوق كتائبهم و طردها من غير ضعف و لا جبن.

(و لأبقرن الباطل حتّى يخرج الحقّ من خاصرته) شبّه الباطل بحيوان ابتلع جوهرًا ثمنيا أعزّ منه قيمه فاحتيج إلى شقّ بطنه فى استخلاص ما ابتلع، و أراد بذلك تميز الحقّ من الباطل و تشخيص الصّلاح من الفساد (ما لى و لقريش) يجحدون فضيلتى و يستحلّون محاربتى و ينقضون بيعتى (و الله لقد قاتلتهم كافرين) بالكفر و الجحود (و لقاتلتهم مفتونين) بالافتنان و البغى ليرجعوا من الباطل إلى الحقّ و يفيئوا إليه.

روى فى الوسائل عن الحسن بن محمّد الطوسى فى مجالسه عن أبيه عن المفيد معننا عن محمّد بن عمر بن على عن أبيه عن جدّه أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله قال له: يا على إنّ الله قد كتب على المؤمنين الجهاد فى الفتنة من بعدى كما كتب عليهم الجهاد مع المشركين معى، فقلت: يا رسول الله و ما الفتنة التى كتب علينا فيها الجهاد؟ قال: فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلاّ الله، و أنّى رسول الله، و هم مخالفون لسنتى و طاعنون فى دينى، فقلت فعلى م نقاتلهم يا رسول الله و هم يشهدون أن لا إله إلاّ الله و أنّك رسول الله؟ فقال على إحداثهم فى دينهم و فراقهم لأمرى و استحلالهم دماء عترتى هذا.

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله و لقاتلتهم مفتونين: أنّ الباغى على الامام مفتون فاسق، و هذا الكلام يؤكّد قول أصحابنا أنّ أصحاب صفّين و الجمل ليسوا بكفّار خلافا للامامية.

و ردّ بأنّ المفتون من أصابه الفتنة و هى تطلق على الامتحان و الضّلال و الكفر و الاثم و الفضيحة و العذاب و غير ذلك، و المراد بالمفتون ما يقابل الكافر الأصلى الذى لم يدخل فى الاسلام أصلا و لم يظهره إذ لا شك فى أنّ من حاربه عليه السّلام كافر لقوله صلّى الله عليه و آله و سلم حربك حربى و غير ذلك من الأخبار و الأدلّة.

أقول: المستفاد من كلام الشّارح أنّ الامامية يقولون بكون البغاه كفارا

كسائر الكفار من المشركين و منكرو الرّسالة و سائر ما ثبت ضروره من دين الاسلام و ليس كذلك و إلاّ لحكموا بجواز سبي ذراريهم و تملكك نسائهم و أموالهم الغير المنقوله كسائر الكفار من أهل الحرب مع أنّهم قد اجمعوا على عدم جواز شىء من ذلك.

كيف و لو كان بناؤهم على ذلك لم يفصلوا فى البغاه بين ذوى الفتنه كأصحاب الجمل و معاويه، و بين غيرهم كالخوارج حيث قالوا: فى الأولين باجهاز جريحهم و اتباع مدبرهم و قتل أسيرهم، و فى الآخرين بوجوب الاكتفاء بتفريقهم من غير أن يتبع لهم مدبر أو يقتل لهم أسير أو يجهز على جريح، و لم يختلفوا أيضا فى قسمه أموالهم التى حواها العسكر، بل حكموا فى كل ذلك بحكم الكافر الحربى.

و ممّا ذكرنا ظهر ما فى كلام المورد أيضا مضافا إلى ما فيه من أنّه لو كان المراد بالمفتون فى كلامه عليه السّلام هو المرتدّ عن دين الاسلام على ما فهمه المورد لزم الحكم بعدم قبول توبه أكثر البغاه لو تابوا و بقسمه أموالهم و باعتداد زوجتهم عدّه الوفاء، لأنّ أكثر أهل البغى قد ولدوا على الفطره مع أنّه لم يحكم أحد بذلك.

و تحقيق الكلام فى المقام على ما يستفاد من كلام بعض علمائنا الأبرار و أخبار أئمتنا الاطهار سلام الله عليهم ما تعاقب الليل و النهار هو:

أنّ البغاه محكوم بكفرهم باطنا إلاّ أنّه يعامل معهم فى هذا الزّمان المسمّى بزمان الهدنه معامله المسلم الحقيقى فيحكم بطهارتهم و جواز ملاقاتهم بالرّطوبة و بحلّ أكل ذبايحهم و حرمة أموالهم و صحه مناكحاتهم إلى غير ذلك من أحكام الاسلام حتّى يظهر الدّوله الحقه عجل الله تعالى ظهورها فيجرى عليهم حينئذ حكم الكفار الحربيين.

و يشهد بذلك ما رواه فى الوسائل باسناده عن عبد الله بن سليمان قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: إنّ الناس يروون أنّ عليّا عليه السّلام قتل أهل البصره و ترك أموالهم فقال: إنّ دار الشّرك يحلّ ما فيها و إنّ دار الاسلام لا يحلّ ما فيها فقال إنّ عليّا إنّما منّ عليهم كما منّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على أهل مكّه و إنّما ترك عليّ عليه السّلام لأنّه كان

يعلم أنه سيكون له شيعه و أنّ دوله الباطل ستظهر عليهم، فأراد أن يقتدى به في شيعته و قد رأيت آثار ذلك هو ذا يسار في الناس بسيره على و لو قتل عليّ عليه السّلام أهل البصره جميعا و اتّخذ أموالهم لكان ذلك له حلالا لكنّه منّ عليهم ليمنّ على شيعته من بعده.

و عن اسحاق بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: مال النّاصب و كلّ شيء يملكه حلال إلّا امرأته، فإنّ نكاح أهل الشّرك جائز، و ذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال:

لا- تسبّوا أهل الشّرك فإنّ لكل قوم نكاحا و لو لا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم و رجل منكم خير من ألف رجل منهم لأمرناكم بالقتل لهم و لكن ذلك إلى الامام.

و عن أبي بكر الحضرمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لسيره عليّ في أهل البصره كانت خيرا لشيعته ممّا طلعت عليه الشّمس إنّّه علم أنّ للقوم دوله فلو سباهم لسببت شيعته، قلت: فأخبرني عن القائم يسير بسيرته؟ قال: لا إنّ عليّا سار فيهم باليمنّ لما علم من دولتهم و إنّ القائم يسير فيهم بخلاف تلك السّيره لأنّه لا دوله لهم.

و عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن القائم إذا قام بأيّ سيره يسير في النّاس؟ فقال: بسيره ما سار به رسول الله صلّى الله عليه و آله حتّى يظهر الاسلام، قلت و ما كانت سيره رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ قال: أبطل ما كان في الجاهليّه و استقبل النّاس بالعدل، و كذلك القائم إذا قام يبطل ما كان في الهدنه ممّا كان في أيدي النّاس و يستقبل بهم العدل.

و روى عن الدّعائم عن عليّ عليه السّلام أنّه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبله أ كافرون هم؟ قال عليه السّلام: كفروا بالأحكام و كفروا بالنّعم ليس كفر المشركين الذين دفعوا النّبوه و لم يقرّوا بالاسلام، و لو كانوا كذلك ما حلّت لنا مناكحهم و لا ذبايحهم و لا مواريتهم.

إلى غير ذلك من التّصوص الدالّه على جريان حكم المسلمين على البغاه

من حيث البغى فى زمن الهدنه فضلا عما هو المعلوم من تتبّع كتب السّير و التّواريخ من مخالطه الأئمه عليهم السّلام معهم و عدم التجنّب من أسآرهم و غير ذلك من أحكام المسلمين و إن وجب قتالهم إذا ندب عليه الامام عموما او خصوصا أو ندب عليه المنصوب من قبله عليه السّلام لكن ذلك أعّم من الكفر و يأتى تمام الكلام إنشاء الله تعالى فى شرح الكلام المأه و الخامسه و الخمسين.

نعم الخوارج منهم قد اتّخذوا بعد ذلك دينا و اعتقدوا اعتقادات صاروا بها كفّارا لا من حيث كونهم بغاه فافهم جيّدا و قوله عليه السّلام: (إنى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم) إشاره إلى عدم تغيّر حالته عن التى بها قاتلهم كافرين، و فيه تهديد لهم و تذكير لشده بأسه و سطوته و شجاعته هذا.

و فى نسخه الشّارح المعتزلى بعد قوله صاحبهم اليوم:

و الله ما تنقم منا قريش إلا أنّ الله اختارنا عليهم فأدخلناهم فى خيرنا فكانوا كما قال الأوّل:

ادمت لعمرى شربك المحض صابحا و اكلك بالزّبد المقشّره البجرا

و نحن وهبناك العلاء و لم تكن عليا و حطنا حولك الجرد و السمرا

أقول: (المحض) اللبن الخالص، و (الصّابح) و الصّبح ما صلب من اللّبن بالغداه و ما أصبح عندهم من شراب و (المقشّره) التّمرة التى اخرج منها نواتها و (البجر) بالضمّ الأمر العظيم و العجب و لعلّه هنا كناية عن الكثره أو الحسن أو اللطافه، و يحتمل أن يكون مكان المفعول المطلق يقال بجر كفرح فهو بجر امتلا بطنه من اللبن و لم يرو، و تبجر التّبيد ألحّ فى شربه و (الجرد) بالضمّ جمع الأجرد و هو الفرس الذى دقت شعرته و قصرت و هو مدح و (السمر) جمع الاسمر و هو الرّمح

تكملة

يأتى إنشاء الله روايه هذه الخطبه فى الكتاب بطريق آخر و هى الخطبه المأه و الثّالثه، و نوردها بطريق ثالث فى الشّرح ثمه فانتظر.

ص: ٦٧

روى الشَّارح المَعْتزلى عن أبى مخنف عن الكلبي عن أبى صالح عن زيد بن على عن ابن عباس قال: لما نزلنا مع على عليه السلام ذاقار قلت: يا أمير المؤمنين ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ؟ فقال: والله ليأتيني منهم ستّة ألف و خمسمائه و ستّون رجلا- لا- يزيدون و لا- ينقصون قال ابن عباس فدخلنى و الله من ذلك شكّ شديد فى قوله و قلت فى نفسى و الله إن قدموا لأعدّهم.

قال أبو مخنف فحدّث ابن اسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار قال: نفر إلى على إلى ذى قار من الكوفة فى البرّ و البحر ستّة ألف و خمسمائه و ستّون رجلا و أقام على عليه السّلام بذى قار خمسة عشر يوما حتّى سمع صهيل الخيل و شجيج البغال حوله قال: فلما سار منقله قال ابن عباس، و الله لأعدّهم فان كانوا كما قال و إلّا أتممتهم من غيرهم فانّ النّاس قد كانوا سمعوا قوله، قال: فعرضهم فو الله ما وجدتهم يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا فقلت: الله أكبر صدق الله و رسوله ثم سرنا.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست که فرموده هنگام رفتن او بمحاربه اهل بصره گفت عبد الله بن عباس که داخل شدم بر امير المؤمنين در منزل ذى قار و آن حضرت مى دوخت نعلين خود را پس گفت بمن که اى ابن عباس چیست قيمت اين نعل؟ من عرض کردم که قيمت ندارد و بچيزى نمى ارزد، فرمود بخدا سوگند که اين نعل محبوب تر است به سوى من از اماره من در میان شما مگر اين که اقامه نمايم حقى را يا بر طرف سازم باطلی را پس آن حضرت بيرون تشریف آورد پس خطبه خواند از براى مردم پس فرمود:

بدرستى که خداوند تعالى مبعوث فرمود محمد بن عبد الله صلوات الله و سلامه عليه را در حالتى که نبود هيچ احدى از عرب که کتاب بخواند و نه شخصى که دعوى نبوت نمايد، پس راند حضرت رسالت مردم را تا اين که ساکن فرمود ايشان را در

منزل ایشان و رسانید ایشان را در محل رستگاری ایشان، پس راست شد نیزه‌های ایشان و آرام گرفت سنک هموار ایشان.

مقصود انتظام دولت ایشانست و آسودگی بلاد ایشان بخدا سوگند بدرستی که بودم در میان مردمانی که رانندگان عساکر خصم بودند تا این که پشت برگرداند لشکر خصم و رو بر فرار نهادند تماما در حالتی که عاجز نشدم و ترسناک نگشتم، و بدرستی که این سیر و حرکت من بقتال اهل بصره هر آینه مثل آن حالت سابقه است که بودم بر آن از دلیری و شجاعت.

پس هر آینه می شکافم باطل را تا این که بیرون آید حق از شکم او چیست مرا و قریش را که بیعت مرا شکستند و فضیلت مرا انکار کردند بخدا سوگند که مقاتله کردم با ایشان در حالتی که کافر بودند، و مقاتله میکنم با ایشان در حالتی که مفتون هستند، و بدرستی که من مصاحب ایشان بودم دیروز، همچنان که مصاحب ایشانم امروز و تفاوت در حالت من نبوده

و من خطبه له علیه السلام فی استنفار الناس

اشاره

الی اهل الشام و هی الرابعه و الثلاثون

من المختار فی باب الخطب

خطب بها بعد فراغه من قتال الخوارج علی ما تعرفه تفصیلا إن شاء الله أفّ لكم لقد سئمت عتابکم، أرضیتم بالحياء الدّنيا من الآخره عوضا، و بالذلّ من العزّ خلفا، إذا دعوتکم إلى جهاد عدوّکم دارت

ص: ۶۹

أعينكم كأنكم من الموت في غمره، و من الذّهل في سكره، يرتج عليكم حوارى فتعمهون، فكأنّ قلوبكم مألوسه فأنتم لا تعقلون، ما أنتم لى بثقه سجين الليالى و ما أنتم بركن يمال بكم، و لا زوافر عزّ يفتقر إليكم، ما أنتم إلّا كابل ضلّ رعاتها فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم تكادون و لا- تكيّدون، و تنتقص أطرافكم فلا تمتعضون، لا- ينال عنكم و أنتم فى غفله ساهون، غلب و الله المتخاذلون. و أيم الله إننى لأظنّ بكم أن لو حمس الوغا و استحرّ الموت قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج الرّأس، و الله إنّ امرء يمكن عدوّه من نفسه يعرق لحمه و يهشم عظمه و يفرى جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمتّ عليه جوانح صدره، أنت فكن ذاك إن شئت، فأما أنا فو الله دون أن أعطى ذلك ضرب بالمشرفيّة تطير منه فراش الهام، و تطيح السّواعد و الأقدام، و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء. أيّها النّاس إنّ لى عليكم حقّ، و لكم على حقّ، فأمرًا حقّكم علىّ فالنّصيحه لكم، و توفير فيئكم عليكم، و تعليمكم، كيلا- تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا، و أمّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعه و النّصيحه

فى المشهد و المغىب؁ و الاجابه حىن أءءوكم؁ و الطاعه حىن آمركم.

اللغة

(اف) بالضم و التشىء و التنىن كلمه تضجر؁ و لغاتها أربءون و (سئم) الشئء يسام كفرح ساما و سامه ملّ و (الغمره) الشءه؁ و غمرات الموت سكراته التى يغمر فىها العقل و (السكر) بالفتح ضء الصىحو و الاسم بالضم؁ و سكره الموت شءته و غشىته و (رتج) كفرح استغلق علىه الكلام كارتج علىه بالبناء للمفعول (و الحوار) بالكسر المءاوره و المءاطبه.

و (عمه) الرءل كعلم إذا تحىر فى الضلال و ترءء فى المنازعه و (الالس) بسكون اللام الجنون و اختلاط العقل و (سجىس اللىالى) كلمه يقال للأبء تقول لا أفعله سجىس اللىالى أى أبءا و مثلها سجىس الأوءس و سجىس عجىس و (الزوافر) جمع زافره و زافره الرءل أنصاره و عشىرته و (الابل) اسم جمع و (سعر نار الحرب) جمع ساعر و اسعار النار و سعرها اىقائها و (الامءاعض) الغضب و (حمس) كفرح اشتء.

و أصل (الوفا) الصوء و الجلبه و اطلق على الحرب لما فىها من الاصوات و الجلبه و (عرق اللحم) كنصر اكله و لم بىق منه على العظم شىئا و (هشم) العظم كضرب كسره و (فرىء) الشئء قطءته و (الجوانح) الاضلاع التى تحت الترائب و هى مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر.

و (ما ضمت علىه) هو القلب و (المشرفىه) بفتح المىم و الرءاء سىوف منسوبه إلى مشارف الىمن و (فراش الهام) بالفتح العظام الرقىقه التى تلى القحف و (طاح) يطىح اى سقط.

الاعراب

عوضا و خلفا نصبهما على التمىز؁ و جمله ىرتج علىكم حالىه؁ و سجىس اللىالى منصوب على الظرفىه و زوافر فى اكثر النسخ بالجر عطفا على المءرور؁ و فى بعضها بالنصب عطفا على الظرف أعنى بركن؁ و قوله لبئس لعمر الله اللام جواب القسم و التكرىر للتاكىء؁ و العمر بالفتح العمر و هو قسم ببقاء الله سبحانه؁ و أىم

مخفف أيمن و هو جمع يمين أى أيم الله قسمي.

و قوله: ان لو حمس الوغا أن بفتح الهمزة مخففه من الثقيله اسمها ضمير شأن، و جمله لو حمس آه خبرها، و هى مع اسمها و خبرها قائمه مقام مفعولى أظن و لعظيم عجزه خبر إن و اللام للتأكيد، و الجملات بين الاسم و الخبر منصوب المحلّ إلا أنّ انتصاب الأولى على الوصفية و الثلاث الأخيره على الحائيه من مفعول يمكن.

و قوله: فأمّا أنا مبتدأ، و ضرب بالمشرفيه خبره من باب زيد عدل و قوله:

كيلا- نجهلوا كى إيمًا تعليليه و ان مضمرة بعدها، أو مصدرية و اللام مقدّره قبلها، و مثله فى الاحتمالين قوله سبحانه: «كَيْ لَا يَكُونَ دُولُهُ» و قوله: كيما تعلموا كى تعليليه و ما إمّا مصدرية أو كافه و مثله فى الاحتمالين قوله:

إذا أنت لم تنفع فضّر فأنما يرجى الفتى كيما يضرّ و ينفع

المعنى

اشاره

اعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام، خطب بهذه الخطبه بعد فراغه من أمر الخوارج روى أنّه قام بالنّهر وان فحمد الله و أثنى عليه و قال: أمّا بعد فإنّ الله قد أحسن نصركم فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدّوكم من أهل الشّام، فقاموا إليه و قالوا له:

يا أمير المؤمنين قد نفدت نبالنا و كلّت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا، و لعلّ أمير المؤمنين يزيد فى عددنا مثل من هلك منّا لنستعين به فأجابهم.

«يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَزِدُّوا عَلَىٰ آذَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ».

فتلكّأوا عليه و قالوا: إنّ البرد شديد فقال: إنّهم يجدون البرد كما تجدون فتلكّأوا و أبوا، فقال: أفّ لكم انها سنّه جرت ثمّ تلى قوله تعالى:

«قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ».

ص: ٧٢

«قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعٌ مُدَوَّنٌ» خ ل» فقام ناس منهم و اعتذروا بكثرة الجراح فى الناس و طلبوا أن يرجع بهم إلى الكوفة أيا ما ثم يخرج، فرجع بهم غير راض و أنزلهم النخيلة و أمر الناس أن يلزموا معسكرهم و يقلوا زياره أهلهم و أبنائهم حتى يسير بهم الى عدوهم.

فلم يقبلوا و دخلوا الكوفة حتى لم يبق معه من الناس إلا- رجال من وجوههم قليل، و بقى المعسكر خاليا فلا من دخل الكوفة رجع إليه، و لا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس فقال:

أيها الناس استعدوا لقتال عدو فى جهادهم القربه إلى الله و درك الوسيله عنده قوم حيارى عن الحق لا ينصرونه مورغين(1) بالجور و الظلم لا- يعدلون به و جفاه عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون فى الطغيان و يتمكعون(2) فى غمره الضلاله، ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ»، و توكلوا على الله و كفى بالله و كيلا فلم ينفروا فتركهم أيا ما ثم خطبهم فقال: (اف لكم لقد سئمت) و مللت (من عتابكم) بمالا- ارتضيه من أفعالكم و أقوالكم و كثره ثقلكم عن قتال خصومكم (ا) رضيتم بالحياء الدنيا من الآخره عوضا) حيث تركتم الجهاد حبا للبقاء و رغبه إلى الحياه، و رغبتم عما يترتب عليه من الثمرات الاخرويه من الدرجات الرفيعه و الرحمه و المغفره.

مضافه إلى ما فيه من فضله على الأعمال و فضل عامله على العمال، إذ به يدفع عن الدين، و يستقام شرع سيد المرسلين، و به اشترى الله من المؤمنين أنفسهم و أموالهم بالجنه مفلحا منجحا (و بالذل من العز خلفا) حيث إن قعودكم عن الجهاد مستلزم

ص: ٧٣

١- (١) ورغه بالشىء اغراه.

٢- (٢) مكع كمنع و فرح مشى مشيا متعسفا لا يدرى اين يأخذ من بلاد الله و تحير كتمكع.

لطمع العدو فيكم و قصد بلادكم و الاستيلاء عليكم و استباحه دماءكم و أموالكم و سبي ذراريكم، و قد مضى في شرح الخطبه السابعة و العشرين ما يوجب زياده توضيح المقام.

ثم انه عليه السلام بعد توبيخهم و تبكيتهم على سوء أفعالهم أشار إلى حالتهم التي كانوا عليها حين دعوتهم إلى الجهاد بقوله: (إذا دعوتكم الى جهاد عدوكم) تحيرتم و ترددت بين النهوض الى العدو و القعود عنه جبنا و خوفا ف (دارت أعينكم) من شدة الخوف (كأنكم من الموت في غمره و) شخصت أبصاركم كأنكم (من الذهول) و الغفلة (في سكره) كما قال سبحانه:

«فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» و هو الذي قرب من حال الموت و غشيته أسبابه فيذهل و يذهب عقله و يشخص بصره فلا يطرف، و كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم و تحار أعينهم من شدة الخوف (يرجع عليكم حوارى) و يغلق عليكم خطابى (فتعمهون) فى الضلال و ترددون فى الشخوص إلى القتال (فكان قلوبكم مألوسه) و افئدتكم مجنونه (فأنتم لا تعقلون) ما أقول و لا تفقهون صلاح الأمر (ما أنتم لى بثقه) أثق بكم و أعتمد عليكم و أتقوى بكم على اعدائى.

(سجيس الليالى) لكثره ما شاهدت فيكم من كذب الوعد و خلف العهد (و ما أنتم بركن يمال بكم) و يستند اليكم (و لا زوافر عز) يعتصم بكم و (يفتقر اليكم) لما فيكم من الدلّ و الفشل و العجز و الرذاله (ما أنتم الا ك) عجاجه (ابل) او قطيعه غنم (ضلّ رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من) جانب (آخر) و ذلك من أجل ما فيكم من اختلاف الأهواء و تستت الآراء المانع من اجتماعكم على ما فيه نظم أمر المعاش و صلاح حال المعاد (لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم) مع ما فيكم من الفشل و الخوف مضافا إلى سوء الرأى و ضعف التدبير و بذلك

أنتم (تكادون ولا تكيدون) و يمكر بكم عدوكم ولا تمكرون.

(و تنتقص اطرافكم) و نواحي بلادكم باغاره العدو عليها و قتل خيار أهلها و إحداث الخراب فيها (فلا) تغضبون و لا (تمتعضون لا ينام عنكم) العيون (و أنتم فى غفله ساهون غلب و الله المتخاذلون) المتناقلون و أنتم منهم فستغلبون و تقهرون (و ايم الله إني لأظن بكم أن لو حمس الوغا و) اشتد الهيجا (استحر الموت) و استعر القتل (قد انفرجتم عن ابن ابى طالب انفراج الرأس) و تفرقتم عنه تفرقا لا رجوع بعده أبدا.

و انفراج الرأس مثل أول من تكلم به على ما قيل أكثر بن صيفى فى وصيه له:

يا بنى لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس فانكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز و فى معناه أقوال:

الأول ما عن ابن دريد و هو إن الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود.

الثانى ما عن المفضل أن الرأس اسم رجل ينسب إليه قريه من قرى الشام يقال لها بيت الرأس تباع فيها الخمر، و هذا الرجل قد انفرج عن قومه و مكانه فلم يعد فضرب به المثل.

الثالث أن الرأس إذا انفرج بعض عظامه من بعض كان بعيدا عن الالتيام و العود إلى الصّحه.

الرابع ما عن القطب الزاوندى و هو أنه أراد به انفرجتم عنى رأسا أى قطعاً، وردّه الشّارح المعتزلى بأنّ رأسا لا يعرف.

الخامس ما عنه أيضا من أن المعنى انفراج رأس من ادنى رأسه إلى غيره ثم حرف راسه عنه، وردّه الشّارح أيضا بأنه لا خصوصيه فى الرأس فى ذلك فإن اليد و الرجل إذا ادنيتهما من شخص ثم حرفتهما عنه فقد تفرّج ما بين ذلك العضو و بينه، فأى معنى لتخصيص الرأس بالذكر.

السادس أن المعنى انفراج من يريد أن ينجو برأسه.

السابع أن المراد انفراج المرأة عن راس ولدها حاله الوضع، فأنه حينئذ

يكون(١) في غايه الشده نظير قوله عليه السلام في موضع آخر: انفراج المرأه عن قبلها.

الثامن أنَّ الرّاس الرّجل العزيز، لأنّ الاعزّاء لا يبالون بمفارقة أحد، و على أىّ تقدير فالمقصود شدّه تفرّقهم عنه عليه السّلام (و الله أنّ امرء يمكن عدوّه من نفسه) حال كونه (يعرق لحمه) و يأكله (و يهشم عظمه) و يكسّره (و يفرى جلده) و يقطعه أىّ يسلّط عدوه عليه بالنّهب و الاسر و الاستيصال (لعظيم عجزه) و (ضعيف ما) يعنى قلبه الذى (ضمتّ عليه جوانح صدره) ثمّ خاطبهم بخطاب مجمل من غير تعيين للمخاطب تقرّيعا و تنفيرا لهم عمّا يلزمهم من الأحوال الرّديه بتمكينهم العدو من أنفسهم فقال: (أنت فكن ذاك ان شئت) أى أنت أيّها الممكن من نفسه و المسيط له عليه كن ذاك المرء الموصوف بالعجز و الجبن و الضّعف.

و يأتى فى روايه الأمالى و كتاب الغارات أنّ المخاطب بذلك هو الأشعث و لا باس بأن يكون الخطاب له و المقصود عمومّه لكلّ من أمكن العد و تنفيرا و توبيخا و تبيكتا (فأما أنا فو الله) لا اتحمّل ذلك التّخاذل و لا احتمل أن امكّن عدوى من نفسى و اسلّطه علىّ يفعل ما يشاء و يريد و (دون ان اعطى ذلك ضرب ب) السيوف (المشرقيّه) الذى (تطير منه فراش الهام و تطيح) به (السّواعد و الأقدام و يفعل الله بعد ذلك) الجهاد و المناجزه (ما يشاء) من جعل الغلبه لى أو للعدوّ على ما يقتضيه الحكمه البالغه و المصلحه الكامله.

(أيّها النّاس إنّ لى عليكم حقا) يجب عليكم القيام به (و لكم علىّ حقّ) مثله (فأما حقّكم) الذى (علىّ ف) أمور أربعه.

الأوّل (النّصيحه لكم) فى السّر و العلانيه و حثكم على محاسن الاخلاق و مكارم الآداب و ترغيبكم على ما فيه حسن الثواب فى المعاش و المآب (و) الثانى (توفير فينكم عليكم) و تفريقه فيكم بالقسط و العدل من دون حيف فيه و ميل (و)

ص: ٧٦

الثالث (تعليمكم) ما فيه صلاح حالكم فى المعاش و المعاد (كيلا تجهلوا و) الرابع (تأديبكم) بالآداب الشرعيه (كيما تعلموا) و تعملوا.

(و أما حقى) الذى (عليكم ف) أربعة أيضا الأول (الوفاء بالبيعه) الذى هو أهم الامور و به حصول النظام الكلى (و) الثانى (النصيحه) لى (فى المشهد و المغيب) و الذب عنى فى الغيبه و الحضور (و) الثالث (الاجابه) لدعائى (حين أدعوكم) من غير تثاقل فيه و توان و فتور (و) الرابع (الطاعه) لامرى (حين امركم) و الانتهاء عن نهى حين انهيكم.

و غير خفى أنّ منفعه هذه الامور ايضا عايدته اليهم فى الحقيقه إمّا فى الدنيا و إمّا فى الآخره إذ قيامهم بها يوجب انتظام الحال و حسن المآل، و مخالفتهم فيها يوجب خذلان الدنيا و حرمان الآخره و اختلال الحال مع شدّه النكال.

تنبيه

قيل أكد الاسباب فى تقاعد الناس عن أمير المؤمنين أمر المال فأنه عليه السلام لم يكن يفضل شريفا على مشروف، و لا عريّا على عجميّ و لا- يصانع الرؤساء و امراء القبائل كما يصنع الملوك و لا يستميل أحدا إلى نفسه، و كان معاويه بخلاف ذلك فترك الناس عليّا و التحقوا بمعاويه، فشكى على عليه السلام إلى الاشر تخاذل اصحابه و فرار بعضهم إلى معاويه.

فقال الاشر: يا أمير المؤمنين إنا قاتلنا أهل البصره و أهل الكوفه و رأى الناس واحده، و قد اختلفوا بعد و تعادوا و ضعفت التيه و قلّ العدد و أنت تأخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحقّ و تنصف الوضيع من الشريف، فليس للشريف عندك فضل منزله على الوضيع، فضجت طائفه مّمن معك إذ عموا به و اغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه.

و رأوا صنایع معاويه عند أهل الغناء و الشرف فتاقت أنفس الناس إلى الدنيا و قلّ من ليس للدنيا بصاحب و أكثرهم يحتوى الحقّ و يشتري الباطل و يؤثر الدنيا، فان تبذل المال يا امير المؤمنين يميل إليك أعناق الرجال و تصفو نصيحتهم لك،

و يستخلص ودهم صنع الله لك يا امير المؤمنين و كبت أعدائك و فرق جمعهم و اوهن كيدهم و شتت امورهم «إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ» فقال علي عليه السلام أما ما ذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فإن الله يقول:

«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و أنا من أن أكون مقصرا فيما ذكرت أخوف.

و أما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور و لا لجئوا إذا فارقونا إلى عدل و لم يلمسوا إلا دنيا زاياله عنهم كان قد فارقوها و ليسألن يوم القيامة: الدنيا أرادوا، أم لله عملوا.

و أما ما ذكرت من بذل الأموال و اصطناع الرجال فإنه لا يسعنا أن نؤتي أمرا من الفياء أكثر من حقه و قد قال الله سبحانه و قوله الحق:

«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» و قد بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله و سلم فكثرت بعد القله، و أعزفته بعد الذله و إن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذل لنا صعبه و يسهل لنا حزنه و أنا قایل من رأيك ما كان لله عز و جل رضا و أنت من امن الناس عندى و انصحهم لى و أوثقهم فى نفسى إن شاء الله.

أقول: و يؤيد ذلك ما رواه الكليني فى كتاب الروضة من الكافى عن على بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن بعض أصحابه عن أبى عبد الله عليه السلام قال ان مولى لأمير المؤمنين سألته مالا فقال يخرج عطائى فاقسمك هو «عطائى خ ل» فقال: لا- اكنفى و خرج إلى معاويه فوصله، فكتب إلى امير المؤمنين عليه السلام يخبره بما أصاب من المال، فكتب إليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

أمّا بعد فإن ما فى يدك من المال قد كان له أهل قبلك و هو صائر إلى أهل بعدك و إنّما لك منه ما مهّدت لنفسك فاطر نفسك على صلاح ولدك، فإنما أنت جامع لاحد رجلين إمّا رجل عمل فيه بطاعه الله فسعد بما شقيت، و إمّا رجل عمل

فيه بمعصيه الله فشقى بما جمعت له، و ليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك و لا تبرد(١) له على ظهره، فارج لمن مضى برحمه الله، وثق لمن بقى برزق الله.

و فى الروضه أيضا عن عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن جعفر العقبى رفعه قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إنّ آدم لم يلد عبدا و لا أمه، و إنّ الناس كلّهم أحرار و لكن الله خول(٢) بعضكم فمن كان له بلاء فصبر فى الخير فلا يمنّ به على الله جلّ و عزّ الا و حضر شيء و نحن مسوون فيه بين الأسود و الأحمر.

فقال مروان لطلحه و الزبير: أراد بهذا غير كما، قال فأعطى كلّ واحد ثلاثة دنانير و أعطى رجلا من الأنصار ثلاثة دنانير، و جاء بعد غلام اسود فأعطاه ثلاثة دنانير، فقال الأنصارى يا أمير المؤمنين هذا غلام اعتقته بالامس تجعلنى و إياه سواء؟ فقال إننى نظرت فى كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد اسحاق فضلا.

و فى شرح المعتزلى عن هارون بن سعد قال قال عبد الله بن جعفر بن ابى طالب لعلى عليه السلام يا أمير المؤمنين لو أمرت لى بمعونه أو نفقه فو الله مالى نفقه إلاّ أن أبيع دابّتى، فقال عليه السلام: لا- و الله ما أجد لك شيئا إلاّ أن تأمر عمّك يسرق فيعطيك.

و عن على بن يوسف المداينى إنّ طايفه من أصحاب على مشوا إليه فقالوا:

يا أمير المؤمنين اعط هذه الأموال و فضّل هؤلاء الأشراف من العرب و قريش على الموالى و العجم، و استمل من تخاف خلافه من الناس و فراره، و إنّما قالوا له ذلك لما كان معاويه يصنع فى المال.

فقال لهم أ تأمرونى أن أطلب النصّر بالجور، لا و الله لا افعل ما طلعت شمس

ص: ٧٩

١- (١) قال الفيروز آبادى عيش بارد أى هنىء و المعنى لا تبرد له العيش حاملا وزره على ظهره، منه.

٢- (٢) التحويل بالخاء المعجمه الاعطاء، منه.

و ما لاح فى السّماء نجم، و الله لو كان المال لى لواسيت بينهم فكيف و إنّما هى اموالهم، ثمّ سكت طويلا و اجما، ثمّ قال: الأمر أسرع من ذلك قالها ثلاثا.

و يأتى روايه هذا الكلام فى الكتاب إنشاء الله من السّيد بنحو آخر و هو المأه و السادس و العشرون من المختار فى باب الخطب.

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبه رواها المحدث المجلسى فى المجلد السابع عشر من البحار من كتاب مطالب السّؤل لمحمّد بن طلحه إلى قوله و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء، و روى فقراتها الأخيره السّيد المحدث البحرانى فى كتاب غايه المرام من كتاب سليم بن قيس الهلالي فى ضمن حديث طويل، و رواها المحدث المجلسى ايضا فى المجلد الثامن من البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي ايضا، و سيأتى نقل تلك الرّوايه فى التذييل الثّانى من تذييلى الكلام السابع و الثلاثين، و رواها فيه ايضا من كتاب الغارات بزياده و نقصان احببت روايتها هنا على ما هو دأبنا فى هذا الشّرح.

فأقول فى البحار من كتاب الغارات باسناده عن جندب، و من مجالس المفيد عن الكاتب عن الرّعفرانى عن الثّقفى عن محمّد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحرث بن حصيره عن أبى صادق عن جندب بن عبد الله الأزدي قال سمعت أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يقول لأصحابه و قد استنفرهم أياما إلى الجهاد فلم ينفروا:

أيّها النّاس أنّى قد استنفرتكم فلم تنفروا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، فأنتم شهود كأغياب، و صمّ ذووا أسماع، أتلو عليكم الحكمه، و أعظكم بالموعظه الحسنه، و أحثكم على جهاد عدّوكم الباغين، فما اتى على آخر منطقي حتّى أراكم متفرّقين أيادى سبا، فاذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلقا(١) عزيز

ص: ٨٠

١- (١) الحلق جمع حلقه و العزه الفرقة من الناس و الهاء عوض من الياء و الجمع عزى على فعل و عزون و عزون ايضا بالضم، البحار.

تضربون الامثال و تتاشدون الاشعار، و تسألون الاخبار، قد نسيتم الاستعداد للحرب، و شغلتم قلوبكم بالباطيل تربت أيديكم، اغزوا القوم من قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط في عقر ديارهم إلا ذلوا.

و ايم الله ما اريكم تفعلون حتى يفعلون، و لوددت أني لقيتهم على نيتي و بصيرتي فاسترحت من مقاساتكم فما أنتم إلا كابل جمه ضل (١) راعيها، فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب آخر، و الله لكأني بكم لو حمس الوغا و احم (٢) الباس قد انفرجتم عن علي بن ابي طالب انفراج الرأس و انفراج المرأة عن قبلها.

فقام إليه أشعث بن قيس الكندي فقال له: يا أمير المؤمنين فهلاً فعلت كما فعل ابن عفان؟ فقال عليه السلام له: يا عرف النار و يلک إن فعل ابن عفان لمخزاه على من لا دين له و لا حجة معه فكيف و أنا على بينه من ربي، الحق في يدي و الله ان امرأ يمكن عدوه من نفسه يخدع (٣) لحمه و يهشم عظمه و يفرى جلده و يسفك دمه لضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره أنت فكن كذلك إن أحببت فأما أنا فدون أن أعطى ذلك ضرب بالمشر في يطير منه فراش الهام و تطيح منه الأكف و المعاصم و يفعل الله بعد ما يشاء.

فقام أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد صاحب منزل رسول الله صلى الله عليه و آله فقال:

ص: ٨١

١- (١) اضل راعيها في بعض النسخ ضل في الصحاح قال ابن السكيت اضللت بعيرى اذا اذهب معك و ضللت المسجد و الدار اذا لم تعرف موضعهما، بحار.

٢- (٢) حم الشيء و احم قدر و احمه امرى اى اهمه و احم خروجنا اى دنا و فى ساير الروايات و حمى البأس قوله يا عرف النار لعله شبه بعرف الديك لكونه راسا فيما يوجب دخول النار او المعنى انك من القوم الذين يتبادرون دخول النار من غير رويه كقوله و المرسلات عرفا، بحار.

٣- (٣) خذع اللحم و ما لا صلابه فيها كمنع حزره و قطعه في مواضع، قاموس.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَسْمَعَ مِنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ وَقَلْبٌ حَفِيزٌ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَكُمْ بِكَرَامِهِ لَمْ يَقْبَلُوهَا حَقَّ قَبُولِهَا، إِنَّهُ نَزَلَ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ يَفْقَهُكُمْ فِي الدِّينِ وَيَدْعُوكُمْ إِلَى جِهَادِ الْمُحْلِسِينَ (١).

فَكَانَكُمْ صَمًّا لَا يَسْمَعُونَ أَوْ عَلَى قُلُوبِكُمْ غُلْفٌ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا فَانْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ، أَفَلَا نَسْتَحْيِي عِبَادَ اللَّهِ أَلَيْسَ انَّمَا عَهْدُكُمْ بِالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ أَمْسَ قَدْ شَمَلَ الْبَلَاءُ وَشَاعَ فِي الْبِلَادِ قَدْ دَحِقَ مُحْرُومٌ وَمَلْطُومٌ وَجْهُهُ وَمَوَاطَأُ بَطْنِهِ وَيَلْقَى بِالْعَرَاءِ تَسْفَى عَلَيْهِ الْأَعَاصِيرُ لَا يَكُنْهُ مِنَ الْحَزِّ وَالْقَرِّ وَصَهْرٍ (٢) الشَّمْسُ وَالضُّحَى إِلَّا الْأَثْوَابُ الْهَامِدَةُ وَبَيُوتُ الشَّعْرِ الْبَالِيَةُ.

حَتَّى جَاءَكُمْ اللَّهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَنَشَرَ الْعَدْلَ وَعَمَلَ بِمَا فِي الْكِتَابِ، يَا قَوْمَ فَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَلَا تَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، اشْحَذُوا السِّيُوفَ، وَاسْتَعِدُّوا لْجِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَإِذَا دَعَيْتُمْ فَأَجِيبُوا، وَإِذَا أَمَرْتُمْ فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَمَا قَلْتُمْ فَلْيَكُنْ مَا اضْمَرْتُمْ عَلَيْهِ تَكُونُوا بِذَلِكَ مِنَ الصَّادِقِينَ.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست در طلب خروج مردمان بمحاربه اهل شام که می فرماید:

اف و پریشانی باد مر شما را بتحقیق که من ملول شدم از عتاب کردن شما آیا راضی شدید بزندگانی دنیا از حیثیت عوض شدن در آخرت، و بذلت از حیثیت بدل بودن از عزت، هر وقت که شما را دعوت میکنم بجنگ دشمنان خودتان چشمهای شما می گردد بمنزله این که شما از شدت مرگ در گرداب سخت افتاده اید

ص: ۸۲

۱- (۱) الحلس ککتف الشجاع و الحریص و یکنی من البائس، ق.

۲- (۲) صهرته الشمس کمنع صخرته و الشیء اذا به و الصهر بالفتح الحار و اصهار تلالا ظهره من حر شمس و الضح بالکسر الشمس و ضوئها و الهمود الموت و تقطع الثوب من طول الطی و الهامد البالی المسود المتغیر، قاموس.

و در غفلت و مدهوشی فرو رفته اید، در حالتی که بسته می شود بر شما خطاب کردن با من.

پس متحیر و سرگردان می مانید در سخن گفتن و گویا قلبهای شما مجنونست و دیوانگی عارض او شده پس شما عقل ندارید و نمی فهمید و نیستید شما از برای من معتمد و محل وثوق ابداء، و نیستید شما رکنی که میل شده باشد بشما در دفع اعداء، و نیستید یاری دهندگان عزت که احتیاج پیدا شود بشما، نیستید مگر بمنزله شترانی که گمشده باشد راعیان ایشان پس هر گاه جمع کرده شوند آن شترها از طرفی پراکنده میشوند بطرف دیگر.

قسم ببقای خدا که بزبانهای آتش حزبید شما، مگر میکنند بشما دشمنان و شما مکر نمی کنید بایشان، و نقصان می پذیرد اطراف بلاد شما بجهت قتل و غارت اعداء و شما غضب و خشم نمی گیرید از بی غیرتی و بی حمیتی، خواب کرده نمی شود از شما یعنی دشمنها جهت کشتن شما چشم بالای هم نمی گذارند و شما در خواب غفلت حیرانید، و مغلوب شدند بخدا سوگند فرو گذارندگان حرب با دشمنان.

و سوگند بحق خدا بدرستی که گمان می برم بشما آنکه سخت شود کار جنگ و گرم گردد معرکه مرگ جدا می شوید از پسر اُبی طالب جدا شدن سر از بدن، قسم بذات خدا بدرستی مردی که متمکن سازد دشمن خود را از نفس خود در حالتی که بخورد آن دشمن گوشت او را. و بشکند استخوان او را، و پاره پاره کند پوست او را، هر آینه بزرگست عجز آن مرد و سست است آن چیزی که فراهم آورده شده است بر آن چیز جوانب سینه او.

یعنی ضعیف القلب و جبانست پس تو باش مثل این عاجز کاهل اگر خواهی متصف باشی باین صفات، پس اُما من بحق خدا که متحمل این نمی شوم و نزد این حال که بدهم بدشمن تمکین و تسلط را، پس زد نیست بشمشیر مشرفی که به پرد از و کاسه سر و تباه شود از او ساعدها و قدمها، و میکند خداوند بعد از این حال

آن چیزی را که بخواهد بمقتضای حکمت بالغه خود.

ای مردمان بدرستی که مرا بر شما حقی است و شما راست بر من حقی، پس اما حق شما بر من پس نصیحت کردن من است بر شما در نهان و آشکار و تمام کردن غنیمت شماست بر شما و تعلیم دادنست بر شما تا این که جاهل نشوید و ادب دادنست بر شما تا این که عالم شوید و عمل نمائید، و اما حق من بر شما پس وفا کردن شماست بر بیعت، و اخذ نصیحت است در حضور و غیبت و جواب دادنست در زمانی که خوانم شما را و فرمان برداری نمودنست در زمانی که فرمایم شما را و الله اعلم بالصواب.

و من خطبه له علیه السلام بعد التحکیم

اشاره

و هی الخامسة و الثلاثون من المختار فی

باب الخطب

الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدث الجلیل، و أشهد أن لا إله إلا الله ليس معه إله غيره، و أنّ محمدا عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله. أمّا بعد فإنّ معصيه الناصح الشّفيق العالم المجزّب تورث الحسره، و تعقّب النّدامه، و قد كنت أمرتكم فی هذه الحكومه أمری، و نخلت لكم مخزون رأیی، لو كان يطاع لقصير أمر، فأبیتم علیّ إباء

ص: ۸۴

المخالفين الجفاه، و المنابذين العصاه، حتى ارتاب الناصح بنصحه، و ضنَّ الزَّند بقدحه، فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

اللغة

(الخطب) الأمر العظيم و (الفادح) الثَّقیل من فدحه الدِّين إذا أثقله و (المجرب) قال الجوهري: الذى قد جرَّبته الأمور و أحكمته، فان كسرت الزَّاء جعلته فاعلا إلا أنَّ العرب تكلمت به بالفتح و (نخل) الشَّيء إذا صفَّاه، و منه نخل الدقيق بالمنخل و (الجفاه) جمع الجافى و هو الذى خشن طبعه و (النبد) طرحك الشَّيء أمامك و ورائك أو عام و منه قوله سبحانه:

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَيِّدٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» و (الزَّند) العود الذى يقدح به النَّار و هو الأعلى و السِّفلى الزَّنده بالهاء و الجمع زناد مثل سهم و سهام و (هوازن) قبيله و (منعرج) الوادى اسم فاعل حيث يميل يمنه و يسره من انعرج الشَّيء انعطف و (اللوى) كالى ما التوى من الزَّمَل.

الاعراب

اضافه المخزون إلى رائي من قبيل اضافه الصَّفه إلى الموصوف، قوله:

لو كان يطاع لقصير أمر كلمه لو إما للتَّمْنَى على ما ذهب إليه بعضهم فى قوله: سبحانه:

«لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» و لا تحتاج حينئذ إلى الجواب أو حرف شرط و الجواب محذوف بقرينه المقام، و القصير

اسم رجل يضرب به المثل لكل ناصح عصى لقصته التي يأتي إليه الاشاره، و تقدير الكلام لو كان يطاع لى أمر أى لو أطعتمونى لما اصابكم حسره و ندامه إلا أنكم أبيتم على إباء المخالفين فحلت بكم الندامه و صرت و إياكم كما قال اخو هوازن اه هذا.

و تقدير الجواب بما ذكرناه أولى مما قدره الشارح البحرانى حيث قال:

و التقدير إننى أمرتكم أمرى فى هذه الحكومه و نصحت لكم فلو أطعتمونى لفعلتم ما أمرتكم به و محضت لكم النصيحه فيه فافهم جيداً، و قوله: أخو هوازن الاضافه لأدنى المناسبه من حيث انتساب الشاعر إلى تلك القبيله، و هذه الاضافه شايعه فى كلام العرب قال سبحانه:

«وَ اذْكُرْ أَخَا عَادٍ»، و «قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ» إلى غير ذلك.

المعنى

اعلم أنه قد روى إن عمرو بن العاص و أبا موسى الأشعرى لما التقيا بدومه الجندل و قد حكما فى أمر الناس كان أمير المؤمنين يومئذ قد دخل الكوفه ينتظر ما يحكمان به فلما تمت خدعه عمرو لأبى موسى و بلغه عليه السلام ذلك اغتم له غمّاً شديداً و وجم منه و قام فخطب الناس فقال:

(الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطاب الفادح) الثّقل (و الحدث) العظيم (الجليل) نسبه الاتيان بالخطب و الحدث إلى الدهر من قبيل نسبه الشر إليه على ما تقدّم بيانه فى شرح الخطبه الحاديه و الثلاثين، و فى الاتيان بان الوصلية إشاره إلى أنه سبحانه لا يختص حمده بحال دون حال بل لا بد ان يحمده العبد على كلّ حال من النّعمه و البلاء و الشده و الرضاء و الشراء و الضراء.

(و أشهد أن لا إله إلا الله ليس معه إله غيره) تأكيد لمعنى كلمه التّوحيد و تقرير لمقتضاها (و أنّ محمّدا عبده و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم أما بعد فإنّ معصيه النّاصح) الذى يصدّق فكره و يمحض رأيه و (الشفيق) الذى يبعثه شفقتة على النّصح و على

التَّوَرَى فِي الْأَمْرِ وَإِقْنَاعِ الرَّأْيِ فِيهِ مِنْ جَدِّ وَاجْتِهَادِ وَ (العالم) الَّذِي يَعْلَمُ وَجْهَ الْمَصْلَحَةِ فِي الْأُمُورِ وَ يَكُونُ فِيهَا عَلَى بَصِيرِهِ وَ (الْمَجْرَبِ) الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ التَّجَارِبُ فَكَانَ رَأْيُهُ وَ قَوْلُهُ أَغْلِبَ الْأَصَابَهُ لِلْوَقْعِ (تَوَرَّثَ الْحَسْرَةَ وَ تَعَقَّبَ النَّدَامَةَ).

إِذَا الْمَشِيرُ الْمَوْصُوفُ بِالصِّفَاتِ الْأَرْبَعِ الْمَذْكُورَةِ يَكُونُ رَأْيُهُ أَغْلِبَ الْمَطَابِقَةِ مَعَ الْوَقْعِ فَاطَاعَهُ الْمُسْتَشِيرَ لَهُ مُوجِبَةً لِفُظْرِهِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَ وَصُولِهِ إِلَى مَطْلُوبِهِ وَ مَخَالَفَتَهُ مَقْوَّتَهُ لِلْغَرَضِ مَعْقِبَةً لِلْحَسْرَةِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ الْمَشِيرُ مِثْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُتَّصِفُ بِالْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ الْمَطَابِقِ رَأْيُهُ لِلْوَقْعِ دَائِمًا يَكُونُ مَعْصِيَهُ مَعْقِبَةً لِلنَّدَامَةِ أَلْبَتَّهِ وَ مَوْقِعُهُ فِي الضَّلَالَةِ لَا مُحَالَهُ.

وَ لِذَلِكَ أُرْدِفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَهُ بِالْإِشَارَةِ إِلَى خَطَائِهِمْ فِي أَمْرِ الْحُكُومَةِ النَّاشِي مِنْ مَخَالَفَتِهِمْ لَهُ وَ إِبَائِهِمْ عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِهِ فَقَالَ: (وَ قَدْ كُنْتُ أَمْرَتَكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي) الصِّيَوَابِ (وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونِ رَأْيِي) الْمَصَابِ (لَوْ كَانَ يَطَاعَ لِقَصِيرِ أَمْرٍ) لَمَا حَصَلَتْ الْحَسْرَةُ وَ النَّدَامَةُ وَ قَصِيرٌ هَذَا هُوَ قَصِيرُ بَنِ سَعْدٍ مَوْلَى جَزِيمَةَ الْإِبْرَشِ مِنْ مَلُوكِ الْعَرَبِ.

رَوَى أَنَّ جَزِيمَةَ قَتَلَ أَبَا الزُّبَاءِ مَلِكَةَ الْجَزِيرَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ عَنْ حِينَ لِيَتَزَوَّجَ بِهَا خَدْعَهُ وَ سَأَلَتْهُ الْقُدُومَ عَلَيْهَا فَأَجَابَهَا إِلَى ذَلِكَ وَ خَرَجَ فِي أَلْفِ فَارَسٍ وَ خَلْفَ بَاقِي جُنُودِهِ مَعَ ابْنِ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ، وَ أَشَارَ قَصِيرٌ إِلَى جَزِيمَةَ أَنَّ لَا يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَقْبَلْ رَأْيَهُ فَلَمَّا قَرَّبَ جَزِيمَةَ مِنَ الْجَزِيرَةِ اسْتَقْبَلَهُ جُنُودُ الزُّبَاءِ بِالْعَدَةِ وَ لَمْ يَرِ مِنْهُمْ إِكْرَامًا لَهُ فَأَشَارَ قَصِيرٌ إِلَيْهِ بِالرَّجُوعِ عَنْهَا وَ قَالَ إِنَّهَا أَمْرَأَةٌ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ الْغَدْرِ فَلَمْ يَقْبَلْ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا غَدَرَتْ بِهِ وَ قَتَلَتْهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ قَصِيرٌ: لَا يَطَاعَ لِقَصِيرِ أَمْرٍ فَيَضْرِبُ بِهِ الْمِثْلَ لِكُلِّ نَاصِحٍ عَصِيٍّ وَ هُوَ مُصِيبٌ فِي رَأْيِهِ.

(فَأَيِّتُمْ عَلَى إِبَاءِ الْمُخَالَفِينَ الْجَفَاءَ وَ الْمُنَابِذِينَ الْعَصَاهُ حَتَّى ارْتَابَ النَّاصِحُ بِنَصِيحِهِ) هَذَا مُحْمُولٌ عَلَى الْمُبَالَغَةِ لَمَّا ذَكَرْنَا مِنْ أَنَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ مُتَّصِفٌ بِالْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ فَلَا يُمْكِنُ شَكُّهُ فِي مَا رَأَاهُ صَوَابًا، وَ يَشْهَدُ بِذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخُطْبَةِ الرَّابِعَةِ مَا شَكَّكَتْ فِي الْحَقِّ مَذْ رَأْيَتَهُ، وَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخُطْبَةِ الْعَاشِرَةِ: وَ إِنَّ مَعِيَ لِبَصِيرَتِي مَا لُبِّسْتُ عَلَى نَفْسِي

و لا لبس على.

فالمقصود بذلك الاشارة إلى شدّه اتفاقهم على الخلاف، فإنّ المشير النّاصح إذا كثر مخالفوه إنّما يشكّ في أنّ نصحه هل هو صواب إذ استخراج وجوه الصّيلاح في الأمر أمر اجتهدىّ منوط على الامارات الظّنيه و مع اطباق آراء جمع كثير على خلاف ما رآه المشير و اتّفاق ظنونهم على أنّ الصّواب في خلافه يجوز له أن يتشكك فيما رآه أنّه هل هو صواب أم لا.

(و) قوله: (ضنّ الزند بقدحه) مثل يضرب لمن يبخل بفوايده من أجل عدم وجدانه القابل لها و الاهل لاستفادتها، و الزند كناية عن القلب و القدح عن الآراء الصّادره منه صدور النّار من الزّناد، و هو أيضا جار على المبالغه، و المقصود به أنّه عليه السّلام لشدّه ما لقي منهم من الالباء و الخلاف و العصيان لم يقدح له رأى صالح (فكنت و إيّاكم) أى كان حالى معكم فى نصحى و مخالفتكم على مع حلول النّدامه بكم (كما قال) وريد بن الصّمه (اخو هوازن) فى جملة أبيات له:

أمرتهم امرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النّصح الأضحى الغد

و قبله

نصحت لعارض و اصحاب عارضو رهط بنى السّوداء و القوم تمهدى

فقلت لهم ظنوا بالفى مذحجسراتهم فى الفارسى المسرد

و بعده

فلما عصونى كنت منهم و قد أريغوايتهم و أنّى غير مهتد

و ما أنا إلا من غزیه إن غوتغوت و إن ترشد غزیه ارشد

و قصه وريد فى هذه القصيده أنّ أخاه عبد الله بن صمه من بنى جشم بن معاويه بن بكر ابن هوازن غزا بنى بكر بن هوازن فغنم منهم و استاق إبلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال: لا و الله لا أبرح حتّى أنحر النقيعه و هى ما ينحر من النّهب قبل القسمه و اجيل السهام، فقال له أخوه وريد: لا- تفعل فإنّ القوم فى طلبك فأبى عليه و نحر النقيعه و بات، فلما أصبح هجم القوم عليهم و طعن عبد الله بن الصّمه فاستغاث باخيه وريد

ص: ٨٨

فنهنه عنه القوم حتى طعن هو أيضا و صرع و قتل عبد الله و حال الليل بين القوم فنجا وريد بعد طعنات و جراح حصل له فقال القصيده هذا.

و عن نصر بن مزاحم فى كتاب الصّفين أنّه بعد روايته هذه الخطبه مثل ما رواه السيّد زاد فى آخرها: ألا إنّ هذين الرّجلين الذين اختر تموهما قد نبذا حكم الكتاب، و أحييما أُمات و اتّبع كلّ منهما هواه و حكم بغير حجّه و لا بينه و لا سنه ماضيه و اختلفا فيما حكما فكليهما لم يرشد الله، فاستعدّوا للجهاد و تأهبوا للمسير و أصبحوا فى معسكر كم يوم كذا.

و ينبغى أن نذكر فى المقام كيفيه التّحكيم، و قد رواه أرباب السّير و التواريخ و نقله فى شرح المعتزلى عن نصر بن مزاحم و إبراهيم بن و يزيل و غيرهما مع إطناب مملّ و نحن نرويه على ما فى الشّرح مع تلخيص منّا فأقول:

قال الشّارح: الذى دعا إلى التحكيم طلب أهل الشّام و اعتصامهم به من سيوف أهل العراق فقد كانت أمارات القهر و الغلبه لاحت و دلائل النصر و الظفر و ضحت، فعدل أهل الشّام عن القراع إلى الخداع و كان ذلك برأى عمرو بن العاص، و هذه الحال وقعت عقيب ليله الهرير التى يضرب بها المثل.

قال نصر بن مزاحم فى كتاب الصّفين و هو ثقّه ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى و لا إدغال، و هو من رجال أصحاب الحديث: حدّثنا عمرو بن شمر قال:

حدّثنى أبو ضرار قال: حدّثنى عمّار بن ربيعه قال: غلس علىّ عليه السّلام بالنّاس صلاه الغداه يوم الثّلاثاء عاشر شهر ربيع الأوّل سنه سبع و ثلاثين، و قيل عاشر شهر صفر ثمّ زحف إلى أهل الشّام بعسكر العراق و النّاس على راياتهم، و زحف إليهم أهل الشّام و قد كانت الحرب أكلت الفريقين و لكنّها فى أهل الشّام أشدّ نكايه و أعظم وقعا فقدملوا الحرب و كرهوا القتال و تضعضعت أركانهم.

قال: فخرج رجل من أهل العراق على فرس كميت ذنوب عليه السّلاح لا يرى منه إلّا عيناه و بيده الرمح فجعل يضرب رءوس أهل العراق بالقناه، و يقول: سوّوا صفوفكم رحمكم الله حتّى إذا عدل الصّفوف و الزّايات استقبلهم بوجهه و ولى أهل

الشّام ظهره ثمّ حمد الله و أثنى عليه وقال:

الحمد لله الذى جعل فينا ابن عمّ نبيّه أقدمهم هجره و أولهم اسلاما سيف من سيوف الله صبه الله على أعدائه فانظروا إذا حمى الوطيس(١) و ثار القتام و تكسر المرءان و جالت الخيل بالابطال فلا اسمع إلا غمغمه أو همهمه فاتبعونى و كونوا فى اثرى، ثمّ حمل على أهل الشام فكسر فيهم رمحه ثمّ رجع فاذا هو الاشر.

قال: و خرج رجل من أهل الشام فنادى بين الصّيفين يا أبا الحسن يا على ابرز الى فخرج إليه على عليه السّلام حتى اختلف أعناق دابتيهما بين الصّيفين، فقال انّ لك يا على تقدما فى الاسلام و الهجره هل لك فى أمر اعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخر هذه الحروب حتى ترى رايتك؟ قال على عليه السّلام: و ما هو؟ قال: ترجع إلى عراقك فتحلى بينك و بين العراق و نرجع نحن إلى شامنا فتحلى بيننا و بين الشّام فقال على عليه السّلام قد عرفت ما عرضت إنّ هذه لنصيحه و شفقه و أهمنى هذا الامر و أسهرنى و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمّد صلى الله عليه و آله إنّ الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الارض و هم سكوت مذعنون لا يأمرؤن بمعروف و لا ينهاون عن منكر، فوجدت القتال أهون على من معالجه الأغلال فى جهنّم.

قال فرجع الرّجل و هو يسترجع و زحف النّاس بعضهم إلى بعض فارتموا بالنّبل و الحجارة حتّى فنا، ثمّ تطاعنوا بالرّماح حتّى تكسرت و اندقت، ثمّ مشى القوم بعضهم إلى بعض بالسّيف و عمد الحديد فلم يسمع السّامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشدّ هولاً فى صدور الرّجال من الصّواعق و من جبال تهامه يدك بعضه بعضاً و انكسف الشّمس بالنّقع و ثار القتام و القسطل(٢) و ضلّت الألويه و الرّيات

ص: ٩٠

١- (١) الوطيس شبه التنورا و الضراب فى الحراب و اذا حمى الوطيس اى اشتد الحرب و القتام الغبار و المرآن كعثمان الرماح و الغمغمه اصوات الابطال عند القتال و الكلام الذى لا يبين لغه

٢- (٢) النقع و القسطل الغبار

و أخذ الأشر يسير فيما بين الميمنه و الميسره فيأمر كل قبيله أو كتيبه من القراء بالاقلام على التي يليها، فاجتلدوا بالسيف و عمد الحديد من صلاه الغداه من اليوم المذكور إلى نصف الليل لم يصلّو الله صلاه، فلم يزل الاشر يفعل ذلك حتى أصبح و المعركه خلف ظهره و افترقوا على سبعين ألف قتيل في ذلك اليوم و تلك الليله.

و هي ليله الهير المشهوره، و كان الأشر في ميمنه الناس و ابن عباس في الميسره و على في القلب و الناس يقتتلون، ثم استمر القتال من نصف الليل الثاني إلى ارتفاع الضحى و الاشر يقول لأصحابه و هو يزحف بهم نحو أهل الشام: ازحفوا قيد(1) رمحي هذا و يلقي رمحه فاذا فعلوا ذلك قال ارجفوا قاب هذا القوس فاذا فعلوا ذلك سألهم مثل ذلك حتى ملّ أكثر الناس من الاقدام فلمّا رأى ذلك قال: اعيدكم بالله ان ترضعوا الغنم ساير اليوم، ثم دعا بفرسه و ركز رايته و كانت مع حيّان بن هوذه النخعي و سار بين الكتائب و هو يقول: ألا من يشري نفسه لله و يقاتل مع الأشر حتى يظهر أو يلحق بالله فلا يزال الرجل من الناس يخرج إليه فيقاتل معه قال نصر: و حدّثني عمرو قال: حدّثني أبو ضرار قال حدّثني عمار بن ربيعه قال: مرّبي الأشر فأقبلت معه حتى رجع إلى المكان الذي كان به، فقام في أصحابه فقال: شدّ و اfdاء لكم عمى و خالى شدّه ترضون بها الله و تغزون بها الدين إذا أنا حملت فاحملوا، ثم نزل و ضرب وجه دابّته و قال لصاحب رايته: تقدّم فتقدّم بها ثم شدّ على القوم و شدّ معه أصحابه ف ضرب أهل الشام حتى انتهى بهم إلى معسكرهم فقاتلوا عند العسكر قتالا شديدا و قتل صاحب رايته و أخذ على عليه السلام لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمدّه بالرجال.

و روى نصر عن رجاله قال: لمّا بلغ القوم إلى ما بلغوا إليه قام على عليه السلام خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال:

ص: ٩١

أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ بَلَغَ بِكُمْ الْأَمْرُ وَبَعْدُوكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا آخِرُ نَفْسٍ وَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَقْبَلَتْ اعْتَبِرْ آخِرَهَا بِأَوَّلِهَا، وَقَدْ صَبَرَ لَكُمْ الْقَوْمُ عَلَى غَيْرِ دِينٍ حَتَّى بَلَغْنَا مِنْهُمْ مَا بَلَغْنَا، وَأَنَا غَادَ عَلَيْهِمُ بِالْغَدَاةِ أَحَاكِمُهُمْ إِلَى اللَّهِ قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَدَعَا عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَقَالَ: يَا عَمْرُو إِنَّمَا هِيَ اللَّيْلَةُ حَتَّى يَغْدُ وَعَلَيَّ عَلَيْنَا بِالْفَضْلِ فَمَا تَرَى؟ قَالَ: إِنَّ رِجَالَكَ لَا يَقُومُونَ لِرِجَالِهِ وَلَسْتُ مِثْلَهُ هُوَ يَقَاتِلُكَ عَلَى أَمْرٍ وَأَنْتَ تَقَاتِلُهُ عَلَى غَيْرِهِ، أَنْتَ تَرِيدُ الْبَقَاءَ وَهُوَ يَرِيدُ الْفَنَاءَ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ يَخَافُونَ مِنْكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِمْ، وَأَهْلُ الشَّامِ لَا يَخَافُونَ عَلَيْنَا إِنْ ظَفَرَ بِهِمْ وَلَكِنْ أَلْقِ إِلَى الْقَوْمِ أَمْرًا إِنْ قَبِلُوهُ اخْتَلَفُوا وَإِنْ رَدُّوهُ اخْتَلَفُوا ادْعُهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ حَكَمًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَإِنَّكَ بَالِغٌ بِهِ حَاجَتِكَ فِي الْقَوْمِ وَإِنِّي لَمْ أَزَلْ أَدْخِرُ هَذَا الْأَمْرَ لَوْ قَدْ حَاجَتَكَ إِلَيْهِ، فَعَرَفَ مُعَاوِيَةُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ صَدَقْتَ قَالَ نَصَرَ: وَحَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ شَمْرٍ عَنْ جَابِرِ بْنِ نَمِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: وَاللَّهِ لَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَلَيْنَا يَوْمَ الْهَرِيرِ وَذَلِكَ بَعْدَ مَا طَحَنَتْ رَحَى مَدْحَجٍ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَكٍّ وَلُخْمٍ وَجَذَامٍ وَالْأَشْعَرِيِّينَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ تَشِيبُ مِنْهُ النَّوَاصِي حَتَّى اسْتَقَامَتِ الشَّمْسُ وَقَامَ قَائِمُ الظُّهْرِ وَعَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: حَتَّى مَتَى نَخْلِي بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينِ قَدْ فَنِيَا وَأَنْتُمْ وَقُوفٌ تَنْظُرُونَ أَمَا تَخَافُونَ مَقَتَ اللَّهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَبْلَةَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَنَادَى: يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا صَمَدُ يَا اللَّهُ يَا إِلَهَ مُحَمَّدٍ اللَّهُمَّ إِلَيْكَ نَقَلْتُ الْأَقْدَامَ وَأَفْضَتِ الْقُلُوبَ وَرَفَعْتُ الْأَيْدِيَّ وَمَدَدْتُ الْأَعْنَاقَ وَشَخَصْتُ الْأَبْصَارَ وَطَلَبْتُ الْحَوَائِجَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَهُ نَبِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا وَتَشَتَّتَ أَهْوَانِنَا، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ، سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، ثُمَّ نَادَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَالَ: فَلَا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا سَمِعْنَا رَئِيسَ قَوْمٍ مِثْلَ خَلْقِ اللَّهِ السَّيِّمَاتِ وَالْأَرْضِ أَصَابَ بِيَدِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِثْلَ مَا أَصَابَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّهُ قَتَلَ فِيمَا ذَكَرَهُ الْعَادُونَ زِيَادَةَ عَلَى خَمْسَمِائَةٍ مِنْ أَعْلَامِ الْعَرَبِ يَخْرُجُ بِسَيْفِهِ مُنْحِنًا فَيَقُولُ مُعْذَرُهُ إِلَى

اللّٰهُ و إِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَفْلِقَهُ (١) و لكن يحجزني عنه إني سمعت رسول الله يقول: لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا عليّ و أنا قاتل به دونه (٢).

قال فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من أيدينا فينقحم به في عرض الصف فلا والله ما ليت بأشد نكايه منه في عدوه و لنعم ما قال في كشف الغمه في وصف حاله عليه السلام في ليله هذا اليوم و هي ليله الهرير: فما لقي عليه السلام شجاعا إلا أراق دمه، و لا بطلا إلا زلزل قدمه، و لا مريدا إلا أعدمه، و لا قاسطا إلا قصر عمره و أطال ندمه، و لا جمع نفاق إلا فرقه، و لا بناء ضلال إلا هدمه، و كان كلما قتل فارسا أعلى بالتكبير فاحصيت تكبيراته ليله الهرير فكانت خمسمائه و ثلاثا و عشرين تكبيره بخمسمائه و ثلاثه و عشرين قتيلا من أصحاب السعير.

و قيل إنه فتق نيفق (٣) درعه لثقل ما كان يسهل من الدّم على ذراعه و قيل إن قتلاه عرفوا بالنهار فإن ضرباته كانت على و تيره واحده إن ضرب طولاً قد أو عرضاً قطّ، و كانت كأنها مكوّاه بالنار قال نصر: فحدّثنا عمرو بن شمر عن جابر قال: سمعت تميم بن جزيّم يقول:

لما أصبحنا من ليله الهرير نظرنا فاذا أشباه الزّيايه أمام أهل الشّام في وسط الفليق (٤) حيال موقف عليّ و معاويه، فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت في أطراف الرّماح و هي عظام مصاحف العسكر، و قد شدّوا ثلاثه رماح جميعا و ربط عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشره رهط قال نصر: و قال أبو جعفر و أبو الطّيفيل: استقبلوا عليّا عليه السّلام بمأه مصحف و وضعوا في كلّ مخبئه (٥) مأتي مصحف فكان جميعها خمسمائه مصحف، قال أبو جعفر

ص: ٩٣

١- (١) الفلق الشق

٢- (٢) اى عنده

٣- (٣) نيفق كحيدر جاى بنداوار و شلوار و مانند آن معرب نيفه و بكسر النون عند العامه منتهى الارب.

٤- (٤) الفليق الداهيه

٥- (٥) المخبيه يفتح النون كمقدمه و المخبيتان الميمنه و الميسره

ثم قال الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السّلام، وقام أبو شريح حيال الميمنه، وورقا بن المعتمر حيال الميسره ثم نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الرّوم والأتراك وأهل الفارس غدا إذا فنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

فقال عليّ عليه السّلام: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحقّ المبين فطائفه قالت القتال و طائفه قالت المحاكمه إلى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب، وقد وعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب و وضعت أو زارها.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال: لما كان اليوم الأعظم قال أصحاب معاويه: و الله لا نبرح اليوم العرصه حتّى نموت أو يفتح لنا، و قال أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام: مثل ذلك فباكروا القتال غدوه في يوم من إيام الشعرى طويل شديد الحرّ، فتراموا حتّى فنيت النّبال و تطاعنوا حتّى تقصفصت الرّماح.

ثم نزل القوم عن خيولهم و مشى بعضهم إلى بعض بالسّيوف حتّى تكسرت جفونها، و قام الفرسان في الركب، ثم اضطربوا بالسّيوف و عمد الحديد، فلم يسمع السّامعون إلّا تغمغم القوم و صليل (١) الحديد في الهام و تكادم (٢) الافواه و كسفت الشّمس و ثار القتام و صلت الالويه و الرّايات و مرّت مواقيت أربع صلاه ما يسجد فيهنّ لله إلّا تكبيرا و نادى المشيخه (٣) في تلك الغمرات: يا معشر العرب الله الله في الحربات من النساء والبنات، قال جابر فبكى أبو جعفر عليه السّلام و هو يحدّثنا بهذا الحديث.

قال نصر و أقبل الاشر على فرس كميّ محذوف و قد وضع مغفره على قربوس

ص: ٩٤

١- (١) صل المسمار يصل صليلا صوّت.

٢- (٢) الكدم العض بادنّى الغم كما يكدم الحمار

٣- (٣) المشيخه جمع الشيخ

السَّيْرَجُ وَهُوَ يَقُولُ: اصْبِرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ حَمَى الْوُطَيْسُ وَرَجَعَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْكُسُوفِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَاخَذَتِ السَّبَاعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

فَقَالَ رَجُلٌ فِي تِلْكَ الْحَالِ: أَيُّ رَجُلٍ هَذَا لَوْ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ:

وَإِيَّ نِيَّةٍ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ تُكْتِكُ أَمَّكَ وَهَبْلَتِكَ أَنَّ رَجُلًا كَمَا تَرَى قَدْ سَبَحَ فِي الدِّمِّ وَ مَا اضْجَرَّتْهُ الْحَرْبُ وَ قَدْ غَلَتْ هَامُ الْكَمَاهِ مِنَ الْحَرْبِ وَ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ هُوَ كَمَا تَرَى جَزَعٌ يَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ اللَّهُمَّ لَا تَبْقِنَا بَعْدَ هَذَا.

قَالَ نَصْرٌ: وَ رَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ صَعْصَعَةَ أَنَّ بَدْرَ مِنَ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ لَعَنَهُ اللَّهُ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ قَوْلَ نَقْلِهِ النَّاقِلُونَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَاعْتَنَمَهُ وَ بَنَى عَلَيْهِ تَدْبِيرَهُ.

وَ ذَلِكَ أَنَّ خُطْبَ أَصْحَابِهِ مِنْ كُنْدِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: قَدْ رَأَيْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَا قَدْ كَانَ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا الْمَاضِي وَ مَا قَدْ فَنَى فِيهِ مِنَ الْعَرَبِ فَوَ اللَّهُ لَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ السَّنِّ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَبْلُغَ فَمَا رَأَيْتُ مِثْلَ هَذَا الْيَوْمِ قَطُّ، إِلَّا فَلَیْبِغُ الشَّاهِدُ الْغَايِبَ إِنَّا أَنْ نَحْنُ تَوَاقَفْنَا غَدًا أَنَّهُ لَفَنَتِ الْعَرَبُ وَضَيَّعَتِ الْحَرَمَاتُ أَمَا وَ اللَّهُ مَا أَقُولُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ جَزْعًا عَنِ الْحَرْبِ وَ لَكِنِّي رَجُلٌ مَسْنٍ أَخَافُ عَلَى النِّسَاءِ وَ الذَّرَارِيِّ غَدًا إِذَا فَنِينَا وَ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا يَخْذِلُهُمْ عَنِ الْقِتَالِ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ قَالَ: أَصَابَ وَ رَبَّ الْكَعْبَةِ فَدَبَّرَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَا دَبَّرَ مِنْ رَفْعِ الْمَصَاحِفِ عَلَى الرِّمَاحِ، فَأَقْبَلُوا بِالْمَصَاحِفِ وَ رَفَعُوهَا فِي رِءُوسِ الرِّمَاحِ وَ قَدْ قَلَدُوهَا الْخِيَلُ وَ مَصْحَفُ دِمَشْقِ الْأَعْظَمِ يَحْمِلُهُ عَشْرَةُ رِجَالٍ عَلَى رِءُوسِ الرِّمَاحِ وَ هُمْ يَنَادُونَ كِتَابَ اللَّهِ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ قَالَ: فَجَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ لَمْ يَصُبْ مَنَّا عَصْبُهُ إِلَّا- وَ قَدْ أَصِيبَ مِنْهُمْ مِثْلُهَا، وَ كُلٌّ مَقْرُوحٌ وَ لَكِنَّا أَمْثَلُ بَقِيَّةٍ مِنْهُمْ وَ قَدْ جَزَعُ الْقَوْمُ وَ لَيْسَ بَعْدَ الْجَزَعِ إِلَّا مَا نَحَبُّ فَنَاجِزُهُمْ وَ قَامَ الْأَشْثَرُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا وَ اللَّهُ مَا أَجْبَنَّاكَ وَ لَا نَصْرَنَّاكَ عَلَى الْبَاطِلِ وَ لَا أَجْبَنَّا إِلَّا اللَّهَ وَ لَا طَلَبْنَا إِلَّا الْحَقَّ، وَ لَوْ دَعَانَا غَيْرُكَ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ

لاستشرى (١) فيه اللجاج و طال فيه النجوى و قد بلغ الحق مفطمه و ليس لنا معك رأى.

فقام الاشعث بن قيس مغضبا و قال: يا أمير المؤمنين انالك اليوم على ما كنّا عليه أمس و ليس آخر أمرنا كأوله و ما من القوم أحد أحنى على أهل العراق و لا- أوتر لأهل الشام منى فأجب القوم إلى كتاب الله عزّ و جل فأنك أحقّ به منهم و قد أحبّ الناس البقاء و كرهوا القتال فقال على عليه السلام هذا أمر ننظر فيه فنأدى الناس من كلّ جانب الموادعه، فقال على عليه السلام أيّها الناس إننى أحقّ من أجب إلى كتاب الله و لكن معاويه و عمرو بن العاص و ابن أبى معيط و ابن أبى سرج و ابن مسله ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن إنى أعرف بهم منكم صحبتهم صغارا و رجالا فكانوا شرّ صغار و شرّ رجال و يحكم إنها كلمه حقّ يراد بها باطل إنهم ما رفعوها إنهم يعرفونها و لا- يعملون و لكنها الخديعه و الوهن و المكيده أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعه واحده فقد بلغ الحقّ مقطعه و لم يبق إلّا ان يقطع دابر الذين ظلموا فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد شاكى سيوفهم على عواتقهم و قد اسودت جباههم من السجود يتقدّمهم مسعر بن فدكى و زيد بن حصين و عصابه من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا- بامرهم المؤمنين: يا علىّ أجب القوم إلى كتاب الله اذ دعيت إليه و إلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فو الله لنفعلنّها إن لم تجبه فقال لهم و يحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله و أوّل من أجب إليه و ليس يحلّ لى و لا يسعنى فى دينى أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله إننى إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن فانهم قد عصوا الله فيما أمرهم و نقضوا عهده و نبذوا كتابه، و لكنى قد

ص: ٩٦

١- (١) و شرى الشر بينهم كهنى استطار و البرق لمع كاشرى و زيد غضب و لجّ كاستشرى و منه الشراه للخوارج ق

اعلمتكم أنهم قد كادوكم و أنهم ليس العمل بالقرآن يريدون.

قالوا: فابعث إلى الأشر ليأتينك و قد كان الأشر صبيحه ليله الهرير قد اشرف على عسكر معاويه ليدخله.

قال نصر: فحدثني فضيل بن خديج قال سأل مصعب إبراهيم بن الأشر عن الحال كيف كانت، فقال كنت عند عليّ حين بعث إلى الأشر ليأتيه و قد كان الأشر أشرف على عسكر معاويه ليدخله فأرسل إليه عليّ عليه السلام يزيد بن هاني أن ائتني به، فأتاه فأبلغه فقال له الأشر: آتية فقل له ليس هذه الساعه التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفى إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني.

فرجع يزيد إليه عليه السلام فأخبره بما هو إلا أن انتهى حتى ارتفع الرّهج (١) و علت الأصوات من قبل الأشر و ظهرت دلائل الفتح و النصر لأهل العراق و دلائل الخذلان و الادبار لأهل الشام فقال القوم لعليّ عليه السلام و الله ما نراك أمرته إلا بالقتال قال: أرايتمنى شاورت رسولى إليه أليس إلا كلمته على رؤوسكم علانيه و أنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك و إلا و الله اعترلناك.

فقال عليه السلام ويحك يا يزيد قل له: أقبل إلى فانّ الفتنه قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشر: أرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم قال: أما و الله لقد ظننت أنّها حين رفعت سيوقع اختلافا و فرقه إنّها مشوره ابن التّابعه، ثم قال ليزيد بن هاني ويحك ألا ترى إلى الفتح ألا ترى إلى ما يلقون ألا ترى إلى الذى يصنع الله لنا أ ينبغي أن ندع هذا و ننصرف عنه.

فقال له يزيد: أتحبّ أنك ظفرت ههنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو يفرج عنه و يسلم إلى عدّوه، فقال: سبحان الله لا و الله لا- أحبّ ذلك، قال: فأنهم قد قالوا له و حلفوا عليه: لترسلنّ إلى الأشر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيا فنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك.

فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذلّ و الوهن أحين علوتم القوم و ظنوا

ص: ٩٧

أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها و قدو الله تركوا ما أمر الله فيها، و تركوا سنّه من انزلت اليه فلا تجيبوهم أمهلوني فواقا، فأتى قد احسست بالفتح، قالوا: لا نمهلك، قال: فامهلوني عدوه الفرس فأتى قد طمعت النصر، قالوا: إذن ندخل معك فى خطيئتك.

قال: فحدّثوني عنكم و قد قتل أმაثلکم و بقى أراذلکم متى كنتم محقّين أحين كنتم تقتلون أهل الشّام فأنتم الآن حين أمسكنم عن قتالهم مبطلون، أم أنتم الآن فى إمساكنكم عن القتال محقّون فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم و أنّهم خير منكم فى النّار.

قالوا: دعنا منك يا أشتر قاتلناهم فى الله و ندع قتالهم فى الله إنّنا لسنا نطيعك فاجتنبنا(١) فقال: خدعتم و الله فانخدعتم، و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتهم يا أصحاب الجباه السّود كنا نظنّ صلاتكم زهاده فى الدّنيا و شوقا إلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلّا إلى الدّنيا و من الموت ألا فقبحا يا اشباه النيب(٢) الجلاله ما أنتم برائين بعدها عزّا أبدا فابعدوا كما بعد القوم الظالمين، فسبّوه و سبّهم و ضربوا بسياطهم وجه دابته و ضرب بسوطه وجوه دوابّهم و صاح بهم على عليه السّلام فكفّوا.

و قال الاشر: يا أمير المؤمنين أحمل الصّف على الصّف نصرع القوم فتصايحوا أن أمير المؤمنين قد قبل الحكومه و رضى بحكم القرآن، فقال الأشر: إن كان أمير المؤمنين، قد قبل و رضى فقد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين، فأقبل النّاس يقولون قد قبل أمير المؤمنين قد رضى أمير المؤمنين و هو عليه السّلام ساكت لا يفيض بكلمه مطرق إلى الأرض ثمّ قام فسكت النّاس كلّهم.

فقال عليه السّلام: أيّها النّاس إنّ أمرى لم يزل معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب، و قدو الله أخذت منكم و تركت و أخذت من عدوّكم فلم تترك و إنها فيهم أنكى و أنهك إلّا أنّى كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت ناهيا فأصبحت منهيّا، و قد أحببتكم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون، ثمّ قعد،

ص: ٩٨

١- (١) اجتنبه و تجنبه و تجانبه بعد منه.

٢- (٢) النبوب و الانيب الناقه المسنه ق.

ثم تكلم رءوس القبائل فكل قال ما يراه و يهواه إما من الحرب أو من السلم.

قال نصر: ثم إن أهل الشام لما أبطأ عنهم علم حال أهل العراق هل أجابوا إلى المودعة أم لا جزعوا فقالوا: يا معاوية ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه فأعدها خدعه فانك قد غمرت بدعائك القوم و أطمعتهم فيك.

فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص فأمره أن يكلم أهل العراق و يستعلم له ما عندهم، فأقبل حتى إذا كان بين الصّفين نادى يا أهل العراق أنا عبد الله بن عمرو بن العاص إنّه قد كان بيننا و بينكم أمور للدين و الدّنيا، فان يكن للدين فقد و الله أعذرنا و أعذرتم، و إن يكن للدّنيا فقد و الله أسرفنا و أسرفتم، و قد دعوناكم إلى أمر لو دعوتمونا إليه لأجبناكم، فان يجمعنا و إيتاكم الرضا فذاك من الله فاغتنموا هذه الفرجه عسى أن يعيش فيها المحترق و ينسى فيها القتل، فانّ بقاء المهلك بعد الهالك قليل فأجابه سعد بن قيس الهمداني فقال: أمّا بعد يا أهل الشام إنّه قد كانت بيننا و بينكم امور حاسبنا فيها على الدين و سمّيتوها عذرا و إسرافا و قد دعوتمونا اليوم على ما قتلناكم عليه أمس و لم يكن ليرجع أهل العراق إلى عراقهم و أهل الشام إلى شامهم بأمر أجمل من أن يحكم بما أنزل الله سبحانه فقام النّاس الى عليّ عليه السّلام فقالوا له أجب القوم إلى المحاكمه.

قال نصر: فجاء الأشعث إلى عليّ فقال يا أمير المؤمنين ما أرى النّاس إلّا و قد رضوا و سرّهم أن يجيوا القوم إلى ما دعوهم اليه من حكم القرآن، فان شئت اتيت معاوية فسألته ما يريد و نظرت ما الذي يسأل.

قال عليه السّلام: آتية ان شئت فأتاه فسأله يا معاوية لأيّ شيء رفعت هذه المصاحف قال: لنرجع نحن و أنتم الى ما أمر الله به فيها فابعثوا رجلا منكم ترضون به و نبعث منّا رجلا و نأخذ عليهما أن يعملّا بما في كتاب الله و لا يعد و انه ثم نتبع ما اتفقا عليه.

فقال الأشعث: هذا هو الحقّ و انصرف الى عليّ فأخبره، فبعث عليّ عليه السّلام

قراء من أهل العراق وبعث معاويه قراء من أهل الشام فاجتمعوا بين الصّيفين و معهم المصحف فنظروا فيه و تدارسوا و اجتمعوا على أن يحيوا ما أحى القرآن و يميّتوا ما أمت القرآن و رجع كلّ فريق إلى أصحابه.

فقال أهل الشام: إنّنا قد رضينا و اخترنا عمرو بن العاص، و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: و قد رضينا نحن و اخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم عليّ عليه السّلام فأنّى لا أرضى بأبي موسى و لا أرى ان اوليه فقال الأشعث و زيد ابن حصين و مسعر بن فدكي في عصابه من القراء: إنّنا لا نرضى إلّا به فأنّه قد كان حذرنا ما وقعنا فيه.

فقال عليّ عليه السّلام: فأنّه ليس لي برضا و قد فارقتني و خذل النّاس عنّي و هرب منّي حتّى امنتّه بعد أشهر و لكن هذا ابن عباس اوليه ذلك، قالوا: و الله مانبا لي اكنت أنت أو ابن عباس و لا نريد إلّا رجلا و هو منك و من معاويه على حدّ سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر قال عليّ عليه السّلام: فاني أجعل الأشتر، فقال:

الاشعث: و هل سغّر الأرض علينا إلّا الأشتر و هل نحن إلّا في حكم الأشتر، قال عليّ عليه السّلام و ما حكمه؟ قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسّيف حتّى يكون ما أردت و ما أراد.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السّلام قال لما أراد النّاس علينا أن يضع الحكمين قال لهم: إنّ معاويه لم يكن ليضع لهذا الامر أحدا هو أوثق برأيه و نظره من عمرو بن العاص، و إنّه لا يصلح للقرشي إلّا مثله فعليكم بعبد الله بن عباس فارمونه به فإنّ عمرا لا يعقد عقده إلّا حلّها عبد الله و لا يحلّ عقده إلّا نقضه و لا ينقض أمرا إلّا أبرمه.

فقال الأشعث لا و الله لا يحكم فينا مضرّيان حتّى تقوم السّاعه، و لكن اجعل رجلا من أهل اليمن إذا جعلوا رجلا من مضر، فقال عليّ عليه السّلام إنّي أخاف أن يخدع يمنيكم فإنّ عمرا ليس من الله في شيء إذا كان له في أمر هوى، فقال الأشعث و الله لان يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون

بعض ما نحبّ في حكمهما و هما مضرّيان.

قال نصر: فقال علىّ عليه السّلام قد أبيتم إلّا أبا موسى، قالوا: نعم قال: فاصنعوا ما شئتم، فبعثوا إلى أبي موسى و هو بأرض من أرض الشّام يقال لها عرض قد اعتزل القتال فأتاه مولى له فقال: إنّ النّاس قد اصطالحوا فقال: الحمد لله ربّ العالمين قال:

فقد جعلوك حكما قال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون.

فجاء أبو موسى حتّى دخل عسكر علىّ عليه السّلام و جاء الأشتر عليّا عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين ألزني(١) بعمر و بن العاص فوالله الذي لا إله غيره لئن ملأت عيني منه لأقتلّه.

و جاء الأحنف بن قيس عليّا فقال يا أمير المؤمنين إنّك قد رميت بحجر الأرض و من حارب الله و رسوله انف الاسلام و إنّني قد عجمت(٢) بهذا الرّجل يعني أبا موسى و حلبت اشطره(٣) فوجدته كليل الشّفه(٤) قريب القعر و أنّه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتّى يكون في أكفّهم و يتباعد منهم حتّى يكون بمنزله النّجم منهم فان شئت أن تجعلني حكما فاجعلني به و إن شئت أن تجعلني ثانيا أو ثالثا فان عمرا لا يعقد عقدا إلّا حللتها، و لا يحلّ عقده إلّا عقدت لك أشدّ منها فعرض علىّ عليه السلام ذلك على النّاس فأبوه و قالوا: لا يكون إلّا أبا موسى.

قال نصر: فبعث أيمن بن حريم الاسدي و كان معتزلا لمعاويه بهذه الأبيات و كان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق.

ص: ١٠١

١- (١) اللز لزوم الشيء بالشيء و الزامه به ق.

٢- (٢) عجمتك الامور اى جربتكم من العجم و هو العص يقال عجمت العود اذا عصمت لتنظر أصلب هو أم رخو، نهايه.

٣- (٣) اشطر جمع الشطر و هو خلف الناقه يقال حلب فلان الدهر شطره اى اختبر صروفه من خيره و شره نشيها بحلب جميع اخلاف الناقه، منه.

٤- (٤) السكين العظيم.

لو كان للقوم رأى يعصمون به من الضلال رموكم بابن عباس

لله در أبيه أيما رجل ما مثله لفصال الخطب في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن لا يهتدى ضرب أحماس من أسداس

ان يخل عمرو به يقذفه في لجج يهوى به النجم ينشأ بين أتياس (١)

ابلق لديك عليا غير عاييه قول امرء لا يرى بالحق من ناس

ما الاشعرى بمأمون أبا حسن فاعلم هديت و ليس العجز كالزاس

فاصدم بصاحبك الادنى زعيمهم إن ابن عمك عباس هو الاسى

فلما بلغ الناس هذا الشعر طارت هواء أقوام من أولياء علي عليه السلام و شيعته إلى ابن عباس و أبت القراء إلا أبا موسى.

قال نصر: فلما رضى أهل الشام بعمرو و أهل العراق بأبى موسى أخذوا فى سطر كتاب الموادعه و كان صورته: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين و معاويه ابن أبى سفيان فقال معاويه بنس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته و قال عمرو: بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم فأما أميرنا فلا فلما اعيد عليه الكتاب أمر بمحوه.

فقال الأحنف: لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك فأنى أنتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا فلما تمحها.

فقال علي عليه السلام إن هذا اليوم كيوم الحديبيه حين كتب الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه و آله هذا ما تصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه و آله و سهيل بن عمرو، فقال سهيل لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك و لم أقاتلك إنى إذن لظالم لك إن منعتك أن تطوف بيت الله الحرام و أنت رسوله، و لكن اكتب: من محمد بن عبد الله فقال لى رسول الله يا على إنى لرسول الله و أنا محمد بن عبد الله و لن يمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد

ص: ١٠٢

ابن عبد الله فكتبها و امح ما أراد محوه أما أنّ لك مثلها(١) ستعطيها مضطهدا(٢).

قال نصر: وقد روى إنّ عمرو بن العاص أعاد بالكتاب إلى عليّ عليه السّلام فطلب منه أن يمحو اسمه من إمره المؤمنين فقصّ عليه و على من حضر قصّه صلح الحديبيه قال: إنّ ذلك الكتاب انا كتبت بيننا و بين المشركين و اليوم اكتبه الى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم شيها و مثلاً.

فقال عمرو: سبحان الله أشبهنا بالكفار و نحن مسلمون، فقال عليّ عليه السّلام:

يا بن النابغه و متى لم تكن للكافرين ولياً و للمسلمين عدوّاً، فقام عمرو و قال:

و الله لا- يجمع بيني و بينك بعد هذا اليوم مجلس، فقال: عليّ عليه السّلام أما و الله إنّني لأرجو أن يظهر الله عليك و على أصحابك، و جاءت عصابه قد وضعت سيوفها على عواتقها فقالوا يا أمير المؤمنين مرنا بم شئت فقال لهم سهل بن حنيف أيها الناس اتهموا(٣) رأيكم فلقد شهدنا صلح رسول الله يوم الحديبيه و لو نرى قتالا لقاتلنا.

قال نصر: و قد روى أبو إسحاق الشّيباني قال قرئت كتاب الصّلاح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفه صفراء عليها خاتمان خاتم من أسفلها و خاتم من أعلاها على خاتم عليّ عليه السّلام محمّد رسول الله و على خاتم معاويه محمّد رسول الله، و قيل لعليّ عليه السّلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاويه و أهل الشّام أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال عليّ عليه السّلام: ما اقرّ لمعاويه و لا لأصحابه انهم مؤمنون مسلمون و لكن يكتب معاويه ما شاء و يقرأ بما شاء لنفسه و لأصحابه و يسمّى نفسه بما شاء و أصحابه فكتبوا: هذا ما تقاضى عليه عليّ بن أبي طالب و معاويه بن أبي سفيان قاضى عليّ بن أبي طالب على اهل العراق و من كان معه من شيعة من المؤمنين و المسلمين، و قاضى معاويه بن أبي سفيان على أهل الشّام و من كان معه من شيعة من المؤمنين و المسلمين.

اتّنا ننزل عند حكم الله تعالى و كتابه و لا يجمع بيننا إلّا إياه و أنّ كتاب الله

ص: ١٠٣

١- (١) اي مثل هذه القضية.

٢- (٢) ضهده كمنعه قهره كاضطهده ق.

٣- (٣) تهم الدهن و اللحم تغير اي غيروا رأيكم منه.

سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحى ما احبى القرآن، و نميت ما أمت القرآن فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله ابتغاه،
و إن لم تجده أخذ بالسنة العادله غير المفرقه و الحكمان عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص.

و قد أخذ الحكمان من على و معاويه و من الجندين أنهما أمينان على أنفسهما و أموالهما و أهلهما، و الامه لهما أنصار و على
الذى يقضيان عليه و على المؤمنين و المسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه ممّا وافق الكتاب و السنه و أنّ
الأمن و الموادعه و وضع السّلاح متّفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم و على كلّ واحد من الحكمين عهد الله ليحكمنّ
بين الامه بالحقّ لا بالهوى.

و أجل الموادعه سنه كامله فان أحبّ الحكمان أن يعجّلا الحكم عجلاه، و أن توفي أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا
لا- يألو الحقّ و العدل، و إن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممّن يرضون أميره و يحمّدون طريقته اللهمّ إنّنا
نستنصرك على من ترك ما فى هذه الصّحيفه و أراد فيها الحادا و ظلما.

قال نصر: هذه روايه محمّد بن علىّ بن الحسين عليهما السّلام و الشّعبي، و روى جابر عن زيد بن الحسن بن الحسن زيادات على
هذه النّسخه.

أقول: و ذكر تلك الزّوايه و ساقها إلى أن قال: و شهد فيه من أصحاب علىّ عليه السّلام عشره و من أصحاب معاويه عشره و
تاريخ كتابته لليله بقيت من صفر سنه تسع و ثلاثين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن سعيد قال: حدّثنى أبو حباب عن عمّاره بن ربيعه الحرّمى قال: لما كتبت الصّحيفه دعا لها الأشتر
ليشهد الشهود عليه فقال: لا صبحتنى يمينى و لا نفعتنى بعدها الشّمال إن كتب لى فى هذه الصّحيفه اسم الصّلاح أو الموادعه، أو
لست على يّنه من أمرى و يقين من ضلال عدوى أو لستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على

الخور(١) فقال له رجل: و الله ما رأيت ظفرا و لا خورا هلم فاشهد على نفسك و اقرر بما كتب فى هذه الصّحيفه فأنه لارغبه لك عن النّاس فقال: بلى و الله إنّ لى لارغبه عنك فى الدّنيا للدّنيا و فى الآخره للآخره و لقد سفكك الله بسيفى هذا دماء رجال ما أنت عندى بخير منهم و لا أحزم دما.

قال نصر: و كان الرّجل هو الأشعث فكأنما قصع على أنفه الحمم ثمّ قال الأشر: و لكنى قد رضيت بما يرضى به أمير المؤمنين و دخلت فيما دخل فيه و خرجت مما خرج منه فأنه لا يدخل إلّا فى الهدى و الصّواب.

قال نصر: فحدّثنا عمر بن سعد عن أبى حباب الكلبي عن اسماعيل بن شفيع عن سفيان بن مسلمه قال: فلما تمّ الكتاب و شهدت فيه الشّهود و تراضى النّاس خرج الأشعث و معه ناس بنسخه الكتاب يقرؤها على النّاس و يعرضها عليهم.

فمرّ به على صفوف من أهل الشام و هم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به ثمّ مرّ به على صفوف من أهل العراق و هم على راياتهم فأسمعهم إيّاه فرضوا به حتّى مرّ برايات غنره و كان معه عليه السّلام منهم أربعة ألف فلما مرّ بهم الأشعث يقرأ عليهم قال فتیان منهم: لا حكم إلّا لله ثمّ حملا على أهل الشّام بسيوفهما حتّى قتلا على باب رواق معاويه.

ثمّ مرّ بها على مراد فقال صالح بن شقيق و كان من رؤوسهم: لا حكم إلّا لله و لو كره المشركون، ثمّ مرّ على رايات بنى راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لا- حكم إلّا لله لا نرضى و لا يحكم الرّجال فى دين الله، ثمّ مرّ على رايات تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لا حكم إلّا لله يقضى الحقّ و هو خير الفاصلين و خرج عروه التّميمي فقال أ تحكمون الرّجال فى أمر الله لا حكم إلّا لله فأين قتلانا يا أشعث؟ ثمّ شدّ بسيفه على الأشعث ليضربه فأخطأه و ضرب عجز دابته ضربه خفيفه.

فانطلق الأشعث إلى علىّ فقال يا امير المؤمنين انّى عرضت الحكومه على صفوف أهل الشّام و أهل العراق فقالوا جميعا رضينا و مررت برايات بنى راسب و نبذ

ص: ١٠٥

من النَّاسِ سِوَاهُمْ فَقَالُوا لَا- نَرْضَى لَا- حَكَمَ إِلَّا- لِلَّهِ فَمَرَّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ. فَقَالَ هَلْ هِيَ غَيْرُ رَايَةٍ أَوْ رَايَتَيْنِ وَ نَبَذَ مِنَ النَّاسِ قَالَ: لَا قَالَ: فَدَعَهُمْ.

قال نصر: فظنَّ عليٌّ عليه السَّلام أنَّهم قليلون لا يعباء بهم فما راعه إلاَّ نداء النَّاسِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ لَا حَكَمَ إِلَّا اللَّهُ، الْحَكَمَ لِلَّهِ يَا عَلِيُّ لَا لَكَ لَا نَرْضَى بِأَنْ يَحْكُمَ الرَّجَالُ فِي دِينِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمْضَى حُكْمَهُ فِي مُعَاوِيَةَ وَ أَصْحَابِهِ أَنْ يَقْتُلُوا وَ يَدْخُلُوا تَحْتَ حُكْمِنَا عَلَيْهِمْ، وَ قَدْ كُنَّا زَلَلْنَا وَ أَخْطَانَا حِينَ رَضِينَا بِالْحُكْمَيْنِ وَ قَدْ بَانَ لَنَا زَلَلُنَا وَ خَطَاؤُنَا فَرَجَعْنَا لِلَّهِ وَ تَبْنَا فَارْجِعْ أَنْتَ يَا عَلِيُّ كَمَا رَجَعْنَا وَ تَبْ إِلَى اللَّهِ كَمَا تَبْنَا وَ إِلَّا بَرَأْنَا مِنْكَ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ: وَ يَحْكُمُ أَبْعَدُ الرِّضَا وَ الْمِيثَاقِ وَ الْعَهْدِ نَرْجِعُ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ قَالَ:

«أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» وَ قَالَ: «أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا».

فَابَى عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنْ يَرْجِعَ وَ أَبَتِ الْخَوَارِجُ إِلَّا تَضْلِيلَ التَّحْكِيمِ وَ الطَّعْنَ فِيهِ، فَبَرَّءُوا مِنْ عَلِيٍّ وَ بَرَّءَ عَلِيٌّ مِنْهُمْ.

قال نصر: وَ حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ نَمِيرٍ عَنْ أَبِي الْوَارِكِ قَالَ: لَمَّا تَدَاعَى النَّاسُ إِلَى الْمَصَاحِفِ وَ كَتَبَتْ صَحِيفَةُ الصَّلْحِ وَ التَّحْكِيمِ قَالَ عَلِيُّ إِنَّمَا فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ لَمَّا بَدَأَ فِيكُمْ مِنَ الْخَوَرِ وَ الْفُشْلِ عَنِ الْحَرْبِ، فَجَاءَتْ إِلَيْهِ هَمْدَانُ كَانَتْهَا رُكْنُ حَصِينٍ فِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ وَ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ غَلَامٌ لَهُ ذَوَابُهُ، فَقَالَ سَعِيدُ: هَا أَنَا أَوْ قَوْمِي لَا نَرُدُّ أَمْرَكَ فَقُلْ مَا شِئْتَ نَعْمَلُهُ، فَقَالَ: أَمَّا لَوْ كَانَ هَذَا قَبْلَ سَطْرِ الصَّحِيفَةِ لَأَزَلْتُهُمْ عَنْ عَسْكَرِهِمْ أَوْ تَنَفَرْدُ سَالَفَتِي (١) وَ لَكِنْ انصَرَفُوا رَاشِدِينَ.

ص: ١٠٦

١- (١) قال ابن الأثير في النهاية في حديث الحديبيه لا قاتلنهم حتى تنفرد سالفتي هي صفحه العنق و مجمعها و هما سالفتان من جانبيه و كنا بانفرادها عن الموت لانها لا تنفرد عما يليها الا بالموت و قيل اراد حتى يفرق بين راسي و جسدي قاله في البحار، منه ره.

قال نصر: و روى الشَّعْبِيُّ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ يَوْمَ صَفِّينَ حِينَ أَقْرَأَ النَّاسَ بِالصِّلَاحِ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَمْ يَكُونُوا لِيَنْبِئُوا إِلَى الْحَقِّ وَلَا لِيَجِيبُوا إِلَّا- لِكَلِمَةٍ سِوَا حَتَّى يَرْمُوا بِالْمَنَاسِرِ (١) تَتَّبِعُهَا الْعَسَاكِرُ وَ حَتَّى يَرْجُمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهُمَا الْجَلَايِبُ (٢) ، وَ حَتَّى يَجَزَّ بِبِلَادِهِمُ الْحَمِيسُ (٣) يَتْلُوهُ الْحَمِيسُ، وَ حَتَّى يَدْعُقَ (٤) الْخِيُولُ فِي نَوَاحِي أَرْضِهِمْ وَ بِأَحْنَاءِ مَشَارِبِهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ، وَ حَتَّى يَشْنَ عَلَيْهِمُ الْغَارَاتُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَ حَتَّى تَتَلَقَّاهُمْ قَوْمٌ صَدَقَ صَبْرُ لَا يَزِيدُهُمْ هَلَاكُ مَنْ هَلَكَ مِنْ قَتْلَاهُمْ وَ مَوْتَاهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَدًّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَ حِرْصًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ.

و لقد كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ يَقْتُلُ آبَاءُنَا وَ إِخْوَانُنَا وَ إِخْوَانُنَا وَ أَعْمَامُنَا لَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا وَ مَضِيًّا عَلَى أَمْرٍ أَلَمٍ وَ جَدًّا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ وَ الْإِسْتِقْلَالِ بِمُبَارَزَةِ الْأَقْرَانِ.

و لقد كَانَ الرَّجُلُ مَنَا وَ الْآخَرُ مِنْ عَدُونَا يَتَصَاوِلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، وَ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقَى صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ فَمَرَّ لَنَا مِنْ عَدُونَا وَ مَرَّ لِعَدُونَا مَنَا فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقًا صَبْرًا أَنْزَلَ بَعْدُونَا الْكَبْتَ وَ أَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ وَ لِعَمْرِي لَوْ كُنَّا فِي مِثْلِ الَّذِي أَتَيْتُمْ مَا قَامَ الدِّينُ وَ لَا عَزَّ الْإِسْلَامُ.

و روى نصر: عَنْ عَمْرِو بْنِ شَمْرٍ عَنْ فَضِيلِ بْنِ جَدِيحٍ قَالَ: قِيلَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا كَتَبَتْ الصَّحِيفَةُ: إِنَّ الْأَشْتَرَ لَمْ يَرْضَ بِمَا فِي الصِّحْفَةِ وَلَا- يَرَى الْأَقْتَالَ الْقَوْمَ، فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَى إِنَّ الْأَشْتَرَ لَيَرْضَى إِذَا رَضِيَتْ وَ قَدْ رَضِيَتْ وَ رَضِيَتْمْ وَ لَا يَصْلَحُ الرُّجُوعُ بَعْدَ الرِّضَا وَ لَا التَّبْدِيلُ بَعْدَ الْإِقْرَارِ إِلَّا أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ أَوْ يَتَعَدَّى مَا فِي كِتَابِهِ، وَ أَمَّا الَّذِي ذَكَرْتُمْ مِنْ تَرْكِهِ أَمْرِي وَ مَا أَنَا عَلَيْهِ فَلَيْسَ مِنْ أَوْلَئِكَ وَ لَا أَعْرِفُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَ لَيْتَ

ص: ١٠٧

١- (١) المنسر هو قطعه من الجيش تمر قدام الجيش الكثير ق.

٢- (٢) الجلايب و الجلوبه ذكور الابل التي يحمل عليها متاع القوم الجمع و الواحد سواء ق.

٣- (٣) الحميس بالحاء المهمله و بالخاء المعجمه الجيش لا- نقسامه على خمس: القلب و الميمنه و الميسره و المقدمه و المؤخره، منه ره.

٤- (٤) الدعق الوطىء ق.

فيكم مثله اثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوى مثل رأيه إذن لخفت مؤنتكم على و رجوت أن يستقيم لى بعض اودكم.

قال نصر: ثم انّ الناس أقبلوا على قتلاهم فدفنوه، و روى الشعبي عن زياد بن النصر أنّ عليا بعث أربعمائه عليهم شريح بن هانى و معه عبد الله بن العباس يصلّى بهم و معهم أبو موسى الأشعري و بعث معاوية عمرو بن العاص فى أربعمائه، ثمّ إنهم خلوا بين الحكمين فكان رأى عبد الله بن قيس فى عبد الله بن عمر بن الخطاب، و كان يقول و الله ان استطعت لأحيين سنّه عمر.

قال نصر: و فى حديث محمد بن عبيد الله الجرجاني قال: لما أراد أبو موسى المسير قام اليه شريح بن هانى فأخذ بيده و قال: يا أبا موسى قد نصب لأمر عظيم لا يجبر صدعه و لا يستقال فتنته، و مهما نقل من شىء عليك أو لك تثبت حقّه و ترى صحته و ان كان باطلا، و أنّه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية، و لا بأس لأهل الشام إن ملكهم على عليه السلام.

و قد كان منك تشبيطه أيام الكوفة و الجمل فان تشفعها بمثلها يكن الظنّ بك يقينا والرّجاء منك ياسا فقال أبو موسى: ما ينبغي لقوم اتهموني إن يرسلوني لا دفع عنهم باطلا أو أجرى إليهم حقّا.

و روى المدائني فى كتاب صفين قال: لما اجتمع أهل العراق على طلب أبى موسى و احضروه للتّحكيم على كره من على عليه السلام أتاه عبد الله بن عباس و عنده وجوه الناس و الاشراف فقال له: يا أبا موسى إنّ الناس لم يجتمعوا عليك و يرضوا بك لفضل لا تشارك فيه و ما أكثر أشباهك من المهاجرين و الأنصار المتقدّمين قبلك، و لكن أهل العراق أبوا إلّا أن يكون الحكم يمانيا و رأوا أنّ معظم أهل الشام يمان و أيم الله انى لأظنّ ذلك شرا لك و لنا، فانه قد ضمّ اليك داهيه(١) العرب، و ليس فى معاوية خله يستحقّ بها الخلافه، فان تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه، و ان

ص: ١٠٨

١- (١) المراد بالداهيه عمرو بن العاص قال فى القاموس الدها النكر وجوده الراى و الادب و رجل داهى و ذو داهيه منه.

يطمع باطله في حَقِّكَ يدرك حاجته منك.

و اعلم يا أبا موسى أنَّ معاويه طليق الاسلام و أنَّ أباه رأس الأحزاب يدعى الخلافه من غير مشوره و لا بيعه فان زعم لك أنَّ عمر و عثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر و هو الوالى عليه بمنزله الطبيب يحميه ما يشتهى و يوجره ما يكره، ثمَّ استعمله عثمان برأى عمر و ما أكثر ما استعملا ممَّن لم يدع الخلافه.

و اعلم أنَّ لعمر و مع كلَّ شىء يسرَّك خبيثا يسوءك و مهما نسيت فلا تنس أنَّ عليا بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان، و أنَّها بيعه هدى و أنه لم يقاتل إلاَّ العاصين و الناكثين.

فقال أبو موسى: رحمك الله و الله مالى إمام غير عليّ عليه السَّلام و إننى لواقف عند ما راى و أنَّ حقَّ الله أحبَّ إلَّيَّ من رضا معاويه و أهل الشَّام و ما أنا و أنت إلاَّ بالله.

قال نصر: و كان النجاشى الشَّاعر صديقا لأبى موسى فكتب اليه يحذِّره من عمرو بن العاص:

يؤمِّل أهل الشَّام عمرا و اننى لامل عبد الله عند الحقائق

و أنَّ أبا موسى سيدرك حقنا إذا مارمى عمرا باحدى البوائق

و لله ما يرمى العراق و أهله به منه إن لم يرمه بالصَّواعق

فكتب اليه ابو موسى إننى لأرجو أن تنجلي هذا الأمر و أنا فيه على رضا الله سبحانه.

قال نصر: ثمَّ إنَّ شريح بن هانئ جهَّز أبا موسى جهازا حسنا و عظم أمره فى النَّاس ليشرف فى قومه فقال الأعور الشَّنئى فى ذلك يخاطب شريحا:

زفت ابن قيس زفاف العروس شريح الى دومه الجندل

و فى زفك الأشعرى البلاء و ما يقض من حادث ينزل

و ما الأشعرى بذى اربه و لا صاحب الخطه الفيصل

و لا آخذا حظَّ أهل العراق و لو قيلها خذه لم يفعل

يحاول عمرا و عمرو له خدابع يأتى بها من عل

فان يحكما بالهدى يتبعا و إن يحكما بالهوى الأمل

يكونا كتيسين فى فقره اكيلى نقيف من الحنظل

فقال شريح: و الله لقد تعجّلت رجال مسائتنا فى أبى موسى و طعنوا عليه بأسواء الظنّ و ظنّوا فيه ما الله عصمه منه إنشاء الله.

قال نصر: و كان آخر من ودّع أبى موسى الأحنف بن قيس أخذ بيده، ثم قال له: با أبى موسى اعرف خطب هذا الأمر و اعلم أنّه له ما بعده و أنّك إن أضعت العراق فلا عراق، اتق الله فإنّها تجمع لك دنياك و آخرتك و إذا لقيت غدا عمرا فلا تبدء بالسّلام فإنّها و إن كانت سنّه إلّا أنّه ليس من أهلها، و لا تعطه يدك فإنّها أمانه و إياك أن يقعدك على صدر الفراش فإنّها خدعه، و لا تلقه إلّا وحده، و حذر أن يكلمك فى بيت فيه مخدع تخباء لك فيه الرّجال و الشّهود.

ثمّ أراد أن يبيء(١) ما فى نفسه لعلّى عليه السّلام فقال له: فان لم يستقم لك فيه الرضا بعلّى فليتخير أهل العراق من قريش الشام من شاءوا أو فليتخير أهل الشام العراق من شاءوا، فقال أبو موسى: قد سمعت ما قلت و لم ينكر ما قاله من زوال الأمر عن علّى فرجع الأحنف إلى علّى فقال له: أخرج أبو موسى زبده سقائه فى أوّل مخضه لا أرانا إلا بعثنا رجلا لا ينكر خلعتك فقالا علّى عليه السّلام: الله غالب على أمره.

قال نصر: و شاع و فشا أمر الأحنف و أبى موسى فى النّاس فبعث الصّلتان العبدى و هو بالكوفه الى دومه الجندل بهذه الأبيات:

لعمرك لا ألقى مدا الدهر خالعا عليّا بقول الأشعرى و لا عمرو

فان يحكما بالحقّ نقبله منهما و إلّا اثرتها كراعيه البكر

و لسنا نقول الدّهر ذاك إليهما و فى ذاك لو قلناه قاصمه الظهر

و لكن نقول الأمر و النهى كلّ إليه و فى كفّيه عاقبه الأمر

و ما اليوم الأمثل أمس و إنّما لفى وشل الضحضاح(٢) أو لجّه البحر

ص: ١١٠

١- (١) هو الاختيار.

٢- (٢) الماء اليسير و الوشل الماء القليل.

فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ أَعْنَى قَوْلِ الصَّيْلَتَانِ شَحَذَهُمْ ذَلِكَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَاسْتَبْطَأَهُ الْقَوْمُ وَظَنُوا بِهِ الظَّنَّ وَكَثُرَ الرِّجَالُ بِدُومِهِ الْجَنْدَلِ لَا يَقُولَانِ شَيْئًا، وَقَدْ كَانَ الْأَخْبَارُ أَبْطَاتٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ، فَبَعَثَ إِلَى رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَنْ يَعِينُوهُ فِي حَرْبِهِ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا، وَالتَّقَى هَذَانِ الرِّجَالُ فِي دُومِهِ الْجَنْدَلِ فَاقْدِ مُوَاعِلِي فَاتَاهُ جَمْعٌ مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَالمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ لَهُ يَا مُغِيرَةُ مَا تَرَى؟ قَالَ: يَا مُعَاوِيَةَ لَوْ وَسَعَنِي أَنْ أَنْصُرَكَ لَنْصُرَكَ وَلَكِنْ عَلَى أَنْ آتِيكَ بِأَمْرِ الرَّجُلَيْنِ فَرَحَلْتُ حَتَّى أَتَى دُومَهُ الْجَنْدَلِ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى، فَقَالَ يَا أَبَا مُوسَى مَا تَقُولُ فَيَمْنُ اعْتَزَلَ هَذَا الْأَمْرُ وَكَرِهَ هَذِهِ الدِّمَاءُ؟ قَالَ، أَوْلَيْتُكَ خَيْرَ النَّاسِ خَفَّتْ ظُهُورُهُمْ مِنْ دِمَائِهِمْ وَخَصِمَتْ بِطُونُهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.

ثُمَّ أَتَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا تَقُولُ فَيَمْنُ اعْتَزَلَ هَذَا الْأَمْرُ وَكَرِهَ الدِّمَاءُ؟ قَالَ: شَرَّارُ النَّاسِ لَمْ يَعْرِفُوا حَقًّا وَلَمْ يَنْكُرُوا بَاطِلًا، فَارْجِعْ مُغِيرَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ لَهُ: قَدْ ذُقْتُ الرَّجُلَيْنِ أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ فَخَالِعُ صَاحِبِهِ وَهُوَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، وَأَمَّا عُمَرُو فَهُوَ صَاحِبُكَ الَّذِي تَعْرِفُ، وَقَدْ ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ يَرُومَهَا لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ لَا يَرَى أَنَّكَ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ.

قَالَ نَصْرُ: وَفِي حَدِيثِ عُمَرُو بْنِ شَمْرٍ قَالَ أَقْبَلَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرُو فَقَالَ: يَا عُمَرُو هَلْ لَكَ فِي أَمْرِ هُوَ لِلَّامَةِ صَلَاحٌ وَلِصْلَحَاءِ النَّاسِ رِضًا نَوَلِّيَ هَذَا الْأَمْرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ وَلَا هَذِهِ الْفِرْقَةِ قَالَ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرُو بْنِ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَرِيبًا يَسْمَعَانِ هَذَا الْكَلَامَ.

فَقَالَ عُمَرُو: فَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَبَا مُوسَى مِنْ مُعَاوِيَةَ، فَأَبَى عَلَيْهِ أَبُو مُوسَى فَقَالَ عُمَرُو:

أَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ قَتَلَ مَظْلُومًا؟ قَالَ: بَلَى أَشْهَدُ، ثُمَّ قَالَ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُعَاوِيَةَ وَهُوَ وَلِيُّ دِمِ عُثْمَانَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا» ثُمَّ إِنَّ بَيْتَ مُعَاوِيَةَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَإِنْ خَشِيتُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ وَلِيَّ مُعَاوِيَةَ

و ليست له سابقه فانّ لك أن تقول وجدته وليّ العثمان الخليفه المظلوم و الطالب بدمه الحسن السّياسه الحسن التّديبير و هو أخوأم حبيبّه أمّ المؤمنين و زوج النّبى و قد صحبه و هو أحد الصّحابه.

ثمّ عرض له بالسُّلطان فقال له: إن هو وليّ الأمر أكرمك كرامه لم يكرمك أحد قطّ مثلها.

فقال أبو موسى: اتّق الله يا عمرو أمّا ما ذكرت من شرف معاويه فانّ هذا الأمر ليس على الشّرف إنّما هو لأهل الدّين و الفضل مع أنى لو كنت أعطيته أفضل قریش شرفا أعطيته علىّ بن أبى طالب، و أمّا قولك إنّّه وليّ عثمان فانى لم أكن أوليه إياه لنسبه من عثمان، و ادع المهاجرين الأوّلين، و أمّا تعريضك لى بالامر و السّلطان فوالله لو خرج لى من سلطانه ما وليته و لا كنت أرتشى فى الله و لكنك إن شئت أحيينا سنه عمر بن الخطاب.

قال نصر: و حدّثنى عمر بن سعد عن أبى حباب أنّ أبا موسى قال غير مرّه:

و الله إن استطعت لا حينّ اسم عمر بن الخطاب، فقال عمرو بن العاص: إن كنت إنّما تباع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابنى عبد الله، و أنت تعرف فضله و صلاحه، فقال: إنّ ابنك لرجل صدق و لكنك قد غمسته فى هذه الفتنة قال نصر: و روى عن النضر بن صالح قال: كنت من شريح بن هانى فى غزوه سجستان فحدّثنى أنّ عليّا أو صاه بكلمات إلى عمرو بن العاص و قال له قل لعمرو:

إذ القيته إنّ عليّا يقول لك:

إنّ أفضل الخلق من كان العمل بالحقّ أحبّ إليه و إنّ نقصه و إنّ أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحبّ إليه و إنّ زاده، و الله يا عمرو إنك لتعلم اين موضع الحقّ فلم تتجاهل؟ أبأن اوتيت طمعا يسيرا صرت لله و لأوليائه عدوّا؟ فكأن ما قد اوتيت قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيما، و للظالمين ظهيرا، اما انى اعلم أنّ يومك الذى أنت فيه نادم هو يوم وفاتك و سوف تتمنى أنك لم تظهر لى عداوه و لم

تأخذ على حكم الله رشوه.

قال شريح: فأبلغته ذلك يوم لقيته فمغر وجهه قال: و متى كنت قابلا مشوره على أو منيا إلى رأيه أو معتمدا بأمره، فقلت و ما يمنعك يابن النابغه أن تقبل من مولاك و سيد المسلمين بعد نبيهم مشورته، لقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشير انه و يعملان برأيه؟ فقال إن مثلى لا- يكلم مثلك، فقلت: بأى أبوبك ترغب عن كلامى بأبيك الوشيظ (١) أو بامك النابغه، فقام من مكانه و قمت.

قال نصر: و روى أبو حباب الكلبي أن عمرا و أبا موسى لما التقيا بدومه الجندل أخذ عمرو يقدم أبا موسى فى الكلام و يقول: إنك صحبت رسول الله قبلى و انت أكبر منى سنّا فتكلم أنت ثم أتكلم أنا فجعل ذلك سنّه و عاده بينهما، و إنّما كان مكرّا و خديعه و اغترارا له أن يقدمه فيبدأ بخلع على عليه السلام ثم يرى رأيه.

و قال ابن و يزيل فى كتاب صفين أعطاه عمرو صدر المجلس و كان يتكلم قبله، و أعطاه التقدّم فى الصلاه و فى الطعام لا يأكل حتى يأكل و إذا خاطبه فأنما يخاطبه بأجل الأسماء و يقول له: يا صاحب رسول الله حتى اطمأنّ إليه و ظنّ أنّه لا يغشيه.

قال نصر فلما انمخضت الزبده بينهما قال له عمرو: أخبرنى ما رأيك يا أبا موسى؟ قال: أرى أن أخلع هذين الرجلين و نجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون من شاءوا، فقال عمرو: الرأى و الله ما رأيت، فأقبلا إلى الناس و هم مجتمعون فتكلم أبو موسى فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: رأى و رأى عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الامه فقال عمرو صدق.

ثم قال له: تقدّم يا أبا موسى فتكلم، فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس فقال ويحك إننى لأظنه خدعك إن كنتما قد اتفقتما على رأى فقدّمه قبلك ليتكلم ثم تكلم أنت بعده فأنه رجل غدار و لا- آمن أن يكون أعطاك الرضا فيما بينك و بينه فاذا قمت به فى الناس خالفك، و كان أبو موسى رجلا مغفلا، فقال: ايها عنك إنّنا

ص: ١١٣

١- (١) الوشيظ كامير الاتباع و الخدام و الاجلاف و لفيف من الناس ليس اصلهم واحدا و هم وشيظه فى قومهم حشوفيهم، ق.

قد اتَّفَقنا فتقدَّم أبو موسى فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها النَّاسُ إنا قد نظرنا في أمر هذه الامه فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها و لا ألم لشعثها من أن لا يبتز(١) امورها و قد اجتمع رأيي و رأي صاحبي على خلع عليّ و معاويه و ان يستقبل هذا الأمر فيكون شوري بين المسلمين يولّون امورهم من أحبّوا، و إني قد خلعت عليّاً و معاويه فاستقبلوا أموركم و ولّوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً ثم تنحّى.

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و اثبت صاحبي في الخلافه فأنه وليّ عثمان و الطالب بدمه و أحقّ النَّاسُ بمقامه.

فقال له أبو موسى: ما لك لا وفّقك الله قد غدرت و فجرت، إنّما مثلك «كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ».

فقال له عمرو: إنّما مثلك «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً»، و حمل شريح بن هاني على عمرو، فقنعه بالسّوط و حمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسّوط، و قام النَّاسُ فحجزوا بينهما، فكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي أن لا أكون ضربت عمرا بالسيف بدل السّوط لكن أتى الدهر بما أتى به و التمس أصحاب عليّ أبا موسى فركب ناقته و لحق بمكّه، و كان ابن عباس يقول:

قبح الله أبا موسى لقد حذرته و هديته إلى الرّأى فما عقل، و كان أبو موسى يقول: لقد حذرنى ابن عبّاس غدره الفاسق و لكننى اطمأنت إليه و ظننت أنّه لا يؤثر شيئاً على نصيحه الامه.

قال نصر: و رجع عمرو إلى منزله من دومه الجندل فكتب إلى معاويه بهذه الأبيات:

أتتك الخلافه من فوقه هنيئاً مريئاً تقرّ العيوننا

ص: ١١٤

تَرْفَ إِلَيْكَ زَفَافُ الْعُرُوسِ بِأَهْوَنَ مِنْ طَعْنِكَ الدَّارِعِينَا

وَمَا الْأَشْعَرَى بِصُلْدِ الزَّنَادِ وَلَا خَامِلِ الدَّارِ فِي الْأَشْعَرِينَا

وَلَكِنْ اتَّيَحَّتْ لَهُ حَيْهَ يَظُلُّ الشَّجَاعُ لَهُ مُسْتَكِينَا

فَقَالُوا وَقُلْتَ وَكُنْتَ امْرَأً أَجْهَجَهُ بِالْخَصْمِ حَتَّى يَلِينَا

فَخَذَهَا ابْنُ هِنْدٍ عَلَى بَعْدِهَا فَقَدْ وَقَعَ اللَّهُ مَا تَحْذَرُونَا

وَقَدْ صَرَّفَ اللَّهُ عَنْ شَأْنِكُمْ عَدُوًّا مَبِينَا وَحَزْبًا زَبُونَا

قال نصر: فقام سعيد بن قيس الهمداني فقال: والله لو اجتمعنا على الهدى ما زدتما بأعلى ما نحن الآن عليه، وما ضلالكما بلازم لنا وما رجعتما إلا بما بدأتما به، وإنا اليوم لعلى ما كنا عليه أمس، وقام كردوس بن هاني مغضبا فقال:

الَا لَيْتَ مَنْ يَرْضَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِعَمْرٍو وَعَبْدَ اللَّهِ فِي لَجَّةِ الْبَحْرِ

رَضِينَا بِحُكْمِ اللَّهِ لَا حُكْمَ غَيْرِهِ وَبِاللَّهِ رَبِّا وَالنَّبِيِّ وَبِالدَّكْرِ

وَبِالْأَصْلَعِ الْهَادِي عَلَى إِمَامِنَا رَضِينَا بِذَاكَ الشَّيْخِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

رَضِينَا بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا وَآثَهُ إِمَامٍ هَدَى فِي الْحُكْمِ وَالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ

فَمَا قَالَ لَا قَلْنَا بَلَى إِنَّ أَمْرَهُ لِأَفْضَلَ مَا نَعُطَاهُ فِي لَيْلِهِ الْقَدَرِ

وَمَا لَابْنَ هِنْدٍ بَيْعُهُ فِي رِقَابِنَا وَمَا بَيْنَنَا غَيْرَ الْمُتَقَفِّهِ (١) السَّمَرِ

وَضَرَبَ يَزِيلَ الْهَامِ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الرِّضَا آخِرَ الدَّهْرِ

أَتَتْ لِي أَشْيَاخُ الْأَرَاقِمِ سَبَّهَ أَبَتْ بِهَا حَتَّى اغْتَيْبَ فِي الْقَبْرِ

وَتَكَلَّمَ جَمَاعُهُ أُخْرَى بِمِثْلِ كَلَامِهِ فِي الرِّضَا بِخِلَافِهِ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْكَارَ خِلَافِهِ مُعَاوِيَةَ وَحُكْمَ الْحَكَمِينَ قَالَ نَصْر: وَكَانَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ مَا خَدَعَ بِهِ عَمْرُو أَبُو مُوسَى غَمَّهُ ذَلِكَ وَسَائِهِ وَخَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخُطْبِ الْفَادِحِ إِلَى آخِرِ مَا مَرَّ فِي الْكِتَابِ مَعَ الزِّيَادَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا (٢).

قال نصر: فكان عليّ عليه السّلام بعد الحكمه إذا صلّى الغداه و المغرب و فرغ من الصلاه قال: اللهمّ العن معاويه و عمرا و أبا موسى و حبيب بن مسلمه و عبد الرحمن بن خالد و الضّحاک بن قيس و الوليد بن عقبه.

و روى ابن و يزيل إنّ أبا موسى كتب من مكّه إلى عليّ عليه السّلام أمّا بعد فقد بلغنى أنك تلغنى فى الصّلاه و يؤمّن خلفك الجاهلون و إني أقول كما قال موسى:

«رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ»

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست بعد از حکم قرار دادن مردم أبو موسى اشعری و عمرو عاص علیهما اللعنه و العذاب را و اختیار کردن عمرو عاص ملعون اماره معاویه بدبنیاد را، و خیانت کردن ابو موسى بدنهاد در حق آن امام انس و جان و سرور عالمیان که می فرماید:

حمد بی قیاس خداوند را سزااست و اگر چه آورد روزگار غدار بکار بزرگ و ثقیل و حادثه عظیم و جلیل، و شهادت می دهم بر این که هیچ مستحق معبودیه نیست مگر معبود بحق و خداوند مطلق در حالتی که نیست با او خدائی که بوده باشد با او، و شهادت می دهم باین که محمد بن عبد الله صلوات الله و سلامه علیه بنده بر گزیده و فرستاده پسندیده اوست، پس از ستایش الهی و درود حضرت رسالت پناهی.

پس مخالفت کردن و عصیان نمودن نصیحت کننده مهربان و دانای تجربه کار باعث می شود بحسرت و از پی در پی آورد افسوس و ندامت را، و بتحقیق که بودم امر نمودم شما را در باب این حکومه حکمین به امر خود و خالص نمودم از برای شما در این باب رای صواب خود را که در گنجینه ضمیر بوراگر می بود که اطاعت می شد مر قصیر بن سعد را امری پشیمان نمی شدید و بورطه حسرت نمی افتادید، پس إبا و امتناع نمودید بر من مثل امتناع اختلاف کنندگان جفا کار و عهد شکنندگان نا فرمان بردار تا این که بشک افتاد پند دهنده به پند خود و بخل ورزید آتش زنه به

بیرون دادن آتش خود.

پس بود حال من و شما در نصیحت دادن من و مخالفت کردن شما مثل آنچه که گفت برادر هوازن در شعر خود که فرمودم شما را بامر خود و پند دادم شما را در منزل منبرج اللوی پس ندانستید ثمره نصیحت مگر در چاشتگاه روز دیگر که در دیار زخار خونخوار گرفتار شدید، یعنی همچنان که قوم ورید شاعر نصیحت او را گوش ندادند و بورطه هلاکت افتادند همچنین شما از فرمان من معصیت ورزیدند که مستعقب حسرت و ندامت گردیده دچار بلا و محنت شدید.

و من خطبه له علیه السلام فی تخويف اهل النهروان

اشاره

و هی السادسه و الثلاثون من المختار فی باب الخطب

فأنا لكم نذير أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، و بأهضام هذا الغايط، على غير بينه من ربكم، و لا سلطان مبين معكم، قد طوّحت بكم الدار، و احتبلكم المقدار، و قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومه فأبيتم على اباء المخالفين المنابذين، حتى صرّفت رأبي إلى هواكم، و أنتم معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام لم آت لا أبا لكم بجرا و لا أردت بكم ضرا.

اللغة

(النّهر) بفتح النّون و تثليث الزّاء و من العرب من يضمّ النّون أيضا

ص: ۱۱۷

ثلاث قرى أعلا و أوسط و أسفلهنّ بين واسط و بغداد، و فى المصباح بلده يقرب من بغداد أربعة فراسخ و (صرعى) جمع صريع و (ثنى) الوادى بكسر الّاء المثّله منعطفه و الجمع أثناء و فى بعض النّسخ بأكتاف هذا النّهر و هو جمع كنف كسب و أسباب بمعنى الجانب و (الأهضام) جمع هضم بفتح الهاء و قد يكسر بطن الوادى و المطمئنّ من الأرض و (الغايط) ما سفل من الأرض.

و (طاح) يطوح و يطيح هلك و سقط، و طوحه فتطوح توهيه فرمى هو بنفسه ههنا و ههنا، و طوحته الطوايح قذفته القواذف و (احتبل) الصّيد أوقعه فى الحباله و (المقدار) هو القدر و الفضاء و (الهامة) الرّأس و الجمع الهام.

و (البجر) بضمّ الباء و سكون الجيم المعجمه الدّاهيه و الشرّ، و فى بعض النّسخ هجرا و هو السّاقط من القول، و فى نسخه ثالثة نكرا و هو الأمر المنكر و فى رابعه عزّا و العر و المعزّه إلا ثم و العزّ أيضا داء يأخذ الابل فى مشافرها و يستعار للدّاهيه.

الاعراب

نسبه طوحت إلى الدّار و احتبل إلى المقدار من التوسّع، و جملة و أنتم معاشره حالّيه و العامل صرفت، و بجرا مفعول لم آت و جملة لا ابا لكم معترضه بينهما و هى تستعمل فى المدح كثيرا و فى الذّم أيضا و فى مقام التّعجب و الظاهر هنا الذّم أو التّعجب.

المعنى

اشاره

روى فى شرح المعتزلى عن محمّد بن حبيب قال: خطب علىّ عليه السّلام الخوارج يوم النّهر فقال لهم: نحن أهل بيت النّبوه و موضع الرّسالة و مختلف الملائكه و عنصر الرّحمه و معدن العلم و الحكمة، نحن افق الحجاز بنا يلحق البطىء و الينا يرجع التّائب أيّها القوم (فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى) أى مصر و عين مطرّحين على الارض (بأثناء هذا النّهر و بأهضام هذا الغايط على غير بينه) و حجّه شرعيّه (من ربكم و لا سلطان مبین) و برهان عقلی (معكم) تتمسكون به فى خروجكم (قد طوحت

بكم الدّار) و رمت بكم المرامي و هلكتم (و احتبلكم المقدار) أى أوقعكم القدر النازل بكم فى حالته كالصّيد لا يستطيع الخروج منها (وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومه) التى ندمتم عليها و ما كنت راضيا بها و راغبا إليها (فأيتهم على إباء المخالفين) الجفاه (و المنابذين) العصاه (حتى صرفت راىى إلى هواكم) و أقدمت على التحكيم برضاكم من دون أن يكون لى رضا فى ذلك و (أنتم معاشر اخفاء الهام) لعدم ثباتكم فى الرّأى و (سفهاء الأحلام) لعدم كما لكم فى العقل انكم أمس كنتم معتقدين وجوب التحكيم و اليوم تزعمونه كفرا و تجعلونه ضرارا و (لم آت لا-أبا لكم بجرا و لا-أردت بكم ضرّا) و إنّما ورد عليكم ذلك الضّرر و نزلت بكم تلك الداهيه بسوء تدبيركم و قلّه عقلكم و أنّ إرادتى من التحكيم و غرضى منه بعد اكراهكم إيّاى عليه لم يكن إلا الخير و المنفعه فانعكست القضيه و انجزت إلى المضرّه.

و ينبغي تذييل المقام بامرين

الاول

فى ذكر ما ورد من إخبار النبى صلّى الله عليه و آله لقتال الخوارج و كفرهم من طريق

الخاصه و العامه

فأقول:

فى البحار من كتاب كشف الغمه قال: ذكر الامام أبو داود سليمان بن الأشعث فى مسنده المسمّى بالسّنن يرفعه إلى أبى سعيد الخدرى و أنس بن مالك أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: سيكون فى امتى اختلاف و فرقه، قوم يحسنون القيل و يسيئون الفعل يقرءون القرآن لا-يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّميه، هم شرّ الخلق طوبى لمن قتلهم و قتلوه يدعون إلى كتاب الله و ليسوا منه فى شىء من قاتلهم كان أولى بالله منهم.

و نقل مسلم بن حجاج فى صحيحه و وافقه أبو داود و سندهما عن زيد بن وهب أنّه كان فى الجيش الذين كانوا مع على عليه السّلام قال على أيّها النّاس إنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: يخرج قوم من امتى يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء و لا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء و لا صيامكم إلى صيامهم بشىء يقرءون القرآن يحسبون أنّه لهم و هو عليهم لا يجاوز قراءتهم تراقيهم يمرقون من الدّين كما يمرق

ص: ١١٩

السهم من الرّميه (١) لو يعلم الجيش الذين يصيرونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم لنكلوا عن العمل، و آيه ذلك أنّ فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على عضده مثل حلمه الشدى عليه شعرات البيض فتذهبون إلى معاويه و أهل الشام و تتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذرايكم و أموالكم و الله إننى لأرجو أن يكون هؤلاء القوم فأنهم قد سفكوا الدّم الحرام و أغاروا على سرح الناس فتسيروا.

و من كتاب الأمالى للشيخ باسناده عن عبد الله بن أبى أوفى قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: الخوارج كلاب أهل النار.

و من كتاب المناقب لابن شهر آشوب من تفسير القشيري و ابانه العكبرى عن سفيان عن الأعمش عن سلمه عن كهيل عن أبى الطفيل أنه سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى:

«قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» فقال عليه السلام إنهم أهل حرورا ثم قال:

«الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» فى قتال على بن أبى طالب «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ» بما كفروا بولايه على «و اتخذوا آيات - القرآن - و رسلى» يعنى محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم «هزوا» استهزءوا بقوله: ألا- من كنت مولاه فعلى مولاه، و انزل فى أصحابه:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» الآية.

فقال ابن عباس: نزلت فى أصحاب جمل.

ص: ١٢٠

١- (١) فى حديث خوارج يمرفون من الذين مروق السهم من الرّميه. اى يجوزونه و يخرقونه و يتعدونه كما يمزق السهم الشىء المرمى به و يخرج منه. و الرّميه الصيد الذى ترميه فتقصده و ينفذ فيها سهمك و قيل هى كل دابه مرمى «نهايه»

و من تفسير الفلكي عن أبي امامه قال التبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى:

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» الآية هم الخوارج.

و في شرح المعتزلى قد تظاهرت الاخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله قاتلى الخوارج من الثواب على لسان نبيه.

و فى الصّحاح المتفق عليها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بينا هو يقسم قسما جاءه رجل يدعى ذا الحويضه فقال: أعدل يا محمّد فقال: قد عدلت فقال له ثانيه: أعدل يا محمّد فأنك لم تعدل فقال: ويلك و من يعدل إذا لم أكن أعدل.

فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله ائذن لى أضرب عنقه فقال: دعه فإنه يخرج من ضئضى(١) هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السيهم من الرميّه ينظر أحدكم إلى نضيه فلا يجد شيئا فينظر إلى نضيه(٢) ثم ينظر إلى القذذ فكذلك سبق الفرث و الدّم يخرجون على خير فرقه من الناس يحتقر صلاتكم فى جنب صلاتهم و صومكم عند صومهم يقرءون القرآن لا- يجاوز تراقيهم آيتهم رجل أسود أو قال صلى الله عليه وآله او عجب مخدج إليه احدى يديه كأنها ثدى امرأه أو بضعه تدردر(٣).

و فى بعض الصّحاح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى بكر و قد غاب الرّجل عن عينه: قم فاقتله، فقام ثم عاد و قال: وجدته يصلى فقال لعمر: مثل ذلك فعاد و قال وجدته يصلى فقال لعلى عليه السلام: مثل ذلك فعاد و قال: لم أجده فقال رسول الله: لو قتل هذا

ص: ١٢١

١- (١) الضئضى الاصل يقال ضئضى صدق وضوء ضوء صدق و حكى بعضهم ضئضى بوزن قنديل يريد انه يخرج من نسله و من عقبه نهايه.

٢- (٢) النضى هو السهم قبل ان ينحت اذا كان قدحا و قيل النضى هو النصل و الاولى الاول لدلاله الروايه على التغير و قيل هو من السهم ما بين الريش و النصل و قيل سمي نضيا لكثرة البرى و النحت فكانه جعل نضوا قاله فى النهايه و فيه ايضا القذذ ريش السهم واحدها قذه منه.

٣- (٣) تدردر أى ترجرج تجىء و تذهب و الاصل تدردر فحذف احدى التائين تخفيفا نهايه.

لكان أوّل فتنه و آخرها أما أنّه سيخرج من ضئضى هذا الحديث.

و فى مسند أحمد بن حنبل عن مسروق قال: قالت عايشه إنّك من ولدى و من أحبهم إلّى فهل عندك علم من المخدج؟ فقلت قتله علىّ بن أبى طالب على نهر يقال لأعلاه تأمر و لأسفله نهروان بين لخاقين و طرفاء، قالت ابغنى على ذلك بينه فأقمت رجالا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها سألتك بصاحب القبر ما الذى سمعت من رسول الله صلى الله عليه و آله فيهم؟ قالت نعم: سمعته يقول إنّهم شرّ الخلق و الخليقه يقتلهم خير الخلق و الخليقه أقربهم عند الله و سيله.

الثانى

فى كيفيه قتال الخوارج و بعض احتجاجاته صلوات الله عليه و آله معهم

فأقول:

قال فى شرح المعتزلى روى ابن و يزيل فى كتاب صفّين عن عبد الرحمن بن زياد، عن خالد بن حميد، عن عمر مولى غفره، قال: لما رجع علىّ من صفين إلى الكوفه أقام الخوارج حتّى جموا ثمّ خرجوا إلى صحراء بالكوفه يسمّى حروراء، فتنادوا لا حكم إلّا لله و لو كره المشركون إلّا إنّ عليا و معاويه أشركا فى حكم الله.

فأرسل علىّ عليه السّلام إليهم عبد الله بن العباس فنظر فى أمرهم و كلمهم ثمّ رجع إلى علىّ عليه السّلام فقال له ما رأيت؟ فقال ابن عباس: و الله ما أدرى ما هم فقال: أرايتهم منافقين فقال: و الله ما سيماهم سيما منافقين أنّ بين أعينهم لأثر السّجود يتأولون القرآن فقال دعوهم ما لم يسفكوا دما أو يغصبوا مالا.

و أرسل اليهم ما هذا الذى أحدثتم و ما تريدون؟ قالوا نريد أن نخرج نحن و أنت و من كان معنا بصفين ثلاث ليال و نتوب إلى الله من أمر الحكمين ثمّ نسير إلى معاويه فنقاتله حتّى يحكم الله بيننا و بينه، فقال علىّ عليه السّلام فهلاّ قلتم حين بعثنا الحكمين و أخذنا منهم العهد و أعطينا هموه الا- قلتم هذا حينئذ قالوا: كنا قد طالت الحرب علينا و اشتدّ الباس و كثر الجراح و كلّ الكراع(١)

ص: ١٢٢

فقال لهم أ فحين اشتدّ البأس عليكم عاهدتم فلما وجدتم الجمام(١) قلتّم نطقض العهد إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يفى للمشركين أ فتأمروني بنقضه، فمكثوا مكانهم لا يزال الواحد منهم يرجع إلى عليّ و لا يزال الآخر منهم يخرج من عند عليّ عليه السّلام.

فدخل الواحد منهم على عليّ عليه السّلام بالمسجد و الناس حوله فصاح لا حكم إلّا لله و لو كره المشركون فتلفت(٢) الناس فقال: لا- حكم إلّا لله و لو كره المتلفتون فرفع عليّ عليه السّلام رأسه إليه فقال: لا- حكم إلّا لله و لو كره أبو حسن فقال عليه السّلام إنّ أبا حسن لا يكره أن يكون الحكم لله، ثمّ قال حكم الله انتظر فيكم، فقال النّاس هلاّملت يا أمير المؤمنين على هؤلاء النّاس فأفنيّتهم؟ فقال: إنهم لا يفنون إنهم لفي أصلاب الرّجال و أرحام النّساء إلى يوم القيامة.

و روى أنس بن عياض المدني، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليهم السّلام أنّ عليّا كان يوما يؤمّ النّاس و هو يجهر بالقراءة فجهر ابن الكوا من خلفه:

«وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » فلما جهر ابن الكوا من خلفه بها سكّت عليّ عليه السّلام فلما أنهاها ابن الكوا أعاد عليّ عليه السّلام فأتمّ قراءته، فلما شرع عليّ عليه السّلام في القراءة أعاد ابن الكوا الجهر بتلك الآية فسكّت عليّ عليه السّلام فلم يزالا كذلك يسكّت هذا و يقرأ هذا مرارا حتّى قرء عليّ عليه السّلام:

«فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ »

١- (١) جم الفرس جما و جما ما ترك فلم يركب فعفى عن تعبته.

٢- (٢) لفته يلفته لواه و صرفه عن رايه و منه الالتفات و التلفت ق.

فسكت ابن الكوا و عاد عليّ عليه السّلام إلى قراءته.

و ذكر الطبري صاحب التّاريخ أنّ عليّاً عليه السّلام لما دخل الكوفة دخل معه كثير من الخوارج و تخلف منهم بالنخيله و غيرها خلق كثير لم يدخلوها، فدخل حرقوص بن زهير السعدي و زرعه البرج الطائي و هما من رءوس الخوارج على عليّ عليه السّلام فقال له حرقوص: تب من خطيئتك و اخرج بنا إلى معاوية نجاهده، فقال عليه السّلام إنّي كنت نهيت عن الحكمه فأبيتم ثمّ الآن تجعلونها ذنبا أما أنّها ليست بمعصيه و لكنّها عجز من الرّأى و ضعف في التّدير و قد نهيتكم عنه.

فقال زرعه: أما و الله لئن لم تتب من تحكيملك الرّجال لأقتلنك اطلب بذلك وجه الله و رضوانه، فقال له عليّ عليه السّلام: بوسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا يسفى عليك الرّياح، قال زرعه: وددت أنّه كان ذلك قال: و خرج عليّ عليه السّلام يخطب فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلّا لله و صاح به رجل:

«وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » فقال عليّ عليه السّلام: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ.»

قال أبو العباس المبرّد: و يقال أوّل من حكم عروه بن أوّيه، و أوّيه جدّه له جاهليه و هو عروه جدّير أحد بنى ربيعه، و قال قوم أوّل من حكم رجل من بنى محارب يقال له سعيد و لم يختلفوا في اجتماعهم على عبد الله بن وهب الرّاسبي و أنّه امتنع عليهم و اوما إلى غيره فلم يقنعوا إلّا به، فكان امام القوم و كان يوصف برأى.

فأمّا أوّل سيف سلّ من الخوارج فسيف عروه بن أوّيه، و ذاك أنّه أقبل على الأشعث فقال: ما هذه الدنيه يا أشعث و ما هذا التّحكيم أشطّ أوثق من شرط الله عزّ و جل، ثمّ شهر عليه السّيف و الأشعث مولّ فضرّب به عجز بعلته.

قال أبو العباس: وعروه هذا من الثفر الذين نجوا من حرب التَّهروان فلم يزل باقيا مدَّة من أيَّام معاويه ثمَّ أتى به زياد و معه مولى له فسأله عن أبي بكر و عمر فقال خيرا، فقال له: فما تقول في أمير المؤمنين عثمان و في أبي تراب «قال ظ» فتولى عثمان ستَّ سنين من خلافته ثمَّ شهد عليه بالكفر و فعل في أمر عليّ عليه السَّلام مثل ذلك إلى أن حكم ثمَّ شهد عليه بالكفر ثمَّ سأله عن معاويه فسبه سبًّا قبيحا ثمَّ سأله عن نفسه فقال أولئك لزينه و آخرك لدعوه و أنت بعد عاص لرَبِّك فأمر به فضربت عنقه.

ثمَّ دعا مولاة فقال: صف لي اموره قال: اطنب أم اختصر، قال: بل اختصر، قال: ما أتيت به بطعام بنهار قط و لا فرشت له فراشا بليل قط.

قال المبرِّد: و سبب تسميتهم الحرورى أنَّ عليًّا لما ناظرهم بعد مناظره ابن عباس إياهم كان فيما قال لهم: ألا تعلمون أنَّ هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إنَّ هذه مكيدة و وهن و لو أنَّهم قصدوا إلى حكم المصاحف لآتونى و سألونى التَّحكيم أ فتعلمون أنَّ أحدا أكره على التَّحكيم منى قالوا صدقت.

قال فهل تعلمون أنَّكم استكر هتمونى على ذلك حتَّى أجبتكم فاشترطت أنَّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله فمتى خالفاه فأنا و أنتم من ذلك براء. و أنتم تعلمون أنَّ حكم الله لا يعدونى، قالوا: اللهمَّ نعم، قال: و كان معهم فى ذلك الوقت ابن الكوا و هذا من قبل أن يذبحوا عبد الله بن خباب و إنَّما ذبحوه فى الفرقة الثانية بكسكر فقالوا له: حكمت فى دين الله برأينا و نحن مقرونَّ بأنَّا كنَّا كفرنا و لكن الآن تائبون فاقتر بمثل ما اقررنا به و تب ننهض معك إلى الشام.

فقال: أما تعلمون أنَّ الله قد أمر بالتَّحكيم فى شقاق بين الرِّجل و امرأته فقال سبحانه:

«فَابْتَغُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا» و فى صيد اصيب كارب يساوى نصف درهم فقال:

«يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» فقالوا له: فإنَّ عمرا لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله عليَّ أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافه و كتبت عليَّ بن أبي طالب فقد خلعت نفسك فقال عليه السَّلام: لى اسوه برسول الله حين أبى عليه سهل بن عمرو أن يكتب هذا ما كتبه محمَّد رسول الله و سهل بن عمرو، و قال لو أقررت بأنك رسول الله ما خالفتك و لكنى أقدمك لفضلك فاكتب محمَّد بن عبد الله فقال لى: يا على امح رسول الله فقلت يا رسول الله لا تشجعنى نفسى على محو اسمك من النبوه قال: فقفنى عليه فمحا بيده، ثم قال اكتب محمَّد بن عبد الله، ثم تبسم إليَّ و قال: إنك ستسام (أى تعامل) مثلها فتعطى.

فرجع معه عليه السَّلام منهم الفان من الحر وراء، و قد كانوا تجمعوا بها فقال لهم على ما نسَميكم؟ ثم قال: أنتم الحروريه لاجتماعكم بحروراء.

قال المبرِّد: إنَّ عليًا فى أوَّل خروج القوم عليه دعا صعصعه بن صوحان العبدى و قد كان وجَّهه إليهم و زياد بن نضر الحارثى مع عبد الله بن العباس فقال لصعصعه: بأى القوم رأيتم أشدَّ إطاعه، فقال: بيزيد بن قيس الأرحبى، فركب إلى حروراء فجعل يتخلَّلهم حتَّى صار إلى مضرب يزيد بن قيس فصلَّى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على قوسه و اقبل على النَّاس.

فقال هذا مقام من فلج فيه فلج إلى يوم القيامه ثم كلَّمهم و ناشدهم، فقالوا إنَّا أذنبنا ذنبا عظيما بالتحكيم و قد تبنافتب إلى الله كما تننا نعدلك، فقال عليَّ عليه السَّلام:

أنا استغفر الله من كلِّ ذنب فرجعوا معه و هم سته ألف فلما استقرَّوا بالكوفه أشاعوا أنَّ عليًا رجع عن التحكيم و رآه ضلالا، و قالوا: إنَّما ينتظر أن يسمن الكراع و يجىء المال ثم ينهض بنا إلى السَّام.

فأتى الأشعث عليًا فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ النَّاس قد تحدَّثوا أنك رأيت الحكومه ضلالا، و الاقامه عليها كفرا فقام عليَّ عليه السَّلام فخطب فقال: من زعم أنى

رجعت عن الحكومه فقد كذب و من رآها ضلالا فقد ضلّ فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكمت.

قال الشارح المعتزلى: قلت كلّ فساد كان فى خلافه علىّ عليه السّلام و كلّ اضطراب حدث فأصله الأشعث و لو لا محاqqته أمير المؤمنين فى معنى الحكومه فى هذه المرّه لم يكن حرب النهروان، و لكان أمير المؤمنين ينهض بهم إلى معاويه و يملك الشّام فإنّه عليه السّلام حاول أنّ يسلك معهم مسلك التعريض و المواريه و فى المثل النبوىّ صلوات الله على قائله: الحرب خدعه.

و ذلك أنّهم قالوا له: تب إلى الله مما فعلت كما تبنا ننهض معك إلى حرب الشّام، فقال لهم كلمه مجمله مرسله يقولها الأنبياء و المرسلون و المعصومون، و هى قوله:

استغفر الله من كل ذنب فرضوا بها و عدوها اجابه لهم إلى سؤالهم، و صفت لهم نياتهم، و استخلصت بها ضمايرهم من غير أن يتضمّن تلك الكلمه اعترافا بكفر أو ذنب.

فلم يتركه الأشعث و جاء إليه مستفسرا و كاشفا عن الحال و هاتكا ستر التوريه و الكنايه و مخرجا لها من مشكله الاجمال إلى تفسيرها بما يفسد التدبير و يوعر الصدور، و يعيد الفتنة، فخطب بما صدع به عن صورته ما عنده مجاهره فانتقض ما دبّره و عادت الخوارج إلى شبهها الاولى و راجعوا التحكيم و هكذا الاول التى يظهر فيها أمارات الزوال و الانقضاء يتاح لها مثال الأشعث اولى الفساد فى الأرض.

«سَيَنَّهُ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسِنَّهُ اللَّهَ تَبْدِيلًا» ثم قال: قال المبرّد: ثم مضى القوم إلى النهروان و قد كانوا أرادوا المضىّ إلى المداين فمن طريق أخبارهم أنّهم أصابوا فى طريقهم مسلما و نصرانيا فقتلوا المسلم لأنّه عندهم كافر إذا كان على خلاف معتقدهم، و استوصوا بالنّصراني و قالوا احفظوا ذمه نبيّكم.

قال: و لقاءهم عبد الله بن خباب فى عنقه مصحف على حمار و معه امرأه و هى حامل فقالوا له: إنّ هذا الذى فى عنقك ليأمرنا بقتلك فقال لهم: ما أحياء القرآن فأحيوه

و ما اماته فأميته، فوثب رجل منهم على رطبه سقطت من نخله فوضعها في فيه فصاحوا به، فلفظها تورعا و عرض لرجل منهم خنزير فضربه و قتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض و أنكروا قتل الخنزير.

ثم قالوا لابن خباب: حدثنا عن أبيك، فقال سمعت أبي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ستكون بعدى فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسى مؤمنا و يصبح كافرا فكن عند الله المقتول و لا تكن القاتل، قالوا: فما تقول في أبي بكر و عمر؟ فأثنى خيرا، قالوا. فما تقول في عليّ قبل التحكيم و في عثمان في السنين الست الأخيرة؟ فأثنى خيرا قالوا: فما تقول في عليّ بعد التحكيم و الحكومه؟ قال: إنّ عليّا أعلم بالله و أشدّ توقيا على دينه و أنفذ بصيره، فقالوا: إنك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائهم ثمّ قزبوه إلى شاطئ النهر فأضجعوه فذبحوه.

قال المبرد: و ساوموا رجلا نصرانيا بنخله له فقال هي لكم، فقالوا: ما كنا لناخذها إلّا بثمان، فقال: و اعجابه أ تقتلون مثل عبد الله بن خباب و لا تقبلون خبا نخله إلّا بثمان.

قال أبو عبيده: و استنطقهم عليّ عليه السلام بقتل ابن خباب فأقرّوا به، فقال، انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبه كتيبه، فتكتبوا كتائب و أقرت كلّ كتيبه بما أقرت به الأخرى من قتل ابن خباب، و قالوا: لنقتلك كما قتلناه، فقال: و الله لو أقر أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا و أنا أقدر على قتلهم به لقتلهم، ثمّ التفت إلى أصحابه فقال: شدّوا عليهم فأنا أول من يشدّ عليهم فحمل بذي الفقار حملة منكره ثلاث مرّات كلّ حملة يضرب به حتّى يعوج متنه، ثمّ يخرج فيسويه بركتيه ثمّ يحمل به حتّى أفناه.

و روى قيس بن سعد بن عباد أن عليّا عليه السلام لما انتهى إليهم قال لهم: اعيدونا بدم عبد الله بن خباب، فقالوا: كلّنا قتله فقال عليه السلام: احملوا عليهم.

و روى مسلم الضبّي أيضا عن حبه العرنى: قال لما انتهينا إليهم رمونا،

فقلنا لعلّي: يا أمير المؤمنين قد رمونا، فقال: كفوا ثم رمونا فقال: كفوا، ثم الثالثه فقال: الآن طاب القتال احمّلوا عليهم.

و روى المحدث العلامة المجلسي في البحار من كتاب الخرائج قال: روى عن جندب بن زهير الأزدي، قال: لما فارقت الخوارج عليّ خرج عليه السيّد لام إليهم و خرجنا معه فانتبهينا إلى عسكرهم فاذا لهم دوى كدوى التحل في قراءه القرآن و فيهم أصحاب البرانس و ذوو الثّفنات (١).

فلما رأيت ذلك دخلني شكّ و نزلت عن فرسي و ركزت رمحي و وضعت ترسي و نثرت عليه درعي و قمت أصليّ و أنا أقول في دعائي: اللهم إن كان قتال هؤلاء القوم رضا لك فأرني من ذلك ما أعرف به أنّه الحقّ، و إن كان لك سخطا فاصرف عني إذ أقبل عليّ فنزل عن بغله رسول الله و قام يصليّ إذ جاءه رجل فقال: قطعوا النّهر، ثم جاء آخر يشدّ دابته فقال: قطعوه و ذهبوا، فقال أمير المؤمنين ما قطعوه و لا يقطعونه و ليقتلنّ دون النّطفه عهد من الله و رسوله.

و قال لي يا جندب ترى الشّك؟ قلت: نعم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: حدّثني أنّهم يقتلون عنده، ثم قال انا نبعث إليهم رسولا يدعوهم إلى كتاب الله و سنّه نبيّه فيرشقون وجهه بالنّبل و هو مقتول، قال: فانتبهينا إلى القوم فاذا هم في معسكرهم لم يبرحوا و لم يترحلوا، فنادى النّاس و ضمّهم.

ثم أتى الصّف و هو يقول من يأخذ هذا المصحف و يمشي به إلى هؤلاء القوم فيدعوهم إلى كتاب الله و سنّه نبيّه و هو مقتول و له الجنّه فما أجابه احد إلا شابّ من بني عامر بن صعصعه، فلما رأى عليه السيّد لام حدّاته سنّه قال له: ارجع إلى موقفك، ثم أعاد فما أجابه إلا ذلك الشابّ.

قال خذه أما أنّك مقتول فمشى به حتّى إذا دنى من القوم حيث يسمعون ناداهم إذ رموا وجهه بالنّبل، فأقبل علينا و وجهه كالقنفذ، فقال عليّ عليه السلام دونكم القوم فحملنا عليهم، قال جندب ذهب الشّك عني و قتلت بكفّي ثمانيه.

ص: ١٢٩

و من كتاب المناقب لابن شهر آشوب لما دخل على عليه السلام الكوفة جاء إليه زرعه بن البرج الطائي، و حرقوص بن زهير التميمي ذو الثدي، فقال لا حكم إلا لله فقال على عليه السلام كلمه حق يراد بها باطل، قال حرقوص: فتب من خطيئتك و ارجع عن قصتك و اخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا، فقال على عليه السلام قد أردتكم على ذلك فعصيتُموني، و قد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا و شروطا و أعطينا عليها عهودا و موثيق، و قد قال الله تعالى:

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» فقال حرقوص: ذلك ذنب ينبغي أن نتوب عنه فقال على عليه السلام ما هو بذنب و لكنه عجز من الرأي و ضعف في الفعل، و قد تقدمت فنهيتكم عنه، فقال ابن الكواء:

الآن صحّ عندنا أنك لست بامام، و لو كنت إماما لما رجعت، فقال على عليه السلام:

ويلكم قد رجع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عام الحديبيه عن قتال أهل مكّه.

ففارقوا أمير المؤمنين و قالوا: لا- حكم إلا- لله و لا- طاعه المخلوق في معصيه الخالق، و كانوا اثنا عشر ألفا من أهل الكوفة و البصره و غيرهما، و نادى منادهم أنّ أمير القتال شيث بن ربيع و أمير الصّلاه عبد الله بن الكوّاء، و الأمر شورى بعد الفتح، و البيعه لله على الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر، و استعرضوا النّاس و قتلوا عبد الله بن خباب و كان عامله عليه السلام على النهروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يابن عبّاس امض إلى هؤلاء القوم فانظر ما هم عليه و لما ذا اجتمعوا، فلما وصل إليهم قالوا: ويلك يا بن عباس أكفرت برّبك كما كفر صاحبك على بن أبي طالب. و خرج خطيبهم عتاب بن الأعور الثعلبي.

فقال ابن عبّاس: من بنا الاسلام؟ فقال: الله و رسوله، فقال النّبيّ أحكم اموره و بين حدوده أم لا؟ قال بلى، قال: فالتّبيّ بقي في دار الاسلام أم ارتحل؟ قال: بل ارتحل، قال: فامور الشرع ارتحلت معه أم بقي بعده؟ قال: بل بقيت، قال: فهل قام أحد بعده بعماره ما بناه؟ قال: نعم الذّريه و الصّحابه، قال: أفعمروها او خربوها؟

قال: بل عمروها؟ قال: فالآن هي معموره أم خراب؟ قال: بل خراب، قال: خربها ذريته أم أمته؟ قال: بل أمته، قال: أنت من الذرية أو من الامه؟ قال: من الأمه، قال: أنت من الأمه و خربت دار الاسلام فكيف ترجو الجنه، و جرى بينهم كلام كثير.

فحضر أمير المؤمنين في مأئه رجل، فلما قابلهم خرج إليه ابن الكوا في مأئه رجل، فقال: انشدكم الله هل تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم إني أعلم بالقوم منكم و ذكر مقاله إلى أن قال فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحيا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكمه، و إن أبيا فنحن منه براء.

فقالوا له: اخبرنا أ ترى عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنا لسنا الرجال حكمنا و إنما حكمنا القرآن، و القرآن إنما هو خط مستور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال.

قالوا: فأخبرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك و بينهم؟ قال ليعلم الجاهل و يثبت العالم، و لعل الله يصلح في هذه المده هذه الامه، و جرت بينهم مخاطبات فجعل بعضهم يرجع، فأعطى أمير المؤمنين عليه السلام رايه أمان مع أبي أيوب الأنصاري فناداهم أبو أيوب: من جار إلى هذه الزايه أو خرج من بين الجماعه فهو آمن، فرجع منهم ثمانيه آلاف، فأمرهم أمير المؤمنين أن يتميزوا منهم، و أقام الباقون على الخلاف و قصدوا إلى نهروان، فخطب أمير المؤمنين و استفزهم (١) فلم يجيبوه فتمثل بقوله:

امرتكم امرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا التصح إلا ضحى الغد

ثم استنفرهم فنفر ألفا رجل يقدمهم عدى بن حاتم و هو يقول:

إلى شر خلق من شراه تخربوا و عادوا إله الناس رب المشارق

فوجه أمير المؤمنين نحوهم و كتب إليهم على يدى عبد الله بن أبي عقب و فيها:

ص: ١٣١

و السَّعِيد من سَعَدَتْ به رَغْبَتَه، و الشَّقِي من شَقِيَتْ به رَغْبَتَه، و خَيْر النَّاس خَيْرُهُمْ لِنَفْسِهِ، و شَرَّ النَّاس شَرُّهُمْ لِنَفْسِهِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ و بَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَه «و «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» فَلَمَّا أَتَاهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام فَاسْتَعْطَفَهُمْ فَأَبَوْا إِلَّا قِتَالَهُ وَ تَنَادَوْا أَنْ دَعُوا مُخَاطَبَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَام وَ أَصْحَابَهُ، وَ بَادَرُوا الْجَنَّةَ وَ صَاحُوا: الزَّوَّاجُ الزَّوَّاجُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُؤْبَى أَصْحَابَهُ وَ نَهَايَهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ خَرَجَ أَخْنَسُ مِنَ الْعَزِيزِ الطَّائِي وَ جَعَلَ يَقُولُ:

ثَمَانُونَ مِنْ حَيٍّ جَدِيلَهُ (١) اقْتُلُوا عَلَى النَّهْرِ كَانُوا يَخْصِبُونَ الْعَوَالِيَا

يَنَادُونَ لَا لِحَكْمٍ إِلَّا لِرَبِّنَا حَنَانِيكَ فَاغْفِرْ حُوبَنَا وَ الْمَسَائِيَا

هُمْ فَارَقُوا مِنْ جَازٍ فِي اللَّهِ حَكْمَهُ فَكُلَّ عَلَى الرَّحْمَنِ أَصْبَحَ ثَاوِيَا

فَقَتَلَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَام وَ خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ الرَّاسِبِيُّ يَقُولُ:

أَنَا ابْنُ وَهَبٍ الرَّاسِبِيُّ الشَّارِي أَضْرَبُ فِي الْقَوْمِ لِأَخْذِ الثَّارِ

حَتَّى تَزُولَ دَوْلَةُ الْأَشْرَارِ وَ يَرْجِعَ الْحَقُّ إِلَى الْأَخْيَارِ

وَ خَرَجَ مَالِكُ بْنُ الْوَضَّاحِ وَ قَالَ:

أَنْتِي لِبَايَعٍ مَا يَفْنِي بِيَاقِيهِ وَ لَا أَرِيدُ لَدَى الْهَيْجَاءِ تَرْيِصًا (٢)

وَ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْوَضَّاحُ بْنُ الْوَضَّاحِ مِنْ جَانِبٍ، وَ ابْنُ عَمِّهِ حَرْقُوصٌ مِنْ جَانِبٍ فَقَتَلَ الْوَضَّاحَ وَ ضَرَبَ ضَرْبَهُ عَلَى رَأْسِ الْحَرْقُوصِ فَقَطَعَهُ وَ وَقَعَ رَأْسُ سَيْفِهِ عَلَى الْفَرَسِ فَشَرَّدَ وَ رَجُلُهُ فِي الزُّكَّابِ حَتَّى أَوْقَعَهُ فِي دَوْلَابٍ خَرَابَ فَصَارَتْ الْحُرُورِيَّةُ:

«كَرَّمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»

ص: ١٣٢

١- (١) الْقَبِيلَةُ، ق.

٢- (٢) التَّرْيِصُ الْإِنْتَظَارُ.

فكان (١) المقتولون من أصحاب عليّ ربه بن وبر البجلي، ورفاعة بن وابل الأرجي و الفياض بن خليل الأزدي، و كيسوم بن سلمه الجهني و حبيب بن عاصم الأزدي إلى تمام تسعه و انفلت من الخوارج تسعه و كان ذلك لتسع خلون من صفر سنه ثمان و ثلاثين (٢).

و من كتاب كشف الغمّه قال: قال ابن طلحه لما عاد أمير المؤمنين من صفين إلى الكوفه بعد إقامه الحكمين أقام ينتظر انقضاء المدّه التي بينه و بين معاويه ليرجع إلى المقاتله و المحاربه إذا انخرلت طائفه من خاصّه أصحابه في أربعة آلاف فارس و هم العباد و النساك، فخرجوا من الكوفه و خالفوا عليّ عليه السّلام، و قالوا: لا حكم إلّا الله و لا طاعه لمن عصى الله، و انحاز نيف عن ثمانيه آلاف ممّن يرى رأيهم فصاروا اثنا عشر ألفا، و ساروا لى أن نزلوا الحروراء، و أمّروا عليهم عبد الله ابن الكوا.

فدعا عليّ عليه السّلام عبد الله بن عباس فأرسله إليهم فحاثّهم فلم يرتدعوا، و قالوا:

ليخرج الينا عليّ عليه السّلام بنفسه لنسمع كلامه عسى أن يزول ما بأنفسنا إذا سمعناه، فرجع ابن عباس فأخبره فركب في جماعه و مضى إليهم فركب ابن الكوا في جماعه منهم، فوافقه.

فقال له عليّ عليه السّلام: يابن الكوا إنّ الكلام كثير فابرز إليّ من أصحابك

ص: ١٣٣

١- (١) و في مناقب ابن شهر آشوب قال الاثم المقتولون من اصحاب امير المؤمنين روييه بن و بر العجلي و سعد بن خالد السبيعي و عبد الله بن حماد الارحبي و القياض بن خليل الأزدي و كيسوم ابن سلمه الجهني و عبيد بن عبيد الخولاني و جميع بن جشم الكندي و ضب بن عاصم الاسدي، انتهى أقول و هؤلاء ثمانيه و سقط التاسع من قلم الراوى أو الكاتب منه.

٢- (٢) هكذا في نسخه البحار و الظاهر انه غلط و الصحيح تسع و ثلاثين اذ قد مضى في شرح الخطبه السابقه ان مانع المصالحه في صفين كان تسعا و ثلاثين و وقعته النهروان كانت بعد ما و الله العالم منه.

لا كلمك فقال: و أنا آمن من سيفك، فقال: نعم فخرج إليه في عشره من أصحابه فقال له: عن الحرب مع معاويه و ذكر له رفع المصاحف على الرماح و أمر الحكيم، فقال: ألم أقل لكم إن أهل الشام يخدعونكم بها، فإنّ الحرب قد عضّتهم فذروني أناجزهم فأبيتم، ألم أرد نصب ابن عمي و قلت إنّ لا يخذع فأبيتم إلّا أبا موسى و قلتهم رضينا به حكما، فأجبتكم كارها، و لو وجدت في ذلك الوقت أعوانا غيركم لما أجبتكم، و شرطت على الحكيم بحضوركم أن يحكما بما أنزل الله من فاتحته إلى خاتمته و السّنة الجامعه و أنّهما إن لم يفعلا فلا طاعه لهما علىّ كان ذلك، أو لم يكن؟ قال ابن الكوّا: صدقت كان هذا كلّ فلم لا- ترجع الآن إلى حرب القوم؟ فقال: حتّى ينقضى المدّة التي بيننا و بينهم، قال ابن الكوّا: و أنت مجمع على ذلك، قال: نعم لا يسعني غيره، فعاد ابن الكوا و العشره الذين معه إلى أصحاب علىّ عليه السّلام راجعين عن دين الخوارج و تفرّق الباقيون و هم يقولون، لا حكم إلّا لله و أمّروا عليهم عبد الله بن واهب الرّاسبي و حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثّديه و عسكروا بالنّهر و ان.

و خرج علىّ حتّى بقي على فرسخين منهم و كاتبهم و راسلهم فلم يرتدعوا فاركب إليهم ابن عبّاس و قال: سلهم ما الذي نقموه و أنا ردّفك فلا تخفف منهم، فلما جاءهم ابن عبّاس قال: ما الذي نقمتم من أمير المؤمنين عليه السّلام قالوا: نقمنا أشياء لو كان حاضرا لكفرناه بها، و علىّ عليه السّلام ورائه يسمع ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين قد سمعت كلامهم و أنت أحقّ بالجواب.

فتقدّم و قال: أيّها النّاس أنا علىّ بن أبي طالب فتكلّموا بما نقمتم علىّ.

قالوا: نقمنا عليك أولا إنّنا قاتلنا بين يديك بالبصره فلما أظفرك الله بهم أبحتنا ما في عسكرهم و منعنا النّساء و الذّريه فكيف حلّ لنا ما في العسكر و لم يحلّ لنا النّساء؟ فقال لهم: يا هؤلاء إنّ أهل البصره قاتلونا و بدءونا بالقتال فلما ظفرتهم أقسمتم

سلب من قاتلكم و منعكم من النساء و الذرية فإن النساء لم يقاتلن و الذرية و لدوا على الفطره و لم ينكثوا و لا ذنب لهم، و لقد رأيت رسول الله من على المشركين فلا تعجبوا أن مننت على المسلمين فلم أسب نساءهم و لا ذريتهم.

و قالوا: نعمنا عليك يوم صفين كونك محوت اسمك من امره المؤمنين فاذن لم تكن أميرنا فلا نطعك و لست أميرنا لنا.

قال: يا هؤلاء إنما اقتديت برسول الله حين صالح سهيل بن عمرو و قد تقدّمت (١).

قالوا: فأننا نعمنا عليك أنك قلت للحكمين: انظرا كتاب الله فان كنت أفضل من معاوية فاثبتاني في الخلافة فاذا كنت شاكاً في نفسك فنحن فيك أشد و أعظم شكاً.

فقال: إنما أردت بذلك النصفه فأني لو قلت: احكما لي دون معاوية لم يرض و لم يقبل، و لو قال النبي لنصارى نجران لما قدموا عليه تعالوا نبتهل ثم اجعل لعنه الله عليكم لم يرضوا، و لكن انصفهم من نفسه كما أمره الله فقال:

«فَنَجَّيْلُ لَعْنَتِ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» فَأَنْصَفَهُمْ مِنْ نَفْسِهِ فَكَذَلِكَ فَعَلْتُ أَنَا وَ لَمْ أَعْلَمْ بِمَا أَرَادَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ خُدْعِهِ أَبِي مُوسَى.

قالوا: فأننا نعمنا عليك أنك حكمت حكماً في حق هو لك فقال: إن رسول الله حكم سعد بن معاذ في بني قريظه و لو شاء لم يفعل، و أنا اقتديت به فهل بقي عندكم شيء؟ فسكتوا و صاح جماعه منهم من كل جانب: التوبه التوبه يا أمير المؤمنين و استأمن إليه ثمانيه آلاف و بقي على حربه أربعة آلاف، فأمر المستأمنين بالاعتزال عنهم في ذلك الوقت، و تقدّم بأصحابه حتى دنى منهم.

و تقدّم عبد الله بن وهب و ذو النديه حرقوص و قالوا ما نريد بقتالنا إياك

ص: ١٣٥

١- (١) اي قصه مصالحه سهيل بن عمرو و هو صلح الحديبيه منه.

إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ، فقال عليه السَّلام:

«هَلْ تُبْتَكُّم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا- الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » ثم التحم القتال بين الفريقين، و استعزَّ الحرب بلظاها و اسفرت عن زرقه صبحها و حمرة ضحاها، فتجادلوا و تجالدا بالسنه رماحها و حداد ظباها(١) فحمل فارس من الخوارج يقال له الأخنس الطائي و كان شهد صفين مع عليّ عليه السَّلام فحمل و شقَّ الصَّيفوف يطلبه عليه السَّلام فبدره عليّ بضربه فقتله.

فحمل ذو الثَّدي ليضرب عليّا فسبقه عليّ عليه السَّلام و ضربه ففلق البيضة و رأسه فحملة فرسه و هو لما به فألقاه في آخر المعركة في جرف داليه على شط النُّهروان، و خرج من بعده عمّه مالك بن الوضاح و حمل على عليّ فضربه فقتله.

و تقدّم عبد الله بن وهب الرّاسبي فصاح يابن أبي طالب و الله لا- نبرح من هذه المعركة حتّى تأتي على أنفسنا أو ناتي على نفسك فابرز إلّي و أبرز إليك و ذر الناس جانبا، فلما سمع عليّ عليه السَّلام كلامه تبسّم و قال: قاتله الله من رجل ما أقلّ حياؤه أما أنّه ليعلم أنّه لحليف السَّيف و خدين(٢) الرّمح و لكنّه قد يئس من الحياه، و أنّه ليطمع طمعا كاذبا ثمّ حمل على عليّ، فحملة عليّ عليه السَّلام فضربه و قتله و ألحقه بأصحابه القتلى.

و اختلطوا فلم تكن إلّا- ساعه حتّى قتلوا بأجمعهم و كانوا أربعة آلاف، فما أفلت منهم إلّا تسعه أنفس: رجلا ن هربا إلى خراسان إلى أرض سجستان و بها نسلهما و رجلا ن صارا إلى بلاد عمّان و فيها نسلهما و رجلا ن صارا إلى اليمن فبها نسلهما، و هم الاباضيه، و رجلا ن

ص: ١٣٦

١- (١) ظبا كهدي جمعه ظبه حدّ سيف اوسنان ق.

٢- (٢) الخدين الصديق لغه.

صارا إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يعرف بالسن(١) و البوازيخ و إلى شاطئ الفرات و صار آخر إلى تلّ موزون.

و غنم أصحاب عليّ غنائم كثيرة، و قتل من أصحاب عليّ تسعة بعدد من سلم من الخوارج، و هي من جملة كرامات عليّ عليه السلام فأنه قال نقتلهم و لا يقتل منا عشرة و لا يسلم منهم عشرة، فلما قتلوا قال عليّ عليه السلام التمسوا المخدج(٢) فالتمسوه فلم يجدوه فقام عليّ عليه السلام بنفسه حتّى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض فقال آخروهم فوجدوه ممّا يلي الأرض فكبر عليّ عليه السلام و قال صدق الله و بلغ رسوله.

قال أبو الوضيئى فكانني أنظر إليه حبشى عليه قريطق إحدى يديه مثل ثدى المرأة عليها شعرات مثل شعر ذنب اليربوع، و هذا أبو الوضيئى هو عباد بن نسيب القيسى تابعي يروى عنه هذا القول أبو داود.

و في كتاب المناقب لابن شهر آشوب عن أبي نعيم الاصفهاني عن سفيان الثوري إنّ أمير المؤمنين أمر أن يفتش على المخدج بين القتلى فلم يجدوه فقال رجل: و الله ما هو فيهم فقال عليّ عليه السلام ما كذبت و لا كذبت.

و عن تاريخ الطبري و ابانه بن بطة و مسند أحمد عن عبد الله بن أبي رافع و أبي موسى الوابلي و جندب و أبي الوضيئى و اللفظ له قال عليّ عليه السلام اطلبوا المخدج فقالوا: لم نجده فقال و الله ما كذبت و لا كذبت يا عجلان ايتيني ببغله رسول الله، فأتاه بالبغله فركبها و جال في القتلى ثم قال: اطلبوه ههنا، قال: فاستخرجوه من تحت القتلى في نهر و طين.

و عن تاريخ القمي أنّه رجلا أسود عليه شعرات عليه قريطق(٣) مخدج اليد أحد ثديه كثدى المرأة عليه شعيرات مثل ما يكون على ذنب اليربوع.

ص: ١٣٧

١- (١) السن جبل بالمدينة و موضع بالراي و بلد على دجله و بوازيخ بلد قريب تكريت ق.

٢- (٢) رجل مخدج اليد ناقصها ق.

٣- (٣) في حديث منصور جاء الغلام و عليه قرطق ابيض اي قباء و هو تعريب كرتة و قد يضم طاؤه و ابدال القاف من الهاء في الاسماء المعربة كثير و منه حديث الخوارج كانني انظر إليه حبشى عليه قريطق هو تصغير قرطق نهايه.

و عن أبى داود بن بطة أنه قال على من يعرف هذا؟ فلم يعرفه أحد قال رجل أنا رأيت هذا بالحيـره فقلت: إلى أين تريد؟ فقال إلى هذه و أشار إلى الكوفه و ما لى بهذا معرفه فقال على عليه السلام: صدق هو من الجانّ و فى روايه هو من الجنّ.

و فى روايه أحمد قال أبو الوضى: لا يأتينكم أحد يخبركم من أبوه، قال:

فجعل الناس يقول: هذا ملك هذا ملك و يقول على: ابن من.

و فى مسند الموصلى فى حديث: من قال من الناس أنه رآه قبل مصرعه فهو كاذب.

و فى مسند أحمد عن أبى الوضى أنه قال على عليه السلام: أما ان خليلي أخبرني بثلاثه اخوه من الجنّ هذا أكبرهم، و الثانى له جمع كثير و الثالث فيه ضعف.

و فى شرح المعتزلى عن ابن و يزيل عن الأعمش عن زيد بن وهب قال: لما شجرهم على عليه السلام بالرماح قال: اطلبوا اذا التّديه فطلبوه طلبا شديدا حتّى وجدوه فى وهده من الأرض تحت ناس من القتلى، فاتى به و إذا رجل على يديه مثل سبلات السنور، فكبر على عليه السلام و كبر الناس معه سرورا بذلك.

و عن ابن و يزيل أيضا عن مسلم الضبى عن جبه العرنى قال: كان رجلا أسود متنن الرّيح له يد كشدى المراه إذا مدّت كانت بطول اليد الاخرى، و إذا تركت اجتمعت و تقلّصت و صارت كشدى المراه عليه شعرات مثل شوارب الهرّه، فلما وجدوه قطعوا يده و نصبوها على رمح، ثم جعل على يقول صدق الله و بلغ رسوله، و لم يزل يقول ذلك هو و أصحابه بعد العصر الى أن غربت الشمس أو كادت.

و عن العوام بن الحوشب، عن أبيه، عن جدّه يزيد بن رويم، قال: قال على عليه السلام يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو التّديه، فلما طحن القوم و رام استخراج ذى التّديه فأتعبه، أمرنى أن أقطع له أربعة آلاف قصبه، فركب بغله رسول الله و قال اطرّح على كلّ قتيل منهم قصبه، فلم يزل كذلك و أنا بين يديه و هو راكب خلفى و الناس يتبعونه حتّى بقيت فى يدى واحده فنظرت و إذا وجهه أربد، و إذا

هو يقول: و الله ما كذبت و لا كذبت فاذا حزير(۱) ماء عند موضع دالبه، فقال:

فَتَشْ هَذَا، ففَتَشْتَه فاذا قتيل قد صار في الماء و اذا رجله في يدي فجذبتها، و قلت هذه رجل انسان فنزل عن البغله مسرعا فجذب الرجل الاخرى و جررناه حتّى صار على التراب، فاذا هو المخدج فكبرّ علىّ بأعلى صوته ثم سجد فكبرّ الناس كلّهم هذا.

و بقيه الكلام في اقتصاص وقعه الخوارج تأتي إن شاء الله عند شرح بعض الخطب الآتية المسوقة لهذا الغرض و الله الموفق و المعين.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن سرور اولیاء علیه و آله آلاف التّحیه و الثّناست در ترسانیدن اهل نهروان که می فرماید:

پس من ترساننده شما هستم از این که صبح نمائید جان داده و افتاده در اثنای این جوی و در زمینهای هموار این کودال در حالتی که هیچ حجه شرعیّه نبوده باشد شما را از جانب پروردگار خود در خروج و نه برهان عقلی باشد با شما در ارتکاب این امر، بتحقیق که متحیر و سرگشته ساخت یا این که بورطه هلاکت انداخت شما را دنیای فانی و در حباله و دام واقع نمود شما را قضا و قدر ربانی و بتحقیق که بودم نهی کردم شما را از این حکومت حکمین پس ابا و امتناع کردید بر من مثل ابا کردن مخالفان و شکنندگان پیمان تا این که صرف نمودم رای خود را بمیل و خواهش شما و حال آنکه شما جماعتی هستید سبک مغز و شوریده عقل نیاوردم من بشما حادثه و داهیّه را پدر مباد شما را، و اراده نکردم در حقّ شما شر و ضرر را بلکه جزای سوء تدبیر خودتان است که می برید.

ص: ۱۳۹

إشاره

الخطبه و هو السابع و الثلاثون من المختار

فى باب الخطب

فقمتم بالأمر حين فشلوا، و تطلّعت حين تقبّعوا، و نطقتم حين تعتصموا، و مضيت بنور الله حين وقفوا، و كنت أخفضهم صوتاً، و أعلاهم فوفاً، فطرت بعنائها، و استبددت برهانها، كالجبل لا تحرّكه القواصف، و لا تزيله العواصف، لم يكن لأحد فى مهمز، و لا لقائل فى معمز، الدليل عندى عزيز حتّى آخذ الحقّ له، و القوىّ عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه، رضينا عن الله قضاءه، و سلّمنا لله أمره، أترانى أكذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و الله لأنا أوّل من صدّقه، فلا أكون أوّل من كذب عليه، فنظرت فى أمرى فإذا طاعتى قد سبقت بيعتى، و إذا الميثاق فى عنقى لغيرى.

اللغه

(فشل) كفرح فهو فشل ضعف و كسل و تراخى و جبن و (التطلع) هو الاشراف من عال و تطلعه أشرف عليه و علم به و (التقبّع) التقبض يقال قبّع القنفذ

أدخل رأسه في جلده، وقبع الرجل في قميصه دخل و تخلف عن أصحابه و (التعتعه) في الكلام التردد و الاضطراب فيه من حصر أوعى و (الفوت) السبقه يقال فاته فلان بذراع سبقه بها و منه يقال افتات فلان افتياتا اذا سبق بفعل شيء و (استبد) برأيه و استبد بالشئ استقل به و انفرد.

و (الزهان) إما جمع الزهن كالزهن و الزهن و هو ما يوضع عندك لينوب مناب ما يؤخذ منك، او مصدر كالمراهنه يقال راهنت فلانا على كذا رهانا و تراهن القوم اخرج كل واحد رهنا ليفوز السابق بالجميع اذا غلب، و الثانى هو الأظهر و عليه فالمراد به ما يرهن و يستبق عليه.

و (القواصف) جمع القاصف يقال قصفت الريح العود قصفا فانقصف مثل كسرتة فانكسر و زنا و معنا و (العواصف) جمع العاصف يقال عصف الريح عصفاً اشتدت فهي عاصف و عاصفه، و الاولى يجمع على العواصف و الثانيه على العاصفات صرح به الفيومى فى المصباح و (المهمز) و (المغمز) المطعن اسم مكان من الهمز و الغمز يقال همزه همزا اعتابه فى غيبته و غمزه غمزا اشار إليه بعين أو حاجب، و ليس فيه مغمزه و لا غميزه أى عيب.

الاعراب

صوتا و فوتا منصوبان على التميز، و الباء فى بعنانها للاستعانه و فى قوله برهانها للصيله، و يحتمل كونها بمعنى فى فلا بد حينئذ من ابقاء الزهان على معناه المصدرى فيكون المعنى انفردت من الأقران فى مقام المراهنه و الزهان، و جمله لا تحرّكه القواصف كالجملات التى بعدها منصوبه المحلّ على الحالّيه، و قوله: حتّى اخذ بنصب المضارع بنفس حتّى كما يقوله الكوفيون، أو بأن مضمرة نظرا إلى أن حتّى خافضه للأسماء و ما تعمل فى الأسماء لا تعمل فى الأفعال، و كذا العكس.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلى هو أنّ هذا الكلام له فصول أربعة يلتقطه من كلام طويل له قاله بعد وقعه النهروان مشتمل على وصف حاله منذ توفى

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم الى آخر وقته، فجعل السيد (ره) ما التقطه سردا فصار عند السامع كأنه يقصد به مقصدا واحدا.

فالفصل الاول

مشتمل على ذكر مناقبه الجميله الممتاز بها عن غيره

و هو قوله: (فقمتم بالأمر حين فشلوا) والمراد به قيامه عليه السلام بتشديد أمر الدين و تأسيس أساس اليقين و ترويج سنّه سيد المرسلين في الحروب و الخطوب حين ضعف عنه ساير أصحابه صلوات الله عليه، و فشلوا و جنبوا و كسلوا و كان ذلك دأبه و ديدنه في زمن الرسول و بعده.

و قال الشارح المعتزلي: الاشاره بذلك الفصل إلى قيامه بالأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر أيّام أحداث عثمان و كون المهاجرين كلّهم لم ينكروا و لم يواجهوا عثمان بما كان يواجهه به و ينهاه عنه، فمعنى قمت بالأمر قيامه عليه السلام بالنّهي عن المنكر حين فشل أصحاب محمّد انتهى.

و الأظهر هو ما ذكرنا إلّا أن يكون في بيان الذي أسقطه السيد (ره) من كلامه قرينه على ما ذكره الشارح عثر عليه هو و لم يعثر عليه بعد (و تطلّعت حين تقبّعوا) اى اشرفت على حقايق المعقولات و دقايق المحسوسات و اطلعت عليها حين قصر عنه ساير الأصحاب فحصل لى التّطاول فيها و لهم القصور (و نطقت حين تعتعوا) أراد به تكلمه في الأحكام المشكله و المسائل المفصله و غيرها بكلام واف بالمراد كاف في أداء المقصود مطابق لمقتضى الحال و المقام على ما كان يقتضيه ملكه الفصاحه و البلاغه التى كانت فيه، و أمّا غيره عليه السلام فقد عيىوا به و عجزوا من أدائه و اضطربوا فيه و لم يهتد و الوجهه و طريقه.

(و مضيت بنور الله حين وقفوا) حارين بايرين جاهلين مفتونين، و المراد بنور الله هو علم الامامه المتلقّى من منبع النّبوه و الرساله و إليه الاشاره بآيه النور على ما رواه في البحار من جامع الأخبار باسناده عن فضيل بن يسار قال:

قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام: «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال عليه السلام

كذلك قال الله عزّ وجلّ قلت «مَثَلُ نُورِهِ» قال لى محمّد صلى الله عليه وآله قلت «كَمِشْكَاةٍ» قال صدر محمّد قلت «فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال فيه نور العلم يعنى النبوه قلت «الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» قال علم رسول الله صدر إلى قلب على قلت «كَأَنَّهَا» قال لأى شىء تقرأ كأنها؟ قلت فكيف جعلت فداك؟ قال كأنه «كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» قلت «يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكِهِ زَيْتُونُهُ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» قال ذاك أمير المؤمنين على بن أبى طالب لا يهودى ولا نصرانى قلت «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» قال يكاد العلم يخرج من فم آل محمّد من قبل أن ينطق به قلت «نُورٌ عَلَى نُورٍ» قال الامام على أثر الامام.

(و كنت أخفضهم صوتا) لأنّ خفض الصوت دليل الدّعه والاستكانه والتّواضع ورفع الصّوت علامه الجلافه والتّكبر والتّجبر وقد كان مشركو العرب يتفاخرون بالأصوات الرافعه فوبّخهم الله بما حكاه من وصيّيه لقمان لابنه بقوله:

«وَ اقْصِدْ فِي مَشِيكِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ».

هذا كلّه مضافا إلى أنّ السكوت و خفض الصّوت فى الحروب دليل العزم والثّبات والقوه ورفع علامه الضّعف والجبن كما قال عليه السّلام فى بعض كلماته السابقه:

وقد أَرعدوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل و لسنا نرعد حتّى نوقع، و لا نسيل

حتى نمطر.

و لما كان الخفض علامه القوّه و عدم المبالات حسن إردافه بقوله (و أعلاهم فوتا) إذ لا شك أنّ من كان أشدّ ثباتا و قوّه كان أشدّ تقدّما و سبقه إلى مراتب الكمال و السّـ عاده حائزا قصب السّـ بق في مضمار البراعه (فطرت بعنانها و استبددت برهانها) الضّميران راجعان إلى الفضائل الثّفسانيه و الكمالات المعنويّه و ان لم يجر لها ذكر لفظي في الكتاب.

قال الشّارح البحراني: استعار ههنا لفظ الطيران للسّـ بق العقلي لما يشتركان فيه من معنى السّـ رعه و استعار لفظي العنان و الرّهان اللّذين هما من متعلّقات الخيل للفضيله التي استكملها نفسه تشبيها لها مع فضائل نفوسهم بخيل الجلبه و وجه المشابهه أنّ الصّـ حابه لما كانوا يقتنون الفضائل و يستبقون بها إلى رضوان الله و سعادات الآخره كانت فضائلهم التي عليها يستبقون كخيل الرّهان، و لما كانت فضيلته أكمل فضائلهم و أتمّها كانت بالنّسبه إلى فضائلهم كالفرس لا يشقّ غباره فحسن منه أن يستعير لسبقه بها لفظ الطيران و يجرى عليها لفظ العنان و الرّهان

و الفصل الثّاني

مشمّل على ذكر حاله في زمن الخلافه

و حين انتهائها إليه عليه السّـ لام يقول كنت لما وليت الأمر (كالجبل) العظيم في الثّبات على الحقّ و الوقوف على القانون العدل فكما (لا- تحرّكه) الرّيح (القواصف) عن مكانه (و لا- تزيله) الرّعازع (العواصف) عن مقامه فكذلك أنا لا يحركني عن سواء السّـ بيل و عن الصّراط المستقيم مراعاة هوى النّاس و متابعه طباعهم المايله إلى خلاف ما يقتضيه السنّه النّبويّه و الأوامر الالهيه.

و حاصله أنّه لا يأخذني في الله لومه لايم (ليس لأحد في مهمز و لا لقائل في مغمز) أي لا يسع لأحد أن يعيب عليّ و يطعن فيّ في الغيبه و الحضور في شيء من الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام كما عابوا على من كان قبلي من المتخلّفين لأحداث

ص: ١٤٤

وقعت منهم و جرایر صدرت عنهم (الدلیل عندی عزیز حتی آخذ الحق له) مَمَّن ظلم فی حقّه (و القویّ عندی ضعیف حتی آخذ الحقّ منه) و أنتصفه للمظلوم.

و الفصل الثالث

مشمّل علی الرضا بالقضا و تسلیم الأمر لله سبحانه و تعالی، لما تفرّس فی طائفه من قومه أنّهم یتهمونه بالكذب فیما یخبرهم به من الغیوبات و الملاحم الواقعه فی القرون المستقبله كما یأتی شطر منها فی شرح كلامه السادس و الخمسین، و یأتی فی تلك الأخبار أنّ بعضهم واجهه بالشك و التهمه فعند ذلك قال: (رضینا عن الله قضائه و سلّمنا له أمره) و ذلك لأنّه لما كان القضاء الالهی قد جرى علی قوم بالتكذیب له و التهمه فیما یقول لاجرم كان أولى بلزوم باب الرضا و التسلیم إلى الله فیما جرى علیه قلم القضاء، ثم ابطال أو هامهم علی سبیل الاستفهام الانکاریّ الابطالی و قال:

(أ ترانی) الخطاب لكلّ من أساء الظنّ فی حقّه (أكذب علی رسول الله صلّی الله علیه و آله) و کیف لی بذلك (فو الله لأنّنا أوّل من صدّقه فلا أكون أوّل من كذب علیه)

الفصل الرابع

یذكر فیهِ حاله بعد وفات رسول الله صلّی الله علیه و آله و سلّم و أنّه قد عهده التبیّ بعدم المنازعه فی الأمر و أوصی له بطلبه بالرفق و المداراه فان حصل له و إلّا فلیمسك عنه و لیحقن دمه كما قال: (فنظرت فی أمری) ای أمر الخلافه التي هی حقّ لی (فاذا طاعتی قد سبقت بیعتی) أي وجوب طاعتی لرسول الله فیما أمرنی به من ترك القتال عند عدم الأعوان قد سبق علی بیعتی للقوم فلا سبیل لی إلى الامتناع (و إذا الميثاق فی عنقی لغیری) ای ميثاق الرسول و عهده إلى بترك الشقاق و المنازعه فلم یحلّ لی أن أتعدی أمره، أو أخالف نهیه.

و ینبغی التنبیه علی أمرین

الاول

قال الشّارح المعتزلی بعد شرح الفصل الأخير من كلامه علیه السّلام علی نحو ما شرحناه: فان قيل: فهذا تصریح بمذهب الامامیه.

قيل: ليس الأمر كذلك بل هذا تصريح بمذهب أصحابنا من البغداديين لأنهم يزعمون أنه الأفضل والأحق بالامامة وأنه لو لا ما يعلمه الله ورسوله من الأصلح للمكلفين من تقديم المفضول عليه لكان من تقدم عليه هالكا، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعلمه أن الامامة حقه وأنه أولى بها من الناس أجمعين وأعلمه أن في تقديم غيره وصبره على التأخر عنها مصلحة للدين راجعه إلى المكلفين، وأنه يجب عليه أن يمسك عن طلبها ويغضى عنها لمن هو دون مرتبته، فامتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخرجه تقدم من تقدم عليه من كونه الأفضل والأولى والأحق.

ثم قال: وقد صرح شيخنا أبو القاسم البلخي بهذا وصرح به تلامذته وقالوا:

لو نازع عقيب وفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسل سيفه لحكمنا بهلاك كل من خالفه وتقدم عليه كما حكمنا بهلاك من نازعه حين أظهر نفسه، ولكنه مالک الأمر وصاحب الخلافه إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها، وإذا أمسك عنها وجب علينا القول بعداله من اغضى له عليها وحكمه في ذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه قد ثبت عنه في الأخبار الصيحيحة أنه قال على مع الحق والحق مع على يدور حيثما دار، وقال صلى الله عليه وآله وسلم له غيره مره: حربك حربى وسلمك سلمى وهذا المذهب هو أعدل المذاهب عندى وبه أقول انتهى كلامه.

أقول: ما ذكره هنا ملخص ما ذكره فى شرح الخطبه الشَّقشَقِيَّة وقد نقلنا كلامه فى المقدمه الثانيه من مقدّمات تلك الخطبه، و ذكرنا هنالك ما يتوجّه عليه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

و نقول ههنا مضافا إلى ما سبق هناك: أن تقدم غيره عليه إمّا أن يكون بفعل الله سبحانه وفعل رسوله، وإمّا أن لا يكون بفعلهما بل تقدم الغير بنفسه لاعتقاده أنه أحقّ بها منه عليه السلام، أو قدمه من سائر الصيحابه و المكلفين إمّا بهوى أنفسهم أو رعايه المصلحه العامه.

أمّا الأوّل ففيه أولا أنّهم لا يقولون به، لا تفاههم على عدم النصّ من الله

و من رسول له فى باب الامامه و ثانياً أنه لو كان ذلك بفعلهما لم يكن لتشكيه من القوم وجه و لما نسبهم إلى التّظليم و لما كان يقول مدّه عمره و الله ما زلت مظلوما مدفوعا عن حقّى مستأثرا علىّ منذ قبض الله رسوله و لكان الواجب أن يعذرهم فى ذلك و ثالثاً أنّ تقديم المفضول على الفاضل و الأفضل قبيح عقلا و بنصّ القرآن قال سبحانه:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ» الآية و قال أيضا: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

و مع كونه قبيحا كيف يمكن صدوره من الله سبحانه أو من رسوله.

فان قلت: تقديم المفضول إذا كان لمصلحه الدّين راجعه إلى المكلفين فلا نسلم قبحه قلت: بعد تسليم الصّغرى أولا و تسليم كون الحسن و القبح فى الأشياء مختلفا بالوجوه و الاعتبارات ثانياً إنّ أمير المؤمنين إذا كان عالما بالمصلحه فى تقدّم الغير على ما صرح به من أنّ رسول الله أعلمه به، كان اللازم حينئذ له السّكوت، إذ المعلوم بالضرورة من حاله أنّ طلبه للخلافه لم يكن للدّنيا و حرصا على الملك، بل إنّما كان غرضه بذلك حصول نظام الدّين و انتظام أمر المكلفين و إقامة الحقّ و إزاحه الباطل، كما صرح عليه السّلام به فى قوله فى الخطبه الثّالثه و الثّلاثين، و الله لهى أحبّ إلّى من أمارتكم هذه إلّا أن اقيم حقّا أو أدفع باطلا، فاذا كان حصول هذا النّظام و الانتظام و صلاح المكلفين بتقدّم الغير لا بدّ و أن يكون مشعوبا به و راضيا بذلك أشدّ الرّضا لا- شاكيا و مظهرا للتّظلم و الشّكوى كما مرّ فى الخطبه الشّقشقيّه، و فى قوله فى الخطبه السّادسه و العشرين فنظرت فاذا ليس لى معين اه.

و أمّا الثّانى و هو أنّ تقدّم الغير عليه إنّما كان لزعم الغير أنّه أحقّ بها

منه عليه السّلام ففيه أنّ الأمر إذا دار بين متابعه رأى الأفضل و متابعه رأى المفضول كان اللازم ترجيح الأوّل على الثّاني دون العكس و هو واضح.

و أمّا الثّالث و هو أنّ التّقّدّم كان بتقديم المكلّفين بمقتضا هوى أنفسهم الأماره بالسّوء و لما كان فى صدورهم من الحسد و السّخايم فهو الحقّ و الصّواب من دون شكّ فيه و ارتياب.

و لنعم ما قال أبو زيد النّحوى الخليل بن أحمد حين سئل عنه ما بال أصحاب رسول الله كأنّهم بنو أمّ واحده و علىّ عليه السّلام كأنّه ابن عله(١)؟ قال تقدّمهم إسلاما و بذّهم شرفا وفاقهم علما و رجهم حلما و كثرهم هدى فحسدوه و النّاس إلى أمثالهم و أشكالهم أميل.

و قال ابن عمر لعلىّ عليه السّلام كيف تحبّك قریش و قد قتلت فى يوم بدر و احد من ساداتهم سبعين سيدا تشرب انوفهم الماء قبل شفاههم؟ فقال أمير المؤمنين عليه السّلام ما تركت بدر لنا مديقا(٢) و لا لنا من خلفنا طريقا.

و سئل زين العابدين عليه السّلام و ابن عباس أيضا لم أبغضت قریش عليّا؟ قال: لأنّه أورد أوّلهم النّار و آخرهم العار.

و قال أبو زيد النّحوى: سألت الخليل بن أحمد العروضى لم هجر النّاس عليّا و قرباه من رسول الله صلّى الله عليه و آله قرباه و موضعه من المسلمين موضعه و عناؤه فى الاسلام عناؤه، فقال: بهر و الله نوره أنوارهم و غلبهم على صفو كلّ منهل، و النّاس إلى أشكالهم أميل أما سمعت الأوّل حيث يقول:

و كلّ شكل لشكله ألف أما ترى الفيل يالف الفيلا

قال: و أنشد الرياشى فى معناه عن العباس بن الأحنف:

و قائل كيف تهاجرتما فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلى فهاجرته و النّاس أشكال و آلاف

ص: ١٤٨

١- (١) اولاد العلاء الذين ابوهم واحد امّهاتهم مختلفه، نهايه.

٢- (٢) اللّبن الممزوج بالماء.

و أمّا الرّابع ففيه أنّ التّقديم إمّا أنّه كان بفعل جميع المكلفين أو بفعل البعض و الاول ممنوع لما قد عرفت في شرح الخطبه الشّقشقيه من تخلف وجوه الصّحابه عن البيعه و عرفت هناك أيضا قول الشّارح بأنّه لو لا عمر لم يثبت لأبى بكر أمر و لا قامت له قائمه و الثانى لا- حجّيه فيه، هذا مضافا إلى أنّه كيف يمكن أن يخفى عليه عليه السّلام ما لم يخف على غيره من وجوه المصلحه التّى لا حظوها في التّقديم على زعمك، إذ قد ذكرنا أنّه لو علم المصلحه في ذلك لسكت و لم يتظلم.

فان قيل: أنّ هذا يجرى مجرى امرأه لها اخوه كبار و صغار فتولّى أمرها الصغار في التزويج فأنّه لا بدّ أن يستوحش الكبار و يتشكّوا من ذلك.

قيل: إنّ الكبير متى كان دينا خائفا من الله فإنّ استيحاشه و ثقل ما يجرى على طبعه لا يجوز أن يبلغ به إلى إظهار الكراهه للعقد و الخلاف فيه و ايها أنّه غير ممضى و لا صواب، و كلّ هذا جرى من أمير المؤمنين فيكشف ذلك كلّ عن عدم المصلحه في تقدّم الغير عليه بوجه من الوجوه.

ثمّ إنّ ما حكاه من شيخه أبى القاسم البلخي و بنا عليه مذهبه من أنّه صاحب الخلافه و مالك الأمر إذا طلبها وجب علينا القول بتفسيق من ينازعه فيها و إذا أمسك عنها وجب القول بعداله من غضى لها:

فيه أنّ الشرطيه الاولى مسلّمه و المقدّم فيها حقّ فوجب القول بتفسيق المنازعين و الدّليل على طلبه عليه السّلام لها واضح لمن له أدنى تتبع في الأخبار، و يكفى في ذلك قوله في الخطبه التي رواها الشّارح المعتزلى في شرح كلامه لما قلّد محمّد بن أبى بكر المصر، و قد مضت روايتها منّا في شرح الخطبه السادسة و العشرين و هو قوله عليه السّلام: ثمّ قالوا هلّم فبايع و إلّا جاهدناك، فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا، فقال قائلهم: يابن أبى طالب انك على هذا الأمر لحريص، فقلت أنتم أحرص منّى و أبعد أيّنا أحرص أنا الذى طلبت ترائى و حقّى الذى جعلنى الله و رسوله أولى به، ام أنتم تضربون وجهى دونه و تحولون بينى و بينه، فبهتوا و الله لا يهدى القوم الظالمين إلى آخر ما مرّ.

و يشهد بذلك ما رواه الشَّارح أيضا فى شرح الخطبه المذكوره من أنَّ قوله عليه السَّلام: فنظرت فاذا ليس لى معين إلَّا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت فتقول ما زال يقول و لقد قاله عقيب وفات رسول الله و قال لو وجدت أربعين ذوى عزم.

و يدلّ عليه ما رواه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره حيث قال: و من كتاب معاويه المشهور، و عهدك أمس تحمل قعيده. بيتك ليلا- على حمار و يداك فى يدي ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبو بكر الصِّديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر و السَّوابق إلَّا- دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرئتك و أوليت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم إلَّا- أربعة أو خمسة، إلى غير ذلك ممّا مضى و يأتي فى تضاعيف الكتاب، و بالجملة فمطالبتة لها واضح لاولى الأبصار كالشَّمس فى رابعه النَّهار.

و يعجبني أن اورد هنا حكاية مناسبة للمقام، و هو ما نقله شيخنا البهائى فى الكشكول قال: كتب على بن صلاح الدّين يوسف ملك الشَّام إلى الامام الناصر لدين الله يشكو أخويه أبا بكر و عثمان لما خالفا وصيه أبيهم له:

مولاي إنّ أبا بكر و صاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق على

و كان بالأمس قد ولّاه والده فى عهده فأضاعا الأمر حقد ولى

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأواخر مالاقا من الاول

إذ خالفاه و حلّا عقد بيعته و ابينهما و النّصّ فيه جلى

فوقّ الخليفه النّاصر على ظهر كتابه:

و افا كتابك يا بن يوسف منطقا بالخير يخبر أنّ أصلك طاهر

منعوا علينا إرثه إذ لم يكن بعد النّبى له يثرب ناصر

فاصبر فإنّ غدا علىّ حسابهم و ابشر فناصرك الامام النّاصر

و أمّا الشرطيه الثانيه فممنوعه إذ الامساك عنها لا دلالة فيه على عداله من غضى لها، نعم إنّما يدلّ عليها إذا لم يكن للامساك وجه إلّا الرّضا و طيب النّفس و أمّا إذا كان هناك احتمال أن يكون وجهه هو الخوف و التّقيه فلا.

و قال المرتضى «ره» و ليس لأحد أن يقول: كيف يجوز على شجاعته و ما خصّه الله به من القوّه الخارجه للعاده أن يخاف منهم و لا يقدم على قتالهم لو لا أنهم كانوا محقّين؟ و ذلك إنّ شجاعته و إن كانت على ما ذكرت و أفضل فلا يبلغ أن يغلب جميع الخلق و يحارب ساير الناس و هو مع الشّجاعه بشر يقوى و يضعف و يخاف و يأمن و التّقيه جازيه على البشر الذين يضعفون عن دفع المكروه عنهم هذا.

و أمّا الحديث الذى رواه من قوله صلّى الله عليه و آله و سلّم علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ فمن الأحاديث المعروفة المعتبره المستفيضه بل لا يبعد دعوى تواتره، و قد رواه السيّد المحدث البحرانى فى كتاب غايه المرام بخمسه عشر طريقا من طرق العامه و أحد عشر طريقا من طرق الخاصّه.

ففى بعض الطرق العاميه عن شهر بن حوشب قال: كنت عند أمّ سلمه (رض) إذا استاذن رجل فقالت من أنت؟ فقال: أنا أبو ثابت مولى علىّ عليه السّلام، فقالت أمّ سلمه:

مرحبا بك يا أبا ثابت ادخل. فدخل فرحبت به ثمّ قالت: يا أبا ثابت أين طار قلبك حين طارت القلوب مطايرها؟ قال: تبع علىّ عليه السّلام قالت: وفقت و الذى نفسى بيده لقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: علىّ مع الحقّ و القرآن، و الحقّ و القرآن مع علىّ و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض.

و فى بعضها عن عايشه قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول علىّ مع الحقّ و الحقّ مع علىّ لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

و فى روايه موفق بن أحمد باسناده عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمه و الاسود قالا: سمعنا أبا أيّوب الأنصارى قال: سمعت النّبى صلّى الله عليه و آله يقول لعمار ابن ياسر، يا عمّار تقتلك الفئه الباغيه و أنت مع الحقّ و الحقّ معك، يا عمّار إذا رأيت عليّا سلك واديا و سلك واديا غيره فاسلك مع علىّ ودع الناس، إنّّه لن يدلك على ردى و لن يخرجك عن الهدى، يا عمّار إنّّه من تقلّد سيفاً أعان به عليّا على عدوّه قلده الله يوم القيامة و شاحا(١) من درّ، و من تقلّد سيفاً أعان به عدوّ علىّ قلده يوم

ص: ١٥١

١- (١) الوشاح بالضم كرسان من لؤلؤ و جوهر منظومان يخالف بينهما معطوف احدهما على الآخر، و اديم عريض يرصّع بالجوهر تشدّه المرأه بين عاتقيها و كشحيها جمعه و شيخ كذا قاله صاحب القاموس فيه.

القيامة وشاحا من نار قال قلت: حسبك.

أقول: لا خفاء في دلاله هذا الخبر على عصمته وإمامته، و بطلان خلافه الثلاثة غير خفيّه من وجوه عديده:

الأول أنّه أخبر بكون الحقّ معه عليه السّلام و هو يقتضى عصمته إذ لا يجوز أن يخبر على الاطلاق بأنّ الحقّ مع عليّ مع جواز وقوع القبيح عنه عليه السّلام، لأنّه إذا وقع كان اخباره بذلك كذبا و هو محال فلا بدّ أن يكون معصوما.

الثاني أنّ لن إماما لنفى التّأييد أو لنفى المستقبل فتدلّ على التّقديرين على عدم انفكاك الحقّ منه، فإذا كان الحقّ لا ينفكّ عنه أبدا ثبت إمامته و بطل خلافه من خالفه.

الثالث أنّ قوله: لعمّار إذا رأيت عليّا سلك واديا و سلك واديا غيره فاسلك مع عليّ نصّ صريح في وجوب الاقتداء به و عدم جواز الاقتداء بغيره و لا سيّما بملاحظه تعليقه بأنّه لن يدلّك على ردّي و لن يخرجك عن الهدى، فأنّه يدلّ على أنّه إن سلك سبيل الغير يكون خارجا من الهدى إلى الرّدى، و لذلك إنّ عمّار لازم عليّا و أنكر على الأوّل و تخلف عن البيعه حتّى أكرهه على البيعه فباع بعد بيعه مولاه عليه السّلام بكره و اجبار هذا.

و من العجب العجائب أنّ بعض النّاصبين (١) قال: إن صحّ الخبر دلّ على أنّ عليّا كان مع الحقّ أينما دار و هذا شيء لا يرتاب فيه حتّى يحتاج إلى دليل، بل هذا دليل على حقيّه الخلفاء، لأنّ الحقّ كان مع عليّ و عليّ كان مع الخلفاء حيث تابعهم و ناصحهم، فثبت من هذا خلافه الخلفاء و أنّها كانت حقّا صريحا، و أمّا من خالف عليّا من البغاه فمذهب أهل السنّه و الجماعة أنّ الحقّ كان مع عليّ و هم كانوا على الباطل، و لا شكّ في هذا انتهى.

ص: ١٥٢

١- (١) و هو شارح كشف الحق فضل بن روزبهان، منه.

و يتوجّه عليه أولا- أنّ صحّحه الخبر ممّا لا مجال للكلام فيها و ثانيا أنّ كونه مع الخلفاء و تابعهم ممنوع إلّا بمعنى كونه معهم فى سكّون المدينه و بمعنى التّابعه الاجباريّة و المماشاه فى الظاهر، و إلّا فما وقع بينهم من المخالفات و التنازع و المشاجرات قد بلغ فى الظهور إلى حدّ لا مجال للاخفاء و فى الشّناعه إلى مرتبه لا تشّبهه على الآراء كما مضى و سيجىء أيضا إنشاء الله تعالى، و أمّا نصّحه لهم فمسلّم لكن لامور الدّين و انتظام شرع سيّد المرسلين، لا لأجل ترويج خلافتهم و نظم أسباب شوكتهم و جلالتهم.

و ثالثا أنّ التّفريقه بين الخلفاء و بين البغاه بكون الآخرين على الباطل دون الأوّلين لا وجه له، إذ كلّ من الفرقتين كان مريدا لقتله عليه السّلام غايه الأمر أنّه وجد هناك أعوانا فقاتلهم ذويهم عن نفسه و لم يجد ههنا ناصرا فبايعهم اجبارا و كفّ عن القتال و حقن دمه، فلو أنّه وجد أعوانا له يومئذ لشهر عليهم سيفه و جاهدهم و يشهرون سيفهم عليه و يقاتلونه، كما أنّه لو وجد أعوانا مع البغاه و كفّ عنهم و تابع آرائهم لم يكونوا مقاتلين له و لم يجادلوا معه عليه السّلام.

هذا كلّه مضافا إلى أنّ بغى البغاه و خروجهم عليه عليه السّلام من بركه البرامكه و من ثمره هذه الشّجره الملعونه عذبهم الله عذابا اليما.

الثانى

قد عرفت أنّ سبب تقاعده عليه السّلام عن جهاد من تقدّم عليه هو عهد رسول الله صلى الله عليه و آله إليه بالكفّ عنهم، حيث لم يجد أعوانا و فيه مصالح اخر قد أشير إليها فى أخبار الأئمه الأطهار، و لا بأس بالاشاره إلى تلك الأخبار و الأخبار التى اشير فيها إلى معاهده النّبى صلى الله عليه و آله إليه حتّى يتّضح الأمر و يظهر لك بطلان ما زعمه العامه من إنّ سكوته و عدم نهوضه إليهم دليل على رضاه بتقدّمهم و على كونهم محقّين فأقول و بالله التّوفيق:

روى الشّيخ السّعيد عزّ الدّين أبو المنصور أحمد بن على بن أبى طالب الطّبرسى (ره) فى الاحتجاج، قال: روى أنّ أمير المؤمنين كان جالسا فى بعض مجالسه بعد

رجوعه من نهروان فجرى الكلام حتى قيل له لم لا حاربت أبا بكر و عمر كما حاربت الطلحه و الزبير و معاويه؟ فقال إننى كنت لم أزل مظلوما مستأثرا على حقى، فقام إليه أشعث بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين لم لم تضرب بسيفك و لم تطلب بحقك؟ فقال: يا أشعث قد قلت قولاً فاسمع الجواب وعه و استشر الحجة إن لى اسوه بستّه من الأنبياء عليهم السلام.

أولهم نوح عليه السلام حيث قال: رَبِّ «أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ» فان قال قائل إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلا فالوصى أعذر. و ثانيهم لوط عليه السلام حيث قال: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ» فان قال قائل إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلا فالوصى أعذر.

و ثالثهم إبراهيم خليل الله عليه السلام حيث قال: «وَاعْتَرِلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فان قال قائل إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلا فالوصى أعذر.

و رابعهم موسى عليه السلام حيث قال: «فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ» فان قال قائل إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، و إلا فالوصى أعذر.

و خامسهم أخوه هارون عليه السلام حيث قال: يَا «إِنَّ أُمَّ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي»

فان قال قائل إنه قال هذا لغير خوف فقد كفر، وإلا فالوصي أعذر.

و سادسهم أخى محمد صلى الله عليه وآله خير البشر حيث ذهب إلى الغار و نؤمنى على فراشه، فان قال قائل إنه ذهب إلى الغار لغير خوف فقد كفر و إلا فالوصي أعذر فقام إليه الناس بأجمعهم فقالوا: يا أمير المؤمنين قد علمنا أن القول قولك و نحن المذنبون التائبون و قد عذرك الله.

و فيه أيضا عن أحمد بن همام قال: أتيت عباده بن الصّامت فى ولاية أبى بكر فقلت: يا عباده أ كان الناس على تفضيل أبى بكر قبل ان يستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبه إذا سكتنا عنكم فاسكتوا عنا و لا تبحثونا، فو الله لعلى بن أبى طالب أحق بالخلافه من أبى بكر كما كان رسول الله أحق بالتبوه من أبى جهل.

قال: و ازيدكم أنا كنّا ذات يوم عند رسول الله فجاء علىّ و أبو بكر و عمر إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فدخل أبو بكر ثم دخل عمر ثم دخل علىّ عليه السلام على اثرهما، فكأنما سفى(١) وجه رسول الله الرماد، ثم قال: يا علىّ أيتقدّمك هذان و قد أمرك الله عليهما؟ فقال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، و قال عمر: سهوت يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما نسيتما و لا سهوتما و كأنى بكما قد أ سلبتماه ملكه و تحاربتما عليه و أعانكما على ذلك أعداؤه و أعداء رسول الله و كأنى بكما قد تركتما المهاجرين و الأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا، و كأنى بأهل بيتى و هم المقهورون المشتتون(٢) فى أقطارها، و ذلك لأمر قد قضى.

ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله حثى سالت دموعه، ثم قال: يا علىّ الصبر الصبر حثى ينزل الأمر، و لا حول و لا قوه إلا بالله العلى العظيم، فإن لك من الأجر فى كلّ يوم ما لا يحصيه كاتبك، فاذا أمكنك الأمر فالسيف السيف فالقتل القتل حثى يفيئوا إلى أمر الله و أمر رسوله، فإنك على الحقّ و من ناواك على الباطل، و كذلك

ص: ١٥٥

١- (١) سفت الريح التراب ذرته ق.

٢- (٢) التشتت التفرق و ضمير اقطارها راجع إلى الارض، منه.

ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة.

و في تفسير علي بن إبراهيم القمي عن أحمد بن علي قال: حدثنا الحسين بن عبد الله السدي، قال: حدثنا الحسن بن موسى الخشاب، عن عبد الله بن الحسين، عن بعض أصحابه عن فلان (١) الكرخي قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: ألم يكن علي قويا في بدنه قويا في أمر الله؟ قال له أبو عبد الله عليه السلام بلى، قال فما منعه أن يدفع أو يمتنع؟ قال: قد سألت فافهم الجواب، منع عليا من ذلك آية من كتاب الله، قال:

و أي آية؟ قال: فاقراء:

«لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

إنه كان لله و دايع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين و منافقين، فلم يكن علي ليقول الآباء حتى يخرج الودائع، فلما خرج ظهر علي من ظهر و قتله، و كذلك قاتلنا أهل البيت لم يظهر حتى يخرج و دايع الله، فاذا خرجت يظهر علي من يظهر فيقتله.

أقول: هذا هو التأويل، و تنزيهه أنه لو تميز هؤلاء الذين كانوا بمكة من المؤمنين و المؤمنات و زالوا من الكفار لعذبنا الذين كفروا، بالسيف و القتل بأيديكم.

و في البحار من أمالي المفيد «ره» باسناده عن جندب بن عبد الله، قال:

دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، و قد بويع بعثمان بن عفان، فوجدته مطرقا كئيبا، فقلت له: ما أصابك جعلت فداك من قومك؟ فقال: صبر جميل، فقلت: سبحان الله، و الله أنك لصبور، قال: فأصنع ما ذا؟ قلت: تقوم في الناس و تدعوهم و تخبرهم أنك أولى بالنبى صلى الله عليه و آله و بالفضل و السابقه و تسألهم النصر على هؤلاء المتظاهرين عليك، فان أجابك عشره من مائه شددت بالعشره على الماء، فان دانوا لك كان ذلك ما أحببت، و إن أبوا قاتلتهم، فان ظهرت عليهم فهو سلطان الله الذي أتاه نبيه و كنت أولى به منهم، و إن قتلت في طلبه قتلت إنشاء الله شهيدا

ص: ١٥٦

و كنت بالعذر عند الله، لأنك أحق بميراث رسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام أ تراه يا جندب كان يبايعني عشره من مائه: فقلت أرجو ذلك، فقال: لكنتى لا أرجو ولا من كل مائه اثنان، و ساخبرك من أين ذلك إنما ينظر الناس إلى قريش و إنّ قريشا يقول: إنّ آل محمّد يرون لهم فضلا على سائر قريش و إنّهم أولياء هذا الأمردون غيرهم من قريش، و إنّهم إن ولوه لم يخرج منهم هذا السلطان إلى احد أبدا، و متى كان فى غيرهم تداولوه بينهم، و لا و الله لا تدفع إلينا هذا السلطان قريش أبدا طائعين.

فقلت له: أفلا أرجع فاخبر الناس بمقاتلتك هذه و أدعوهم إلى نصرك؟ فقال:

يا جندب ليس ذا زمان ذاك، قال جندب: فرجعت بعد ذلك إلى العراق فكنت كلما ذكرت من فضل أمير المؤمنين على بن أبى طالب شيئا زبروني و نهرونى حتى رفع ذلك من قولى إلى الوليد بن عقبه فبعث إلى فحبسنى حتى كلم فى فخلّى سبيلى.

و من العيون و علل الشرائع عن الطالقانى عن الحسن بن على العددى، عن الهيثم بن عبد الله الرّماني قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت له: يا بن رسول الله أخبرنى عن على عليه السلام لم لم يجاهد أعدائه خمسة و عشرين سنة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله ثم جاهد فى أيام ولايته؟ فقال: لأنه اقتدى برسول الله فى تركه جهاد المشركين بمكة بعد النبوة ثلاث عشره سنة و بالمدينه تسعه عشر شهرا، و ذلك لقله أعوانه، و كذلك على عليه السلام ترك مجاهده أعدائه لقله أعوانه عليهم، فلما لم تبطل نبوه رسول الله مع تركه الجهاد ثلاث عشره سنة و تسعه عشر شهرا فكذلك لم تبطل إمامه على مع ترك الجهاد خمسة و عشرين سنة إذا كانت العله المانعه لهما عن الجهاد واحده.

و من كتاب الغيبة للشيخ باسناده عن سليم بن قيس الهلالي، عن جابر بن عبد الله و عبد الله بن العباس قالا، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى وصيته لأمرير المؤمنين عليه السلام: يا على أنّ قريشا ستظاهر عليك و يجتمع كلهم على ظلمك و قهرك، فان وجدت أعوانا فجاهدهم، و إن لم تجدأ أعوانا فكف يدك و احقن دمك، فانّ الشهاده من ورائك لعن الله قاتلك.

و من كتاب سليم بن قيس الهلالي قال: كنّا جلوسا حول أمير المؤمنين على

ابن أبي طالب عليه السلام و حوله جماعه من أصحابه، فقال له قائل: يا أمير المؤمنين لو استنفرت الناس؟ فقام و خطب و قال: اما
إني قد استنفرتكم فلم تنفروا، و دعوتكم فلم تسمعوا، فأنتم شهود كغياب، و أحياء كأموات، و صم ذو و أسمع، أتلو عليكم
الحكمه و أعظكم بالموعظه الشافيه الكافيه و أحثكم على جهاد أهل الجور فما أتى على آخر كلامي حتى أراكم متفرقين حلقا
شتى، تناشدون الأشعار، و تضربون الأمثال، و تسألون عن سعر التمر و اللبن.

تبت أيديكم لقد دعوتكم إلى الحرب و الاستعداد لها، و اصبحت قلوبكم فارغه من ذكرها، شغلتموها بالأباطيل و الأضاليل
اغزوهم(١) قبل أن يغزوكم، فو الله ما غزى قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا، و أيم الله ما أظن أن تفعلوا حتى يفعلوا.

ثم وددت أنني قد رأيتمهم فلقيت الله على بصيرتي و يقيني و استرحت من مقاساتكم و ممارستكم، فما أنتم إلا كابل جمه ضل
راعيها، فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب، كأني بكم و الله فيما أرى أن لو حمس الوغا، و احمر الموت قد انفرجتم عن
على بن أبي طالب انفراج الرأس و انفراج المرأة عن قبلها لا تمنع منها.

قال الأشعث بن قيس: فهلا فعلت كما فعل ابن عفان؟ فقال عليه السلام أو كما فعل ابن عفان رأيتموني فعلت أنا عائد بالله من
شر ما تقول يا بن قيس، و الله إن التي فعل بن عفان لمخزاه لمن لا دين له و لا وثيقه معه، فكيف أفعل ذلك و أنا على بينه من
ربى، و الحجة في يدي و الحق معي، و الله إن امرء أمكن عدوه من نفسه يجرّ لحمه و يفرى جلده و يهشم عظمه و يسفك دمه
و هو يقدر على أن يمنعه لعظيم و زره ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره، فكن أنت ذاك يابن قيس.

فأما أنا فو الله دون أن أعطى بيده ضرب بالمشرفى تطير له فراش الهام و تطيح منه الأ-كفّ و المعاصم، و يفعل الله ما يشاء،
ويلك يابن قيس ان المؤمن يموت

ص: ١٥٨

كُلِّ مِيتَهُ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَقْتُلُ نَفْسَهُ فَمَنْ قَدَرَ عَلَى حَقْنِ دَمِهِ ثُمَّ خَلَّى عَمَّنْ يَقْتُلُهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسِهِ.

يابن قيس إنَّ هذه الامة تفترق على ثلاث و سبعين فرقه، واحده فى الجنَّه و اثنتان و سبعون فى النَّار، و لشَرِّها و أبغضها و أبعدھا منه السَّامره الذين يقولون لاقتال و كذبوا قد أمر الله بقتال الباغين فى كتابه و سنَّه نبیِّه و كذلك المارقه.

فقال ابن قيس لعنه الله و غضب من قوله: فما منعك يابن أبى طالب حين بویع أبو بكر أخو بنى تيم و أخو بنى عدی بن كعب و أخو بنى امیه بعدهم، أن تقاتل و تضرب بسيفك و أنت لم تخطبنا خطبه منذ قدمت العراق إلا قلت فيها قبل أن تنزل عن المنبر و الله إننى لأولى النَّاس بالنَّاس، و ما زلت مظلوما منذ قبض رسول الله، فما يمنعك أن تضرب بسيفك دون مظلمتك.

قال: يابن قيس اسمع الجواب، لم يمنعنى من ذلك الجبن و لا كراهه للقاء ربى و أن لا أكون أعلم، إنَّ ما عند الله خير لى من الدُّنيا و البقاء فيها، و لكن منعنى من ذلك أمر رسول الله صلَّى الله عليه و آله و عهده إلىَّ أخبرنى رسول الله صلَّى الله عليه و آله بما الامة صانعه بعده، فلم أك بما صنعوا حين عاينته بأعلم به و لا أشدَّ استيقانا منى به قبل ذلك.

بل أنا بقول رسول الله أشدَّ يقينا منى بما عاينت و شهدت، فقلت يا رسول الله فما تعهد إلىَّ إذا كان ذلك؟ قال صلَّى الله عليه و آله: إن وجدت أعوانا فانبذ إليهم وجاهدهم و إن لم تجد أعوانا فكف يدك و احقن دمك حتى تجد على إقامة الدين و كتاب الله و سنَّتى أعوانا.

و أخبرنى أنَّ الامة ستخذلنى و تبایع غیری و أخبرنى أنَّى منه بمنزله هارون من موسى، و أنَّ الامة بعده سيصيرون بمنزله هارون و من تبعه، و العجل و من تبعه إذ قال له موسى:

«يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتى و لا برأسى إننى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل و لم ترقب قولى».

و إنما يعنى أنَّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم أن ضلُّوا فوجد أعوانا أن يجاهدوهم و إن لم يجد أعوانا أن يكف يده و يحقن دمه و لا يفرق بينهم و إننى خشيت أن يقول ذلك أخى رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم لم فرقت بين الامة و لم ترقب قولى و قد عهدت إليك أنك إن لم تجد أعوانا أن تكف يديك و تحقن دمك و دم أهلك و شيعتك.

فلما قبض رسول الله مال النَّاس إلى أبى بكر فبايعوه و أنا مشغول برسول الله نغسله، ثم شغلت بالقرآن فأليت يمينا بالقرآن أن لا أرتدى إلا للصَّلاه حتى أجمعه فى كتاب ففعلت، ثم حملت فاطمه و أخذت بيد الحسن و الحسين فلم أدع أحدا من أهل بدر و أهل السَّابقه من المهاجرين و الأنصار إلا ما نشدتهم الله و حقى و دعوتهم إلى نصرتى فلم يستجب من جميع النَّاس إلا أربعة رهط: الزبير، و سلمان، و أبو ذر، و المقداد و لم يكن معى أحد من أهل بيتى أصول به و لا اقوى به.

أما حمزه فقتل يوم احد، و أما جعفر فقتل يوم موته و بقيت بين جلفين خائفين ذليلين حقيرين: العباس و عقیل و كانا قريبي عهد بكفر، فأكرهونى و قهرونى فقلت كما قال هارون لأخيه: يا «ابن أمَّ إنَّ القوم استَضَّ عَفُونى و كادُوا يَقْتُلُونى» فلى بهارون أسوه حسنه ولى بعهد رسول الله حجَّه قويه.

قال الاشعث: كذلك صنع عثمان استغاث بالناس و دعاهم إلى نصرته فلم يجد اعوانا فكفَّ يده حتى قتل مظلوما، قال عليه السلام. ويلك يا بن قيس إنَّ القوم حين قهروني و استضعفوني و كادوا يقتلونني فلو قالوا نقتلك البتة لامتنعت من قتلهم إياي و لو لم أجد غير نفسي وحدي، و لكن قالوا إن بايعت كففنا عنك و أكرمناك و قربناك

و فضّلناك، و إن لم تفعل قتلناك، فلما لم أجد أحدا بايعتهم و بيعتى لهم لما لا حقّ لهم فيه لا يوجب لهم حقّا و لا يلزمنى رضا.

و لو أنّ عثمان لما قال له النّاس: اخلعها و نكفّ عنك، خلعها لم يقتلوه، و لكنّه قال: لا أخلعها، قالوا: فأنّا قاتلوك فكفّ يده عنهم حتّى قتلوه، و لعمرى لخلعه إيّاها كان خيرا له، لأنّه أخذها بغير حقّ و لم يكن له فيها نصيب و ادّعى ما ليس له و تناول حقّ غيره.

ويلك يا بن قيس إنّ عثمان لا يعد و أن يكون أحد الرّجلين إمّا أن يكون دعا النّاس إلى نصرته فلم ينصروه، و إمّا أن يكون القوم دعوه إلى أن ينصروه فنّهاهم عن نصرته، فلم يكن يحلّ له أن ينهى المسلمين عن أن ينصروا إماما هاديا مهتديا لم يحدث حدثا و لم يؤدّ محدثا، و بئس ما صنع حين نهاهم و بئس ما صنعوا حين أطاعوه، فاما أن يكونوا لم يروه أهلا لنصرته لجوره و حكمه بخلاف الكتاب و السّنة و قد كان مع عثمان من أهل بيته و مواليه و أصحابه أكثر من أربعة آلاف رجل، و لو شاء الله أن يمتنع بهم لفعل و لم ينههم عن نصرته، و لو كنت وجدت يوم بويج أخوتيم أربعين رجلا مطيعين لجاهدتهم، أمّا يوم بويج عمر و عثمان فلا لأنّى كنت بايعت و مثلى لا ينكث بيعته.

ويلك يا بن قيس كيف رأيتنى صنعت حين قتل عثمان و وجدت أعوانا هل رأيت منى فشلا أو جبنا أو تقصيرا فى وقعتى يوم البصره و هى حول جملهم الملعون من بيعه الملعون و من قتل حوله الملعون و من ركب الملعون و من بقى بعده لا- تائباً و لا مستغفراً، فإنّهم قتلوا أنصارى و نكثوا بيعتى و مثّلوا بعاملى و بغوا علىّ دمرت إليهم فى اثنى عشر ألفاً، و فى روايه أخرى أقلّ من عشره آلاف و هم نيف علىّ عشرين و مائه ألف، و فى روايه زياده علىّ خمسين ألفاً فنصرنى الله عليهم و قتلهم بأيدينا و شفى صدور قوم مؤمنين.

و كيف رأيت يا بن قيس وقعتنا بصفّين قتل الله منهم بأيدينا خمسين ألفاً فى صعيد واحد إلى النار، و فى روايه اخرى زياده على سبعين ألفاً.

و كيف رأيتنا يوم النهروان إذ لقيت المارقين و هم مستبصرون و متدّينون قد ضلّ سعيهم فى الحياه الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، فقتلهم الله فى صعيد واحد إلى النّار، و لم يبق منهم عشرة و لم يقتلوا من المؤمنين عشرة.

ويلك يا بن قيس هل رأيت لى لواء ردّ ورايه ردت إياى تعيّر يابن قيس و أنا صاحب رسول الله فى جميع مواطنه و مشاهده و المتقدّم إلى الشّدايد بين يديه لا- أفزّ و لا ألوذ و لا أعتلّ و لا أمنح اليهود و يراى (أرى ظ) أنّه لا ينبغى للنّبىّ و لا للوصىّ إذا لبس لامته و قصد لعدوّه أن يرجع أو ينشى حتّى يقتل أو يفتح الله له.

يا بن قيس هل سمعت لى بفرار قط أو بنوه «كذا»، يابن قيس أما و الذى فلق الحّبّه و براء النّسمه لو وجدت يوم بويج أبو بكر الذى عيّرتنى بدخولى فى بيعته رجلا كلّهم على مثل بصيره الأربعة الذين وجدت، لما كففت يدى و لنا هضت القوم و لكن لم أجد خامسا.

قال الأشعث: و من الأربعة يا أمير المؤمنين؟ قال: سلمان، و أبو ذر، و المقداد، و الزّبير بن صفية قبل نكته بيعتى فأنّه بايعنى مرّتين أمّا بيعته الاولى التّى و فى بها فأنّه لما بويج أبو بكر أتانى أربعون رجلا من المهاجرين و الأنصار فبايعونى فأمرتهم أن يصبحوا عند بابى محلّقين رؤوسهم عليهم السّلاح فما وافى منهم أحد و لا صبحنى منهم غير أربعة: سلمان، و أبو ذر، و المقداد، و الزّبير، و أمّا بيعته الاخرى فأنّه أتانى هو و صاحبه طلحه بعد قتل عثمان فبايعانى طائعين غير مكرهين، ثمّ رجعا عن دينهما مرتدّين ناكثين مكابرين معاندين حاسدين فقتلهم الله إلى النّار، و أما الثلاثة: سلمان، و أبو ذر، و المقداد، فثبتوا على دين محمّد و ملّاه ابراهيم حتّى لقوا الله يرحمهم الله.

يابن قيس فو الله لو أنّ أولئك الأربعة الذين بايعونى و فوالى و اصبحوا على بابى محلّقين قبل أن تجب لعتيق فى عنقى بيعه، لناهضته و حاكمته إلى الله عز و جل و لو وجدت قبل بيعه عثمان أعوانا لناهضتهم و حاكمتهم إلى الله، فإنّ ابن عوف جعلها لعثمان و اشترط عليه فيما بينه و بينه أن يردها عليه عند موته، فأما بعد بيعتى إياهم فليس إلى مجاهدتهم سبيل.

فقال الأشعث: والله لان كان الأمر كما تقول: لقد هلكت الامه غيرك و غير شيعتك فقال عليه السلام إن الحق والله معي يا بن قيس كما أقول، و ما هلك من الامه إلا الناصبين (١) و المكاثرين و الجاهدين و المعاندين، فأما من تمسك بالتوحيد و الاقرار بمحمد و الاسلام و لم يخرج من الملة و لم يظهر علينا الظلمه و لم ينصب لنا العداوه و شك في الخلافه و لم يعرف أهلها و لم يعرف ولايه و لم ينصب لنا عداوه، فإن ذلك مسلم مستضعف يرجى له رحمه الله و يتخوف عليه ذنوبه.

قال أبان: قال سليم بن قيس: فلم يبق يومئذ من شيعه على أحد إلا تهلل وجهه و فرح بمقالته إذ شرح أمير المؤمنين عليه السلام الأمر و باح به و كشف الغطاء و ترك التقيّه، و لم يبق أحد من القراء ممن كان يشك في الماضين و يكف عنهم و يدع البراءه منهم و دعا و تأثما إلا- استيقن و استبصر و حسن و ترك الشك و الوقوف و لم يبق أحد حوله أتى ببيعتة على وجه ما بويع عثمان و الماضون قبله إلا رأى ذلك في وجهه و ضاق به أمره و كره مقالته ثم أنهم استبصر عامتهم و ذهب شكهم.

قال أبان عن سليم: فما شهدت يوما قط على رءوس العامه أقر لأعيننا من ذلك اليوم لما كشف للناس من الغطاء و أظهر فيه من الحق و شرح فيه الأمر و القى فيه التقيّه و الكتمان، و كثرت الشيعة بعد ذلك المجلس مذ ذلك اليوم و تكلموا و قد كانوا اقل اهل عسكره و صار الناس يقاتلون معه على علم بمكانه من الله و رسوله، و صار الشيعة بعد ذلك المجلس أجل الناس و أعظمهم.

و في روايه اخرى جل الناس و عظمهم، و ذلك بعد وقعه النهروان و هو يأمر بالتهييه و المسير إلى معاويه، ثم لم يلبث ان قتل قتله ابن ملجم لعنه الله غيله و فنكا، و قد كان سيفه مسموما قبل ذلك.

اقول: و لا حاجة لنا بعد هذه الروايه الشريفه إلى ذكر ساير ما روى في هذا

ص: ١٦٣

١- (١) هكذا في النسخه و الظاهر انه تصحيف و الصحيح الا الناصبون و المكاثرون، و الجاهلون و المعاندون بالواو، منه.

المعنى، لأنها قاطعه للعذر كافيه فى توضيح ما اردناه و تثبيت ما قصدناه من ان قعوده عن جهاد المتخلفين كان بعهد من النبى صلى الله عليه و آله إليه مضافا إلى سائر المصالح التى فيه، فلا- يمكن مع ذلك كله دعوى كون ترك الجهاد دليلا على حقيقته خلافه الثلاثه، و كاشفا عن رضاه عليه السلام بذلك، و فى هذا المعنى روايات عاميه لعلنا نشير اليها فى شرح بعض الخطب الآتية فى المقام المناسب إن ساعدنا التوفيق و المجال إنشاء الله تعالى.

الترجمه

اشاره

از جمله کلام هدایت فرجام آن امام عالیمقام است که جاری مجرای خطبه است، و آن جمع شده است از کلام طولی که آن حضرت بعد از وقعه نهروان ادا فرموده اند و مدار آنچه که سید اینجا ذکر نموده است بچهار فصل است.

فصل اول

مشمول است بذکر مناقب جمیل و فضایل جلیل خود که می فرماید: پس بر خواستم بامر خدا و امر حضرت خاتم الانبیاء علیه آلاف التحیه و الثناء در زمانی که ضعیف شدند و ترسیدند مردمان، و مطلع شدم بر حقایق اشیاء و احکام خدا هنگامی که سر فرو بردند مردمان و عاجز گردیدند، و گویا شدم در احکام مشکله و مسائل معضله در وقتی که درمانده بودند، و گذشتم بنور خداوند در حینی که ایستاده و سر گردان شدند، و بودم من پست تر ایشان از حیث آواز و بلندتر ایشان از حیث سبقت بمراتب کمالات و درجات سعادات، پس پرواز نمودم بدوال لجام فضیلت و بتنهایی قیام نمودم ببردن کر و منقبت.

فصل دویم

مشمولست به بیان حال بهجت منوال خود در زمان نشستن در مسند خلافت و استقرار در سریر ولایت که می فرماید: بودم من در آن هنگام مثل کوه با شکوه که نجبانند او را بادهای شکننده، و زایل نگرداند او را بادهای تند و زنده، در حالتی که نبود هیچ احدی را در شان من جای عیب و عار و نه هیچ گوینده را در

حق من جای طعن بکردار و گفتار، ذلیل و خوار در نزد من عزیز است و با مقدار تا این که بازیافت بکنم حق او را از جابر و ستمکار، و صاحب قوه و اقتدار در نزد من ضعیف است و بی مقدار تا این که اخذ بکنم از او حق ستم کشیدگان را در روزگار.

فصل سیم

مشمولست برضای بقضای خدا و دفع توهم کذب و افترا در حق آن سرور اوصیا که می فرماید: راضی شدیم از خدا حکم او را و گردن نهادیم مر خداوند را امر او را، آیا گمان می برید مرا که دروغ بگویم بر پیغمبر خدا پس قسم بخداوند هر آینه من اول کسی هستم که تصدیق نمودم او را پس نباشم اول کسی که تکذیب نماید او را.

فصل چهارم

مشمولست باعتذار از ترک جهاد و خصومت با غاصبین خلافت که سبب آن اطاعت و امتثال بود بعهد و وصیت حضرت خاتم رسالت صلوات الله و سلامه علیه که می فرماید: پس نظر کردم در امر خود پس ناگاه فرمان بردن من امر پیغمبر را به ترک قتال پیشی گرفته بود بر بیعت من باین گروه بدفعال، و ناگاه پیمان در گردن من بوده از برای غیر من یعنی در ذمه من بود پیمان پیغمبر خدا بطلب خلافت با رفق و مدارا و در صورت عدم حصول آن ترک نمایم جهاد و قتال را، و صبر و رزم و اختیار کنم زاویه خمول و اعتزال را.

و من خطبه له علیه السلام و هی الثامنه و الثلاثون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

و إِنَّمَا سَمَّيْتُ الشَّبْهَةَ شَبْهَةً لِأَنَّهَا تَشْبَهُ الْحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ

ص: ۱۶۵

فضياء هم فيها اليقين، و دليلهم سمت الهدى، و أمّا أعداء الله فدعائهم فيها الضلال، و دليلهم العمى، فما ينجو من الموت من خافه، و لا يعطى البقاء من أحبه.

اللغة

(السمت) بالفتح فالسكون الطريق و هيئه أهل الخير، و السير على الطريق بالظنّ و حسن النحو و قصد الشيء و السكينه و الوقار.

الاعراب

البقاء إمّا بالرفع كما فى اكثر النسخ، و هو الأظهر(1) على قراءه يعطى بصيغه المجهول أو منصوب كما فى بعضها على كون يعطى مبتيا على الفاعل فيكون مفعولا ثانيا قدّم على الأول.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام له فصلان غير ملتئمين: فإما أنّ السيد «ره» جمعهما من كلام طويل على ما هو دابه فى هذا الكتاب، و إمّا أن يكون الفصل الثانى مربوطا على كلام مذكور قبل الفصل الأول حسن ارتباطه به فيكون الفصل الأول اعتراضا بينهما و كيف كان.

فالفصل الاول

وارد فى بيان وجه تسميه الشبهه و بيان حال الناس فيها، أمّا وجه التسميه

ص: ١٦٦

١- (١) وجهه ان البقاء مفعول ثان لا- داعى الى تقديمه على الأول مع كونه باقيا على المفعوليه بخلاف ما لو كان نايبا مناب الفاعل فيكون له حينئذ رتبه المتقدم، منه.

فأشار إليه بقوله: (وَأَمَّا سَمَّيْتُ الشَّبَهَ شَبَهَ لِأَنَّهَا تَشَبِهَ الْحَقَّ) اعلم أَنَّ الشَّبَهَ هو الالتباس مأخوذه من التشابه وهو كون أحد الشيئين مشابهًا للآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما قال الله تعالى:

«إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: حلال بَيْنَ و حرام بَيْنَ و شبهات بين ذلك ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن التمييز بينهما سَمَّى كلَّ ما لا يهتدى الانسان إليه بالمتشابه، و نظيره المشكل سَمَّى بذلك لأنه أشكل أى دخل فى شكل غيره فأشبهه و شابهه.

قال الصادق عليه السلام: أمر بَيْنَ رشده فيتبع، و أمر بَيْنَ غيِّه فيجتنب، و أمر مشكل يردّ علمه إلى الله و رسوله، ثم يقال لكلّ ما غمض و إن لم يكن غموضه من هذه الجهة إنّه مشكل إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ فى قوله إشاره إلى أَنَّ الامور على ثلاثة: حقّ بَيْنَ رشده، و باطل بَيْنَ غيِّه، و شبهه بين ذلك سَمَّيت بها لأنها تشبه الحقّ، و اللازم فيها الرجوع إلى الراسخين فى العلم الذين تثبتوا و تمكنوا فيه، و لهم حسن التدبر وجوده الذهن لتجرّد عقولهم عن غواشى الحسّ لكون نفوسهم مشرقه بنور اليقين مستضيئه بنور النبوه فى سلوك الصِّراط المستقيم، فبهم يكشف النقاب عن وجه الشَّبَه و يرتفع الحجاب و يهتدى إلى صوب الصُّواب كما قال عليه السلام.

(فأما أولياء الله فضيأؤهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى) فيخرجون تابعيهم و المهتدين بهم من الردى و يدلّونهم على الهدى و هو هدى الله سبحانه و تعالى و قد قال:

«فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى» فى البحار من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات باسناده عن داود النجار عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام أنّه سأل أباه عن قول الله:

«فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَى» قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يا أيها الناس اتَّبِعُوا هُدَى اللَّهَ تَهْتَدُوا وَتُرْشَدُوا وَهُوَ هُدَايَ هُدَايَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاهُ فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي فَقَدْ اتَّبَعَ هُدَايَ وَ مَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَقَدْ اتَّبَعَ هُدَى اللَّهَ وَ مَنْ اتَّبَعَ هُدَى اللَّهَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى.

(وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ) الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ وَ عَدُولٌ عَنِ الْحَقِّ (فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ) وَ الْغَوَى (وَ دَلِيلُهُمُ الْعَمَى) فِيَهْدُونَ الْمُهْتَدِينَ بِهِمْ إِلَى طَرِيقِ الرَّدَى وَ يَخْرِجُونَهُمْ عَنْ قَصْدِ الْهُدَى وَ هُمُ الْأَثَمَةُ الْهَادُونَ إِلَى النَّارِ الْمَوْقِفُونَ لِتَابِعِيهِمْ كَأَنْفُسِهِمْ فِي غَضَبِ الْجَبَّارِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى».

رَوَى فِي الْكَافِي عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ:

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» قَالَ: يَعْنِي بِهِ وِلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قُلْتُ:

«وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» قَالَ يَعْنِي أَعْمَى الْبَصَرِ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى الْقَلْبِ فِي الدُّنْيَا عَنْ وِلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ وَ هُوَ سَيَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ:

«رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا»

قال الآيات الأئمة عليهم السّلام «فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى» يعنى تركتها فكذلك تترك فى النّار كما تركت الأئمة فلم تطع قولهم و لم تسمع أمرهم.

و قد ظهر ممّا ذكرنا أنّ مقصوده بذلك الاشاره إلى وجوب الرّجوع فى الوقايح المشتبهه و الامور الملتبسه إلى أئمه الحقّ الذينهم أولياء الله سبحانه و تعالى، لأنّهم من حيث كمال نفوسهم القدسيّه بنور اليقين قادرون على رفع الشكوكات و دفع الشبهات، و من حيث أنّ دليلهم سمت الهدى يهدون الرّاجعين إليهم إلى طريق النّجاه.

و أما أئمه الجور الذينهم أعداء الله عزّ و علا فلا يمكن الرّجوع فيها إليهم لأنّهم من حيث اتّصافهم بالجهل و العمى عاجزون عن رفع النّقاب و كشف الحجاب فى الامور المشتبهه و الوقايح المشكله، و من حيث إنّهم معزولون عن الحقّ يدعون الرّاجعين إليهم و التابعين لهم الى طريق الضّلال.

و قد قال لكميل بن زياد: النّاس ثلاثه: عالم ربّانى، و متعلّم على طريق النّجاه، و همج رعاى أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجئوا إلى ركن وثيق هذا.

و يحتمل أن يكون غرضه بذلك الكلام الاشاره إلى خصوص أمر الخلافه الذى اشتبهه على الناس و صاروا منه فى شبهه فمنهم من رآه أهلالها و اقتدى فسعد و نجى و صار من أصحاب الصراط السوى و اهدى، فتنوّر قلبه بنوره عليه السّلام و يهدى الله لنوره من يشاء من عباده، و منهم من قدّم غيره عليه و اتّمم به فضلّ و هلك و خاب و غوى و يحشر يوم القيمه أعمى(1).

ص: ١٦٩

١- (١) روى فى البحار من كنز جامع الفوائد و تاويل الايات باسناده عن عيسى بن داود عن موسى بن جعفر «عليه السلام» فى قول الله عزّ و جلّ «فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ اهْتَدَى» قال الصراط السوىّ هو القائم «عليه السلام» و الهدى من اهدى طاعته و مثلها فى كتاب الله عزّ و جلّ «وَ إِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»، منه.

و إلى الفريقين أشير في قوله عزّ و جلّ:

«أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ» قال عليّ بن ابراهيم في تفسيره: جاهلا عن الحقّ و الولاية فهديناه اليها.

«وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» قال النور الولاية «كَمْ مِنْ مِثْلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» يعنى في ولاية غير الأئمة (عليهم السلام) «كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» و روى العياشى عن بريد العجلي قال: قال:

«أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» قال الميت الذى لا يعرف هذا الشأن قال أ تدرى ما يعنى ميتا قال قلت: جعلت فداك لا، قال الميت الذى لا يعرف شيئا فأحييناه بهذا الأمر و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال إماما فأتم به قال:

«كَمْ مِنْ مِثْلِهِ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» قال كمثله هذا الخلق الذين لا يعرفون الامام.

و فى قوله: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» قال الصادق عليه السلام فى روايه الكافى عن ابن أبى يعفور عنه عليه السلام من ظلمات الذنوب إلى نور التوبه أو المغفره لولايتهم كل امام عادل من الله قال:

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ»

«إِلَى الظُّلُمَاتِ» فَأَيُّ نُورٍ يَكُونُ لِلْكَافِرِ فَيُخْرِجُ مِنْهُ إِنَّمَا عَنِ بَهَذَا أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى نُورِ الْإِسْلَامِ فَلَمَّا تَوَلَّوْا كُلَّ أَمَامٍ جَاوَرَ لَيْسَ مِنْ اللَّهِ خَرَجُوا بَوْلَايَتِهِمْ إِلَيْهِمْ مِنْ نُورِ الْإِسْلَامِ إِلَى ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ فَأَوْجِبَ اللَّهُ لَهُمُ النَّارَ مَعَ الْكُفَّارِ وَقَالَ:

«أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» وَالْيَافِرَةُ الْوَلَى الْفِرْقَةُ الْوَلَى خَاصَّةً وَقَعَتْ الْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

«فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالتَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَا» قَالَ أَبُو خَالِدٍ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا أَبَا خَالِدٍ التَّوْرُ وَاللَّهُ الْأَتَمُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُمُ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ لِنُورِ الْأَمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمَضِيئَةِ بِالنَّهَارِ، وَهُمْ وَاللَّهُ يَنْوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحْجِبُ اللَّهُ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُمْ، وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ لَا يُحِبُّ عَبْدًا وَلَا يَتَوَلَّاهُ حَتَّى يَطْهَرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَلَا يَطْهَرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يَسْلَمَ وَيَكُونَ سَلَمًا لَنَا، فَإِذَا كَانَ سَلَمًا لَنَا سَلَّمَ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْحِسَابِ وَآمَنَهُ مِنْ فِرْعَانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكَبِيرِ.

وَالْيَافِرَةُ الْوَلَى الْفِرْقَةُ الْوَلَى خَاصَّةً اشِيرَتْ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» فَقَدْ رَوَى فِي الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ» قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَتَمُّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» قَالَ فَلَانٌ وَفَلَانٌ

و فلان «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَنْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ»
و هم أمير المؤمنين و الأئمة عليهم السلام هذا.

و غير خفى على الناقد البصير المجدّ الخير أنّ التأويل الذى ذكرته فى شرح كلامه عليه السلام ممّا لم يسبقنى أحد من الشّراح،
و إنّما حاموا حول القيل و القال و أخذوا بشرح ظاهر المقال و قد هدانى إلى هذا التحقيق نور التوفيق، و قد اهدت إلى به بياض
التمسك بولايه أئمة الهدى و الاعتصام بعراهم الوثقى، «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ».

و الفصل الثانى

وارد فى مقام التذكير بالموت الذى هو هادم اللذات كما قال عليه السلام (فما ينجو من الموت من خافه) يعنى:

«إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» و قوله عليه السلام (و
لا يعطى البقاء من أحبه) يعنى أنّ حبّ البقاء فى الدّنيا لا يثمر البقاء فيها و فى معنى هذا الفصل قال فى الدّيان المنسوب إليه:

أرى الدّنيا ستؤذن بانطلاق مشمره على قدم و ساق

فلا الدّنيا بباقيه لحيّ و لا حيّ على الدّنيا بباقي

و قال ايضا

حياتك انفاست تعدّ فكلما مضى نفس منها انتقضت به جزءا

ص: ١٧٢

و يحييك ما يفنيك في كل حاله و يحدوك حاد ما يريد بك الهزاء

فتصبح في نفس و تمسى بغيرها و مالك من عقل تحسّ به رزءا

و قال ايضا

الموت لا والدا يبقى و لا ولدا هذا السبيل الى أن لا ترى أحدا

كان النَّبى و لم يخلد لامتهلو خلد الله خلقا قبله خلدا

للموت فينا سهام غير خاطئهم فاته اليوم سهم لم يفته غذا

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است که مشتمل است بدو فصل یکی در بیان وجه تسمیه شبهه می فرماید که: بدرستی نام نهاده شد شبهه بشبهه بجهه آنکه آن شباهت دارد بحق پس أما دوستان خدا پس روشنی ایشان در آن شبهه نور یقین است، و راه نمائی ایشان قصد راه راست است، و أما دشمنان خدا پس خواندن ایشان در امور مشتبّه گمراهی است و ضلالت، و دلیل ایشان کوری است و عدم بصیرت فصل دوم در تذکیر موت می فرماید: پس نجات نیافت از مرگ کسی که ترسید از او، و عطا نشد بقا بر کسی که دوست داشت آنرا، بلکه مآل هر دو أجل است پس هر که راه خدا گزید به بهشت و نعیم رسید، و هر که راه دشمنان خدا اختیار نمود گرفتار عقوبت و جهنم گردید.

و من خطبه له عليه السّلام و هي التاسعه

اشاره

و الثلاثون من المختار في باب الخطب

خطب بها في غزاه النّعمان بن بشير بعين التّمر على ما تعرفها إن شاء الله قال:

ص: ١٧٣

منيت بمن لا- يطيع إذا أمرت، و لا- يجيب إذا دعوت، لا- أبا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم، أما دين يجمعكم، و لا- حميه تحمشمكم أقوم فيكم مستصرخا، و أناديكم متغوّثا، فلا تسمعون لى قولاً، و لا تطيعون لى أمراً، حتّى تكشف الامور عن عواقب المساءه، فما يدرك بكم ثار، و لا يبلغ بكم مرام، دعوتكم إلى نصره إخوانكم فجر جرتهم جرجره الجمل الأسرّ، و ثقافتهم ثقّل النّضو الأدبر، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب ضعيف، «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ». قال السيّد (ره) أقول قوله عليه السّلام: متذائب أى مضطرب من قولهم تذائب الرّيح أى اضطرب هبوبها، و منه سمى الذّئب ذئبا لاضطراب مشيته.

اللغة

(منيت) على البناء للمفعول أى ابتليت و (حمشه) جمعه كحمشه و أغضبه كأحمشه و حمش القوم ساقهم بغضب و (المستصرخ) المستنصر مأخوذ من الصّراخ و هو الصّياح باستغاثة و (المتغوّث) القائل و اغوثاه و (تكشف) بصيغه المضارع من باب ضرب أى تظهر و فى بعض النّسخ تنكشف و فى بعضها تكشف بصيغه الماضى من باب التّفعل يقال تكشف الامر و انكشف أى ظهر.

و (الثّار) الدّم و الطلب به و قاتل حميمك قاله فى القاموس و (الجرجره) صوت يردّده الابل فى حنجرته و أكثر ما يكون ذلك عند الاعياء و التّعب و (السرر)

داء يأخذ البعير في سرّته يقال: منه جمل السرّ و (النّضو) البعير المهزول و (الأدبر) الذي به دبر و هي القروح في ظهره و (الجنيد) تصغير الجند للتحقير.

الاعراب

ما تنتظرون استفهام على سبيل الانكار التوبيخي، و أ ما دين يجمعكم استفهام على سبيل التقرير أو للتوبيخ، و مستصرخا و متغوّثا منصوبان على الحال من فاعل أقوم و أنادى، و قوله: حتّى تكشف الامور الغايه داخل في حكم المعيّى، و على ما فى بعض النسخ من تكشف بصيغه الماضى فحتّى ابتدائه على حدّ قوله سبحانه:

ثمّ بدلنا مكان السيئه الحسنه حتّى عفوا، و إضافه العواقب إلى المسائه بياتيه، و جمله و هم ينظرون منصوبه المحلّ على الحال من فاعل يساقون.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه خطب بها فى غزاه النعمان بن بشير الأنصارى على عين التمر، و هو عين ماء قرب الكوفه، و كيفيه تلك الغزوه على ما ذكره فى شرح المعتزلى من كتاب الغارات هى أنّ النعمان قدم هو و أبو هريره على علىّ من عند معاويه بعد أبى مسلم الخولانى يسألانه أن يدفع قتله عثمان إلى معاويه ليقدهم بعثمان لعلّ الحرب أن يطفأ و يصطلىح الناس.

و إنّما أراد معاويه أن يرجع مثل النعمان و أبى هريره من عند علىّ عليه السّلام و هم لمعاويه عاذرون و لعلّى لايمون و قد علم معاويه أنّ عليا لا يدفع قتله عثمان اليه، فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشّام بذلك و أن يظهر عذره، فقال لهما اثتيا عليّا فانشده الله و سلاه بالله لما دفع الينا قتله عثمان فأنّه قد آواهم و منعهم ثمّ لا حرب بيننا و بينه، فان أبى فكونوا شهداء لله عليه و أقبل على الناس فاعلماهم ذلك، فأتيا إلى علىّ عليه السّلام فدخلوا عليه.

فقال له أبو هريره: يا أبا الحسن انّ الله قد جعل لك فى الاسلام فضلا و شرفا أنت ابن عمّ محمّد رسول الله، و قد بعثنا اليك ابن عمّك معاويه يسألك أمرا يسكن به هذه الحرب و يصلح الله تعالى به ذات البين أن تدفع إليه قتله عثمان ابن عمّه فيقتلهم به، و يجمع الله تعالى أمرك و أمره و يصلح بينكم و تسلم هذه الأمّه من الفتنة و الفرقه.

ثم تكلم النعمان بنحو من هذا.

فقال عليه السلام لهما دعا الكلام في هذا حدثني عنك؟ يا نعمان أنت أهدي قومك سبيلا؟ يعني الأنصار قال: لا قال: فكل قومك تبعني إلا- شذاذ منهم ثلاثة أو أربعة أفتكون أنت من الشذاذ؟ فقال النعمان: أصلحك الله إنما جئت لأكون معك و ألزمك و قد كان معاوية سألني أن أؤدّي هذا الكلام و رجوت أن يكون لي موقف اجتمع فيه معك و طمعت أن يجرى الله بينكما صلحا، فاذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازم و كائن معك فأما أبو هريره فليحق بالشام و أقام النعمان عند عليّ عليه السلام فأخبر أبو هريره معاوية بالخبر فأمره أن يعلم الناس ففعل.

و أقام النعمان بعده ثم خرج فارّا من عليّ حتّى إذا مرّ بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي و كان عامل عليّ عليها فأراد حبسه و قال له: ما مربك ههنا؟! قال إنما أنا رسول بلغت رساله صاحبي ثم انصرفت فحبسه، و قال كما أنت حتى اكتب إلى عليّ فيك فناشده و عظم عليه أن يكتب إلى عليّ فيه فأرسل النعمان إلى قرطه بن كعب الانصارى و هو كاتب عين التمر يجيبى خراجها لعليّ عليه السلام فجاءه مسرعا فقال لمالك بن كعب: خلّ سبيل ابن عتيّ يرحمك الله، فقال يا قرطه اتق الله و لا تتكلم في هذا فانه لو كان من عبّاد الانصار و نساكهم لم يهرب من أمير المؤمنين عليه السلام إلى أمير المنافقين فلم يزل به يقسم عليه حتّى خلا سبيله و قال له يا هذا لك الأمان اليوم و الليلة و غدا و الله لان أدركتك بعدها لأضربن عنقك.

فخرج مسرعا لا يلوى على شيء و ذهبت به راحلته فلم يدر اين يتأكع من الارض ثلاثه إيام لا يعلم أين هو ثم قدم الى معاوية فخبّره بما لقي و لم يزل معه مصاحبا له يجاهد عليّا و يتبع قتله عثمان حتّى غزا الضحاك بن قيس أرض العراق، ثم انصرف إلى معاوية فقال معاوية: أما من رجل أبعث معه بجريده خيل حتى يغير على شاطئ الفرات فإنّ الله يرغب بها أهل العراق فقال له النعمان: فابعثني فإنّ لي في قتالهم نيه و هوى، و كان النعمان عثمانيا، قال فانتدب علي اسم الله فانتدب و ندب

معه ألفى رجل و أوصاه أن يتجنّب المدن و الجماعات، و أن لا يغير إلّا على مسلحه و أن يعجل الرجوع.

فأقبل النّعمان حتّى دنى من عين التّمر و بها مالك بن كعب الاربجى الّذى جرى له معه ما ذكرناه و مع مالك ألف رجل و قد أذن لهم فقد رجعوا إلى الكوفه فلم يبق معه إلّا مائه أو نحوها.

فكتب مالك إلى علىّ عليه السّلام أمّا بعد فإنّ النّعمان بن بشير قد نزل بى فى جمع كثيف فمر رأيك سدّدك الله تعالى و ثبّتك و السّلام.

فوصل الكتاب إلى علىّ عليه السّلام فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم، فإنّ النّعمان بن بشير قد نزل به فى جمع من أهل الشّام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعلّ الله يقطع بكم من الكافرين طرفا ثمّ نزل.

فلم يخرجوا فأرسل عليه السّلام إلى وجوههم و كبرائهم فأمر أن ينهضوا و يحثّوا النّاس على المسير فلم يصنعوا شيئا و اجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة فارس أو دونها فقام عليه السّلام.

فقال: ألا- إننى (منيت بمن لا يطيع) نى (إذا أمرت و لا يجيب) دعوتى (إذا دعوت) و هو اظهار لعذر نفسه على أصحابه لينسب التّقصير اليهم دونه و يقع عليهم لائم غيرهم (لا- ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربّكم) و هو توبيخ لهم على التّناقل و التقاعد و الانتظار و استنهاض بهم على نصره الله (أما دين يجمعكم و لا حميه تحمّشكم) و هو إمّا تقرير لهم بما بعد النفى ليقروا بذلك و يعترفوا بكونهم صاحب دين و حميه فيلزم عليهم الحجه و يتوجّه عليهم اللّوم و المذمّه، و إمّا توبيخ بعدم اتّصافهم بدين جامع و حميه مغضبه.

و نظيره فى الاحتمالين قوله سبحانه:

«أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ»

و على التقديرين فالمقصود به حثهم و ترغيبهم على الجهاد تهيجا و إلهابا بأن صاحب الدين و الحميه لا يتحمل أن ينزل على إخوانه المؤمنين داهيه فلا تنصرهم مع قدرته على الذب عنهم و تمكنه من حمايه دمارهم و معاونتهم.

(أقوم فيكم مستصرخا، و أناديكم متغوّثا، فلا- تسمعون لى قولاً، و لا تطيعون لى امراً حتى تكشف الامور عن عواقب المسائه) أراد أن عدم طاعتهم له مستمر إلى أن تظهر الامور(١) أى الامور الصّادره عنهم عن عواقب السوء و ترجع مآلها إلى التّدامه و ملامه النفس اللّوامة، أو المراد انه ظهر(٢) الامور الفظيحه اى الامور الصّادره عن عدوّهم بالنّسبه اليهم كالقتل و الغاره و انتقاص لاطراف.

(فما يدرك بكم ثار و لا- يبلغ بكم مرام) تهيج لهم على التآلف فى النصرة إذ من شأن العرب ثوران طباعهم بمثل هذه الأقوال(دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجر جرتهم جرجره الجمل الاسر)قال الشّارح البحرانى استعار لفظ الجرجره لكثرتهم و قوّه تضجّرهم من ثقل ما يدعّوهم إليه، و لمّا كانت جرجره الجمل الأسر أشدّ من جرجره غيرها لاحظ شبه ما نسبته إليهم من التضجّر بها، و كذلك التشبيه فى قوله(و ثقّلتُم ثقْل النّصو الأدبر).

و قوله (ثمّ خرج إلّى منكم جنيد متذائب) مضطرب (ضعيف) اشاره إلى حقاره شأنهم و قلّه عددهم و قد ذكرنا أنهم كانوا نحواً من ثلاثمائة أو دونها و قوله (كأنّما يساقون إلى الموت و هم ينظرون) اشاره إلى شدّه خوفهم و جبنهم و اضطرابهم فيما يساقون إليه مثل اضطراب من يساق إلى الموت و خوفه منه هذا.

و قال صاحب الغارات: إنّه بعد ما خطب هذه الخطبه نزل من المنبر فدخل منزله، فقام عدّى بن حاتم فقال: هذا و الله الخذلان ما على هذا بايعنا أمير المؤمنين، ثمّ دخل إليه فقال: يا أمير المؤمنين إنّ معى من طى ألف رجل لا يعصونى فان شئت أن أسير بهم سرت، قال: ما كنت لأعرض قبيله واحده من قبائل العرب للنّاس و لكن اخرج

ص: ١٧٨

-
- ١- (١) هذا المعنى على كون تكشف بصيغه المضارع من باب ضرب، منه.
 - ٢- (٢) هذا المعنى مبنى على كون تكشف بصيغه الماضى من باب التفعّل و نحوه تنكشف بصيغه المضارع من باب الانفعال على ما فى بعض النسخ، منه.

إلى النخيلة و عسكر بهم، فخرج و عسكر و فرض على عليه السّلام لكلّ رجل منهم سبعمائه فاجتمع إليه ألف فارس عداطيا أصحاب عدّى و ورد عليه الخبر بهزيمة النعمان.

و روى عبد الله بن جوزه الأزدي قال: كنت مع مالك بن كعب حين نزل بنا النّعمان و هو فى ألفين و ما نحن إلّا مائه، فقال لنا: قاتلوهم فى القرية و اجعلوا الجدر فى ظهوركم و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة، و اعلموا أنّ الله ينصر العشرة على الماء و الماء على الألف و القليل على الكثير.

ثمّ قال إنّ اقرب من ههنا إلينا من شيعه أمير المؤمنين قرطه بن كعب و مخنف ابن سليم فاركض إليهما فاعلمهما حالنا و قل لهما فلينصرانا فمررت بقرطه فاستصرخته فقال إنّما أنا صاحب خراج و ليس عندى من اغيثه به، فمضيت إلى مخنف فسرّح معى عبد الرحمن بن مخنف فى خمسين رجلا.

و قاتل مالك و أصحابه النّعمان و أصحابه إلى العصر فأتيناه و قد كسر هو و أصحابه جفون سيوفهم و استقبلوا الموت، فلو أبطانا منهم هلكوا، فما هو إلّا- ان رأنا أهل الشام و قد أقبلنا عليهم أخذوا ينكصون عنهم و يرتفعون و رائنا مالك و أصحابه فشدّوا عليهم حتّى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجالا ثلاثة فظنّ القوم أنّ لنا مددا و حال الليل بيننا و بينهم فانصرفوا إلى أرضهم.

و كتب مالك إلى على عليه السّلام أمّا بعد: فأنّه نزل بنا النّعمان بن بشير فى جمع من أهل الشّام كالظاهر علينا و كان أعظم أصحابى متفرّقين و كنا للذى كان منهم آمنين فخرجنا رجالا مصلتين فقاتلناهم حتّى المساء و استصرخنا مخنف بن سليم فبعث لنا رجالا من شيعه أمير المؤمنين و ولده، فنعم الفتى و نعم الأنصار كانوا فحملنا على عدوّنا و شددنا عليهم، فأنزل الله علينا نصره و هزم عدوّه و أعزّ جنده و الحمد لله ربّ العالمين و السّلام على أمير المؤمنين و رحمه الله و بركاته.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست در وقتى كه نعمان بن بشير بأمر معاويه بد ضمير با دو هزار سوار بجهت تخويف أهل عراق از شام حركت نموده چون بعين التمر رسيد با مالك بن كعب ارحبى كه عامل أمير المؤمنين بود جنك نموده مالك

آن حضرت را از ما وقع اخبار نموده آن حضرت هر چند ترغیب فرمود أصحاب خود را بنصرت مالک و کارزار دشمنان ایشان تکاهل ورزیدند پس حضرت این خطبه را خواند که:

مبتلا- شدم بکسی که اطاعت نمی کند مرا در قتال أهل ضلال هر گاه امر نمایم او را به آن، و اجابت نمی نماید قول مرا در جدال هر گاه دعوت میکنم او را به آن، پدر مباد شما را چه انتظار می کشید بیاری دادن پروردگار خود آیا نیست شما را دینی که جمع نماید شما را از این تفرّق و اختلاف آراء، و نیست غیرتی که بخشم آورد شما را از این حرکت و کردار اعداء، ایستاده ام در میان شما فریاد کننده بجهت دفع اشرار، و می خوانم شما را بفریاد رسی در قتل دشمنان جفا کار.

پس گوش نمی دهید به گفتار من، و اطاعت نمی کنید بامر و فرمان من تا این که اظهار میکند این کارهای ناشایسته شما از عاقبت های بدی، یا این که ظاهر می شود کارهای دشوار از عاقبت های بد، پس ادراک نمی شود با عانت شما کینه جوئی و خون خواهی از اعداء، و رسیده نمی شود بیاری و حمایت شما مقصودی از مقصودها.

دعوت کردم شما را بیاری برادران خودتان پس آواز گردانیدید در حنجره بجهت دلتنگی از دعوت من چون آواز گردانیدن شتری که درد ناف داشته باشد و ناله کند از آن، و گرانی نمودید در کار زار چون گرانی شتر لاغر ریش پشت در رفتار، پس بیرون آمد بسوی شما از جانب شما لشکر کی مضطرب و ناتوان گویا که رانده میشوند با جبر و اکراه بسوی مرگ در حالتی که نظر میکند بشداید مرگ و آهاویل آن.

و من کلام له علیه السّلام فی الخوارج و هو الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَلِمَةٌ حَقٌّ يَرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ

ص: ۱۸۰

نعم إنه لا- حكم إلا- لله و لكن هؤلاء يقولون: لا إمره و إنه لا بد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، و يبلغ الله فيها الأجل، و يجمع به الفىء، و يقاتل به العدو، و تأمن به السيل، و يؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح برّ، و يستراح من فاجر. و فى روايه أخرى أنه لمّا سمع تحكيمهم قال: حكم الله أنظر فيكم، و قال عليه السلام: أمّا الامر البرّ فيعمل فيها التقى، و أمّا الامر الفاجر فيتمتع فيها الشقى، إلى أن تنقطع مدّته و تدركه ميّته.

اللغة

(نعم) بفتحيتين حرف جواب لتصديق المخبر إذا وقعت بعد الخبر و (الامر) بالكسر الولاية اسم مصدر من امر علينا مثله إذا ولى و (البرّ) بفتح الباء كالبارّ الكثير البرّ و الجمع أبرار و (الفىء) الغنيمه و لفظ (التحكيم) فى قول الرضى (ره) من المصادر المولده من قولهم لا حكم إلا لله مثل التسبيح و التهليل من قول سبحان الله و لا إله إلا الله.

الاعراب

لكن مخفّفه من الثقيله و هى حرف ابتداء غير عامله لدخولها على الجملتين و معناها الاستدراك و فسّر بأن ينسب لما بعدها حكما مخالفا لما قبلها، و لذلك لا بدّ أن يتقدّمها كلام مناقض لما بعدها، نحو ما هذا ساكنا و لكن متحرّك، أو ضدّ له نحو ما هذا أبيض و لكن أسود، قيل أو خلافاً نحو ما زيد قائما و لكن شارب، و قيل لا يجوز ذلك و كلامه عليه السلام دليل على الجواز.

و جملة و أنه لا بدّ للناس اه حاله، و الضّ مير فى أنه للشّان: و جملة يعمل فى امرته كالتاليه لها مجروره المحلّ على الوصفية، و قوله حتّى يستريح كلمه حتّى إمّا بمعنى إلى على حدّ قوله سبحانه:

«حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» أو بمعنى كى التعليلية على حدّ قوله:

«وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ» و قوله: «هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا».

المعنى

اشاره

قد مضى فى شرح الخطبه السادسه و الثلاثين كيفيه قتال الخوارج، و مرّ هناك أنّهم اتّخذوا قول لا حكم إلاّ لله شعارا لهم و أنّه عليه السّلام لمّا دخل الكوفه جاء اليه زرعه بن البرج الطائى و حرقوص بن زهير التميمى ذو الشّديه فقال: لا حكم إلاّ لله و مرّ أيضا أنّه خرج يخطب النّاس فصاحوا به من جوانب المسجد لا حكم إلاّ لله و صاح به رجل:

«وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» فقال عليه السّلام: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» و لما سمع قولهم لا حكم إلاّ لله قال عليه السّلام إنّها (كلمه حقّ يراد بها الباطل) أمّا أنّها كلمه حقّ فلكونها مطابقه لنفس الأمر إذ هو سبحانه أحكم الحاكمين لا رادّ لحكمه و لا دافع لقضائه كما قال تعالى:

«إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ».

يعنى أنّه إذا أراد شيئا لا بدّ من وقوعه و يحتمل أن يكون الحكم لحقيتها نظرا إلى كون

جميع الأحكام مستندا إليه سبحانه بملاحظه أنه سبحانه جاعلها و شارعها كما قال:

«لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ».

و لأجل مطابقتها لنفس الأمر صدقهم بقوله (نعم لا حكم إلا لله) و أما أنهم أرادوا بها الباطل فلائ مقصودهم بذلك إنما كان إبطال جعل الحكمين و إنكار صحه تفويض الأمر إليهما بزعم أن الأحكام كلها لله سبحانه، و هو الحاكم لا غير، فلا يجوز لأحد الحكم فى شىء من الأشياء إلا بنص به فى القرآن، فلا يصح التحكيم و إناطه الأمر برأى الحكمين، لعدم ورود نص فيه بصحته، و هو معنى قولهم بعد ما سمعوا صحيفه الصلح فى صفين على ما مر: الحكم لله يا على لا لك فلا نرضى بأن يحكم الرجال فى دين الله، و قولهم لابن عباس لما احتج معهم بأمره: و الرابعه أنه حكم الرجال فى دين الله و لم يكن ذلك إليه.

و وجه بطلان ذلك أولا- أن كون الأحكام لله لا يستلزم كون جميع الأحكام منصوصا به فى القرآن إذ رب حكم مستنبط من السنه و من ساير الأدله الشرعيه، و هو لا يخرج بذلك عن كونه حكم الله و ثانيا منع عدم ورود النص بالتحكيم فى القرآن و قد امر بالتحكيم فى شقاق بين الرجل و امرته فقال سبحانه:

«فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا» و حكم الرجال فى طائر فقال: «وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» فدماء المسلمين أعظم من دم طائر، و الشقاق بينهم أشد من الشقاق بين الرجل و المرأة.

و ثالثا أن مقتضى نفيهم الحكم لغير الله هو نفي الاماره للملازمه التى بينهما كما أشار إليه بقوله (و لكن هؤلاء يقولون لا امره) إلا أن التالى باطل فالمقدم مثله بيان الملازمه أن الأمير لا بد أن يكون حاكما و ناظرا إلى وجوه المصلحه فاذا لم يجر له حكم و لم ينفذ له امر و لم يعض له رأى فلا- يكون له اماره البته (و) أميا بطلان التالى فلائنه (لا بد للناس من أمير بر أو فاجر) و ذلك لأن النوع

الانسانى بمقتضى النفس الأمّاره المودعه فيه مايل إلى الشرور و المفسد، فلا بدّ فى بقاء نظامهم و انتظام أمر معاشهم و معادهم من مانع يمنعه من ظلمه، و رادع يردعه عن شرّه.

و العله المانعه عند الاستقراء مرجعها إلى أحد أمور أربعه إمّا عقل زاجر أو دين حاجز أو عجز مانع أو سلطان رادع، و السيّـلطان القاهر أبلغها نفعا لأنّ العقل و الدّين ربّما كانا مغلوبين بدواعى الهوى فيكون رهبه السيّـلطان أقوى ردعا و أعمّ نفعا و إن كان جائرا و لهذا اشتهر أنّ ما نزع السيّـلطان أكثر ممّا نزع القرآن، و ما يلتئم بالسّنان لا ينتظم بالبرهان.

و كفاك شاهدا ما يشاهد من استيلاء الفتن و الابتلاء بالمحن بمجرّد هلاك من يقوم باماره الحوزه و رعايه البيضه و إن لم يكن على ما ينبغى من الصّـلاح و السيّـداد، و لم يخل من شائبه شرّ و فساد و لهذا لا ينتظم أمر أدنى اجتماع كرفقه طريق بدون رئيس يصدرون عن رأيه و مقتضى أمره و نهيه.

بل ربّما يجرى مثل هذا فيما بين الحيوانات العجم كالنّحل لها يعسوب يقوم مقام الرئيس ينتظم أمرها ما دام فيها، فاذا هلك انتشر الأفراد انتشار الجراد و شاع فيما بينها الهلاك و الفساد.

و بالجملة فقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّ وجود السيّـلطان و إن كان جائرا خيرا من عدمه المستلزم لوجود الفتنه و وقوع الهرج و المرج بين الخلق إذ كان بوجوده صلاح بعض الامور، على أنّه و ان كان لا- خيرا فيه أيضا من جهة جايريّته إلّا أنّ هيئته و وجوده بين الخلق ممّا يوجب الانزجار عن إثارة الفتن و يكون ذلك خيرا وقع فى الوجود بوجوده لا- يحصل مع عدمه، فوجوده مطلقا واجب.

و هذا معنى قوله و لا- بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر و قوله (يعمل فى امرته المؤمن) روى فى شرح المعتزلى عن بعض شارحى كلامه عليه السّلام أنّ النّظر فيه إلى أماره الفاجر و هكذا الألفاظ التى بعد ذلك كلّها راجعه إليها و أنّ المقصود بذلك أنّ أماره الفاجر ليست بمانعه للمؤمن من العمل لأنّه يمكنه أن يصلىّ و يصوم و يتصدّق

و إن كان الأمير فاجرا في نفسه (١) و بقوله (و يستمتع فيها الكافر) أنه يتمتع بمدته كما قال سبحانه للكافرين:

«قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ».

و قال الشَّارح البحراني: الضَّمير في امرته راجع إلى الأمير، و لمَّا كان لفظ الأمير محتملا للبرِّ و الفاجر كان المراد بالامرء الذي يعمل فيها المؤمن امرء الأمير من حيث هو برّ و بالتى يستمتع فيها الكافر امرته من حيث هو فاجر قال:

و هذا أولى من قول بعض الشَّارحين إنَّ الضَّمير يعود إلى الفاجر فإنَّ امرء الفاجر ليست مظهره تمكن المؤمن من عمله.

و المراد بعمل المؤمن في امرء البرِّ عمله على وفق أو امر الله و نواهيه إذ ذلك وقت تمكنه منه و المراد باستمتاع الكافر في امرء الفاجر انهماكه في اللذات الحاضرة التى يخالف فيها أوامر الله و نواهيه و ذلك وقت تمكنه من مخالفه الدين.

أقول و يؤيد هذا الوجه الرواية الأخرى الآتية، و يمكن أن يكون المعنى أنه لا بدَّ من انتظام أمور المعاش من أمير برّ أو فاجر ليعمل المؤمن بما يستوجب به جنات النعيم، و يتمتع فيها الكافر ليكون حبه عليه (و يبلغ الله فيها الاجل) أى فى أماره الأمير برّا كان أو فاجرا و فايده هذه الكلمه تذكير العصاه ببلوغ الأجل و تخويفهم به (و يجمع به) أى بالأمير مطلقا (الفىء و يقاتل ب) وجود (ه العدو و تأمن ب) سطوت (ه السَّبل و يؤخذ ب) عدل (ه الحقّ) للضعيف من القوى و هذه الامور كلّها ممكنه الحصول فى أماره الفاجر كحصولها فى أماره البرّ.

ألا ترى أنّ امراء بنى امية مع كونهم فسّاقا كان الفىء يجمع بهم و البلاد تفتح فى أيامهم، و الثغور الاسلاميه محروسه و السَّبل آمنه، و القوى مأخوذ بالضعيف، و لم يضرب جورهم شيئا فى تلك الامور.

و قوله (حتى يستريح برّ و يستراح من فاجر) يعنى أنّ هذه الامور لا تزال

ص: ١٨٥

تحصل بوجود الأمير بَرّا كان أو فاجرا إلى أن يستريح البرّ من الامراء أو مطلق الناس و يستريح الناس من الأمير الفاجر أو مطلق الفاجر بالموت أو العزل، و فيهما راحه للبرّ لأنّ الآخره خير من الاولى و لا يجرى الامور غالبا على مراده و لا يستلذّ كالفاجر بالانهماك في الشّهوات، و راحه للناس من الفاجر لخلاصهم من جوره و إن انتظم به نظام الكلّ في المعاش.

و على كون حتّى مرادفه كى التعليليه فالمعنى أنّ غايه صدور هذه الامور أن يستريح البرّ من الناس في دوله البرّ من الامراء، و يستريح الناس مطلقا من بغى الفجار و من الشرور و المكاره في دوله الأمير مطلقا، و لا ينافى ذلك اصابه المكروه من فاجر احيانا هذا.

و قال السيّد ره (و فى روايه اخرى أنّه) عليه السّلام (لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم) اى جريان القضاء بقتلهم و حلول وقت القتل و قد مرّت هذه الروايه فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين عن ابن و يزيل فى كتاب صفّين و لا حاجه إلى الاعاده.

و قال (أما الامر به البرّ فيعمل فيها التّقوى) و يقوم بمقتضا تقواه (و أما الامر به الفاجر فيتمتّع فيها الشّقوى) بمقتضى شقاوته (إلى أن تنقطع مدّته) اى مدّه دولته أو حياته (و تدركه منيته)

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح المقام: إنّ هذا الكلام نصّ صريح منه عليه السّلام بأنّ الامامه واجبه، فأما طريق وجوب الامامه ماهى فإنّ مشايخنا البصريّين يقولون طريق وجوبها الشّرع و ليس فى العقل ما يدلّ على وجوبها، و قال البغداديّون و أبو عثمان الجاحظ من البصريّين و شيخنا أبو الحسين إنّ العقل يدلّ على وجوب الرّياسه و هو قول الاماميه إلّا أنّ الوجه الذى يوجب أصحابنا الرّياسه غير الوجه الذى توجب الاماميه منه الرّياسه.

و ذاك إنّ أصحابنا يوجبون الرّياسه على المكلفين من حيث كان فى الرّياسه

مصالِح دنیویّه و دفع مضار دنیویّه، و الامامیّه یوجبون الرّیاسه علی اللّٰه من حیث کان فی الرّیاسه لطفاً به و بعداً للمکلفین عن مواقعه القبایح العقليّه، و الظاهر من کلام أمير المؤمنين يطابق ما يقوله أصحابنا ألا تراه كيف علّل قوله: لا بدّ للنّاس من أمير فقال فی تعليله یجمع بها الفیء و یقاتل بها العدوّ و یؤمن به السّبل و یؤخذ الضّعيف من القوى، و هذه کلّها مصالِح الدّنيا انتهى.

أقول: و أنت خبير بما فيه، لأنّ کلامه علیه السّلام نصّ صريح فی وجوب الاماره، و الاماره غیر الامامه، لامکان حصولها من البرّ و الفاجر كما هو صريح کلامه بل من الکافر أيضاً، بخلاف الامامه فإنّها نیابه عن الرّسول و الغرض العمده فیها هو مصلحه الدّین و اللّطف فی حقّ المکلفین كما أنّ المقصود من بعث النّبیّ أيضاً کان ذلک، فلا- یمكن حصولها من الفاجر و إن کان یتربّ عليها مصلحه دنیویّه أيضاً إلا أنّ المصالِح الدّنیویه زایده فی جنب المصالِح الاخرویّه لا صلاحیّه فیها للعلیه للامامه و إنّما یصلح علیه لوجوب الاماره و یکتفی فیها بذی شوکه له الرّیاسه العامه إماماً کان أو غیر إمام، فإنّ انتظام الأمر یحصل بذلک كما فی عهد فخر بنی امیه حیثما ذکرنا سابقاً، و لأجل کون نظره علیه السّلام إلى وجوب الاماره علّل الوجوب بامور راجعه إلى المصالِح الدّنیویّه، و لو کان نظره إلى الامامه لعللها بامور راجعه إلى مصالِح الدّین و الدّنيا.

و بالجمله فلا دلالة فی کلامه علیه السّلام علی مذهب الشّارع تبعاً للبغدادیین من کون وجوب الامامه مستندا إلى أنّ فیها جلب منافع دنیویّه و دفع مضارّ دنیویّه، و لیس مقصوده الاشاره إلى وجوب الامامه فضلاً عن کونه نصّاً صریحاً فيه، و إنّما کان مقصوده بذلک ردّ الخوارج المنکرین لوجوب الاماره، فأثبت وجوبها لاحتیاج النّاس إليها فافهم جيّداً.

الترجمه

از جمله کلام آن عالیمقام است در شأن خوارج نهروان وقتی که شنید گفتار ایشان را که لا حکم إلا لله می گفتند یعنی هیچ حکم نیست مگر خداوند را

که این سخن سخن حقی است که اراده شده به آن امر باطل بلی بدرستی که هیچ حکمی نیست مگر خدای را و لکن این جماعت مقصودشان از این سخن این است که هیچ امارت نیست در میان مردمان و حال آنکه این حرف بی وجه است از جهت این که ناچار است مردم را از امیری نیکوکار یابد کار تا این که عمل کند در زمان امارت امیر نیکوکار مؤمن پرهیزکار به او امر و نواهی پروردگار، و لذت بر دارد در زمان امیر فاجر منافق و کافر، و تا برساند خدای تعالی در امارت آن امیر مردمان را بمنتهای زمان و جمع شود به وجود آن امیر غنیمت، و قتال کرده شود بواسطه او با دشمنان، و آسوده شود بسبب او راههای بیابان، و گرفته شود به عدالت او حق ضعیف بیچاره از صاحب قوه با شوکت تا آسوده و راحت شود نیکوکار و راحتی یافته شود از شریر روزگار.

سید مرحوم گفته در روایت دیگر وارد شده که آن حضرت زمانی که شنید لا حکم إلا لله گفتن خارجیان را فرمود: که حکم خداوند را انتظار می کشم در حق شما که حلول وقت قتل ایشان بود و فرمود آن حضرت که اما امارت نیکو پس عمل می کند در آن پرهیزکار و اما امارت بد پس تمتع یابد در آن تبه کار تا آنکه منقطع شود و بنهایت برسد مدت عمر او در زمان، و در یابد و ادراک نماید او را مرگ ناگهان، و الله أعلم بسر کلامه علیه السلام.

و من خطبه له علیه السلام و هی الاحدی

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و قد رواها المحدث المجلسی فی البحار من کتاب مطالب السؤل لمحمد بن طلحه قال: و من خطبه علیه السلام الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدث الجلیل، فإنه لا ینجو من الموت من خافه و لا یعطى البقاء من أحبه ألا و

إنَّ الوفاء توأم الصِّدق، ولا أعلم جنَّه أوقى منه، ولا يغدر من علم كيف المرجع، ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا، و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيله و دونه مانع من أمر الله و نهيه، فيدعها رأى عين بعد القدره عليها، و ينتهز فرصتها من لا حريجه له في الدين.

اللغة

(التوأم) معروف يقال هذا توأم هذا و هذه توأم هذه و هما توأمان و (الجنَّه) بالضم الترس و (المرجع) اسم مكان أو مصدر و الموجود في اكثر النسخ بفتح الجيم و في بعضها بالكسر، و الظاهر أنَّه الصِّحيح، قال الفيروز آبادي: رجع يرجع رجوعا و مرجعا كمنزل و مرجعه شاذان، لأنَّ المصادر من فعل يفعل إنَّما تكون بالفتح و (الكيس) وزان فلس مصدر من كاس كيسا و هو الفطنه و العقل و (الحول القلب) البصير بتقليب الامور و تحويلها و (الزاي) مصدر كالزؤيه و (الانتهاز) المبادره يقال انتهاز الفرصه اغتتمها و بادر إليها و (الحريجه) التَّحرج، و التَّأثم، اى التحرّز من الحرج و الاثم، قال الفيومى تحرّج الانسان تحرّجا هذا ممّا ورد لفظه مخالفا لمعناه و المراد فعل فعلا جانب به الحرج كما يقال، تحنّث إذا فعل ما يخرج به عن الحنث، قال ابن الاعرابي: للعرب أفعال تخالف معانيها ألفاظها يقال تحرّج و تحنّث و تأثم و تهجّد إذا ترك الهجود.

الاعراب

قوله: كيف المرجع كيف اسم استفهام مبنى على الفتح و هو فى محلّ رفع على الخبريّة، و المرجع مبتداء مؤخر و الجملة فى موضع نصب بعلم و هى معلّقه عنها العامل لأنّ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، و ما لهم استفهام انكارى، و جمله

قاتلهم الله دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و جمله و دونه مانع حاليه، و انتصاب رأى عين على حذف المضاف لدى بعد رايه أو مع رايه بعين و يحتمل أن يكون حالا- أى يتركها حال كونها مرثيه بعين، و جمله و ينتهز فرصتها استينافيه لا- محلّ لها من الاعراب، و من الموصوله فاعل ينتهز.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الوفاء و الصّديق من جنود العقل كما أنّ الغدر و الكذب من جنود الجهل على ما ورد فى روايه الكافى باسناده عن ابن مهران عن أبى عبد الله عليه السّلام، و تقابل الأولين مع الآخرين تقابل العدم و الملكه، لأنّ عدّ هذه الأوصاف من جنود العقل و الجهل باعتبار مبادئها الرّاسخه و ملكاتها الثّابته فى النّفس دون آثارها التى هى من الأعمال و الأفعال، و على هذا فالوفاء ملكه نفسانيه تنشأ من لزوم العهد كما ينبغى و البقاء عليه، و الغدر عدم الوفاء عمن من شأنه الوفاء، و الصّديق ملكه تحصل من لزوم مطابقه الأقوال للواقع، و الكذب عدم الصّديق لمن من شأنه الصّديق.

و أما النّسبه بين الوفاء و الصّديق فهى أنّ الأول أخصّ من الثّانى مطلقاً لأنّ الوفاء هو الصّديق فى الوعد و ربّما يكون صادقا فى غير مقام الوعد فكلّ وفاء صدق و لا يكون كلّ صدق وفاء، و يمكن أن يقال: أنّ النّسبه عموم من وجه إذ الصّديق لا يكون إلّا فى القول، لأنّه من أنواع الخبر، و الخبر قول و الوفاء قد يكون بالعمل، و مثلها النّسبه بين الغدر و الكذب قال الشّاعر:

غاض الوفاء و فاض الغدر و اتّسعت مسافه الخلف بين القول و العمل

إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ الوفاء و الصّديق لما كانا متشاركين فى كونهما من جنود العقل متلازمين غالبا لاجرم شبّههما بالتّوأمين و قال عليه السّلام (إنّ الوفاء توأم الصّديق) و ذلك إنّ التّوأم الولد المقارن للولد فى بطن واحد، فشبّه الوفاء به لتقارنه الصّديق بحسب العقل و تصاحبه معه غالبا (و لا- أعلم جنّه أوقى منه) أى أشدّ وقايه منه من عذاب الآخره و من عار الدّنيا المترتّبين على الغدر و خلف

الوعد، مضافا إلى ما فيه من الثمرات و المنافع الاخر، و سنشير إلى منافعه الأخرى بعد الفراغ من شرح الخطبه، و أما الثمرات الدنيويّه فمنها اعتماد الناس على قول الوفيّ و ثقتهم به و ركونهم إليه و استحقاق المدح و الثناء عند الخالق و الخلائق، و من هنا قيل الوفاء مليح و الغدر قبيح.

قال المطرزي في شرح المقامات: السّمؤل يضرب به المثل في الوفاء يقال أو في من السّمؤل، و من وفائه أنّ امرء القيس بن الحجر لما أراد الخروج استودع السّمؤل دروعا فلما مات امرء القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السّمؤل، فأخذ ابنا له كان مع ظئر خارجا من الحصن، ثمّ صاح بالسّمؤل فأشرف عليه ثمّ قال هذا ابنك في يدي و قد علمت أنّ امرء القيس ابن عمّي و أنا احقّ بميراثه، فان دفعت إليّ الدّروع و إلّا- ذبحت ابنك، فقال: أجلني، فأجله فجمع أهل بيته و نساءه فشاورهم فكلّ أشار إليه أن يدفع الدّروع، فقال: ما كنت لاحقّ أمانه فاصنع ما انت صانع إنّ الغدر طوق لا يبلى و لا بنى هذا اخوه فذبح الملك ابنه و هو ينظر إليه، و رجع خائبا فلما دخلت أيام الموسم وافى السّمؤل بالدّروع الموسم فدفعها إلى ورثه امرء القيس.

و في الأثر إنّ النّعمان بن المنذر قد جعل له يومين، يوم يؤس من صادفه فيه قتله و أرداه، و يوم نعيم من لقي فيه أحسن إليه و أغناه، و كان رجل من طيّ قد خرج ليطلب الرّزق لأولاده، فصادفه النّعمان في يوم يؤسه فعلم الطائي أنّه مقتول، فقال: حيا الله الملك إنّ لي صبيه صغارا و لم يتفاوت الحال في قتلي بين أوّل النّهار و آخره، فان رأى الملك أن اوصل إليهم هذا القوت و أوصى بهم أهل المروّه من الحيّ ثمّ أعود للملك، فقال النّعمان: لا إذن لك إلّا أن يضمّنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه، و كان شريك بن عديّ نديم النّعمان معه، فقال: أيّها الملك أنا أضمنه فمضى الطائي مسرعا و صار النّعمان يقول لشريك جاء وقتك فتأهّب للقتل، فقال: ليس للملك على سبيل حتّى يأتي المساء.

فلما قرب المساء قال النّعمان: تأهّب للقتل، فقال شريك، هذا شخص قد لاح

مقبلا و أرجو أن يكون الطائي، فلما قرب إذا هو الطائي قد اشتدّ في عدوه مسرعا حتّى وصل، فقال: خشيت أن ينقضى النّهار قبل وصولي فعدوت، ثم قال: أيّها الملك مر بأمرك، فأطرق النّعمان ثم رفع رأسه فقال: ما رأيت أعجب منكم، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقاما يفتخر به، و أما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحه يذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألام الثلاثة ألا و إنّي قد رفعت يوم يؤسى عن النّاس و نقضت عادتي كرما لوفاء الطائي و كرم شريك، فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء و فيه اتلاف نفسك، فقال: من لا وفاء له لا دين له فأحسن إليه النعمان و وصله بما أغناه.

ثم إنّ عليه السّلام بعد الترغيب في الوفاء و بيان حسنه رهّب عن الغدر بقوله (و لا يغدر من علم كيف المرجع) يعنى من كان له علم بحاله الغادر في الآخرة و بما يستحقّ به بغدره من الجحيم و العذاب الأليم، لا يصدر منه غدر و لا يكون له رغبة إليه.

روى في البحار من الكافي مسندا عن الاصبغ بن نباته، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم و هو يخطب على المنبر بالكوفة: يا أيّها الناس لو لا كراهيه الغدر لكنت من أدهى النّاس الا أن لكلّ غدره فجره، و لكلّ فجره كفره ألا و إنّ الغدر و الفجور و الخيانه في النّار هذا.

و لما بيّن حسن الوفاء و قبح الغدر أشار إلى ما عليه أكثر أهل زمانه من رغبتهم إلى الغدر و عدّهم ذلك حسنا و غفلتهم عن قبحه فقال: و (لقد أصبحنا في زمان اتّخذ أكثر أهله الغدر) و الخديعه (كيسا) و فطانه (و نسبهم أهل الجهل فيه إلى) صحه التدبير و (حسن الحيله).

و ذلك لأنّ الغدر كثيرا ما يستلزم الذّكاء و التفطن لوجه الحيله و ايقاعها بالمغد و ربه كما أنّ الكيس أيضا عبارته عن الفطانه وجوده الذّهن في استخراج وجوه المصالح، فالغادر و الكيس يشتركان في الاتصاف بالفطنة إلّا أنّ

الأول يستعمل فطنته فى استخراج وجوه الحيله لجلب منفعة دنيويّه و إن خالفت القوانين الشرعيّه، و الكيس يستعمل فطنته فى استنباط وجوه المصالح الكليه على وجه لا يخالف قواعد الشريعة، فلدقّه الفرق استعمل الغادرون غدرهم فى موضع الكيس و نسبهم أهل الجهاله و الغفله إلى صحّح الرأى و حسن الحيله، كما كانوا يقولون فى عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبه و لم يعلموا أنّ حيله الغادر تخرجه إلى رذيله الفجور و أنّه لا حسن فى حيله جرّت الى رذيله.

(ما لهم) اى لهؤلاء الغادرين فى افتخارهم بغدرهم (قاتلهم الله) و أبعدهم من رحمته (قد يرى الحول القلب) أى كثير البصيره فى تحويل الامور و تقليبها لاستنباط وجوه المصالح، و أراد به نفسه الشريف و مقصوده أنّ الغدر و الخديعه ليس قابلا لأنّ يفتخر به فإنّ صاحب البصيره ربّما يعرف (وجه الحيله) كأنّه يراه عيانا (و) مع ذلك لا يقدم عليها لما يشاهد أنّ (دونها) أى دون الحيله و العمل بها (مانع من أمر الله) بتركها (و نهيه) عن فعلها (فيدعها) و يتركها (رأى عين) أى مع رؤيته عيانا (بعد قدره عليها) و تمكّنه منها تجنّباً من الرذائل الموبقه و خوفاً من الله سبحانه (و ينتهز فرصتها) و يبادر إليها (من لا حريجه له فى الدين) و لا مبالاه له فى أوامر الشرع المبين و لا خوف له من الله ربّ العالمين.

تبصره

قد عرفت حسن الوفاء و أنّه ممّا يترتب عليه المدح و الثواب، و قبح الغدر و أنّه ممّا يترتب عليه اللوم و العقاب، فيكون الأول واجبا سواء كان فى عهود الله سبحانه أو عهود الخلق، و الآخر حراما، و قد اشير إلى ذلك المعنى فى غير موضع من القرآن و وردت بذلك أخبار كثيره و لا بأس بالاشارة إلى بعضها فإنّ الاستقصاء غير ممكن.

فأقول: قال سبحانه فى سورة المائدة:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ »

ص: ١٩٣

أى بالعهود قال ابن عباس: والمراد بها العهود التى أخذ الله سبحانه على عباده بالإيمان به وطاعته فيما أحلّ لهم أو حرّم عليهم، وفى روايه اخرى قال: ما هو أحلّ و حرّم و ما فرض و ما حدّ فى القرآن كلّهُ، أى فلا تتعدّوا ولا تنكثوا، وقيل المراد العقود التى يتعاقدها الناس بينهم.

و فى سورة النحل «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» و فيها أيضا:

«وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» قال الطبرسى: أى لا تخالفوا عهد الله بسبب شىء يسير تنالوه من حكام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله بالشىء الحقيق.

و فى سورة مريم: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا».

قال فى مجمع البيان: إذا وعد بشىء و فى به و لم يخلف، قال ابن عباس: إنّه واعد رجلا أن ينتظره فى مكان و نسى الرجل فانتظره سنه حتّى أتاه الرجل، و عن الكافى عن الصادق، و العيون عن الرضا عليهما السلام ما فى معناه و الإسماعيل ابن خرقيل و قيل اسماعيل بن إبراهيم، و الأول رواه أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السلام.

أقول: و لعلّه أراد بهذه الروايه ما رواه المحدث العلامة المجلسى فى البحار عن الصّيدوق باسناده عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله إنّ أفضل الصّدقه صدقه اللسان تحقن به الدّماء و تدفع به الكريهه و تجرّ المنفعه الى أخيك المسلم.

ثم قال: إنّ عابد بنى اسرائيل الذى كان أعبدهم كان يسعى فى حوائج النّاس عند الملك، و إنّه لقى اسماعيل بن خرقيل فقال لا تبرح حتّى أرجع اليك يا اسماعيل، فسهل عنه عند الملك فبقى عند الملك، فبقى اسماعيل إلى الحول هناك فأنبأ الله

لاسماعيل عشباً فكان يأكل منه و أجرى له عينا و أظله بغمام فخرج الملك بعد ذلك إلى التّنزه و معه العابد فرأى اسماعيل: فقال له: إِنَّكَ لهاهنا يا اسماعيل: فقال له:

قلت لا تبرح فلم أبرح فسمّى صادق الوعد.

قال: و كان جبّار مع الملك فقال: أيّها الملك كذب هذا العبد قد مررت بهذه البرّيه فلم أراه ههنا، فقال اسماعيل إن كنت كاذباً فنزع الله صالح ما أعطاك قال فتناثرت أسنان الجبّار، فقال جبّار إنّي كذبت على هذا العبد الصّالح فاطلب أن يدعو الله أن يرّد عليّ أسناني فاني شيخ كبير، فطلب إليه الملك فقال: إنّي أفعل قال: الساعه، قال: لا، و آخره إلى السّحر، ثمّ دعى ثمّ قال: يا فضل إنّ أفضل ما دعوتم الله بالأسحار، قال الله تعالى «و بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ».

و في سورة الأحزاب: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا».

روى في الصافي من الكافي عن الصادق عليه السّلام أنّه قال المؤمن مؤمنان، فمؤمن صدق بعهد الله و وفي بشرط الله، و ذلك قول الله عزّ و جلّ «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ»، و ذلك الذي لا يصيبه أهوال الدّنيا و لا أهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع و لا يشفع له، و مؤمن كخامه الزّرع يعوج احياناً و يقوم احياناً، فذلك ممّن يصيبه أهوال الدّنيا و أهوال الآخرة، و ذلك ممّن يشفع له و لا يشفع.

و عنه عليه السّلام لقد ذكركم الله في كتابه فقال «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا»، الآية إنكم و فيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا و انكم لم تبدلوا بنا غيرنا.

و في سورة الصّاف: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» الآية و نحوها آيات أخر.

و أمّا الأخبار فمضافاً إلى ما ذكرنا ما رواه في الوسائل من الكافي باسناده عن شعيب العرقوفى، عن أبى عبد الله عليه السّلام قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله من كان يؤمن

باللّٰه و اليوم الآخر فليف إذا وعد.

و من العلل باسناده عن عبد اللّٰه بن سنان قال: سمعت أبا عبد اللّٰه عليه السّلام، يقول: إنّ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم وعد رجلا إلى صخره فقال أنا لك ههنا حتّى تأتي، قال: فاشتدّت الشمس عليه فقال له أصحابه يا رسول اللّٰه لو أنك تحوّلت إلى الظلّ، قال صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم: قد وعدته إلى ههنا و إن لم يجيء كان منه المحشر.

و فى كتاب تحف العقول قال: و من حكم أمير المؤمنين عليه السّلام و ترغييه و ترهييه و وعظه أما بعد فإنّ المكر و الخديعه فى النار فكونوا من اللّٰه على وجل و من صولته على حذر إنّ اللّٰه لا يرضى لعباده بعد اذاره و اندازه استطرادا و استدراجا لهم من حيث لا يعلمون، و لهذا يضلّ سعى العبد حتّى ينسى الوفاء بالعهد و يظنّ أنّه قد أحسن صنعا.

و لا يزال كذلك فى ظنّ و رجاء و غفله عمّا جاءه من النّباء يعقد على نفسه العقد و يهلكها بكلّ الجهد و هو فى مهله من اللّٰه على عهد (عمد خ) يهوى مع الغافلين، و يغدو مع المذنبين و يجادل فى طاعه اللّٰه المؤمنين، و يستحسن تمويه المترفين «المسرفين خ»، فهؤلاء قوم شرحت قلوبهم بالشّبهه، و تطاولوا على غيرهم بالفريه، و حسبوا أنّها لله قربه.

و ذلك لأنّهم عملوا بالهواء، و غيروا كلام الحكماء، و حرّفوه بجهل و عمى و طلبوا به السّمع و الرّياء، بلا سبيل قاصده، و لا أعلام جاريه، و لا منار معلوم إلى أمدهم و الى منهل هم واردوه حتّى إذا كشف اللّٰه لهم عن ثواب سياستهم، و استخرجهم من جلايب غفلتهم، استقبلوا مدبرا و استدبروا مقبلا، فلم ينتفعوا بما أدرکوا من امتيتهم، و لا بما نالوا من طلبتهم، و لا ما قضوا من وطهرهم، و صار ذلك عليهم و بالافصاروا يهربون ممّا كانوا يطلبون.

و إنّى احذّركم هذه المنزله، و آمرکم بتقوى اللّٰه الذى لا ينفع غيره فليتنفع بتقيه «بنفسه خ ل» إنّ كان صادقا على ما يحنّ ضميره، فإنّ البصير من سمع و تفكّر و نظر فأبصر، و انتفع بالعبر، و سلك جددا واضحا يتجنّب فيه الصّرعه فى الهوى،

و يتنكب طريق العمى، و لا- يعين على فساد نفسه الغوات بتعسف فى حق أو تحريف فى نطق أو تغيير فى صدق، و لا- قوه إلا بالله، الحديث.

و فى حديث الائمه إن الله أخذ من شيعتنا الميثاق كما أخذ على بنى آدم أ لست بربكم فمن و فى لنا و فى الله له بالجنة.

و عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يجىء كل غادر يوم القيامة بامام مايل شدقه(١) حتى يدخل النار هذا.

و قد ظهر لك ممّا ذكرناه و رويناه أنّ متعلّق الوفاء أعّم من عهود الله سبحانه و موثيقه التى أخذها من العباد، و من عهود الناس و شروط بعضهم مع بعض و موثيقهم الموافقه للقوانين الشرعيه، و الاولى عامه لاصول العقائد من التوحيد و النبوه و الولايه حيث أخذ ميثاق الناس عليها فى عالم الذرّ، و بالسّينه الأنبياء و الرّسل و الكتب المنزله، و الفروع العقائد من العبادات البدنيه و الواجبات العمليه، و الثانيه شامله للعقود التى يتعاقدونها بينهم من البيع و الصّالح و الاجاره و نحوها، و للعهود و العداات المجرّده عن العقد.

و ثمره الوفاء بالاولى الترقى الى مدارج الكمال و اليقين و الطيران فى حظيره القدس مع الأولياء المقربين، و ثمره الوفاء بالفروع البدنيه النجاء من الجحيم و الخلاص من العذاب الأليم، و نتيجه الوفاء بالعقود المعقوده استكمال النّظام و حصول الانتظام، و بالعهود المجرّده اقتناء الفضائل و اجتناب الرّذائل.

و الظاهر من كلامه عليه السلام الذى نحن فى شرحه هو أنّ مراده بالوفاء هو وفاء الناس بما يتعاهدون بينهم، و بالغدر الغدر المقابل له، و غير خفى أنّ حسن الوفاء و وجوبه إنما هو فى حقّ أهل الوفاء كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فى بعض كلماته: الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

يعنى أنّه إذا كان بينهما عهد و مشارطه فغدر أحدهما و خالف شرطه فيجوز للآخر نقض العهد أيضا، و لا يجب له الوفاء بل يكون وفائه فى حقّه غدرا قبيحا،

ص: ١٩٧

و غدره وفاء متصفا بالحسن، و ذلك لأنَّ الله سبحانه قد أمر بالوفاء مع وفاء الطرف الآخر و بالنقض مع نقضه كما اشير اليه في قوله:

«كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسِيئُوا لَهُمْ»
فيكون الوفاء مع مخالفه الطرف الآخر مخالفا لأمر الله و لحكمه الذي كان يجب عليه امتثاله و الالتزام به، فيكون ذلك الوفاء غدرا في حكم الله و يترتب عليه أثره، و الغدر له امثالا- لأمر الله و وفاء بحكم الله فيستحق الثناء الجميل و الأجر الجزيل، و يحتمل أن يكون المراد أنه يترتب على الموفى إثم الغادر و على الغادر أجر الموفى، و الله العالم.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست در مدح وفا و ذم غدر می فرماید:

بدرستی که وفا نمودن بعهد همزاد راستی و درستی است، و نمی دانم هیچ سپری که نگاه دارنده تر باشد از این خصلت، و غدر نمی کند کسی که داند که چگونه است بازگشت بخدا، و بتحقیق که صباح کرده ایم در زمانی که أخذ نموده اند بیشترین اهل آن زمان بی وفائی را کیاست و زیرکی، و نسبت داده اهل جهالت جماعت غدار را در آن روزگار به نیکوئی حیل و فراست، چیست این جماعت را خدا دور گرداند ایشان را از رحمت خود در هر دو جهان بدرستی که می بیند مردی که صاحب بصیرتست در تحویل امور و تقلیب آنها و در استنباط وجوه مصالح ظاهر حیل را و حال آنکه نزد آن حیل مانعی است از امر خدا و نهی او، پس ترک می کند آن حیل را در حال دیدن آن بچشم بعد از قدرت او بر آن بجهت خوف از عقاب خداوند، و غنیمت می شمارد مجال آن را کسی که صاحب پرهیز از گناه نیست در دین.

اشاره

و الاربعون من المختار في باب الخطب

و قد رواها المحدث المجلسي و غيره بطرق مختلفه و اختلاف يسير، و رواها الشارح المعترلي أيضا في شرح الخطبه الآتيه، و نشير الى تلك الروايات بعد الفراغ من شرح ما أورده السيّد قدّس سرّه في الكتاب و هو قوله عليه الصّلاه و السّلام:

أيّها النّاس إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان: اتّباع الهوى، و طول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخره، ألا و إنّ الدّنيا قد ولّت حدّاء، فلم يبق منها إلّا صبابه كصابه الاناء إصطَبَها صابّها، ألا و إنّ الآخره قد أقبلت، و لكلّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخره، و لا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأبيه (بأمّه خ ل) يوم القيمه، و إنّ اليوم عمل و لا حساب، و غدا حساب و لا عمل.

اللغه

قال السيّد (ره) قوله: (حدّاء) الحذاء السريعه و من الناس من يروى جدّاء بالجيم و الذال اي انقطع خيرها و درّها انتهى (1) و (الصابه) بضمّ الصاد المهمله بقيه الماء في الاناء و (الاصطباب) افتعال من الصّبّ و هو الاراقه.

الاعراب

كلمه ما في قوله أخوف ما أخاف نكره موصوفه، و العايد من الصّيفه الى الموصوف محذوف، أي أخوف ما أخافه على حدّ قوله ربما تكره النفوس له فرجه

ص: ١٩٩

١- (١) حدّاء بالحاء و الذال المعجمه و هي السريعه قطاه هذا اخف ريش ذنبها و رجل هذا أحصف اليد و قد روى قد أدبرت جدّاء بالجيم اي قد انقطع خيرها و درّها، ابن ابى الحديد.

كحلّ العقال، أى ربّ شىء تكرهه النفوس، وقوله: اتّباع الهوى و طول الأمل مرفوعان على أنّهما خبران لمبتدأ محذوف واقعان موقع التفسير لاثنتان، و هو من باب الايضاح بعد الابهام المسمّى فى فنّ البلاغه بالتّوشيح، و هو أن يؤتى فى عجز الكلام بمثنى مفسّر باسمين ثانيهما عطف على الأوّل، و مثله يشيب ابن آدم و يشبّ فيه خصلتان: الحرص و طول الأمل، و حدّاء منصوب على الحالیه، و إلّا صبابه مرفوع على الاستثناء المفرغ.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبه التّهى عن اتّباع الهوى و المنع من طول الأمل فى الدّنيا، فإنّهما من أعظم الموبقات و أشدّ المهلكات كما قال سبحانه:

«فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» يعنى من تجاوز الحدّ الذى حدّه الله و ارتكب المعاصى و فضّل الدّنيا على الآخرة و اختارها عليها: فإنّ النّار منزلها و مأواها، و أمّا من خاف مقام مسأله ربّه فيما يجب عليه فعله أو تركه، و نهى نفسه عن الحرام الذى تهويه و تشتهيه، فإنّ الجنّه مقرّه و مثواه و لكونهما من أعظم المهلكات كان خوفه منهما أشدّ كما أشار إليهما بقوله عليه السّلام (أيها النّاس إنّ أخوف ما أخاف) ه (عليكم اثنتان) اى خصلتان إحداهما (اتّباع الهوى) و المراد به هو ميل النّفس الأماره بالسّوء الى مقتضى طباعها من اللّذات الدّنيويه إلى حدّ الخروج عن قصد الشّريعه.

و مجامع الهوى خمسّه امور جمعها قوله سبحانه:

«أَتَمِّيًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ»

و الاعيان التى تحصل منها هذه الخمسه سبعة جمعها قوله سبحانه:

«زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآئِ» (و) الخصله الثانيه (طول الأمل) و المراد بالأمل تعلق النفس بحصول محبوب فى المستقبل، و يرادفه الطمع و الرّجاء إلا- أنّ الأمل كثيرا ما يستعمل فيما يستبعد حصوله و الطمع فيما قرب حصوله و الرّجاء بين الأمل و الطمع و طول الأمل عباره عن توقع امور دنيويه يستدعى حصولها مهله فى الاجل و فسحه من الزمان المستقبل.

ثمّ إنّ عليه السلام بعد تحذيره عن اتباع الهوى و طول الأمل أشار إلى ما يترتب عليهما من المفسدات الدّينيه و المضار الأخرويه فقال: (أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحقّ) و ذلك لأنّ اتباع الهوى يوجب صرف النظر إلى الشهوات الدّنيويه و قصر الهّمه فى اللذات الفانيه و هو مستلزم للاعراض عن الحقّ و هو واضح، لأنّ حبك للشىء صارفك عمّا وراه و شاغلك عمّا عداه.

(و أمّا طول الأمل فينسى الآخره) و ذلك لما قد عرفت من أنّ طول الأمل عباره عن توقع امور محبوبه دنيويه فهو يوجب دوام ملاحظتها و دوام ملاحظتها مستلزم لـاعراض النفس عن ملاحظه أحوال الآخره و هو مستعقب لا نمحاء تصورها فى الذّهن و ذلك معنى النسيان لها.

قال بعضهم: سبب طول الأمل هو حبّ الدّنيا فإنّ الانسان إذا أنس بها و بلداتها ثقل عليه مفارقتها و أحبّ دوامها، فلا يتفكّر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها، فإنّ من أحبّ شيئا كره الفكر فيما يزيله و يبطله، فلا يزال تمنّى نفسه البقاء فى الدّنيا و تقدّر حصول ما تحتاج إليه من أهل و مال و أدوات و أسباب، و يصير فكره مستغرقا فى ذلك فلا يخطر الموت و الآخره بباله.

و إن خطر بخاطره الموت و التّوبه و الاقبال على الأعمال الأخرويه آخر ذلك

من يوم إلى يوم، و من شهر إلى شهر و من عام إلى عام و قال إلى أن اكتهل و يزول سنّ الشباب، فإذا اكتهل قال إلى أن أصير شيخا، فإذا شاخ قال إلى أن أتم هذه الدار و ازوج ولدى فلانا و إلى أن أعود من هذا السيفر و هكذا يسوّف التوبه كلّما فرغ من شغل عرض له شغل آخر بل اشغال حتّى يختطفه الموت و هو غافل عنه غير مستعدّله مستغرق القلب فى امور الدّنيا، فتطول فى الآخرة حسرته و تكثر ندامته و ذلك هو الخسران المبين.

ثمّ إنّ بعد الاشارة إلى كون اتّباع الهوى صادّا عن الحقّ و طول الأمل منسيا للآخرة أردف ذلك بالتنبيه على سرعه زوال الدّنيا و فنائها كى يتنبّه الغافل عن نوم الغفله و يعرف عدم قابليتها لأن يطال الأمل فيها أو يتبع الهوى فقال (ألا و إنّ الدّنيا قد ولّت حذاء) أى أدبرت سريعه لكونها مفارقة لكلّ شخص (فلم يبق منها) بالنسبه إليه (إلا صبابه كصابه الاناء اصطبتّها صابّها) اطلاق الصبابه استعاره لبقيتها القليله، و القلّه هى الجامع بين المستعار منه و المستعار له (ألا و إنّ الآخرة قد أقبلت) إشاره إلى سرعه لحوق الآخرة، إذا إدبار العمر مستلزم لاقبال الموت الذى هو آخر أيام الدّنيا و أوّل أيام الآخرة.

و الاتيان بأنّ المؤكده و حرف التّنبيه و قد التّحقيقه، من أجل تنزيل العالم منزله الجاهل فكان المخاطبين لغفلتهم عن اقبالها حيث لم يتزوّدوا لها و لم يتخذوا لها ذخيره جاهلون لهو قوله عليه السّلام (و لكلّ منهما بنون) شبّه الدّنيا و الآخرة بالأب أو الامّ و أهلها بالأبناء و الأولاد إشاره إلى فرط ميل أهل الدّنيا إلى دنياهم و أهل الآخرة إلى آخرتهم فهم من فرط المحبه إليهما بمنزله الابن إلى أبويه، و هما من حيث تهيه الاسباب لأهلهما بمنزله الأبوين الصّارفين نظرهما إلى تربيته الأولاد.

ثمّ لما كان غرضه عليه السّلام حثّ الخلق على السّعى للآخرة، و الميل إليها و الاعراض عن الدّنيا قال (فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدّنيا) و علّله بقوله (فانّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة) قال الشّارح البحرانى: و أشار بذلك إلى أنّ أبناء الآخرة و الطالبين لها و العاملين لأجلها مقرّبون فى الآخرة لاحقون لمراداتهم فيها،

و لهم فيها ما تشتهى أنفسهم و لهم ما يدعون نزلا من غفور رحيم.

و أما أبناء الدنيا فإنّ نفوسهم لما كانت مستغرقه في محبتها و ناسيه لطرف الآخرة و معرضه عنها، لا جرم كانت يوم القيامة مغموره في محبة الباطل، مغلوله بسلاسل الهيئات البدنيه و الملكات الرديّه، فهي لتعلقها بمحبه الدنيا حيث لا يتمكن من محبوبها بمنزله ولد لا تعلق له إلا بوالده و لا ألف له إلا هو و لا انس إلا معه، ثم حيل بينه و بينه مع شدة تعلقه به و شوقه إليه، و اخذ إلى ضيق الأسجان و بدل بالعزّ الهوان فهو في أشدّ وله و همّ و أعظم حسره و غمّ.

و أما أبناء الآخرة ففي حضانه أبيهم و نعيمه قد زال عنهم بؤس الغربه و شقاء اليتيم و سوء الحزن فمن الواجب إذا تعرف احوال الوالدين و اتباع اثرهما و ادومهما شفقّه و أعظمهما بركه، و ما هي إلا الآخرة و ليكن ذو العقل من أبناء الآخرة و ليكن برا بوالده متوصلا إليه بأقوى الاسباب و أمتنها (و أنّ اليوم عمل و لا حساب) أراد باليوم مدّه الحياه يعنى أنّ هذا اليوم يوم عمل، لأنّ التكليف إنّما هو في هذا اليوم و العمل به و الامتثال له إنّما يكون فيه (و غدا حساب و لا عمل) أراد بالغدا ما بعد الموت و هو وقت الحساب و لا عمل فيه لانقطاع زمان التكليف فعلى هذا فاللّازم للعاقل أن يبادر إلى العمل الذي به يكون من أبناء الآخرة في وقت امكانه قبل مجيء الغد الذي هو وقت الحساب دون العمل، و الله وليّ التوفيق.

تبصره

اعلم أنّ طول الأمل من أعظم الموبقات حسبما مرّت إليه الاشاره، و كفى في ذلك قوله سبحانه:

«رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» فتبه سبحانه على أنّ ايثار التّنعم و التلذذ الذي هو من شئون اتّباع الهوى و ما

يؤدّي إليه طول الأمل من أخلاق الكافرين لا من أخلاق المؤمنين.

و أما الأخبار في ذمّه و التحذير منه و بيان ما يترتب عليه من المفساد فهو فوق حدّ الاحصاء.

فمن ذلك ما ورد في الحديث القدسي: يا موسى لا تطول في الدنيا أملك فيفسو لذلك قلبك و قاسى القلب منى بعيد.

و فى النبوى المعروف المروى فى البحار بعدّه طرق قال صلّى الله عليه و آله: يا باذر إياك و التسويف بأملك فانك بيومك و لست بما بعده فان يكن غدلك فكن فى الغد كما كنت فى اليوم، و إن لم يكن غدلك لم تندم على ما فرطت فى اليوم، يا باذر كم مستقبل يوم لا يستكمله و منتظر غدا لا يبلغه، يا باذر لو نظرت إلى الأجل و مصيره لأبغضت الأمل و غروره، يا باذر إذا أصبحت لا تحدّث نفسك بالمساء، و إذا أمسيت فلا تحدّث نفسك بالصباح، و خذ من صحّتك قبل سقمك، و من حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري ما اسمك غدا.

و عن أنس أنّ النبى خطّ خطا و قال: هذا الانسان، و خطّ إلى جنبه و قال: هذا أجله، و خطّ اخرى بعيدا منه فقال: هذا الأمل فيبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب.

و فى روايه أنّه اجتمع عبادان من عباد الله فقال أحدهما للآخر: ما بلغ من قصر أملك؟ فقال: أملى إذا أصبحت أن لا امسى و إذا امسيت أن لا اصبح، فقال: إنك لطويل الأمل، أما أنا فلا أوّل أن يدخل لى نفس إذا خرج و لا يخرج لى نفس إذا دخل.

و فى الصّ حيفه السّجّاديه على منشئها آلاف السّلام و التّحيه: اللهم صلّ على محمّد و آل محمّد و اكفنا طول الأمل، و قصره عنا بصدق العمل، حتّى لا نؤمل استتمام ساعه بعد ساعه، و لا استيفاء يوم بعد يوم، و لا اتّصال نفس بنفس، و لا لحوق قدم بقدم، و سلّمنا من غروره، و آمنا من شروره.

و فى الدّيون المنسوب إلى على عليه السّلام:

تؤمّل في الدّنيا طويلا ولا تدري اذا جنّ ليل هل تعيش إلى فجر

فكم من صحيح مات من غير علّه و كم من مريض عاش دهرًا إلى دهر

و كم من فتى يمسى و يصبح آمنا و قد نسجت اكفانه و هو لا يدري

و بالجملة فإنّ مضار طول الأمل و مفسده غير خفيه على من تنور قلبه بنور العرفان، و لو لم يكن فيه إلا نسيان الآخرة الذى أشار عليه السّلام إليه بقوله: و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة لكفى، فكيف بمفسد متجاوزة عن حدّ الاحصاء، و قاصره عن طيّ مسافتها قدم الاستقصاء، عصمنا الله من طول الأمل في الدّنيا و من طول الحساب في الآخرة بمحمد و آله أعلام الهدى إنّه على كلّ شيء قدير و بالاجابه حقيق و جدير.

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبة مروية في البحار و غيره مسنده بعده طرق و اختلاف يسير أحببت الاشارة إليها.

فأقول: في البحار من مجالس المفيد عن أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن ابن معروف عن ابن مهزيار عن عاصم عن فضيل الرّسال عن يحيى بن عقيل قال: قال عليّ عليه السّلام: إنّما أخاف عليكم اثنتين اتّباع الهوى و طول الأمل فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة، ارتحلت الآخرة مقبله و ارتحلت الدّنيا مدبره، و لكلّ بنون فكونوا من بنى الآخرة و لا تكونوا من بنى الدّنيا، اليوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل.

و في بعض مؤلّفات أصحابنا من المجالس و الأمالي عن المفيد عن الجعابي عن محمّد بن الوليد عن عنبر بن محمّد عن شعبه عن مسلمة عن أبي الطفيل قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: إنّ أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل و اتّباع الهوى، فأما طول الأمل فينسى الآخرة، و أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، ألا و إنّ الدّنيا قد تولّت مدبره، و إنّ الآخرة قد أقبلت مقبله، و لكلّ واحد منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدّنيا فإنّ اليوم عمل و لا حساب

و فی شرح المعتزلی من کتاب نصر بن مزاحم أنّ علیاً قدم من البصره فی غره شهر رجب من سنه ستّ و ثلاثین إلى الکوفه و أقام بها سبعة عشر شهرا یجرى الکتب بینه و بین معاویه و عمرو بن العاص حتّی صار إلى الشام.

قال نصر و قد روى من طریق أبی الکنود و غیره أنّه قدم الکوفه بعد وقعه الجمل لا ثنتی عشره ليله خلت من شهر رجب سنه ستّ و ثلاثین، فدخل الکوفه و معه أشراف الناس من أهل البصره و غیرهم فاستقبل أهل الکوفه و فيه قرائهم و أشرافهم فدعوا له بالبرکه و قالوا یا أمیر المؤمنین أين تنزل أتنزل القصر؟ قال علیه السّلام: و لكنّی أنزل الرهبه، فنزلها و أقبل حتّی دخل المسجد الأعظم فصلّی فيه رکعتین، ثمّ صعد المنبر فحمد الله و أثنی علیه و صلّی علی رسوله ثمّ قال:

أما بعد یا أهل الکوفه فإنّ لکم فی الاسلام فضلا ما لم تبدّلوا و تغیروا، دعوتکم إلى الحقّ فأجبتهم و بدأتم بالمنکر فغیّرتهم، ألا إنّ فضلکم فیما بینکم و بین الله، فأمرّیا الأحکام و القسم فأنتم أسوه غیرکم ممّن أجابکم، و دخل فیما دخلتم فیہ، ألا إنّ أخوف ما علیکم اتّباع الهوى و طول الأمل أما اتّباع الهوى فیصدّ عن الحقّ، و أما طول الأمل فینسى الآخره، ألا إنّ الدّنيا قد رحلت مدبره، و إنّ الآخره قد ترحلت مقبله، و لكلّ واحدہ منهما بنون، فکونوا من أبناء الآخره، الیوم عمل و لا حساب و غدا حساب و لا عمل.

و یأتی روايتها بسند آخر فی شرح الخطبه المأتین و الرابعه و العشرين إنشاء الله تعالى باختلاف و زیاده کثیره.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست در تنفیر مردمان از اتباع هوى و طول أمل باین وجه که می فرماید:

ای مردمان بدرستی که ترسناک ترین چیزی که می ترسم بر شما از عقوبت آن دو چیز است: یکی متابعت خواهشات نفس أماره، و دویمی درازی امید در

امور دنیویه، پس اما متابعت هوای نفس پس باز می دارد بنده را از راه حق و اما درازی امید پس فراموش می گرداند آخرت را آگاه باشید که دنیای فانی رو گردانیده است در حالتی که شتابان است یا در حالتی که مقطوع المنفعه است، آگاه باشید که آخرت رو آورده است و مر هر یکی را از دنیا و آخرت پسرانست، پس باشید از فرزندان آن جهان تا داخل شوید در بهشت جاویدان، و نباشید از فرزندان این جهان تا معذب شوید بعذاب نیران، پس بدرستی که هر فرزند ملحق می شود به پدر خود فردای قیامت، و بدرستی امروز که روز زندگانیست روز عملست و حساب نیست، و فردا روز حسابست و عمل نیست، پس لازم است که امروز که روز عملست فرصت را غنیمت شمرده و در عمل کوشید تا فردا که روز حسابست فارغ البال از کوثر و سلسبیل آب نوشید، و از سندس و استبرق لباس پوشید، و الله العالم.

و من کلام له علیه السلام و هو الثالث

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و قد أشار علیه «إليه خ ل» أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد ارساله إلى معاوية لجريير بن عبد الله البجلي:

إنَّ استعدادی لحرب أهل الشام و جریر عندهم إغلاق للشَّام، و صرف لأهله عن خیر إن أرادوه، و لكن قد وقتَ لجريير وقتاً لا یقیم بعده إلاَّ مخدوعاً أو عاصياً، و الرّأی مع الأناة، فأرودوا و لا أكره لكم الاعداد، و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عینه، و قلبت ظهره و بطنه

ص: ۲۰۷

فلم أر فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله (بما أنزل على محمد خ ل) إنه قد كان على الأمة وال أحدث أحداثا و أوجد الناس مقالا فقالوا ثم نعموا فغيروا

اللغة

(أشار) على بكذا أى أرانى ما عنده من المصلحه و (الجلّى) بالتحريك منسوب إلى البجليه حى باليمن من معدو (الاعلاق) الاكراه كما فى القاموس و قيل إنه من أغلق الباب اذا عسر فتحه و (الاناه) كالقناه اسم من التانى و هو الرفق و التثبت و (أرودوا) أمر من باب الافعال يقال أرود فى السير إروادا أى سار برفق و (الحدث) بالتحريك الأمر الحادث المنكر الذى ليس بمعتاد و لا معروف فى السنه، هكذا فسّره ابن الأثير على ما حكى عنه و (أوجد) هنا للصيروره أى صيّرهم واجدين مقالا (و نقم) منه نقما من باب ضرب و علم عاقبه و نقم الأمر كرهه و أنكره.

الاعراب

اللام فى قول الرضى لجرير زايدة للتقويه و فى بعض النسخ بدون اللام، و جمله و جرير عندهم حالیه، و اغلاق خبر ان و الضمير فى أنه للشأن و الكوفيون يسمونه ضمير المجهول لأن ذلك الشأن مجهول لكونه مقدرا إلى أن يفسر الضمير.

قال نجم الأئمة الرضى: و هذا الضمير كأنه راجع فى الحقيقة إلى المسئول عنه بسؤال مقدّر، تقول هو الأمير مقبل كأنه سمع ضوضاه و جلبه فاستبهم الأمر فسأل ما الشأن و القصه؟ فقلت هو الأمير مقبل، أى الشأن هذا، فلما كان المعود إليه الذى تضمنه السؤال غير ظاهر قبل اكتفى فى التفسير بخبر هذا الضمير الذى يتعقبه بلا فصل، لأنه معين للمسئول عنه، و مبين له، فبان لك بهذا أنّ الجملة بعد الضمير لم يؤت بها

لمجرّد التّفسير، بل هي كساير أخبار المبتدئات، لكن سَمّيت تفسيرا لما قررته، و القصد بهذا الابهام ثمّ التّفسير تعظيم الأمر و تفخيم الشأن، فعلى هذا لا بدّ أن يكون مضمون الجملة المفسّره شيئا عظيما يعتنى به فلا يقال مثلا هو الدّباب يطير

المعنى

اشاره

اعلم أنّه كان ظنّ كثير من النّاس بعد ولايته عليه السّلام أنّ معاويه لا يمكن له و لا ينقاد لبيعته بأمارات كانت لائحه عندهم (و) لذلك (قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد) و التّهيؤ (لحرب أهل الشّام بعد ارساله) عليه السّلام (إلى معاويه لجريير بن عبد الله البجلي) مع كتاب له كتبه اليه على ما يأتى ذكره، و لما لم يكن هذه الاشاره من الأصحاب مطابقه لرأيه الصّواب أجابهم بقوله: (إنّ استعدادى لحرب أهل الشّام و جريير عندهم إغلاق للشّام) و اكراه (و صرف لأهله عن خير إن أرادوه) و ذلك لأنّهم ما دام كون جريير عندهم فى مقام الشّور و التّروى فى متابعه أى الأميرين و إن لم يكن كلّهم فبعضهم كذلك لا- محاله فاستعداده لحربهم فى تلك الحال موجب لاستعدادهم لحربه و تأهبهم للقائه و ملجئا(1) لهم إلى قتاله، ففيه صرف لقلب من كان متردّدا فى الأمر و مريدا للخير (و لكن قد وقت لجريير وقتا لا يقيم بعده الاّ مخدوعا أو عاصيا) وجه الحصر أنّ تخلّفه عن الوقت الموقت له إمّا أن يكون بسبب تأخيرهم فى الجواب خداعا له و أخذًا فى تلك المدّه بتهيئه الأسباب، و إمّا أن يكون بسبب تقصير منه فى المبادره إلى المراجعه إليه، فيكون عاصيا و لما لم يستصوب رأيهم أشار إلى وجه المصلحه و ما هو الرّأى الصّواب بقوله:

(و الرّأى مع الاناه)، و ذلك لأنّ إصابه المطالب و الظفر بها إنّما يكون فى الغالب بالتّثبت و التّأنى، لأنّ اناه الطالب هي مظنه فكره فى الاهتداء إلى تلخيص الوجه الأليق و الأشمل للمصلحه فى تحصيل مطلوبه، و لذلك جعل التّوئده من جنود العقل و التّسرّع و هو ضدّها من جنود الجهل.

ص: ٢٠٩

١- (١) اسم فاعل من الاجاء و هو الاكراه و الاغلاق منه.

قال بعض المحققين (١): التَّوَدُّدُ صفه نفسانيه من فروع ملكه التَّوَسُّطُ و الاعتدال في القوَّة الغضبيَّة يعنى هيئته الوقار كما أنَّ التَّسَرُّع الذي هو ضدُّها و هو الاشتياط من فروع الافراط فيها.

و توضيحه ما قاله بعض (٢) شراح الكافي حيث قال: التَّوَدُّدُ تابعه للسَّكُون و الحلم الذين من أنواع الاعتدال في القوَّة الغضبيَّة فإنَّ حصولها يتوقَّف عليهما أمَّا على السَّيِّكون فلائنه عبارته عن نقل النَّفس و عدم خفَّتْها في الخصومات، و أمَّا على الحلم فلائنه عبارته عن الطمأنينه الحاصله للنَّفس باعتبار ثقلها و عدم خفَّتْها بحيث لا يحزَّكها الغضب بسرعه و سهوله، و إذا حصلت للنَّفس هاتان الصِّفتان أمكن لها التَّائِي و التَّثَبُّت و عدم العجله في البطش و الضَّرب و الشَّتْم إلى غير ذلك من أنواع المؤاخذه.

و كيف كان فلمَّا أجابهم بكون صلاح الامر في الاناه عقَّبه بالأمر بملازمتها بقوله (فأرودوا) فإنَّ الرِّفق و المداراه الذين هما معنى الارواد لا زمان للتَّثَبُّت و الاناه، و لمَّا كان ظاهر كلامه مفيدا لكون الصَّواب في الاناه مطلقا استدرك ذلك بقوله (و لا اكره لكم الاعداد) قال الشَّارح المعترلي: و لا تناقض بينه و بين نهيه لهم سابقا عن الاستعداد، لأنَّه كره منهم إظهار الاستعداد و الجهر به و لم يكره الاعداد في السرِّ و على وجه الكتمان و الخفاء، و قال الشارح البحراني: إنَّه عليه السَّلام ثبَّه بذلك على أنَّه ينبغي لهم أن يكونوا على يقظه من هذا الامر حتَّى يكونوا حال إشارته إليهم قريبين من الاستعداد.

و قال البحراني أيضا: إنَّ قوله (و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه و قلبت ظهره و بطنه) استعاره على سبيل الكنايه فإنَّه استعار لفظ العين و الانف و الظهر و البطن التي حقايق في الحيوان، لحاله مع معاويه في أمر الخلافه و خلاف أهل الشَّام له، و كُنِّي بالعين و الأنف عن المهمِّ من هذا الأمر و خالصه، فإنَّ العين و الانف

ص: ٢١٠

١- (١) ملا صدرا في شرح اصول الكافي، منه.

٢- (٢) ملا صالح المازندراني في شرح اصول الكافي، منه.

أَعَزَّ مَا فِي الْوَجْهِ، وَ كُنِّي بِالضَّرْبِ لِهَمَّا عَنْ قَصْدِهِ لِلْمَهْمِ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ أَيْضًا، وَ كُنِّي بِلَفْظِ الظَّهْرِ وَ الْبَطْنِ لظَاهِرِ هَذَا الْأَمْرِ وَ بَاطِنِهِ وَ وَجْهِه الرَّأْيَ فِيهِ وَ لَفْظِ التَّقْلِيلِ لِتَصْفَحِ تِلْكَ الْوُجُوهِ وَ عَرْضِهَا عَلَى الْعَقْلِ وَاحِدًا وَاحِدًا.

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى مَا تَحَصَّلَ لَهُ بَعْدَ التَّرْوِي وَ التَّفَكُّرِ وَ التَّقْلِيلِ بِقَوْلِهِ: (فَلَمْ أَرِ فِيهِ إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ بِمَا جَاءَ) بِهِ (مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْكُفْرَ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَالٌ فَتَعَيَّنَ الْقِتَالُ، وَ وَجْهٌ انْحِصَارُ الْأَمْرِ فِيهِمَا أَنَّهُ كَانَ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ رَسُولِهِ بِقِتَالِ الْتَّائِبِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ، فَكَانَ أَمْرُهُ دَائِرًا بَيْنَ الْمُقَاتَلَةِ وَ الْجِهَادِ امْتِثَالًا - لِلْأَمْرِ وَ التَّرْكِ وَ الْمُنَابَذَةِ كُفْرًا وَ عَصْيَانًا، وَ رَبَّمَا يَسْمَى تَرْكُ بَعْضِ الْوَاجِبَاتِ بِالْكَفْرِ حَسْبَمَا مَرَّ تَفْصِيلًا فِي شَرْحِ آخِرِ فُقَرَاتِ الْخُطْبَةِ الْأُولَى أَعْنَى قَوْلِهِ: وَ مِنْ كُفْرِ فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنِ الْعَالَمِينَ، فَتَذَكَّرَ وَ يَدَّلَ عَلَى كَوْنِهِ مَأْمُورًا بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ مَا رَوَاهُ فِي الْبَحَارِ مِنْ أَمَالِي الشَّيْخِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ» قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: لِأَجَاهِدَنَّ الْعَمَالِقَ يَعْنِي الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ، فَأَتَاهُ جَبْرِئِيلُ قَالَ:

أَنْتَ أَوْ عَلَيَّ وَ مِنْ الْكَافِي بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ:

قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا بِخَمْسَةِ أَسْيَافٍ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا شَاهِرَةٌ، وَ سَيْفٌ مِنْهَا مَكْفُوفٌ، وَ سَيْفٌ سَلَهُ إِلَى غَيْرِنَا ثُمَّ قَالَ: وَ أَمَّا السَّيْفُ الْمَكْفُوفُ فَسَيْفٌ عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ وَ التَّأْوِيلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى التَّأْوِيلِ كَمَا قَاتَلْتَ عَلَى التَّنْزِيلِ فَسَلِّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلِّمْ مِنْ هُو؟ فَقَالَ: خَاصِفُ النَّعْلِ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فقال: عَمَّار بن ياسر: قاتلت بهذه الزَّايه مع النَّبِيِّ ثلاثًا، وهذه الرَّابِعَه، والله لو زحفوا حتَّى بلغوا بنا السَّيِّعَات من هجر لعلمنا أَنَّا على الحقِّ وأنَّهم على الباطل و من العيون باسناد التَّميمي عن الرِّضا عن آبائهم السلام، قال: قال عليّ عليه السَّلام: أمرت بقتال النَّاكثين و القاسطين و المارقين و من رجال النَّجاشي مسندا عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن أبي رافع قال: دخلت رسول الله و هو نائم أو يوحى إليه و إذا حيَّه في جانب البيت فكرهت أن أقتلها فواقظها، فاضطجعت بينه و بين الحيَّه حتَّى ان كان منها سوء يكون لي دونه، فاستيقظ و هو يتلو هذه الآية:

«إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» ثم قال: الحمد لله الذي أكمل لعلِّي منيته، و هنيئًا لعلِّي بتفضيل الله إِيَّاه، ثم التفت فرآني إلى جانبه فقال: ما أضجعك ههنا يا أبا رافع؟ فأخبرته خبر الحيَّه فقال: قم إليها فاقتلها، فقتلتها، ثم أخذ رسول الله بيدي فقال يا أبا رافع كيف أنت و قوم يقاتلون علينا هو على الحقِّ و هم على الباطل يكون في حقِّ الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم فقبله و من لم يستطع بقلبه فليس وراء ذلك شيء، فقلت: ادع لي إن أدركتهم أن يعينني الله و يقويني على قتالهم، فقال صلى الله عليه و آله: اللهم إن أدركهم فقوّه و أعنه ثم خرج إلى النَّاس فقال: يا أيُّها النَّاس من أحبَّ أن ينظر إلى أمني على نفسي فهذا أبو رافع أمني على نفسي.

قال عون بن عبيد الله بن أبي رافع: فلما بويع عليّ و خالفه معاويه بالشَّام و سار طلحه و الزَّبير إلى البصره، قال أبو رافع هذا قول رسول الله سيقا تل علينا قوم يكون حقًا في الله جهادهم فباع أرضه بخير و داره ثم خرج مع عليّ عليه السَّلام و هو شيخ كبير له خمس و ثمانون سنه، و قال: الحمد لله لقد أصبحت و لا أحد بمنزلتى لقد بايعت البيعتين: بيعه العقبه، و بيعه الرضوان، و صليت القبلتين و هاجرت الهجر الثلاث،

قلت: و ما الهجر الثلاث؟ قال: هاجرت مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض الحبشه، و هاجرت مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله إلى المدينه، و هذه الهجره مع عليّ بن أبي طالب إلى الكوفه فلم يزل مع عليّ حتّى استشهد عليّ عليه السّلام فرجع أبو رافع إلى المدينه مع الحسن لا دار له بها و لا أرض فقسّم له الحسن دار عليّ بنصفين و أعطاه سنخ أرض اقطعه إيّاها فباعها عبيد الله بن رافع من معاويه بمأه ألف و سبعين ألفا و الأخبار فى هذا المعنى من طريق الخاصّه و العامّه كثيره، و فيما ذكرناه كفايه.

ثمّ إنّ عليه السّلام بعد الاشاره إلى مصير مآل أمره مع معاويه إلى القتال، نبّه على بطلان ما نسبته إليه معاويه و جعله عذرا لمخالفته و سببا لعصيانه له، و هو الطلب بدم عثمان و تهمة له بذلك فقال: (أنّه كان على الأُمّه وال) و هو عثمان بن عفان (أحدث) فى الدّين (أحداثا) و أبدع بدعا (و أوجد النَّاس مقالا) أى أبدى لهم طريقا إليه بأحداثه (فقالوا) فى حقّه و أكثروا القول فى أحداثه (ثمّ نقموا فغيّروا) أى أنكروا و عتبوا و طعنوا عليه فغيّروه و أزالوه و ينبغى تذييل المقام بامرین:

الاول

اعلم أنّ الشّارح المعتزلى قد ذكر فى شرح هذا الكلام حال أمير المؤمنين منذ قدم الكوفه بعد وقعه الجمل إلى أن سار إلى صفّين، و قد أردت أن اذكر طرفا ملخصا ممّا رواه ممّا له ارتباط بالمقام و فيه توضيح للمرام باسقاط الزّوايد المستغنى عنها حذرا من الاطناب المملّ فأقول:

فى الشّرح من كتاب الصّيفين لنصر بن مزاحم أنّ عليّا حين قدم من البصره إلى الكوفه بعد انقضاء أمر الجمل كاتب إلى العمّال فكتب إلى جرير بن عبد الله البجليّ و كان عاملا لعثمان على ثغر همدان كتابا مع زجر بن قيس، فلمّا قرء جرير الكتاب قام فقال: أيّها النَّاس هذا كتاب أمير المؤمنين و هو المأمون على الدّين و الدّنيا و قد كان من أمره و أمر عدوّه ما يحمد الله عليه، و قد بايعه النَّاس الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان، و لو جعل هذا الأمر شورى بين المسلمين

كان أحقّهم بها، ألا- وإنّ البقاء فى الجماعة و الفناء فى الفرقة، وإنّ عليّا حاملكم على الحقّ ما استقمتم، فإن ملتم أقام ميلكم، فقال النَّاسُ: سمعنا و طاعه رضيّنا رضيّنا، نكتب جرير إلى عليّ جواب كتابه بالطّاعه قال نصر: و أقبل جرير سايرا من ثغر همدان حتّى ورد على عليّ الكوفة، فبايعه و دخل فيما دخل فيه النَّاسُ فى طاعته و لزوم أمره، فلمّا أراد عليّ أن يبعث إلى معاويه رسولا قال له جرير: ابعثنى يا أمير المؤمنين إليه فأدعوه على أن يسلم لك الأمر و يجامعك على الحقّ على أن يكون أميرا من امرائك و أدعو أهل الشّام إلى طاعتك فجلبهم قومي و أهل بلادى، و قد رجوت أن لا يعصوني، فقال له عليه السّلام الأشر: لا تبعثه و لا تصدّقه فوالله إنّى لأظنّ هواه هواهم و نيته نيّتهم، فقال له عليه السّلام:

دعه حتّى ننظر ما يرجع به إلينا، فبعثه عليّ و قال له حين أراد أن يبعثه إنّ حولى من أصحاب رسول الله من أهل الرّأى و الدّين من قد رأيت و قد اخترتك لقول رسول الله صلّى الله عليه و آله إنّ فيك من خير ذى يمن ائت معاويه بكتابى فإن دخل فيما دخل فيه المسلمون و إلّا فانبد إليه و اعلمه أنّى لا أرضى به أميرا، و إنّ العامّة لا ترضى به خليفه.

فانطلق جرير حتّى أنى الشّام و نزل بمعاويه، فلمّا دخل عليه حمد الله، و أثنى عليه و قال: أمّا بعد يا معاويه فإنّه قد اجتمع لابن عمّيك أهل الحرمين و أهل المصرين و أهل الحجاز و أهل اليمن و أهل العروض، و العروض عمان، و أهل البحرين و اليمامة فلم يبق إلّا هذه الحصون التى أنت فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها و قد أتيتك أدعوك إلى ما يرشدك و يهديك إلى مبايعه هذا الرّجل، و دفع إليه كتاب عليّ و يأتى ذكر هذا الكتاب فى باب المختار من كتبه عليه السّلام فى الكتاب إنشاء الله فلمّا قرء الكتاب قام جرير فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال، أيّها النَّاسُ إنّ أمر عثمان قد أعيب من شهدته فما ظنكم بمن غاب عنه، و إنّ النَّاسَ بايعوا عليّا غير وّاتر و لا- موتور، و كان طلحه و زبير ممّن بايعه ثمّ نكثا بيعته على غير حدث ألا و إنّ هذا الدّين لا يحتمل الفتن، ألا و إنّ العرب لا يحتمل السّيف، و قد كانت بالبصره

أَمْسَ ملحمة إن يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس، وقد بايعت العامة علياً و لو ملكنا و الله امورنا لم نختر لها غيره و من خالف هذا استعتب فادخل يا معاوية فيما دخل فيه الناس.

فان قلت استعملني عثمان ثم لم يعزني، فانّ هذا قول لو جاز لم يقيم لله دين و كان لكل امرء ما في يديه، و لكن الله جعل للآخر من الولاة حقّ الأوّل و جعل الامور موطاه و حقوقاً ينسخ بعضها بعضاً، فقال معاوية انظر و ننظر و استطلع رأى أهل الشام، فمضت أيام و أمر معاوية منادياً ينادي الصيلاء جامعهم فلما اجتمع الناس صعد المنبر و قال بعد كلام طويل: أيها الناس قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب و أمير المؤمنين عثمان بن عفان عليكم، و إنّني لم اقم رجلاً منكم على خزايه قطّ، و أنّي وليّ عثمان و قد قتل مظلوماً و الله تعالى يقول:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا» و أنا احبّ أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان، فقام أهل الشام بأجمعهم فأجابوا إلى الطلب بدم عثمان، و بايعوه على ذلك و أوثقوا الله على أن يبذلوا بين يديه أموالهم و أنفسهم حتّى يدركوا بثاره أو يفنى الله أرواحهم قال نصر: فلما أمسى معاوية اغتمّ بما هو فيه و جنّه الليل و عنده أهل بيته و استحثّه جرير بالبيعة، فقال يا جرير: إنّها ليست بخلسه و إنّّه أمر له ما بعده فابلق (فابلق خ ل) ريقى و دعا ثقاته فأشار عليه أخوه بعمر بن العاص، و قال إنّّه من قد عرفت، و قد اعتزل أمر عثمان في حياته و هو لا مركّ أشدّ اعتزلاً إلاّ أن يثمن له دينه و قد ذكرنا في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السادسة و العشرين روايه استدعائه عمرو بن العاص و ما شرط له من ولايه مصر و استقدمه شرحبيل بن السمط و دسّ الرجال عليه يغزونه بعليّ عليه السلام و يشهدون عنده أنّه قتل عثمان حتّى

ملئوا قلبه و صدره حقدا بمالا حاجه إلى اعادته قال نصر: فخرج شرحيل فأتى حصين بن نمير فقال: ابعث فليأتنا فبعث إليه حصين ان زرنا فعندنا شرحيل فاجتمعوا عند حصين، فتكلم شرحيل فقال: يا جرير أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الأسد و أردت أن تخلط الشام بالعراق و أطريت عليا و هو قاتل عثمان و الله سائلك عما قلت يوم القيامة فأقبل عليه جرير و قال يا شرحيل أما قولك: إنني جئت بأمر ملفف فكيف يكون أمرا ملففا و قد اجتمع عليه المهاجرون و الأنصار و قوتل على رده طلحه و الزبير، و أميا قولك إنني ألقيتك في لهوات الأسد ففي لهواتها القيت نفسك، و أما خلط الشام بأهل العراق فخلطهما على حق خير من فرقتهما على باطل، و أميا قولك: إن عليا قتل عثمان فو الله ما في يديك من ذلك إلا الرجم بالغيب من مكان بعيد، و لكنك ملت الى الدنيا و شيء كان في نفسك على زمن سعد بن أبي وقاص فبلغ معاويه قول الرجلين فبعث الى جرير و زجره و كتب جرير الى شرحيل أبياتا يعظه فيها فذعر شرحيل و فكر و قال هذا نصيحة لي في ديني لا و لله لا اعجل في هذا الأمر لشيء و كاد يحول عن نصر معاويه فلفف معاويه له الرجال يدخلون اليه و يخرجون و يعظمون عنده قتل عثمان، حتى أعادوا رأيه و شحذوا عزمه، ثم حثه معاويه على السير في مداين الشام و النداء فيها ان عليا قتل عثمان و أنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه، فسار شرحيل فبدء بأهل حمص فأجابه الناس كلهم إلا نساكا من أهل حمص، فأنهم قالوا له: بيوتنا قبورنا و مساجدنا و أنت أعلم بما ترى و جعل شرحيل يستنهض مداين الشام حتى استفرغها لا يأتي على قوم إلا قبلوا ما أتاهاهم به.

قال نصر: فآيس جرير عند ذلك من معاويه و من عوام أهل الشام، و كان معاويه قد أتى جريرا قبل ذلك في منزله فقال: يا جرير اني قد رأيت رأيا، قال:

هاته، قال: اكتب الى صاحبك يجعل لي الشام و مصر جبايه فاذا حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقي بيعه و أسلم له هذا الأمر، و أكتب إليه بالخلافه، فقال جرير:

أكتب ما أردت و اكتب معك، فكتب معاويه بذلك الى عليّ فكتب عليّ إلى جرير أما بعد.

فإنما أراد معاويه أن لا يكون لى فى عنقه بيعه و أن يختار من أمره ما أحبّ و أراد أن يورثيك و يبطيك حتى يذوق أهل الشام، و أنّ المغيرة بن شعبه قد كان أشار عليّ أن استعمل معاويه على الشام و أنا بالمدينه فأبيت ذلك عليه، و لم يكن الله ليرانى أتخذ المضلين عضدا، فان بايعك الرجل و إلا فاقبل و السلام، و فشا كتاب معاويه فى الناس و فى حديث صالح بن صدقه قال: أبطأ جرير عند معاويه حتى اتهمه الناس و قال عليّ عليه السلام: قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا، و أبطأ على عليّ حتى آيس منه و فى حديث محمد و صالح بن صدقه قال: و كتب عليّ إلى جرير: أما بعد فاذا أتاك كتابى فاحمل معاويه على الفصل ثم خيره و خذه بالجواب بين حرب مخزيه أو سلم محظيه، فان اختار الحرب فانبذ إليه، و إن اختار السلم فخذ بيعته و السلام و يأتى ذكر هذا الكتاب من السيد فى باب المختار من كتبه قال: فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاويه فاقرئه الكتاب و قال له: يا معاويه انه لا يطبع على قلب إلا بذنب، و لا يشرح صدر إلا بتوبه، و لا أظنّ قلبك إلا مطبوعا عليه أراك قد وقفت بين الحقّ و الباطل كأنك تنتظر شيئا فى يد غيرك فقال معاويه ألقاك بالفصل فى أول مجلس انشاء الله، فلما بايع معاويه أهل الشام و ذاقهم قال: يا جرير الحق بصاحبك و كتب اليه بالحرب و كتب فى أسفل الكتاب شعر كعب بن جعيل

أرى الشام تكره أهل العراقو أهل العراق لهم كارهونا

و قد مرّ تمام ذلك الشعر فى شرح الكلام الثلاثين أقول و روى أنّ الكتاب الذى كتبه عليه السلام مع جرير صورته:

اننى قد عزلتك ففوّض الأمر إلى جرير و السلام

و قال لجريـر: صن نفسـك عن خـداعه فان سـلم إليـك الأـمر و توجـه إليـ فـأقـم أنت بالشام، و إن تعلل بشيء فارجع، فلما عرض جريـر الكـتاب على معاويه تعلل بمشاورة أهل الشام و غير ذلك، فرجع جريـر و كتب معاويه فى اثره فى ظهر كتاب على عليه السلام: من ولاك حتى تعزلنى و السلام قال نصر لما رجع جريـر إلى على كثر قول الناس فى التهمة لجريـر فى أمر معاويه فاجتمع جريـر و الاشر عند على فقال الاشر: أما و الله يا أمير المؤمنين ان لو كنت ارسلتنى إلى معاويه لكنت خيرا لك من هذا الذى أرخا من خناقه و أقام عنده حتى لم يدع بابا يرجو فتحه إلا فتحه، و لا بابا يخاف أمره إلا سدّه، فقال جريـر: و الله لكنت أتيهم لقتلوك و خوّفه بعمر و ذوى الكلاع و حوشب، و قال: إنهم يزعمون إنك من قتله عثمان، فقال الاشر: و الله لو أتيهم لم يعينى جوابها و لم يثقل على محملها و لحملت معاويه على خطه اعجله فيها عن فكره، قال: فأتهم إذن، قال: الآن و قد افسدتهم و وقع بيننا الشر قال نصر و روى الشعبى قال: اجتمع جريـر و الاشر عند على فقال الاشر:

أليس قد نهيتك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريـرا و أخبرتك بعداوتة و غشّه، و أقبل الاشر يشتمه و يقول: يا أخا بجيله إن عثمان اشترى منك دينك بهمدان، و الله ما أنت بأهل أن تمشى فوق الأرض حيا إنما أتيهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم، أنت و الله منهم و لا أرى سعيك إلا لهم، لئن أطاعنى فيك أمير المؤمنين ليجسّنك و أشباهك فى محبس لا يخرجون حتى يستتم هذه الأمور و يهلك الله الظالمين.

قال جريـر: وددت و الله لو كنت مكانى بعثت اذن و الله لا ترجع، قال: فلما سمع جريـر مثل ذلك من قوله فارق عليا عليه السلام فلحق بقرقيساء، و لحق به اناس من قسر من قومه فلم يشهد صفين من قسر غير تسعة عشر رجلا، و لكن شهدا من أحـمـس سـبعـمـائـه رـجـل و خـرج على عليه السلام إلى دار جريـر فهدمه و هدم دور قوم ممن خرج معه حيث فارق عليا.

إشاره

فى أحداث عثمان و بدعه و مطاعنه و المثالب التى طعن بها فيه

و هى كثيره و نحن نذكر منها هنا عشرين.

الاول

أنّه ولى امور المسلمين من لا يصلح لذلك و لا يؤتمن عليه، و من ظهر منه الفسق و الفساد، و من لا علم له مراعاتا لحرمة القرابه وعد و لا عن مراعاة حرمة الدين و النظر للمسلمين حتّى ظهر ذلك منه و تكرر، و قد كان عمر حدّره من ذلك حيث وصفه بأنّه كلف بأقاربه و قال له: إذا وليت هذا الامر فلا تسلّط بنى أبى معيط على رقاب الناس، فوقع منه ما حدّره إياه و عوتب فى ذلك فلم ينفع العتب و ذلك نحو استعماله الوليد بن عقبه و تقليده إياه حتّى ظهر منه شرب الخمر و استعماله سعيد بن العاص حتّى ظهرت منه الامور التى عندها أخرجها أهل الكوفه و توليته عبد الله بن أبى سرج، و عبد الله بن عامر بن كريز حتّى روى عنه فى أمر ابن أبى سرج أنّه لمّا تظلم منه أهل مصر و صرفه عنهم بمحمّد بن أبى بكر كاتبه بأن يستمرّ على ولايته فأبطن خلاف ما أظهر فعل من غرضه خلاف الدّين، و يقال إنّ كاتبه بقتل محمّد بن أبى بكر و غيره ممّن یردّ عليه، و ظفر بذلك الكتاب و لذلك عظم التظلم من بعد و كثر الجمع، و كان سبب الحصار و القتل حتّى كان من أمر مروان و تسلّطه عليه و على امور ما قتل بسببه

الثانى

أنّه ردّ الحكم بن أبى العاص طريد رسول الله إلى المدينه و قد امتنع أبو بكر من ردّه، فصار بذلك مخالفا للسّنّه و لسيره من تقدّمه و قد شرط عليه فى عقد البيعه اتّباع سيرتهما.

الثالث

أنّه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة من بيت مال المسلمين، و قد مرّ ما يوضحه فى شرح كلامه فى الخطبه الشقشقيه يخضمون مال الله خضم الابل نبت الرّبيع، فتذكر.

أنّه حمى الحمى عن المسلمين مع أنّ رسول الله جعلهم شرعا سواء فى الماء و الكلاء روى المرتضى عن الواقدى باسناده قال: كان عثمان يحمى الرّبذه و الشرف و النقيع، فكان لا يدخل الحمى بعير له و لا فرس و لا لبنى امّيه حتّى كان آخر الزّمان فكان يحمى الشّرف لابل و كانت ألف بعير، و لابل الحكم بن أبى العاص، و الرّبذه لابل الصّيدقه، و يحمى النّقيع لخيّل المسلمين و خيله و خيل بنى امّيه

أنّه اعطى من بيت مال الصّيدقه المقاتله و غيرها، و ذلك ممّا لا يحلّ فى الدّين لأنّ المال الذى جعل الله له جهه مخصوصه لا يجوز العدول به عن تلك الجهه

أنه ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه، و قد رووا فى فضله فى صحاحهم أخبارا كثيره قال المرتضى فى محكي الشّافى: قد روى كلّ من روى السّيره على اختلاف طرقهم أنّ ابن مسعود كان يقول: ليتنى و عثمان برمل عالج يحثو علىّ و أحثو عليه حتّى يموت الأّعجز منّى و منه، و كان يقول فى كلّ يوم جمعه بالكوفه جاهرا معلنا إنّ أصدق القول كتاب الله، و أحسن الهدى هدى محمّد، و شرّ الامور محدثاتها، و كلّ محدث بدعه، و كلّ بدعه ضلاله، و كلّ ضلاله فى النار، و إنّما كان يقول ذلك معرّضا بعثمان حتّى غضب الوليد بن عقبه من استمرار تعريضه و نهاه عن خطبته هذه فأبى أن ينتهى فكتب إلى عثمان فيه فكتب عثمان يستقدمه عليه و روى الواقدى و غيره أنّ ابن مسعود لما استقدم المدينه دخلها ليله جمعه فلما علم عثمان بدخوله قال: أيّها النّاس إنّّه قد طرقكم الليله دويبه من تمش (من تمرّ على طعامه نقى و تسليخ خ ل) على طعامه يقى و يصلح، فقال ابن مسعود لست كذلك، و لكننى صاحب رسول الله يوم بدر، و صاحبه يوم أحد، و صاحبه يوم بيعه

الرّضوان، و صاحبه يوم الخندق، و صاحبه يوم حنين، قال: و صاحت عايشه يا عثمان أتقول هذا لصاحب رسول الله؟ فقال عثمان: اسكتي، ثم قال لعبد الله بن زمعه بن الأسود أخرجه اخراجا عنيفا، فاحتمله حتّى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه فقال: قتلني ابن زمعه الكافر بأمر عثمان

السابع

أنّه جمع النّاس على قراءه زيد بن ثابت خاصه و أحرق المصاحف و أبطل ما لا شك أنّه منزل من القرآن و أنّه مأخوذ من الرّسول، و لو كان ذلك حسنا لسبق إليه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد مرّ توضيح ذلك في التّنبيه الثّاني من تنبيهات الفصل من فصول الخطبه الاولى و الطعن في ذلك من وجهين احدهما أنّ جمع النّاس على قراءه زيد إبطال للقرآن المنزل و عدول عن الرّاجح إلى المرجوح في اختيار زيد من جملة قراء القرآن، بل هو ردّ صريح لقول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم نزل القرآن على سبعة أحرف كلّها كاف شاف على ما ورد في صحاح أخبارهم الثّاني أنّ إحراق المصاحف الصّحيحه استخفاف بالدين محاذّه لله ربّ العالمين

الثامن

أنّه أقدم على عمّار بن ياسر بالضّرب حتّى حدث به فتق، و لهذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله و كان يقول قتلنا كافرا قال المرتضى في محكي الشّافى: ضرب عمّار ممّا لم يختلف فيه الرّواه و إن اختلفوا في سببه، فروى عبّاس بن هشام الكلبي عن أبي مخنف في اسناده أنّه كان في بيت المال بالمدينه سفت فيه حلّى و جوهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله و اظهر النّاس الطعن عليه في ذلك و كلّموه فيه بكلّ كلام شديد حتّى غضب فخطب و قال: لنأخذنّ حاجتنا من هذا الفىء و إن رغمت أنوف أقوام، فقال له على اذا تمنع من ذلك و يحال بينك و بينه، فقال عمّار: اشهد و الله انّ أنفى أوّل راغم من ذلك، فقال عثمان أعلّى يابن ياسر و سمّيه تجترى؟ خذوه، فأخذ و دخل عثمان فدعا به فضربه حتّى غشى عليه، ثمّ اخرج فحمل حتّى اتى به منزل ام سلمه فلم يصلّ

الظهر و العصر و المغرب فلما أفاق توضأ و صلى و قال الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا في الله.

فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي و كان عمّار حليفا لبنى مخزوم:

يا عثمان أمّيا على عليه السلام فاتّقيته، و أمّا نحن فاجرأت علينا و ضربت أخانا حتّى أشفيت به على التّلف أما و الله لئن مات لأقتلنّ به رجلا من بنى امّيه عظيم الشأن، فقال عثمان: و إنك ههنا يا بن القسريّه قال: فأنهما قسريّتان و كانت امّ هشام وجدته قسريّتين من بحيله فشتمه عثمان و أمر به فاخرج، و اتى به امّ سلمه فاذا هى قد غضبت لعمّار و بلغ عايشه ما صنع بعمّار فغضبت أيضا و أخرجت شعرا من شعر رسول الله و نعلا من نعاله و ثوبا من ثيابه و قالت أسرع ما تركتم سنّه نبيّكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم تبل و روى آخرون أنّ السّيب فى ذلك أنّ عثمان مرّ بقبر جديد فسأل عنه فقيل عبد الله بن مسعود، فغضب على عمّار لكتمانهم إيّاه موته إذ كان المتولّى للصّلاه عليه و القيام بشأنه فعندها و طىء عثمان عمّارا حتّى أصابه الفتق و روى آخرون أنّ المقداد و طلحه و الزّبير و عمّار او عدّه من أصحاب رسول الله كتبوا كتابا عدّدوا فيه أحداث عثمان و خوفوه ربّه و أعلموا أنّهم مواثبه ان لم يقلع فأخذ عمّار الكتاب فأتاه به فقرأه منه صدرا، ثمّ قال له أعلّى تقدم من بينهم، فقال إنّى أنصحهم لك، قال: كذبت يا بن سمّيه، فقال: أنا و الله ابن سمّيه و ابن ياسر، فأمر عثمان غلمانا له فمدّوا يديه و رجله ثمّ ضربه عثمان برجليه و هى فى الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق و كان ضعيفا كبيرا فغشى عليه و قال المحدث المجلسى: و عندى أنّ السّيب الحامل لعثمان على ما صنع بعمّار هو أنّ عمّارا كان من المجاهرين بحبّ على عليه السلام و أنّ من غلبه على الخلافه غاصب لها فحملته عداوته لأمر المؤمنين و حبه للرّياسه على إهانتته و ضربه حتّى حدث به الفتق و كسر ضلعا من أضلاعه

ما صنع بأبى ذر من الاهانه و الضرب و الاستخفاف مع علوّ شأنه و تقدّمه فى الاسلام حتّى سيّره إلى الربذه و نفاه و يأتى تفصيل ذلك فى الكتاب حيثما بلغ الكلام محلّه

تعطيله الحدّ الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فانه قتل الهرمزان بعد اسلامه بتهمة أنّه اغرى أبا لؤلؤه إلى قتل أبيه عمر، فلم يقده عثمان به و قد كان أمير المؤمنين يطلبه، و روى أنّه لمّا ولى الخلافة أراد قتله فهرب منه إلى معاويه بالشّام.

و هو اجمالى قالى و هو أنّه لو لم يقدم عثمان على إحداث يوجب خلعه و البراءه منه لوجب على الصّحابه أن ينكروا على من قصده من البلاد متظلمًا، و قد علمنا أنّ بالمدينه كان كبار الصحابه من المهاجرين و الأنصار و لم ينكروا على القوم بل أسلموه و لم يدفعوا عنه، بل أعانوا قاتليه و لم يمنعوا من قتله و حصّره و منع الماء عنه، و هذا من أقوى الدّليل على تصديق الصّحابه للمطاعن فيه و براءتهم منه، و لو لم يكن فى أمره إلّا ما روى عن أمير المؤمنين من قوله: الله قتله و أنا معه مريدا بذلك رضائهما به لكفى هذا كلّ مضافا إلى أنّهم تركوه بعد قتله ثلاثه أيام على المزابل لم يدفنوه و هو من أدلّ الدلائل على رضاهم بقتله و يناسب المقام حكاية ظريفه روى فى كتاب الصّراط المستقيم و غيره إنّ ابن الجوزى قال يوما على منبره سلونى قبل أن تفقدونى فسألته امرأه عمّيا روى أنّ عليّا سار فى ليله إلى سلمان فجّهزه و رجع، فقال: روى ذلك، قالت: فعثمان ثمّ ثلاثه أيام منبوذا فى المزابل و علىّ حاضر، قال: نعم، قالت: فقد لزم الخطاء لأحدهما، فقال:

إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنه الله، و إلّا فعليه، فقالت: خرجت عايشه إلى حرب علىّ عليه السّلام باذن النبىّ أولا؟ فانقطع و لم يحر جوابا

إتمامه الصّلاه بمنى مع كونه مسافرا و هو مخالف للسّنّه و للسّيره، فقد

روى فى البحار من كتاب جامع الاصول عن عبد الرحمن بن يزيد قال: صلى بنا عثمان بمنى أربع ركعات فقل ذلك لعبد الله بن مسعود، فقال: صلى مع رسول الله بمنى ركعتين و مع أبى بكر ركعتين و مع عمر ركعتين

الثالث عشر

جراته على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و مضادته له، فقد حكى العلامة فى كتاب كشف الحق عن الحميدى قال: قال السدى فى تفسير قوله تعالى:

«وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا» أنه لما توفى أبو سلمه و عبد الله بن حذافه و تزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم امرئتهما أم سلمه و حفصه قال طلحه و عثمان: أ ينكح محمد نساتنا إذا متنا و لا ننكح نسائه إذا مات، و الله لو قد مات لقد اجلنا على نسائه بالسهم، و كان طلحه يريد عايشه و عثمان يريد أم سلمه فأنزل الله تعالى:

«وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» و أنزل «إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» و أنزل «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا»

الرابع عشر

عدم اذعانه بقضاء رسول الله، روى العلامة أيضا فى كشف الحق عن السدى فى تفسير قوله تعالى:

«وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ مَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ»

«يَبْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» الآيات قال السدي: نزلت هذه في عثمان بن عفان، قال: لما فتح رسول الله بني النضير فغنم أموالهم فقال عثمان لعلي: انت رسول الله فأسأله أرض كذا و كذا، فان أعطاكها فأنا شريكك و آتية أنا فأسأله إيّاها، فان أعطانيها فأنت شريكي فيها فسأله عثمان أولا فأعطاه إيّاها فقال له علي اشركني فأبى عثمان، فقال بيني و بينك رسول الله فأبى أن يخاصمه إلى النبي صلى الله عليه و آله فقليل له لم تنطلق معه إلى النبي؟ فقال:

هو ابن عمه فأخاف أن يقضى له فنزل قوله:

«وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» إلى قوله «بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» فلما بلغ النبي ما انزل الله فيه أتى النبي فأقر لعلي بالحق

الخامس عشر

أنه زعم أن في المصحف لحنا، فقد حكى في البحار من كشف الحق (1) عن تفسير الثعلبي في قوله تعالى: «إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ» قال قال عثمان: إن في المصحف لحنا فقليل له ألا- تغيّره؟ فقال: دعوه فلا يحل حراما و لا يحرم حلالا قال في البحار: و رواه الرازي أيضا في تفسيره

السادس عشر

تقديمه الخطبتين في العيدين، و كون الصّلاه مقدّمة على الخطبتين قبل عثمان ممّا تضافرت به الأخبار العامّة و أخبار أهل البيت في ذلك أيضا بالغه حدّ الاستفاضه و قال العلامة (ره) في محكي المنتهى: لا- نعرف في ذلك خلافا إلا من بني أميّة، و في البحار من التهذيب باسناده عن محمّد بن مسلم عن أحدهما قال: الصّلاه قبل

ص: ٢٢٥

١- (١) و لم نجده في الكتاب المذكور و لذلك روينا عن البحار عنه، منه.

الخطبتين: و كان أول من أحدثها بعد الخطبه عثمان لما أحدث احداثها كان إذا فرغ من الصلاه قام الناس ليرجعوا فلما رأى ذلك قدّم الخطبتين و احتبس الناس للصلاه

السابع عشر

إحداثه الأذان يوم الجمعة زائدا على ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وآله و هو بدعه محرّمه

الثامن عشر

أنّه لم يتمكّن من الاثنيان بالخطبه، فقد روى في البحار من روضه الأحياب أنّه لما كان أول جمعه من خلافته صعد المنبر فعرضه العيّ فعجز عن أداء الخطبه فتركها، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم أيّها الناس سيجعل الله بعد عسر يسرا و بعد عيّ نطقا، و إنكم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال، أقول قولي و أستغفر الله لي و لكم فنزل قال و في روايه أنّه قال: الحمد لله و عجز عن الكلام، و في روايه أنّه قال أول كلّ مركب صعب و أنّ أبا بكر و عمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا و أنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام قائل، و إن أعش فآتكم الخطبه على وجهها و يعلم الله إنشاء الله تعالى فإنّ الظاهر من الروايه أنّ الخطبه كانت خطبه الجمعة الواجبه و أنّ عثمان لمّا حصر و عرضه العيّ ترك الخطبه و لم يأمر أحدا بالقيام بها و إقامه الصلاه و إلّا لرووه فالأمر في ذلك ليس مقصورا على العجز و القصور، بل فيه ارتكاب المحذور فيكون أوضح في الطعن.

التاسع عشر

جهله بالأحكام، فقد روى العلامة في كشف الحقّ من صحيح مسلم أنّ امرأه دخلت على زوجها فولدت لستّه أشهر فذكر ذلك لعثمان بن عفان فأمر بها أن ترجم فدخل عليه عليّ عليه السلام فقال: إنّ الله عزّ و جل يقول:

«حَمَلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» و قال أيضا «وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» فلم يصل رسولهم إليه إلّا بعد الفراغ من رجمها، فقتل المرأه المسلمه، عمدا لجهله بحكم الله و قد قال الله:

«وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» وقال أيضا «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»...، «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»

الطعن العشرون

قله اعتنائه بالشريعة، وقد قال في البحار أن مروياته في كتب الجمهور مع حرص أتباعه من بنى امية والمتأخرين عنهم على إظهار فضله لم يزد على مائه وستة وأربعين، وقد روي عن أبي هريره خمسه آلاف و ثلاثمأه و أربعة و سبعين حديثا، و ذلك إمّا لغلبيه الغباوه حيث لم يأخذ في طول الصّحبه إلاّ نحو مئّيا ذكر أو لقله الاعتناء بروايه كلام الرّسول و كلاهما يمنعان من استيهال الخلافه و الامامهو اعلم أنّ الشّارح المعتزلى بعد ما أورد المطاعن العشره الاول مع الطعن الحادى عشر فى الشّرح و ما أجاب به قاضى القضاة عن تلك المطاعن فى المغنى و ما أورده السيّد فى الشّافى على تلك الأجوبه أجاب عنها جميعا بوجه إجمالىّ و هو أنّا لا ننكر أنّ عثمان أحدث أهدا أنكرها كثير من المسلمين، و لكنّا ندعى مع ذلك أنّها لم تبلغ درجه الفسق و لا احبطت ثوابه و أنّها من الصغائر التى وقعت مكفره، و ذلك لأنّنا قد علمنا أنّه مغفور له و أنّه من أهل الجنّه لثلاثه أوجه:

أحدها أنّه من أهل بدر و قد قال رسول الله إنّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم لا يقال: إنّ عثمان لم يشهد بدرا لانا نقول: صدقتم إنّّه لم يشهدا و لكنّه تخلف على رقيه ابنه رسول الله بالمدينه لمرضها و ضرب له رسول الله صلى الله عليه و آله بسهمه و أجره باتّفاق ساير الناس و ثانيها أنّه من أهل بيعه الرضوان الذين قال الله تعالى فيهم:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»

لا يقال: إنه لم يشهد البيعه تحت الشجرة لانا نقول: صدقتم إنه لم يشهدا و لكنه كان رسول الله أرسله إلى أهل مكة و لأجله كانت بيعه الرضوان حيث ارجف بأن قريشا قتلت عثمان، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: و إن كانوا قتلوه لأضر منها عليهم نارا ثم جلس تحت الشجرة و بايع الناس على الموت ثم قال: إن كان عثمان حيا فأنا بايع عنه فصفح بشماله على يمينه و قال: شمالى خير من يمين عثمان، روى ذلك جميع أرباب أهل السيرة متفقا عليه و ثالثها أنه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة و إذا كانت هذه الوجوه الثلاثة دالة على أنه مغفور له و أن الله قد رضى عنه و أنه من أهل الجنة بطل أن يكون فاسقا، لأن الفاسق عندنا يخرج من الايمان و ينحط ثوابه و يحكم له بالنار و لا يغفر له و لا يرضى عنه و لا يرى الجنة و لا يدخلها، فاقترضت هذه الوجوه الصريحة الثابتة أن يحكم بأن كل ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفرة توفيقا بين هذه الوجوه و بين روايات الأحداث المذكورة انتهى و يورد عليه أن المستند في جميع تلك الوجوه ليس إلا ما تفرد المخالفون بروايته و لا يصح التمسك به في مقام الاحتجاج كما مر مرارا، و الأصل في أكثرها ما رواه البخارى عن عثمان عبد الله قال: قال رجل من أهل مصر لعبد الله بن عمر:

أنا سائلك عن شيء فحدثني هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم، فقال:

تعلم أنه تغيب عن بدر و لم يشهد؟ قال: نعم قال: تعلم أنه تغيب عن بيعه الرضوان فلم يشهدا؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال ابين لك، أمّا فراره يوم أحد فاشهد أن الله عفا عنه و غفر له، و أمّا تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه و آله: و كانت مريضه فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا و سهمه، و أمّا تغيبه عن بيعه الرضوان فلو كان أحد أعزّ بطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله عثمان و كانت بيعه الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان، ثم قال ابن عمر اذهب بها الآن معك و ابن عمر هو الذى قعد عن نصره أمير المؤمنين و بايع رجل الحجاج و لا عبره

بقوله و لا- روايته مع قطع النظر عن ساير رواه الخبر، و حديث العشره المبشره أيضا ممّا تفردوا بروايته، و قد روى أصحابنا تكذيب أمير المؤمنين لهذه الروايه.

و هو ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن سليم بن قيس الهلالي قال: لما التقى أمير المؤمنين أهل البصره يوم الجمل نادى الزبير يا أبا عبد الله اخرج إلى، فخرج الزبير و معه طلحه، قال: و الله إنكما لتعلمان و أولو العلم من آل محمّد و عايشه بنت أبى بكر أنّ كلّ أصحاب الجمل ملعونون على لسان محمّد و قد خاب من افتري، قال الزبير: كيف نكون ملعونين و نحن أهل الجنّه؟ فقال علىّ عليه السلام: لو علمت أنّكم من أهل الجنّه لما استحللت قتالكم.

فقال له الزبير أما سمعت حديث سعيد بن عمرو بن نفيل، و هو يروى أنّه سمع رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: عشره من قريش فى الجنّه قال علىّ عليه السلام: سمعته يحدث بذلك عثمان فى خلافته، فقال له الزبير: أفتراه يكذب على رسول الله فقال علىّ عليه السلام لست اخبرك بشيء حتّى تسميهم، قال الزبير: أبو بكر، و عمر، و عثمان، و طلحه، و الزبير، و عبد الرحمن بن عوف، و سعد بن أبى وقاص، و أبو عبيده بن الجراح، و سعيد بن عمرو بن نفيل، فقال له علىّ عليه السلام عدت تسعه فمن العاشر؟ قال له: أنت قال له علىّ عليه السلام: أمّا أنت فقد أقررت أنّى من أهل الجنّه، و أمّا ما ادّعت لنفسك و أصحابك فأنا به من الجاحدين الكافرين، قال الزبير: أفتراه كذب على رسول الله؟ قال: ما أراه كذب و لكنّه و الله اليقين، فقال علىّ عليه السلام: و الله إنّ بعض ما سمّيته لفى تابوت فى شعب فى جبّ فى أسفل درك من جهنّم، على ذلك الجبّ صخره إذا أراد الله أن يسعر جهنّم رفع تلك الصّخره، سمعت ذلك من رسول الله و إلّا أظفرك الله بى و سفك دمي على يديك و إلّا أظفرنّى الله عليك و على أصحابك و عجل ارواحكم إلى النّار. فرجع الزبير إلى أصحابه و هو يبكى و يؤيّد ضعفه أيضا أنّه ليس بمروى فى صحاحهم إلّا عن رجلين عدّا انفسهما، و هما سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، و عبد الرحمن بن عوف و التّهمه فى روايتهما لتزكيتهما أنفسهما واضحه

و يؤكده أيضا ما ذكره السيد (ره) في الشافي من أنه تعالى لا يجوز ان يعلم مكلفا يجوز أن يقع منه القبيح و الحسن و ليس بمعصوم من الذنوب بأن عاقبته الجنة لأن ذلك يغريه بالقبيح و لا خلاف في أن أكثر العشره لم يكونوا معصومين من الذنوب و قد أوقع بعضهم بالاتفاق كبار و ان ادعى المخالفون أنهم تابوا منها قال و ما يبين بطلان هذا الخبر أن أبا بكر لم يحتج به لنفسه و لا احتج به له في مواقع وقع فيه الاحتياج إلى الاحتجاج، كالسقيفه و غيرها، و كذلك عمر و عثمان لما حوصروا و طولب بخلع نفسه و هموا بقتله، و قد رأينا احتج بأشياء يجري مجرى الفضائل و المناقب، و ذكر القطع له بالجنة أولى و أخرى بأن يعتمد عليه في الاحتجاج و في عدول الجماعة عن ذكره دلالة واضحة على بطلانه

تبصره

روى الشارح المعتزلى فى تضاعيف شرح هذا المقام عن إبراهيم بن و يزيل، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا على بن القاسم، عن سعيد بن طارق، عن عثمان بن القاسم، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ألا أدلكم على ما إن تسالتم عليه لم تهلكوا، إن وليكم الله و إمامكم على بن أبى طالب فناصره و صدقه، فان جبرئيل أخبرنى بذلك ثم قال الشارح: فان قلت: هذا نص صريح فى الامامه فما تصنع المعتزله قلت: يجوز أن يريد أنه إمامهم فى الفتاوى و الأحكام الشرعية لا فى الخلافه، و أيضا فانا قد شرحنا من قول شيوخنا البغداديين ما محصوله أن الامامه كانت لعلى ان رغب فيها و نازع عليها، و إن أفترها فى غيره و سكت عنها تولينا ذلك الغير، و قلنا بصحة خلافته، و أمير المؤمنين لم ينازع الأئمه الثلاثه و لا جرد السيف و لا استنجد بالناس عليهم، فدل ذلك على اقراره لهم على ما كانوا فيه، فلذلك توليناهم و قلنا فيهم بالطهاره و الخير و الصلاح، و لو حاربهم و جرد السيف عليهم و استصرخ العرب على حربهم، قلنا فيهم ما قلناه فيمن عامله هذه المعامله من التفسيق و التضييل انتهى أقول: بعد الاعتراف بكون الزوايه نصا صريحا فى الامامه كما هى كذلك

فی الواقع أيضا كيف يجوز تأويله، إذ التأويل إنما يأتي في المتشابهات و الاحتمالات لا في النصوصات، و على فرض التنزيل أقول: لا- أقل من كونها ظاهره في الامامه المطلقه و لا دليل و لا داعي إلى رفع اليد عن الظهور و حملها على الامامه في الفتاوى و الأحكام مع تنافي المعطوف عليه أعني قوله: وليكم، لذلك الحمل أيضا، لأن المتبادر منه هو الاولى بالتصرف حسبما ذكرناه في مقدمات الخطبه الشَّقْشَقِيَّه، مضافا إلى عدم تعارف استعمال لفظ الامامه في مقام الفتوى و القضا كما لا يخفى و أما ما ذكره من قول شيوخه البغداديين فهو محصل ما حكيناه عنه في مقدمات الخطبه الشَّقْشَقِيَّه و في شرح الكلام السابع و الثلاثين في أول التنبهين، و تبهنا هناك على فساد ما لا مزيد عليه و دللنا على أنه عليه السلام طلب الخلافه و رغب فيها و استنجد في الناس و استصرخ العرب على الحرب و حمل امرأته و ابنه معه، فلم يدع أحدا من المهاجرين و الأنصار إلا استنجد بهم و استنصر منهم، فلم يجبه إلا ثلاثه أو أربعة و لما لم يجد أعوانا كفّ و سكت تقيّه و حقنا لدمه، فليس في عدم تجريد السيف و النزاع دليلا على التقرير و الرضاء كما علمت تفصيلا فتذكر

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام عالی مقام است در وقتی که اشاره کردند بر او أصحاب او بمهیا شدن از برای حرب اهل شام بعد از فرستادن آن حضرت جریر بن عبد الله بجلی را بسوی معاویه ملعون می فرماید:

بدرستی که مهیا شدن من از برای محاربه اهل شام و حال آنکه جریر نزد ایشان است اکراه کردن است یا در بستن شام را و باز گردانیدنست اهل آن را از قبول طاعت اگر اراده طاعت داشته باشند، و لکن من تعیین کرده ام از برای جریر وقتی را که نمی ایستد بعد از آن وقت مگر فریفته شده یا عصیان ورزیده، و فکر صایب با تأنی و آهستگی است، پس بنرمی کار کنید، و مکروه نمی شمارم از برای شما مهیا ساختن اسباب حرب را بجهت حزم و احتیاط و بتحقیق که زدم بینی این کار را و چشم او را و گردانیدم پشت و شکم او را، پس ندیدم از برای خود در آن کار مگر

محاربه نمودن یا کافر شدن به آن چیزی که پیغمبر خدا آنرا آورده است، بدرستی که بود بر امّہ حضرت رسالت حاکمی که پدید آورد کارهای بی موقع و نا مناسب را، و موجود ساخت از برای مردمان محلّ گفتگو را، پس گفتند در حق او آنچه گفتنی بود، بعد از آن انکار کردند و عتاب نمودند، پس تغییر دادند و بقتل آوردند او را.

و من کلام له علیه السلام و هو الرابع و الاربعون من المختار فی

اشاره

باب الخطب

لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلُهُ بَنَ هَبِيرَةَ الشَّيْبَانِي إِلَى مَعَاوِيَةَ وَ كَانَ قَدْ ابْتَاعَ سَبِيَّ بَنِي نَاجِيَةٍ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ أَعْتَقَهُمْ، فَلَمَّا طَالَبَهُ بِالْمَالِ خَاصَّ بِهِ وَ هَرَبَ إِلَى الشَّامِ قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَهُ فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَ فَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَنَهُ، وَ لَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى نَكَبَهُ، وَ لَوْ أَقَامَ لِأَخْذِنَا مِيسُورَهُ، وَ انْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وَفُورَهُ.

اللغة

(مصقله) بفتح الميم و هو مصقله بن هبیره بن شبل بن ثیری بن امرء القیس بن ربیعہ بن مالک بن ثعلبه بن شیبان، و (بنو ناجیه) قوم نسبوا انفسهم إلى سامه بن لوی بن غالب بن فهر بن مالک بن النضر بن کنانہ، فدفعتهم قریش عن هذا النسب و نسبتهم إلى امّهم ناجیه و هی امرأه سامه بن لوی قالوا إنّ سامه خرج إلى ناحیه البحرین مغاضبا لأخیه کعب بن لوی فطاطات ناقتہ رأسها لتأخذ العشب فعلق بمشفرها أفعی ثم عطفت علی قبتہا فحکمتہ به، فدبّ الأفعی علی القبت «کذا» حَتَّى نَهَشَ سَاقَ سَامِهِ فَقَتَلَهُ، وَ کَانَتْ مَعَهُ امْرَأَتُهُ نَاجِيَةٍ فَلَمَّا مَاتَ تَزَوَّجَتْ رَجُلًا فِي الْبَحْرَيْنِ فَوُلِدَتْ مِنْهُ الْحَارِثُ، وَ مَاتَ أَبُوهُ وَ هُوَ صَغِيرٌ فَلَمَّا تَرَعَرَ طَمَعَتْ أُمُّهُ أَنْ تَلْحَقَهُ بِقَرِيشٍ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ ابْنَ سَامِهِ بَنَ لُؤْيَ فَرَحْلَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى

مَكَّةَ و معه أمّه، فاخبر كعب بن لوى أنّه ابن أخيه سامه، فعرف كعب أمّه ناجيه فظنّ أنّه صادق في دعواه فقبله، و مكث عنده مدّة حتّى قدم ركب من البحرين فرأوا الحارث فسلموا عليه و حادثوه فسألهم كعب بن لوى اين يعرفونه، فقالوا هذا ابن رجل من بلدنا يعرف بفلان، و شرحوا له خبره فنفاه كعب عن مكه و نفى أمّه فرجعا إلى البحرين فكانا هناك، و تزوّج الحارث و أعقب هذا العقب و (خاس به) يخيس و يخوس أى غدر به، و خاس فلان بالعهد أى أخلف و (التنكيب) التوبيخ و التّقرّيع و (الميسور) ضدّ المعسور و (الوفور) مصدر وفر المال اى كثر و تمّ و يجىء متعدّيا و فى بعض النسخ موفوره و هو التّام

الاعراب

جملة قَبِحَ الله مصقله دعائيه لا محلّ لها من الاعراب، و جملة فعل فعل السّاده استينافيه بيانيه واقعه موقع الجواب عن سؤال علّه الدّعاء بالتّقييح

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام (لما هرب مصقله بن هبيرة الشيباني) منه (إلى معاويه و كان) سبب هربه أنّه (قد ابتاع سبى بنى ناجيه من) معقل بن قيس الرياحى (عامل أمير المؤمنين و اعتقهم فلما طالبه) أمير المؤمنين (بالمال خاس به) و غدر (و هرب إلى الشّام) نحو معاويه فبلغ ذلك إليه عليه السّلام فقال (قَبِحَ الله مصقله) و نحاه عن الخير (فعل فعل السّاده) حيث اشترى القوم و اعتقهم (و فرّ فرار العبيد) على ما هو شيمتهم و عادتهم (فما أنطق مادحه حتّى أسكته) يعنى أنّه جمع بين عاتبين متنافيين انطاقه لمادحه بفداء الاسرى مع اسكاته بهر به قبل تمام انطاقه، و هو وصف لسرعه إلحاقه رذيلته بفضيلته حتّى كأنّه قصد الجمع بينهما (و لا صدّق واصفه حتّى نكبه) يعنى أنّه لم يصدق الواصف له بحسن فعله حتّى وبخه بسوء عمله، ثمّ أشار إلى جواب ما يتوهم اعتذاره به و هو خوف التّضييق عليه فى بقية المال فقال (و لو أقام) و لم يهرب (لأخذنا) منه (ميسوره و انتظرنا بماله) تمامه (و وفوره) هذا

و أما قصه بنى ناجيه و سبب هرب مصقله فعلى ما ذكره فى البحار و شرح المعتزلى من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفى بتلخيص منا هو: أنّ الخريت ابن راشد النّاجى أحد بنى ناجيه قد شهد مع علىّ عليه السّلام صفّين ثمّ استهواه الشّيطان و صار من الخوارج بسبب التّحكيم، فخرج هو و أصحابه إلى المداين و قتلوا فى طريقهم مسلما فوجه أمير المؤمنين إليهم زياد بن حفصه فى مائه و ثلاثين رجلا، فلحقوهم بالمداين و اقتتلوا هنالك و استشهد من اصحاب زياد رجلان و اصاب منهم خمسة نفر و حال اللّيل بين الفريقين فبات أصحاب زياد فى جانب و تنحّى الخوارج فمكثوا ساعه من اللّيل ثمّ مضوا فذهبوا و لمّا أصبح أصحاب زياد وجدوا أنّهم ذهبوا فمضى أصحاب زياد إلى البصره و بلغهم أنّهم أتوا الأهواز فنزّلوا فى جانب منها، و تلاحق بهم ناس من أصحابهم نحو مأتين، فأقاموا معهم و كتب زياد بذلك إلى أمير المؤمنين يخبره الخبر، و يأتى ذكر ذلك الكتاب و تفصيل قتال الفريقين فى شرح المختار المأه و الثمانين إنشاء الله قال إبراهيم فلمّا أتاه الكتاب قرأه على النّياس، فقام إليه معقل بن قيس الرّياحى فقال: أصلحك الله يا أمير المؤمنين إنّما كان ينبغى أن يكون مكان كلّ رجل من هؤلاء الذين بعثتهم فى طلبهم عشره من المسلمين فاذا لحقوهم استأصلوا شافتهم و قطعوا دابرهم، فقال عليه السّلام له: تجهّز يا معقل إليهم و ندب معه ألفين من أهل الكوفه فيهم يزيد بن المعقل و كتب إلى عبد الله بن العباس و كان عامل البصره أمّا بعد فابعث رجلا من قبلك صليبا شجاعا معروفا بالصّلاح فى ألفى رجل من أهل البصره فليتبّع معقل بن قيس فاذا خرج من أرض البصره فهو أمير أصحابه حتّى يلقى معقلا فإذا لقاه فمعقل أمير الفريقين فليسمع منه و ليطعه و لا يخالفه، و مر زياد بن حفصه فليقبل إلينا فنعم المرء زياد و نعم القبيل قبيلته و كتب عليه السّلام إلى زياد أمّا بعد فقد بلغنى كتابك و فهمت ما ذكرت به النّاجى و أصحابه الذين «طَنَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» و «زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» فهم حيارى عمون «يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»، و وصفت ما بلغ بك و بهم الأمر فأما أنت و أصحابك فلله سعيكم و عليه جزائكم و أيسر ثواب الله للمؤمن خير له من الدّنيا التى يقتل الجاهلون أنفسهم عليها فما عندكم ينفد و ما عند الله باق و لنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون، و أمّا عدوّكم الذين لقيتم فحسبهم خروجهم من الهدى و ارتكابهم فى الضّلاله و ردّهم الحقّ و جماعهم فى التّيه، «فَذَرَهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ»، و دعهم «فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ»، ف «أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ» فكانك بهم عن قليل بين أسير و قتل، فاقبل اليّا أنت و أصحابك ماجورين، فقد أطعتم و سمعتم و أحسنتم البلاء و السلام.

قال: و نزل النّاجى جانبا من الأهواز و اجتمع إليه علوج كثير من أهلها ممّن أراد كسر الخراج و من اللّصوص و طايفه اخرى من الأعراب يرى رأيه.

قال إبراهيم: و روى عن عبد الله بن قعين قال: كنت أنا و أخى كعب بن قعين فى ذلك الجيش مع معقل بن قيس، فلما أراد الخروج أتى أمير المؤمنين يودّعه فقال عليه السّلام: يا معقل بن قيس اتّق الله ما استطعت فإنّه (فانها خ) وصيّيه الله للمؤمنين لا تبغ على أهل القبله و لا تظلم على أهل الدّمه و لا تتكبر فإنّ الله لا يحبّ المتكبرين، فقال معقل: الله المستعان، فقال عليه السّلام: خير مستعان، ثمّ قام فخرج و خرجنا معه حتّى نزل الأهواز، و بعث ابن عباس خالد بن معدان مع جيش البصره فدخل على صاحبنا فسلمّ عليه بالامر و اجتمعا جميعا فى عسكر واحد.

قال عبد الله بن قعين ثمّ خرجنا إلى النّاجى و أصحابه فأخذوا نحو جبال رامهرمز يريدون قلعه حصينه، و جاءنا أهل البلد فأخبرونا بذلك فخرجنا فى آثارهم فلحقناهم و قد دنوا من الجبل فصفقنا لهم، ثمّ أقبلنا نحوهم فجعل معقل على يمينته يزيد بن معقل، و على يسرته منجاب بن راشد، و وقف النّاجى بمن معه من العرب فكانوا يمينه و جعل أهل البلد و العلوج و من أراد

كسر الخراج و جماعه من الاكراد ميسره.

و سار فينا معقل يحرّضنا و يقول: يا عباد الله لا تبدءوا القوم و غصّوا الأبصار

ص: ٢٣٤

و أَقْلُوا الْكَلَامَ وَ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ وَ الضَّرْبِ وَ ابْشَرُوا فِي قِتَالِهِمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ إِنَّمَا تَقَاتِلُونَ مَارِقَهُ مَرَقَتِ وَ عُلُوجًا مَنَعُوا الْخِرَاجَ وَ لَصُوصًا وَ أَكْرَادًا فَمَا تَنْتَظِرُونَ فَإِذَا حَمَلَتْ فَشَدَّ وَ أَشَدَّهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ.

قَالَ فَمَرَّ فِي الصَّفِّ لِكُلِّهِمْ يَقُولُ: هَذِهِ الْمَقَالَةُ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَقْبَلَ فَوْقَ وَسْطِ الصَّفِّ فِي الْقَلْبِ وَ نَظَرْنَا إِلَيْهِ مَا يَصْنَعُ فَحَرَّكَ رَأْيَتَهُ تَحْرِيكَتَيْنِ ثُمَّ حَمَلَ فِي الثَّالِثَةِ وَ حَمَلْنَا مَعَهُ جَمِيعًا، فَوَ اللَّهِ مَا صَبَرُوا لَنَا سَاعَةً حَتَّى وَلَّوْا وَ انْهَزَمُوا، وَ قَتَلْنَا سَبْعِينَ عَرَبِيًّا مِنْ بَنِي نَاجِيَةٍ، وَ مِنْ بَعْضِ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْعَرَبِ، وَ نَحْنُ ثَلَاثُمَائِهِ مِنَ الْعُلُوجِ، وَ الْأَكْرَادِ، وَ خَرَجَ النَّاجِيُّ مِنْهُمْ مَا حَتَّى لَحِقَ بِسَيْفٍ مِنْ أَسْيَافِ الْبَحْرِ وَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ قَوْمِهِ كَثِيرٌ فَمَا زَالَ يَسِيرُ فِيهِمْ وَ يَدْعُوهُمْ إِلَى خِلَافِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ يَزِينُ لَهُمْ فِرَاقَهُ وَ يَخْبِرُهُمْ أَنَّ الْهَدْيَ فِي حَرْبِهِ وَ مَخَالَفَتِهِ حَتَّى اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وَ أَقَامَ مَعْقِلَ بَنِ قَيْسٍ بِأَرْضِ الْأَهْوَازِ وَ كَتَبَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَتْحِ وَ كَانَ فِي الْكِتَابِ: لِعَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَعْقِلِ بَنِ قَيْسٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَاِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا لَقَيْنَا الْمَارِقِينَ وَ قَدْ اسْتَظْهَرُوا عَلَيْنَا بِالْمُشْرِكِينَ فَقَتَلْنَا مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا وَ لَمْ نَعُدْ فِيهِمْ سِيرَتَكَ، لَمْ نَقْتُلْ مِنْهُمْ مَدْبِرًا وَ لَا- أَسِيرًا وَ لَمْ نَدْفِفْ مِنْهُمْ عَلَى جَرِيحٍ، وَ قَدْ نَصَرَكَ اللَّهُ وَ الْمُسْلِمِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابَ عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَرَأَهُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَ اسْتَشَارَهُمْ فَاجْتَمَعَ رَأْيُ عَامَّتِهِمْ عَلَى قَوْلِ وَاحِدٍ قَالُوا: نَرَى أَنَّ نَكْتَبُ إِلَى مَعْقِلِ بَنِ قَيْسٍ يَتَّبِعُ آثَارَهُمْ وَ لَا يَزَالُ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى يَقْتُلَهُمْ أَوْ يَنْفِيَهُمْ مِنْ أَرْضِ الْإِسْلَامِ.

فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ أَوْلِيَائِهِ وَ خَذْلِهِ أَعْدَائِهِ، جَزَاكَ اللَّهُ وَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَقَدْ أَحْسَنْتُمُ الْبَلَاءَ وَ قَضَيْتُمُ مَا عَلَيْكُمْ فَاسْأَلْ عَنْ أَخِي بَنِي نَاجِيَةٍ فَإِنْ بَلَغَكَ أَنَّهُ اسْتَقَرَّ فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ فَسِرْ إِلَيْهِ حَتَّى تَقْتُلَهُ أَوْ تَنْفِيَهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلْمُسْلِمِينَ عَدُوًّا وَ لِلْفَاسِقِينَ وَلِيًّا.

قال فسأل معقل عن مسيره و المكان الذى انتهى إليه فتبىء بمكانه بسيف(١) البحر بفارس و أنه قد ردّ قومه عن طاعه عليّ عليه السلام و أفسد من قبله من عبد القيس و من و الاهم من ساير العرب، و كان قومه قد منعوا الصدقه عام صفيين و منعوها فى ذلك العام أيضا.

فسار إليهم معقل فى ذلك الجيش من أهل الكوفه و البصره فأخذوا على أرض فارس حتّى انتهوا إلى أسياف البحر فلما سمع النّاجى بمسيره أقبل على من كان معه من أصحابه ممّن يرى رأى الخوارج فأسرّ إليهم أنى أرى رأيكم و أن عليا ما كان ينبغى له أن يحكم الرّجال فى دين الله، و قال للآخرين من أصحابه مسرّا إليهم:

إنّ عليّا قد حكم حكما و رضى به فخالف حكمها الذى ارتضاه لنفسه و هذا الرّأى الذى خرج عليه من الكوفه، و قال لمن يرى رأى عثمان و أصحابه: إنّنا على رأيكم و إنّ عثمان قتل مظلوما، و قال لمن منع الصّيدقه: شدّوا أيديكم على صدقاتكم ثمّ صلوا بها أرحامكم و عودوا إن شئتم على فقرائكم فأرضى كلّ طائفه بضرب من القول.

و كان فيهم نصارى كثير أسلموا، فلما رأوا ذلك الاختلاف قالوا: و الله لدينا الذى خرجنا منه خير و أهدي من دين هؤلاء الذين لا ينيهم دينهم عن سفك الدّماء و إخافه السّبل فرجعوا إلى دينهم، فلقى النّاجى أولئك فقال: و يحكم إنّّه لا ينجيكم من القتل إلّا الصّبر لهؤلاء القوم و اتّصالهم أ تدرون ما حكم عليّ فيمن أسلم من النصارى ثمّ رجع الى النّصرانيه لا و الله لا يسمع له قولاً و لا يرى له عذرا، و لا دعوه و لا يقبل منه توبه و لا يدعوه اليها و أنّ حكمه فيه أن يضرب عنقه ساعه يستمكن منه، فما زال حتّى خدعهم فاجتمع اليه ناس كثير و كان منكرا(٢) داهيا، فلما رجع معقل قرء على أصحابه كتابا من عليّ فيه:

ص: ٢٣٧

١- (١) السيف بالكسر ساحل البحر و الجمع أسياف، لغه.

٢- (٢) و النكر و النكاره و النكراه الدهاء و الفطنه يقال رجل نكر كفرح و منكر كمكرم اى ذو نكره و الدهى كالدّهاء جوده الراى، منه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابي هذا من المسلمين و المؤمنين و المارقين و النصاري و المرتدين، سلام على من أتبع الهدى و آمن بالله و رسوله و كتابه و البعث بعد الموت و افيا بعهد الله و لم يكن من الخائنين.

أمّا بعد فإني أدعوكم إلى كتاب الله و سنّه نبّيه و أن أعمل فيكم بالحقّ و بما أمر الله تعالى به في كتابه فمن رجع منكم إلى رحله و كفّ يده و اعتزل هذا المارق الهالك المحارب الذي حارب الله و رسوله و المسلمين و سعى في الأرض فسادا فله الأمان على ماله و دمه، و من تابعه على حربنا و الخروج من طاعتنا استعنا بالله عليه و جعلناه بيننا و بينه و كفى بالله وليا و السلام.

قال فأخرج معقل رايه أمان فنصبها و قال: من أتاها من الناس فهو آمن إلّا الخريت و أصحابه الذين نابذوا أول مرّه، فتفرّق عن الخريت كلّ من كان معه من غير قومه و عبا معقل أصحابه ثمّ زحف بهم نحوه، و قد حضر مع الخريت جميع قومه مسلمهم و نصرانيهم و مانع الصدقه منهم فجعل مسلمينهم يمينه و مانع الصدقه يسره.

و سار معقل يحزّض أصحابه فيما بين الميمنه و الميسره و يقول: أيّها الناس ما تدرون ما سيق اليكم في هذا الموقف من الأجر العظيم إنّ الله ساقكم إلى قوم منعوا الصدقه و ارتدّوا من الاسلام و نكثوا البيعه ظلما و عدوانا، انّي شهيد لمن قتل منكم بالجنّه، و من عاش بأنّ الله يقرّ عينه بالفتح و الغنيمه، ففعل ذلك حتّى مرّ بالناس أجمعين ثمّ وقف في القلب برايته فحملت الميمنه عليهم ثمّ الميسره و ثبتوا لهم و قاتلوا قتالا شديدا، ثمّ حمل هو و أصحابه عليهم فصبّروا لهم ساعه.

ثمّ إنّ النعمان بن صهبان أبصرت بالخریت فحمل عليه و ضربه فصرعه عن فرسه ثمّ نزل إليه و قد جرحه فاختلفا بينهما ضربتين فقتله النعمان و قتل معه في المعركه سبعون و مائه و ذهب الباقيون في الأرض يميناً و شمالاً، و بعث معقل الخيل

إلى رحالهم فسبى من أدرك فيها رجالا و نساء و صبيانا، ثمّ نظر فيهم فمن كان مسلما خلاه و أخذ بيعته و خلا سبيل عياله، و من كان ارتدّ عن الاسلام عرض عليه الرجوع إلى الاسلام أو القتل فأسلموا فخلّى سبيلهم و سبيل عيالاتهم إلاّ شيئا منهم نصرانيا أبى فقتله.

و جمع الناس فقالوا ردّوا ما عليكم فى هذه السنين من الصدقه فأخذ من المسلمين عقالين (١) و عمد إلى النصارى و عيالاتهم فاحتملهم معه، و أقبل المسلمون الذين كانوا معهم يشيعونهم، فأمر معقل بردهم فلما ذهبوا لينصرفوا تصايحوا و دعا الرجال و النساء بعضهم إلى بعض، قال: فلقد رحمتهم رحمه ما رحمتها أحدا قبلهم و لا بعدهم.

و كتب معقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام أمّا بعد فانى اخبر أمير المؤمنين عن جنده و عن عدوّه إنّنا رفعنا إلى عدوّنا بأسيا ف البحر فوجدنا بها قبائل ذات جدّ و عدد و قد جمعوا لنا فدعوناهم إلى الجماعه و الطاعه و إلى حكم الكتاب و السنّه و قرأنا عليهم كتاب أمير المؤمنين و رفعنا لهم رايه أمان، فمالت إلينا طائفه منهم و ثبتت طائفه اخرى، فقبلنا أمر التى أقبلت، و صمدنا إلى التى أدبرت فضرب الله و جوههم و نصرنا عليهم، فأما من كان مسلما فانا منّا عليه و أخذنا بيعته لأمر المؤمنين و أخذنا منهم الصدقه التى كانت عليهم، و أمّا من ارتدّ فعرضنا عليهم الرجوع إلى الاسلام و إلاّ قتلنا فرجعوا إلى الاسلام غير رجل واحد فقتلناه و أمّا النصارى فانا سبيناهم و أقبلنا لهم ليكونوا نكالا لمن بعدهم من أهل الدمه كيلا يمنعوا الجزيه و لا يجتروا على قتال أهل القبله و هم للصغار و الذله أهل، رحمك الله يا أمير المؤمنين و أوجب لك جنات النعيم و السلام.

قال: ثمّ أقبل بالاسارى حتّى مرّ على مصقله بن هبيرة الشيبانى و هو عامل على أردشير خوّه و هم خمسمائه إنسان فبكى إليه النساء و الصبيان و تصايح الرجال يا أبا الفضل يا حامل الثقل يا مأوى الضعيف و فكاك العصاه، امنن علينا فاشترنا

ص: ٢٣٩

و اعتقنا، فقال مصقله: اقسم بالله لأتصدقنّ عليهم إنّ الله يجزى المتصدقين، فبلغ قوله معقلا فقال: و الله لو اعلمه قالها توجعا لهم و وجدنا و إزراء عليّ لضربت عنقه، و إن كان في ذلك فناء بني تميم و بكر بن وائل.

ثمّ إنّ مصقله بعث زهل بن الحارث إلى معقل فقال: بعني نصارى بني ناجيه فقال أبيعكم بألف ألف درهم، فأبى عليه فلم يزل يراضيه حتّى باعه إيّاهم بخمسائه ألف درهم، و دفعهم إليه و قال: عجلّ بالمال إلى أمير المؤمنين فقال مصقله: أنا باعنا الآن بصدر منه، ثمّ أبعث بصدر آخر و كذلك حتّى لا يبقى منه شيء.

و أقبل معقل إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فأخبره بما كان من الامر فقال أحسنت و أصبت و وفقت و انتظر عليّ عليه السّلام أن يبعث مصقله بالمال فأبطأ به، و بلغ عليّا أن مصقله خلّى الاسارى و لم يسألهم أن يعينوه في فكاك أنفسهم بشيء فقال: ما أرى مصقله إلّا قد حمل حماله و لا أراكم إلّا سترونه عن قريب مبلدحا(١) ثمّ كتب عليه السّلام إليه أمّا بعد، فإنّ أعظم الخيانه خيانه الامه، و أعظم الغشّ على أهل المصر غشّ الامام، و عندك من حقّ المسلمين خمسائه ألف درهم، فابعث بها إلى حين يأتيك رسولى و إلّا فاقبل إلى حين تنظر في كتابى فانى قد تقدّمت إلى رسولى أن لا يدعك ساعه واحده تقيم بعد قدومه عليك إلّا أن تبعث بالمال و السّلام.

فلما قرء كتابه أتاها بالكوفه فأقرّه أياما لم يذكر له شيئا، ثمّ سأله المال فأدّى، إليه مأتى ألف درهم و عجز عن الباقي ففرّ و لحق بمعاويه فلما بلغ ذلك عليّا قال:

ماله ترحه الله فعل فعل السّيد و فرّ فرار العبد، و خان خيانه الفاجر فلو عجز ما زدنا على حسبه، فان وجدنا له شيئا أخذناه، و إن لم نجد له مالا تركناه.

ثمّ سار عليّ عليه السّلام إلى داره فهدمها و كان أخوه نعيم بن هبيرة شيعه لعليّ عليه السّلام مناصحا فكتب إليه مصقله من الشام مع رجل من النّصارى تغلب يقال له حلوان أمّا بعد

ص: ٢٤٠

١- (١) بلدح ضرب بنفسه الى الارض و وعد و لم ينجز العده ق.

فَأَنَّى كَلَّمْتُ مُعَاوِيَةَ فِيكَ فَوَعْدُكَ الْكَرَامَةَ، وَ مَنَاكَ الْأَمَارَةَ فَأَقْبَلَ سَاعَهُ تَلْقَى رَسُولِي وَالسَّلَامَ.

فَأَخَذَهُ مَالِكُ بْنُ كَعْبٍ الْأَرْحَبِيُّ فَسَرَحَ بِهِ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَ كِتَابَهُ فَقَرَأَهُ ثُمَّ قَدَّمَهُ فَقَطَعَ يَدَهُ فَمَاتَ، وَ كَتَبَ نَعِيمٌ إِلَى مُصْقَلِهِ شَعْرًا يَتَضَمَّنُ امْتِنَاعَهُ وَ تَعْيِيرَهُ، فَلَمَّا بَلَغَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ عَلِمَ أَنَّ النَّصْرَانِيَّ قَدْ هَلَكَ وَ لَمْ يَلْبَثِ التَّغْلِييُونَ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى بَلَغَهُمْ هَلَكَ صَاحِبَهُمْ، فَأَتَوْا مُصْقَلَهُ فَقَالُوا: أَنْتَ أَهْلَكْتَ صَاحِبَنَا فَأَمَّا أَنْ تَجِئَنَا بِهِ، وَ إِمَّا أَنْ تَدِيَهُ فَقَالَ: أَمَّا أَنْ أَجِيءَ بِهِ فَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَ أَمَّا أَنْ أُدِيَهُ فَنَعَمْ فَوَدِيَهُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَ حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَيْفٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَنْدَبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ هَرَبَ مُصْقَلُهُ: ارْجِعْ إِلَى الَّذِينَ سَبَوْا وَ لَمْ يَسْتَوْفِ ثَمَنَهُمْ فِي الرِّقِّ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْسَ ذَلِكَ فِي الْقَضَاءِ بِحَقٍّ قَدْ عَتَقُوا إِذْ اعْتَقَهُمُ الَّذِي اشْتَرَاهُمْ وَ صَارَ مَالِي دِينًا عَلَى الَّذِي اشْتَرَاهُمْ

الترجمه

از جمله کلام آن حضرت است در حینی که بگریخت مصقله بن هبیره شیانی بسوی معاویه ملعون، و جهت فرار او این بود که خریده بود اسیران بنی ناحیه را از معقل بن قیس ریاحی عامل امیر المؤمنین علیه السّلام و آزاد کرده بود ایشان را، پس زمانی که مطالبه کرد امام علیه السّلام ثمن آنها را غدر کرد مصقله بآن و گریخت بطرف شام پس چون آن خبر بحضرت رسید فرمود:

دور گرداند خدا مصقله را از رحمت خود، کرد کار خواجهگان را که خریدن بندگان بود و آزاد کردن ایشان، و گریخت همچو گریختن غلامان پس گویا نگردانید مدح گوینده خود را تا این که ساکت ساخت او را بغدر و فرار، و تصدیق نکرد وصف کننده خود را تا این که توییح نمود او را بجهه سوء کردار، و اگر اقامت میکرد و نمی گریخت هر آینه دریافت می کردیم از او آنچه مقدور او بود، و انتظار می کشیدیم بمال او افزونی او را، یعنی می گذاشتیم مال او زیاده شود و از عهده قرض و دین خود بر آید

اشاره

المختار فى باب الخطب

الحمد لله غير مقنوط من رحمته، و لا- مخلوّ من نعمته، و لا- مأیوس من مغفرته، و لا- مستنكف عن عبادته، الذى لا تبرح منه رحمه، و لا تفقد له نعمه، و الدّنيا دار منى لها الفناء، و لأهلها منها الجلاء، و هى حلوه خضره، و قد عبّلت للطالب، و التبت بقلب الناظر، فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد، و لا تسئلوا فيها فوق الكفاف، و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ.

اللغة

(القنوط) الياس و (الاستنكاف) الاستكبار و المستنكف على صيغه المفعول و (مناه) الله أى قدره و (الجلاء) بفتح الجيم الخروج من الوطن قال سبحانه:

«وَلَوْ لَا- أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ» و (الخضره) بفتح الخاء المعجمه و كسر الضّاد و الخضر ككتف الغصن و الزّرع و البقله الخضراء و (الكفاف) من الرزق كسحاب ما اغنى عن النّاس و (البلاغ) كسحاب أيضا الكفایه.

الاعراب

غير مقنوط نصب على الحال، و لا مخلوّ عطف على مقنوط و نحوه قوله سبحانه «فَمِنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ»

و ربّما يجيء المعطوف بالتّصّب عطفًا على موضع غير، و جملة الذى لا يبرح و صفته و لأهلها إمّا متعلق بمقدّر و هو خبر مقدّم و الجلاء مبتداء مؤخّر و الواو عاطفه للجملة على الجملة فتكون المعطوفة فى محلّ الرّفع على كونها صفة لدار كالمعطوف عليها أو لأهلها عطف على لها و الجلاء مرفوع على النّياحة عن الفاعل كما أنّ الفناء مرفوع كذلك، و الباء فى قوله بأحسن للمصاحبه و الملابسه، و فى قوله بحضرتكم للظرفيّة و من الرّاد بيان لما

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المستفاد من شرح البحرانى هو أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله له عليه السّلام خطبها يوم الفطر، و أنّ بين قوله: و نعمه، و قوله: و الدّنيا، فصل طويل، و المستفاد منه أيضا أنّ الخطبه الثامنه و العشرين أيضا من فصول تلك الخطبه الطويله إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ ما أتى به السيّد (ره) هنا منتظم من فصلين

الفصل الاول

مشتمل على حمد الله سبحانه و ثنائه

و هو قوله (الحمد لله غير مقنوط من رحمته) أصل الرّحمه رقه القلب و انعطاف أى نيل روحانى يقتضى التّفصّل و الاحسان، و إذا اسندت إلى الله سبحانه كان المراد بها غايتها أعنى التّفصّل و الاحسان، لأنّ الرّقه من الكيفيّات المزاجيّة المستحيله فى حقّه سبحانه، فيكون اطلاقها على التّفصّل إمّا من باب المجاز المرسل من قبيل ذكر السّبب و إرادته المسبّب لكون الرّقه سببا للتّفصّل و إمّا من باب التمثيل بأن شبّه حاله تعالى بالقياس إلى المرحومين فى إيصال الخير إليهم بحال الملك إذا عطف على رعيّته ورقّ لهم فأصابهم بمعروفه و انعامه، فاستعير الكلام الموضوع للهيئه الثانيه للاولى من غير أن يتمحّل فى شىء من مفرداته و كيف كان ففى كلامه عليه السّلام تنبيه على عدم جواز اليأس من رحمه الله سبحانه لعمومها و سعتها للخلاق فى الدّنيا و الآخره كما قال سبحانه: «وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» و قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ لله عزّ و جلّ مائه رحمه أنزل منها واحده إلى الأرض

ص: ٢٤٣

فقسّمها بين خلقه فيها يتعاطفون و يتراحمون، و آخر تسعا و تسعين لنفسه يرحم بها يوم القيامة.

و روى إنّ الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مأته يرحم بها عباده يوم القيامة (و لا مخلوّ من نعمته) لأنّ سبوغ نعمته دائم لآثار قدرته التي استلزمت طبائعها الحاجه إليه فوجب لها فيض جوده إذ كلّ ممكن مفتقر إلى كرمه وجوده (و لا مأیوس من مغفرته) و ذلك لأنّ عفوه تعالى غالب على عقابه، و رحمته سابقه على غضبه، و مغفرته قاهره لعقوبته كما قال سبحانه:

«قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» و في الحديث ليغفرنّ الله يوم القيامة مغفره ما خطرت قطّ على قلب أحد حتّى أنّ إبليس ليتناول لها رجاء أن تصيبه هذا و نظير كلامه في الفقرات الثلاث المفيده لا تصافه سبحانه بالرحمه و الانعام و المغفره ما ورد في دعاء الاستقاله عن الذنوب من الصّ حيفه السّجاديّه و هو قوله عليه السّلام:

«أنت الّذى و سعت كلّ شيء رحمة و علما، و أنت الّذى جعلت لكلّ مخلوق في نعمك سهما، و أنت الّذى عفوه أعلى من عقابه» (و لا- مستنكف عن عبادته) إذ هو المستحقّ للعباده دون ما عداه، لأنّه جامع الكمال المطلق ليس فيه جهه نقصان إليها يشار، فيكون سببا للاستنكاف و الاستكبار فالمقصود بقوله: و لا مستنكف عن عبادته، أنّ عبادته ليست محلاّ لأنّ يستنكف عنها، لأنّها لا استنكاف عنها و لا استكبار، ضروره أنّ المستكبرين و المستنكفين من الجنّه و النّاس من الكافرين و المنافقين فوق حدّ الاحصاء، و لذلك خصّ سبحانه عدم الاستكبار بأهل التّقرب و المكانه كما قال:

«وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»

«عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ» وقال: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَبْخُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ» وقال: «لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (الذى لا تبرح له رحمته ولا تفقد له نعمته) الاتيان بهذين الوصفين للاشارة إلى وجوب شكره سبحانه بهذين الاعتبارين أيضا فان قلت أليس قوله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته مغنيا عن هذين الوصفين؟ قلت: لا إذ عدم القنوط من رحمته لا يستلزم دوام الرحمة فلا يغنى ذكره عنه وهو ظاهر، وأما عدم الخلو من النعمة وإن كان ملازما لعدم فقدانها إلا أنه يمكن أن يكون المراد بالأول الخصوص يعنى عدم خلو نفسه من نعمته كما أن الظاهر فى الفقرات الثلاث الباقية أيضا ذلك، والثانى مشمول نعمته لجميع الخلايق وعدم فقدانها فى حق أحد وأما البرهان على دوام رحمته وكمال نعمته فهو على ما ذكره الفخر الرازى أن الأشياء على أربعة أقسام: الذى يكون نافعا و ضروريا معا والذى يكون نافعا ولا يكون ضروريا والذى يكون ضروريا ولا يكون نافعا والذى لا يكون نافعا ولا يكون ضروريا أما القسم الأول وهو الذى يكون نافعا و ضروريا معا، فاما أن يكون

كذلك فى الدّنيا فقط و هو مثل النّفس، فأنّه لو انقطع منك لحظه واحده لحصل الموت، و إمّا أن يكون كذلك فى الآخره و هو معرفه الله تعالى فإنّها إن زالت عن القلب لحظه واحده حصل الموت للقلب و استوجب العذاب الأبّد و أمّا القسم الثّانى و هو الذى يكون نافعا و لا يكون ضروريّا فهو كالمال فى الدّنيا و كساير العلوم و المعارف فى الآخره و أمّا القسم الثّالث و هو الذى يكون ضروريّا و لا يكون نافعا فكالمضّار التى لا بدّ منها فى الدّنيا، كالأمراض و الموت و الفقر و الهرم و لا نظير لهذا القسم فى الآخره، فإنّ ضروريّات الآخره لا يلزمها شيء من المضّار و أمّا القسم الرّابع و هو الذى لا يكون ضروريّا و لا نافعا فهو كالفقر فى الدّنيا و العذاب فى الآخره إذا عرفت ذلك فنقول: قد ذكرنا أنّ النّفس فى الدّنيا نافع و ضروريّ، فلو انقطع عن الانسان لحظه لمات فى الحال، و كذلك معرفه الله تعالى أمر لا بدّ منه فى الآخره فلو زالت عن القلب لحظه لمات القلب لا محاله، لكنّ الموت الأوّل أسهل من الثّانى لأنّه لم يتألّم فى الموت الأوّل إلّا ساعه واحده، و أمّا الموت الثّانى فأنّه يبقى ألمه أبّد الآباد.

و كما أنّ النّفس له أثران: أحدهما إدخال النّسيم الطيب على القلب و ابقاء اعتداله و سلامته، و الثّانى إخراج الهواء الفاسد الحارّ المحترق عن القلب، كذلك الفكر له أثران: أحدهما إيصال نسيم الحجّه و البرهان إلى القلب و ابقاء اعتدال الايمان و معرفه عليه، و الثّانى إخراج الهواء الفاسد المتولد من الشّبهات عن القلب، و ما ذاك إلّا- بان يعرف أنّ هذه المحسوسات متناهيه فى المقدار منتهيه بالآخره إلى الفناء بعد وجودها، فمن وقف على هذه الأحوال بقى آمنا من الآفات و اصلا إلى الخيرات و المسرّات و كمال هذين الأمرين ينكشف بعقلك بأن تعرف أن كلّ ما وجدته و وصلت إليه فهو قطره من بحار رحمه الله و ذرّه من أنوار إحسانه فعند هذا يفتح على قلبك معرفه كون الله رحمانا رحيمًا.

فاذا أردت أن تعرف هذا المعنى على التفصيل فاعلم أنك جوهر مركب من نفس و بدن و روح و جسد، أمّا نفسك فلا شك أنّها كانت جاهله في مبدء الفطر كما قال تعالى:

«وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْفُؤَادَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » ثم تأمل في مراتب القوى الحسيّاسه و المحرّكه و المدركه و العاقله و تأمل في مراتب المعقولات و في جهاتها و اعلم أنّه لا نهايه لها البتّه و لو أنّ العاقل أخذ في اكتساب العلم بالمعقولات و سرى فيها سيران البرق الخاطف و الرّيح العاصف، و بقى في ذلك السّير أبد الآبدن و دهر الداهرين لكان الحاصل له من المعارف و العلوم قدرا متناهيًا، و لكانت المعلومات التي ما عرفها و لم يصل إليها أصلا غير متناهيه و المتناهي في جنب غير المتناهي قليل في كثير فعند هذا يظهر له أنّ الذي قاله الله تعالى في قوله:

«وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» حقّ و صدق.

و أمّا بدنك فانه جوهر مركب من الأخلاط الأربعة، فتأمل كيفيه تركيبها و تشريحها و تأمل ما في كلّ واحد من الأعضاء و الأجزاء من المنافع العاليه و الآثار الشّريفه، و حينئذ يظهر لك صدق قوله سبحانه و تعالى:

«وَإِنْ تَعِدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» و حينئذ ينجلي لك أثر من آثار كمال رحمته في خلقك و هدايتك، فتفهم شيئا قليلا من رحمته الكامله و نعمته الشّابغه الشّامله.

الفصل الثاني

متضمّن للتّنفير عن الدّنيا و التّنبيه على بعض عيوباتها و هو قوله (و الدّنيا دار منى لها الفناء و) قدّر (لأهلها منها الجلاء) كما قال سبحانه:

ص: ٢٤٧

«كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ» وقال: «كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا هَالِكًا إِلَّا وَجْهَهُ» (و هي حلوه) في الذوق (خضره) في النظر يستلذ بها الذائق و الناظر (و) لكنّها (قد عجلت للطالب) فليس لها دوام و ثبات حتّى يتمتّع منها على وجه الكمال (و التبتست بقلب الناظر) أى اشتبهت لديه حتّى صار مولعا بحبّها مفتتنا بخضرتها و نصارتها.

«كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ» قال رسول الله صلى الله عليه و آله في روايه أبى هريره: لا تكونوا ممّن خدعته العاجله و غرّته الامتيه، فاستهوته الخدعه، فركن إلى دار السوء سريعه الزوال، و شيكه الانتقال إنّّه لم يبق من دنياكم هذه فى جنب ما مضى إلّا كاناخه راكب أو صر جالب فعلى ما تعرجون و ما ذا تنتظرون، فكأنكم و الله و ما أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن، و ما يصيرون إليه من الآخرة لم يزل، فخذوا اهبة لا زوال لنقله، و أعدوا الزاد لقرب الزاحله، و اعلّموا أنّ كلّ امرء على ما قدّم قادم، و على ما خلف نادم و لما نبّه عليه السّلام على فناء الدنيا و تعجيل زوالها أردف ذلك بقوله (فارتحلوا عنها) يعنى تهينوا للارتحال و استعدّوا للموت قبل نزول الفوت (بأحسن ما بحضرتكم من الزاد) و هو التقوى و الأعمال الصّالحه (و لا تسألوا فيها فوق الكفاف و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ) كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى روايه انس بن مالك: يا معشر المسلمين شمّروا فإنّ الأمر جدّ، و تأهبوا فإنّ الرّحيل قريب، و تزودوا فإنّ السّيف بعيد، و خففوا أثقالكم فإنّ ورائكم عقبه كؤدا لا يقطعها إلّا المخفّفون، أيّها النّاس إنّ بين يدي السّاعه امورا شدادا، و هو الاعظاما، و زمانا صعبا يتملّك فيه الظلمه، و يتصدّر فيه الفسقه، و يضام فيه الآمرون بالمعروف، و يضطهد فيه النّاهون عن المنكر، فأعدّوا لذلك الايمان و عضّوا عليه بالتّواجد، و الجئوا إلى العمل الصّالح و أكرهوا عليه

هدايه

عقد ثقه الاسلام الكليني عطر الله مضجعه في الكافي بابا للكفاف و روى فيه الأخبار الواردة في مدحه و حسنه و لا بأس بروايه بعضها تيمنا و تبركا فأقول:

فيه باسناده عن أبي عبيده الحذاء قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول قال: رسول الله صلى الله عليه و آله قال الله عز و جل: إِنَّ مِنْ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي رَجُلًا خَفِيفَ الْحَالِ ذَا حِظٍّ مِنْ صَلَاةٍ أَحْسَنَ عِبَادِهِ رَبَّهُ بِالْغَيْبِ، وَ كَانَ غَامِضًا فِي النَّاسِ، جَعَلَ رِزْقَهُ كِفَافًا فَصَبَرَ عَلَيْهِ عَجَلَتْ مَوْتُهُ فَقَلَّ تَرَاثُهُ وَ قَلَّتْ بَوَاكِيهِ.

و عن السيكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله طوبى لمن أسلم و كان عيشه كفافا و عن السيكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اللهم ارزق محمدا و آل محمدا و من أحب محمدا و آل محمدا العفاف و الكفاف، و ارزق من أبغض محمدا و آل محمدا المال و الولد و عن التوفلي رفعه إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال: مر رسول الله براعى إبل فبعث يستسقيه فقال: أمّا ما فى ضروعها فصبح الحى و أمّا ما فى آنتيتها فغبوقهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله اللهم أكثر ماله و ولده، ثم مر براعى غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما فى ضروعها و أكفا ما فى إنائه فى إناء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بعث إليه بشاه و قال: هذا ما عندنا و إن أحببت أن نزيدك زدناك، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و آله اللهم ارزقه الكفاف، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله دعوت للذى ردك بدعاء عامتنا نحبه، و دعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله إن ما قل و كفى خير ممّا أكثر و ألهى اللهم ارزق محمدا و آل محمدا الكفاف و عن البخترى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز و جل يقول: يحزن عبدى المؤمن ان قترت عليه و ذلك أقرب له منى، و يفرح عبدى المؤمن إن وسّعت عليه و ذلك أبغض له منى.

و فى حديث أبى ذرّ المروىّ فى البحار قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا باذر إننى قد دعوت الله جلّ ثناؤه أن يجعل رزق من يحبّنى الكفاف، وأن يعطى من يبغضنى كثره المال والولد وقد أكثر شعراء العرب والعجم فى مدح الكفاف والاستغناء عن الناس، ومن جيّد ما قالوه قول أبى العلاء المعرى:

فان كنت تهوى العيش قانع توسطاً فعند التناهى يقصر المتناول

توفى البدور النقص وهى أهله و يدركها النقصان وهى كوامل

و قال سليمان بن مهاجر البجلي:

كسوت جميل الصبر وجهى فصانه به الله عن غشيان كلّ بخيل

فلم يتبدلنى البخيل و لم اقم على بابه يوما مقام ذليل

و أنّ قليلا يستر الوجه ان يرى إلى الناس مبدولا بغير قليل

و قال بعض شعراء الحكماء:

فلا تجزع إذا أعسرت يوما فقد أيسرت فى الدهر الطويل

و لا تظنن برّبك ظنّ سوء فإنّ الله أولى بالجميل

و إنّ العسر يتبعه يسار و قيل الله أصدق كلّ قيل

و لو أنّ العقول تجرّ رزقا لكان المال عند ذوى العقول

تكملة

قد ذكرنا سابقا أنّ المستفاد من شرح البحرانى أنّ هذه الخطبة و الخطبة الثامنة والعشرين ملقطتان من خطبه طويله خطب بها يوم الفطر، و قد ظفرت بعد ما شرحت الخطبة على تمامها بروايه الصدوق فى كتاب من لا يحضره الفقيه فأحببت ايرادها على ما رواها قدّس سرّه فأقول: قال:

و خطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الفطر فقال: الحمد لله الذى خلق السّيموات والأرض و جعل الظلمات و النّور ثمّ الذين كفروا برّبهم يعدلون، لا نشرك بالله شيئا و لا نتخذ من دونه وليا، و الحمد لله له ما فى السّموات و ما فى الأرض و له

الحمد فى الدّنيا والآخرة و هو الحكيم الخبير، يعلم ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السّماء و ما يعرج فيها و هو الرّحيم الغفور، كذلك الله لا- إله إلا- هو إليه المصير، و الحمد لله الذى يمسك السّماء أن تقع على الأرض إلا باذنه إنّ الله بالنّاس لرؤف رحيم اللهم ارحمنا برحمتك، و اعممنا بمغفرتك إنّك أنت العلىّ الكبير، و الحمد لله الذى لا مقنوط من رحمته، و لا مخلوّ من نعمته، و لا مؤيس من روحه، و لا مستنكف عن عبادته، بكلمته قامت السّماوات السّبع، و استقرّت الأرض المهّاد، و ثبتت الجبال الرّواسى، و جرت الرّياح الواقع، و سار فى جوّ السّماء السّحاب، و قامت على حدودها البحار، و هو إله لها و قاهر يذلّ له المتعزّزون، و يتضأل له المتكبرون، و يدين له طوعا و كرها العالمون.

نحمده كما حمد نفسه و كما هو أهله، و نستعينه و نستغفره و نستهديه، و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم ما تخفى النفوس و ما يجنّ البحار و ما توارى منه ظلمه، و لا يغيب عنه غائبه، و ما يسقط من ورقه من شجره، و لا حبه فى ظلمات الأرض إلا يعلمها، لا إله إلا هو، و لا رطب و لا يابس إلا فى كتاب مبين، و يعلم ما يعمل العاملون، و أىّ مجرى يجرون، و إلى أىّ منقلب ينقلبون و نستهدى الله بالهدى و نشهد أنّ محمّدا عبده و نبيّه و رسوله إلى خلقه، و أمينه على وحيه، و أنّه قد بلغ رسالات ربّه و جاهد فى الله الحائدين عنه العادلين به، و عبد الله حتّى أتاه اليقين صلّى الله عليه و آله اوصيكم بتقوى الله الذى لا- تبرح منه نعمه، و لا- تفقد منه رحمه، و لا- يستغنى العباد عنه، و لا يجزى انعمه الاعمال، الذى رغب فى التّقوى، و زهد فى الدّنيا و حذر المعاصى و تعزّز بالبقاء، و ذلّل خلقه بالموت و الفناء، و الموت غايه المخلوقين، و سبيل العالمين، و معقود بنواصى الباقين، لا يعجزه إباق الهارين، و عند حلوله ياس أهل الهوى يهدم كلّ لذّه، و يزيل كلّ نعمه، و يقطع كلّ بهجه و الدّنيا دار كتب الله لها الفناء، و لأهلها منها الجلاء، فأكثرهم ينوى بقائها و يعظم بنائها: و هى حلوه خضره قد عجلت للطالب، و التبتت بقلب النّاظر و يضىء ذو الثروه

الضعيف، و يحتويها الخائف الوجل، فارتحلوا منها يرحمكم الله بأحسن ما بحضرتكم و لا تطلبوا منها أكثر من القليل و لا تسألوا منها فوق الكفاف، و ارضوا منها باليسير و لا- تمدن أعينكم منها إلى ما متع المترفون و استهينوا بها و لا توطنوها و أضروا بأنفسكم فيها، و إياكم و التمتع و التلهي و الفاكها، فان في ذلك غفله و اغترارا ألا إن الدنيا قد تنكرت و ادبرت و أصولت و آذنت بوداع، ألا و إن الآخرة قد رحلت فأقبلت و أشرفت و آذنت باطلاع، ألا و إن المضمار اليوم و السباق غدا، ألا و إن السبقه الجنة و الغايه النار، أفلا- تائب من خطيئته قبل يوم منيته، ألا- عامل لنفسه قبل يوم يؤسه، و فقره، جعلنا الله و إياكم ممن يخافه فيرجو ثوابه ألا- و إن هذا اليوم يوم جعله الله لكم عيدا، و جعلكم له أهلا، فاذكروا الله يذكركم و ادعوه يستجب لكم و أدوا فطرتكم فانها سنه نبيكم و فريضه واجبه من ربكم فليؤدوها كل امرء منكم عن نفسه و عن عياله كلهم ذكرهم و انثاهم و صغيرهم و كبيرهم و حرهم و مملوكهم عن كل إنسان منهم صاعا من بر أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير و أطيعوا الله فيما فرض عليكم و أمركم به من إقام الصلاه و إيتاء الزكاه و حج البيت و صوم شهر رمضان و الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و الاحسان إلى نساءكم و ما ملكت أيمانكم و أطيعوا الله فيما نهىكم عنه من قذف المحصنه، و إتيان الفاحشه، و شرب الخمر و بخس المكيال، و نقص الميزان، و شهاده الزور، و الفرار عن الزحف عصمنا الله و إياكم بالتقوى، و جعل الآخرة خيرا لنا و لكم من الاولى، إن أحسن الحديث و أبلغ موعظه المتقين كتاب الله العزيز أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم «بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد».

الترجمه

از جمله خطبه های آن حضرت است: حمد و ثنا مر خدای را است در حالتی که نومید کرده نشده است از رحمه او، و خالی کرده نشده است از نعمه او، و نومید

کرده نشده است از مغفره او، و کبر ورزیده نشده است از عبادت او، چنان خداوندی که زایل نمی شود از او هیچ رحمتی، و نایاب نمی شود از او هیچ نعمتی، و دنیا سرائیست تقدیر کرده شده است از برای او فنا، و از برای اهل او بیرون رفتن از آن با رنج و عنا، و آن دنیا شیرینست در مذاق و سبز و خرمست در نظر اهل آفاق و بتحقیق که شتابانیده شده است از برای جوینده او، و مشتبه شده است در قلب نظر کننده او، پس رحلت نمائید و کوچ کنید از او به نیکوترین چیزی که در حضور شماست از توشه که عبارتست از تقوی و أعمال صالحه، و سؤال نکنید در او بالاتر از قدر کفاف در معیشت، و طلب ننمائید از او زیاده از حد کفایه که اینست شعار صاحبان بصیرت، و سالکان طریق حقیقت

و من کلام له علیه السلام عند عزمه علی المسیر الی

اشاره

الشام و هو السادس و الاربعون من المختار

فی باب الخطب

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّيْرِ، وَ كَأْبِهِ الْمُنْقَلَبِ، وَ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَ الْمَالِ، أَللّٰهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّيْرِ، وَ أَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، وَ لَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحِبًا، وَ الْمُسْتَصْحَبَ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفًا.

و فی نسخه ابن ابی الحدید قال الرضی و ابتداء هذا الکلام مروی عن رسول الله صلی الله علیه و آله و قد قفاه أمير المؤمنين علیه السلام بأبلغ کلام و بأحسن تمام من قوله: و لا یجمعهما غیرک إلی آخر الفصل

ص: ۲۵۳

(و عثاء السيفر) مشقته و أصل الوعث المكان السهل الدهس، تغيب فيه الأقدام و الطريق العسر، و قد وعث الطريق كسمع و كرم تعسير سلوكه و (الكأبه) و الكأب الغم و سوء الحال و الانكسار من حزن و (المنقلب) مصدر و مكان من القلب أى رجوع و مثله (المنظر) قال الفيروز آبادي: نظره كضربه و سمعه و إليه نظرا و منظرا و نظرانا و منظره و قال: و المنظر و المنظره ما نظرت إليه فأعجبك حسنه أو ساء ك.

الاعراب

لفظه اللهم منادى محذوف النداء و لا يجوز حذف حرف النداء من لفظ الجلالة إلا مع الحاق الميم المشدده به، و ذلك لأن حق ما فيه اللام أن يتوصل إلى ندائه بأي أو باسم الاشارة، فلما حذفت الوصله فى هذه اللفظه الشريفه لكثيره ندائها لم يحذف الحرف إلا نادرا لئلا يكون إجحافا، فان أردت الحذف ألحقت الميم المشدده، و إنما آخرت الميم تبركا باسمه سبحانه، و قال الكوفيون: إن الميم ليست عوضا بل مأخوذه من فعل و الأصل يا الله آمنا بخير فيخبرون الجمع بينها و بين ياء فى السبعه و رد بأنه لو كان كذلك لما حسن اللهم آمنا بخير و فى حسنه دليل على أن الميم ليست مأخوذه منه إذ لو كان كذلك لكان تكرارا

المعنى

إشاره

اعلم أن هذا الدعاء دعا به أمير المؤمنين عليه السلام بعد وضع رجله فى الركاب حين ما توجه من التخييه إلى الشام لحرب معاويه و أتباعه، قال نصر بن مزاحم لما وضع على عليه السلام رجله فى ركاب دابته قال: بسم الله، فلما جلس على ظهرها قال:

سبحان الذى سخر لنا هذا و ما كنا له مقرنين و إنا إلى ربنا لمنقلبون (اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السيفر) و مشقته (و كأبه المنقلب) أى الحزن بعد الرجوع إلى الوطن، و فى روايه نصر بعده و الحيره بعد اليقين (و سوء المنظر فى الأهل و المال) الموروث للكأبه و الملل.

(اللهم أنت الصاحب فى السفر) و من شأن الصاحب العناية بامور صاحبه

(و أنت الخليفة في الأهل و) من وظيفه الخليفة على الشيء حسن القيام و الولايه على ضروريات ذلك الشيء و حفظه مما يوجب له الضرر (لا يجمعهما) أى الصيحابه و الخلافه فى آن واحد (غيرك) لامتناع ذلك فى حق الأجسام (لأن المستخلف لا يكون مستصحباً و المستصحب لا يكون مستخلفاً) و أمّا الله سبحانه فلتنزهه عن الجبهه و الجسميه يجوز كونه خليفة و صاحباً معاً فى آن واحد كما قال سبحانه «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» و قال: «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا» و قد مضى تحقيق الكلام فى ذلك فى الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله: مع كل شيء لا بمقارنه فتذكر

تنبيه و تحقيق

اعلم أنّ الدّعاء من معظم أبواب العبادات و أعظم ما يستعصم به من الآفات و أمتن ما يتوسل به إلى استئزال الخيرات، و وجوبه و فضله معلوم من العقل و الشرع أما العقل فلائذ دفع الضرر عن النفس مع القدره عليه و التمكن منه واجب و حصول الضرر ضرورى الوقوع فى دار الدنيا، إذ كل انسان لا ينفك عما يشوش نفسه و يشغل عقله و يتضرر به إمّا من داخل كحصول عارض يغشى مزاجه، أو من خارج كأذيه ظالم و نحوها و لو خلا من الكل فالعقل يجوز وقوعه فيها، و كيف لا و هو فى دار الحوادث التى لا تستقر على حال، و فجائعها لا ينفك عنها آدمى إمّا بالفعل أو بالقوه، فضررها إمّا واقع حاصل أو ممكن الوقوع و متوقع الحصول، و كليهما يجب إزالته مع القدره عليه، و الدّعاء محصل لذلك و هو مقدور فيجب المصير إليه.

و قد نبه على ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: ما من أحد ابتلى و ان عظمت بلواه بأحقّ بالدّعاء من المعافى الذى لا يأمن من البلاء

فقد ظهر من هذا الحديث احتياج كل أحد إلى الدّعاء معافا و مبتلا، و فائدته رفع البلاء الحاصل و دفع السّوء النّازل أو جلب نفع مقصود أو تقرير خير موجود فان قلت: المطلوب بالدّعاء إمّا أن يكون معلوم الوقوع لله سبحانه، أو معلوما عدم وقوعه، فعلى الأوّل يكون واجبا و على الثّاني ممتنعا، و على التّقديرين فلا يكون للدّعاء فائدة، لأنّ الأقدار سابقه، و الأفضيه واقعه و قد جفّ القلم بما هو كائن، فالدّعاء لا يزيد و لا ينقص فيها شيئا قلنا: هذه شبهه ربّما سبقت إلى الأذهان القاصره و فسادها ظاهر، لأنّ كلّ كائن فاسد موقوف فى كونه و فساده على شرايط توجد و أسباب تعدّ لأحدهما لا يمكن يدونها، و على ذلك فلعلّ الدّعاء من شرايط ما يطلب به و هما، و ان كانا معلومى الوقوع لله سبحانه و هو تعالى علّتهما الاولى إلّا أنّه هو الذى ربط أحدهما بالآخر، فجعل سبب وجود ذلك الشىء الدّعاء كما جعل سبب صحّ المرض شرب الدّواء و ما لم يشرب الدّواء لم يصحّ، و بذلك ايضا ظهر فساد ما قيل إنّ المطلوب بالدّعاء ان كان من مصالح العباد فالجواد المطلق لا يبخل به، و ان لم يكن من مصالحهم لم يجز طلبه، وجه ظهور الفساد أنّه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله مصلحه بعد الدّعاء و لا يكون مصلحه قبل الدّعاء و أما النقل فمن الكتاب قوله سبحانه:

«قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّى لَوْ لَا- دُعَاؤُكُمْ» و قوله: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ».

فجعل الدّعاء عباده و المستكبر عنها كافرا و قوله:

«وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ».

قال أحمد بن فهد الحلبي في كتاب عدّه الدّاعي: هذه الآية قد دلّت على أمور الأول تعريفه تعالى لعباده بالسؤال بقوله:

«وَ إِذَا سَأَلْتَكَ عِبَادِي عَنِّي فَأِنِّي قَرِيبٌ» الثّاني غايه عنايته بمسارعه اجابته و لم يجعل الجواب موقوفا على تبليغ الرّسول بل قال: فأنّي قريب و لم يقل قل لهم إنّى قريب الثّالث خروج هذا الجواب بالفاء المقتضى للتعقيب بلا فصل الرّابع تشريفه تعالى لهم برّد الجواب بنفسه ليثبت بذلك على كمال منزله الدّعاء و شرفه عنده تعالى و مكانه منه، قال الباقر عليه السّلام لا تملّ من الدّعاء فإنّه من الله بمكان.

الخامس دلّت هذه الآية على أنّه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كلّ من ينجيه.

السّادس أمره تعالى لهم بالدّعاء فى قوله: فليستجيبوا لى أى فليدعوني السّابع قوله تعالى: و ليؤمنوا بى أى و ليتحقّقوا أنّى قادر على إعطائهم ما سألوه، فأمرهم باعتقادهم قدرته على إجابتهم و فيه فايدتان: إعلامهم باثبات صفه القدره له و بسط رجائهم فى وصولهم إلى مقترحاتهم و بلوغ مراداتهم و نيل سؤالاتهم فإنّ الانسان إذا علم قدره معامله و معاوضه على دفع عوضه كان ذلك داعيا له إلى معاملته و مرغبا له فى معاوضته، كما أنّ علمه بعجزه عنه على الضّدّ من ذلك، و لهذا تراهم يجتنبون معامله المفلس الثّامن تبشيره تعالى لهم بالرشاد الذى هو طريق الهدايه المؤدى إلى المطلوب فكأنّه بشّرهم باجابه الدّعاء، و مثله قول الصّادق عليه السّلام: من تمنّى شيئا و هو لله رضى لم يخرج من الدّنيا حتّى يعطاه، و قال: إذا دعوت فظنّ حاجتك بالباب فان قلت: نحن نرى كثيرا من النّاس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله:

اجيب دعوه الدّاع إذا دعان؟ و بعبارة اخرى إنّ سبحانه وعد إجابته الدّعاء و خلف الوعد عليه تعالى محال لأنّه كذب قبيح فى حقّه عزّ و جلّ

قلت: قد أجاب الطبرسى فى مجمع البيان بأنه ليس أحد يدعو الله على ما يوجبه الحكمة إلا أجابه الله، فإن الداعى إذا دعاه يجب أن يسأل ما فيه صلاح له فى دينه و لا يكون له مفسده فيه فإنه سبحانه يجب إذا اقتضت المصلحه إجابته أو يؤخر الاجابه إن كانت المصلحه فى التأخير، ثم قال: و إذا قيل إن ما يقتضيه الحكمة لا بد أن يفعله فما معنى الدعاء و اجابته؟ أجاب بأن الدعاء عباده فى نفسها لما فيه من إظهار الخضوع و الانقياد، و أيضا لا يمتنع أن يكون وقوع ما سألته إنما صار مصلحه بعد الدعاء أقول: أما ما ذكره من أنه ليس أحد يدعو الله اه، فهو حق لا ريب فيه و به صرح فى عده الداعى حيث قال: ليس أحد يدعو الله سبحانه و تعالى على ما يوجبه الحكمة مما فيه صلاحه إلا أجابه و على الداعى أن يشرط ذلك بلسانه او يكون منويا فى قلبه، فالله يجيبه البتة إن اقتضت المصلحه إجابتها، أو يؤخر له إن اقتضت المصلحه التأخير قال الله تعالى:

«وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ» و فى دعائهم: يا من لا تغير حكمته الوسائل، و لما كان علم الغيب منطويا عن العبد و ربما تعارض عقله القوى الشهويّه و يخالطه الخيالات النفسانيّه فيتوهم أمرا مما فيه فساده صلاحا له فيطلبه من الله سبحانه و يلجّ فى السؤال عليه، و لو يعجل الله إجابته و يفعله به لهلك البتة، و هذا أمر ظاهر العيان غنى عن البيان كثير الوقوع، فكم نطلب أمرا ثم نستعيز منه و كم نستعيز من أمر ثم نطلبه، و على هذا خرج قول على عليه السلام: رب أمر حرص الانسان عليه فلما أدركه ودّ أن لم يكن أدركه و كفاك قوله تعالى:

«وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» فإن الله سبحانه و تعالى من وفور كرمه و جزيل نعمه لا يجيبه، و ذلك إمّا لسابق رحمته

به فأنه هو الذى سبقت رحمته غضبه و إنما أنشأه رحمه به و تعريضا لا ثابتة و هو الغنى عن خلقته و معاقبته أو لعلمه سبحانه بأن المقصود للعبد من دعائه هو إصلاح حاله فكان ما طلبه ظاهرا غير مقصود له مطلقا، بل بشرط نفعه له فالشروط المذكور حاصل فى نيته و إن لم يذكره بلسانه بل و إن لم يخطر بقلبه حاله الدّعاء و إيضاح ذلك على سبيل المثل أنه إذ قال كريم أنا لا أردّ سائلا و لا أختيب آملا، ثم اتى سفيه و طلب منه ما يعلم أنه يقتله و السائل لم يكن عالما بذلك، أو أتى صبي جاهل و طلب منه أفعيا لحسن نقشه و نعومته، فالحكمه و الجود يقتضيان منعهما لا عطاءهما، و لو أعطاهما لذمه العقلاء، فظهر أن هذا الوعد من الحكيم لا بد أن يكون مشروطا بالمصلحه و توهم أن ما فيه صلاح العباد يأتى الله تعالى به لا محاله من دون حاجه إلى الدّعاء، مدفوع بما أشار إليه الطبرسى من إمكان كون المصلحه فى الاعطاء مع الدّعاء و مع عدمه يكون الصّلاح فى المنع و على هذا فالمطالب ثلاثه الاول ما يكون المصلحه فى إعطائه مطلقا كالرزق الضّرورى الثانى ما يكون المصلحه فى المنع كذلك الثالث أن يكون المصلحه فى العطاء مع الدّعاء و فى العدم مع العدم و إنما يظهر أثر الدّعاء فى الثالث هذا.

و أمّا ما ذكره أخيرا فى الجواب من أن الدّعاء عباده فى نفسها فصحيح إلّا- أنه لا ربط له بالسؤال هذا، و الانصاف أن مجرد اشتمال الدّعاء على المصلحه لا يستلزم الاجابه بل لا بدّ من اقترانه مضافا إلى ذلك بشرايطها المقرّره المستفاده من الأخبار مع كونه صادرا عن وجه الاخلاص و تمام الانقطاع و الفراغ و التخليه التامه للقلب و لنعم ما قال إبراهيم بن أدهم حيث قيل له: ما بالنّا ندعو الله سبحانه فلا- يستجيب لنا قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، و عرفتم الرّسول فلم تتبعوا سنّته، و عرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه، و أكلتم نعمه الله فلم تؤدّوا شكرها، و عرفتم الجنّه

فلم تطلبوها، و عرفتم النار فلم تهربوا منها، و عرفتم الشيطان فلم تحاربوه و وافقتموه، و عرفتم الموت فلم تستعدوا له، و دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، و تركتم عيوبكم و اشتغلتم بعيوب الناس و الحاصل أنّ الدّعاء كسائر العبادات لها شروط لحصولها و موانع عن قبولها فلمّا لم يتحقّق الشّرايط و لم ترتفع الموانع لم يترتب عليها آثارها الدّنيويّة و الاخرويّة مثلاً الصّلاه إذ ورد فيها من صلّى دخل الجنّة أو زيد في رزقه، فاذا صلّى بغير وضوء أو فعل ما يبطلها و يحبطها لم يترتب عليها آثارها الدّنيويّة و الاخرويّة، و إذا قال الطيب: السّقمونيا مسهل فاذا شرب الانسان معه ما يبطل تأثيره كالأفيون فهو لا ينافى قول الطيب و لا ينافى حكمه في ذلك فكذا الدّعاء استجابتها و قبولها و ترتيب الأثر عليها مشروطه بشرايط، فاذا أخلّ لشيء منها لم تترتب عليها الاستجابة، و قد وردت أخبار كثير في شرايط الدّعاء و منافاته، و ربّما يشير إليه قوله تعالى: اوفوا بعهدى أوف بعهدكم قال الشّارح البحرانى: سبب اجابه الدّعاء هو توافى الأسباب، و هو أن يتوافى دعاء رجل مثلاً فيما يدعوه فيه و سائر أسباب وجود ذلك الشّيء معاً عن البارى تعالى لحكمه الهيّة على ما قدر و قضى، ثمّ الدّعاء واجب و توقّع الاجابه واجب، فإنّ انبعاثنا للدّعاء سببه من هناك، و يصير دعانا سبباً للاجابه و موافاه الدّعاء الحدوث الأمر المدعوى لأجله و قد يكون أحدهما بواسطة الآخر، و إذا لم يستجب الدّعاء لداع و إن كان يرى أنّ الغايه التى يدعوا لأجلها نافعه فالسبب فى عدم الاجابه أنّ الغايه النّافعه ربّما لا تكون نافعه بحسب نظام الكلّ بل بحسب مراده فلذلك تتأخّر إجابته الدّعاء أو لا يستجاب له، و بالجملة قد يكون عدم الاجابه لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدّعاء و اعلم أنّ النّفس الزّكيه عند الدّعاء قد يفيض عليها من الأوّل قوّه تصير بها مؤثّره فى العناصر فتطاولها متصرّفه على ارادتها فيكون ذلك إجابته للدّعاء، فإنّ العناصر موضوعه لفعل النّفس فيها و اعتبار ذلك فى أبداننا فإنّا ربّما تخيلنا شيئاً

فتتغير أبداننا بحسب ما تقتضيه أحوال نفوسنا و تخيلاتنا و قد يمكن أن تؤثر النفس في غير بدننا كما تؤثر في بدننا، و قد تؤثر في نفس غيرها و قد يسجيب الله لتلك النفس إذا دعت فيما تدعو فيه إذا كانت الغاية التي تطلبها بالدعاء نافعه بحسب نظام الكل.

و من السنه أخبار فوق حدّ الاحصاء و لتقصر على بعض ما رواه في عدّه الدّاعي فعن حنّان بن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أيّ العباده أفضل؟ فقال عليه السلام:

ما شئ أحبّ إلى الله من أن يسأل و يطلب ما عنده، و ما أحد أبغض إلى الله ممّن يستكبر عن عبادته و لا يسأله ما عنده و عن زرارته عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» قال: هو الدّعاء و أفضل العباده الدّعاء، قلت:

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» قال: الأوّاه هو الدّعاء.

و عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمير المؤمنين عليه السلام: أحبّ الأعمال إلى الله في الأرض الدّعاء، و أفضل العباده العفاف، و كان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعاءً.

و عن عبيد بن زرارته، عن أبيه، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام الدّعاء هو العباده التي قال الله:

«إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِبُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» و لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه.

و عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام الدّعاء كهف الاجابه كما أنّ السّحاب كهف المطر و عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: هل تعرفون طول البلاء من

قصره؟ قلنا: لا، قال: إذا لهم أحدكم الدعاء فاعلموا أنّ البلاء قصير و عن أبي ولاد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله الدعاء إلا كان كشف ذلك البلاء وشيكا(١)، و ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء إلا كان البلاء طويلا، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء و التضرع إلى الله عز و جلّ.

و عن النبي صلى الله عليه و آله أفزعوا إلى الله عز و جلّ في حوائجكم، و الجئوا إليه في ملّاتكم، و تضرّعوا إليه و ادعوه، فإنّ الدعاء مخّ (٢) العبادة، و ما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له فأمّا أن يعجل له في الدنيا أو يؤجل له في الآخرة، و إمّا أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بما ثم و عنه صلى الله عليه و آله أعجز الناس من عجز عن الدعاء، و أبخل الناس من بخل بالدعا و عنه صلى الله عليه و آله ألا أدلكم على أبخل الناس و أكسل الناس و أسرق الناس و أجفا الناس و أعجز الناس؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال، أمّا أبخل الناس فرجل يمرّ بمسلم و لم يسلم عليه، و أمّا أكسل الناس فعبد صحيح فارغ لا يذكر الله بشفه و لا- بلسان، و أمّا أسرق الناس فالذى يسرق من صلاته، فصلاته تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجهه، و أمّا أجفى الناس فرجل ذكرت بين يديه فلم يصلّ علىّ، و أمّا أعجز الناس فمن عجز عن الدعاء و عنه صلى الله عليه و آله و سلّم أفضل العبادات الدعاء و إذا أذن الله للعبد في الدعاء فتح له باب الرحمة، إنّه لن يهلك مع الدعاء أحد و عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام في الرجلين افتتحا الصّلاه في ساعه واحده فتلا هذا القرآن فكانت تلاوته أكثر من دعائه، و دعا هذا فكان دعاؤه أكثر من تلاوته، ثمّ انصرفا في ساعه واحده أيّهما أفضل؟ قال عليه السلام: كلّ فيه فضل و كلّ حسن، قلت: إنّي قد علمت أنّ كلّا حسن و أنّ كلّا فيه فضل، لكن أيّهما

ص: ٢٦٢

١- (١) اي سريعا.

٢- (٢) اي خالصها.

أفضل؟ فقال عليه السلام الدعاء أفضل أما سمعت قول الله عز وجل:

«وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [\(١\)](#) و الله العباده هي و الله أفضل أليست هي العباده هي و الله العباده، أليست هي أشد هن هي و الله أشد هن هي و الله أشد هن و عن يعقوب بن شعيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله أوحى إلى آدم إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات، قال: يا رب و ما هن؟ قال: واحده لى، واحده لك، واحده فيما بينى و بينك، واحده بينك و بين الناس، فقال آدم: بينهن لى يا رب، فقال الله تعالى: أما التى لى فتعبدنى و لا تشرك بى شيئا، و أما التى لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، و أما التى بينى و بينك فعليك الدعاء و على الاجابه و أما التى بينك و بين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك و من كتاب الدعاء لمحمد بن حسن الصّيفار فى حديث مرفوع قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يدخل الجنّه رجلا كان يعملان عملا واحدا فيرى أحدهما صاحبه فوقه فيقول: يا ربّ بما أعطيته و كان عملنا واحدا، فيقول الله تبارك و تعالى سألتنى و لم تسألنى ثم قال: اسألوا الله و اجزّلوا فإنّه لا- يتعاضمه شيء و منه أيضا بروايه مرفوعه قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم ليسألن الله أو ليقضينّ عليكم إنّ لله عبادا يعملون فيعطيههم و آخريّن يسألونه صادقين فيعطيههم ثمّ يجمعهم فى الجنّه فيقول الذين عملوا ربنا عملنا فأعطيتنا بما اعطيت هؤلاء، فيقول: عبادى اعطيتكم اجوركم و لم ألتكم من أعمالكم شيئا و سألتنى هؤلاء فأعطيتهم و هو فضلى اوتيه من أشاء و عن الصادق عليه السلام قال لميسر بن عبد العزيز: يا ميسر ادع الله و لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه إنّ عند الله منزله لا تنال إلا بمسأله، و لو أنّ عبدا سدّ فاه و لم يسأل لم

ص: ٢٦٣

١- (١) اى الدعاء و الثانى باعتبار الخبر أعنى العباده أو كانه داخل فى الحكم بكونه عباد و اللام فى العباده للعهد اى المراء يقول عبادتى اى العباده المعهوده اى الدعاء و الله أعلم.

يعط شيئا فاسأل تعط، يا ميسر أنه ليس يقرع باب إلا يوشك أن يفتح لصاحبه و في هذه الرواية دلالة على ما قدّمناه سابقا من أنه لا امتناع في كون الدّعاء محدثا للمصلحة في المطلوب بعد أن لم يكن فيه مصلحة و لا بعد في كونه من أسباب وجود المطلوب و شرايط حصوله حسبما مرّ تفصيلا و الله وليّ التوفيق

الترجمه

از جمله کلام آن حضرت است هنگام عزم بر تشریف بردن شام و آن اینست:

که بار خدایا بدرستی که من پناه می برم بتواز مشقت سفر و از غم و اندوه بازگشت، یعنی از پریشانی که بعد از مراجعت وطن حاصل می شود، و از بدی نظر در أهل و مال، بار خدایا توتی همراه در سفر، و توتی جانشین در محافظت أهل در حضر، و جمع نمی کند مصاحبت و خلافت غیر تو، از جهت این که کسی که خلیفه ساخته شده باشد نمی باشد همراه داشته شده و کسی که همراه داشته شده باشد نمی شود خلیفه ساخته شده، یعنی محالست که جانشین همراه در سفر باشد بجهت این که ممکن نیست جسم واحد در آن واحد در دو مکان بوده باشد، أما خداوند ذو العزه که منزّهست از جهت و جسمیه پس در حق او جایز است خلافت و مصاحبت معا.

و من کلام له علیه السلام فی ذکر الکوفه و هو

اشاره

السابع و الاربعون من المختار فی باب الخطب

کأنتی بک یا کوفه تمّدين مدّا لأديم العكاظی، و تعرکين بالتّوازل، و ترکیبن بالزّلازل، و إئتى لأعلم أنّه ما أراد بک جبار سوء إلاّ ابتلاه الله بشاغل، و رماه بقاتل.

اللغه

(الادیم) الجلد أو مدبوغه و جمعه ادم و (عكاظ) بالضّم اسم سوق للعرب بناحية مکه

ص: ۲۶۴

كانت العرب يجتمع بها فى كل سنه و يقيمون شهرا و يتبايعون و يتعاكظون أى يتفاخرون و يتناشدون الأشعار قال أبو ذؤيب:

إذا بنى القباب على عكاظ و قام البيع و اجتمع الالوف

فلما جاء الاسلام هدمه و أكثر ما كان يباع بها الأديم فنسب إليها و (العرك) الدلك و الحك و عركه أى حمل عليه الشر و عركت القوم فى الحرب إذا ما رستهم حتى اتعبتهم و (النوازل) المصائب و الشدايد و (الزلازل) البلايا.

الاعراب

المستفاد من المطرزي فى شرح المقامات أنّ الفعل فى كَأْنِي بك محذوف، و الأصل كَأْنِي أبصرك فزیدت الباء بعد حذف الفعل، و قال الرضى: و الأولى أن تبقى كان على معنى التشبيه و لا- تحكم بزياده شىء و تقول التقدير كَأْنِي أبصر بك أى اشاهدك من قوله تعالى فبصرت به عن جنب، و الجملة بعد المجرور بالباء حال أى كَأْنِي أبصر بك يا كوفه حال كونك ممدوده مدّ الأديم، و قوله تركيبين على البناء للمجهول كالفعلين السابقين أى تجعلين مركوبه لها أو بها على أن تكون الباء للسبب كالسابقه.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام من جمله ما أخبر به عن المغيبات بين فيه حال الكوفه و حال أهلها و تجاذب أيدي الظالمين، و تسلطهم عليهم بالظلم و العدوان و فى قوله (كَأْنِي بك يا كوفه) إشاره إلى أنّ المخبر به لا محاله واقع و وقوعه شاهد بعين اليقين (تمدين مدّ الأديم العكاظي) وجه الشبه شدّه ما يقع بأهله من الظلم و البلاء كما أنّ الأديم العكاظي مستحكم الدباغ شديد المدّ (تعركين بالنوازل و تركيبين بالزلازل) أراد بهما الشدايد و المصائب التى نزلت بأهل الكوفه و الظلم و البلايا التى حلت بها و أوجبت اضطراب أهلها، و هى كثيره معروفه مذكوره فى كتب السير و التواريخ.

و فى قوله: (و إني لأعلم) مؤكدا بأنّ و اللام و القسم إشاره إلى تحقّق وقوع المخبر به يعنى أنّه معلوم بعلم اليقين (أنّه ما أراد بك جبار سوءا إلّا ابتلاه

اللّٰه بشاغل و رماه بقاتل).

قال أبو الحسن الكيدري في شرحه: فمن الجبابره الذين ابتلاهم اللّٰه بشاغل فيها زياد و قد جمع الناس في المسجد ليلعن عليا صلوات اللّٰه عليه فخرج الحاجب و قال انصرفوا فإنّ الأمير مشغول عنكم و قد أصابه الفالج في هذه الساعه و ابنه عبيد اللّٰه بن زياد و قد أصابه الجذام و الحجاج بن يوسف و قد تولدت الحيّات في بطنه حتّى مات و عمر بن هبيرة و ابنه يوسف و قد أصابهما البرص و خالد القسري و قد حبس فطولت حتّى مات جوعا.

و أمّا الذين رماههم اللّٰه بقاتل فعبيد اللّٰه بن زياد و مصعب بن الزبير و ابو السرايا و غيرهم قتلوا جميعا و يزيد بن مهلب قتل على أسوء حال هذا.

و العجب من الشّارح البحراني حيث قال: و أمّا الجبابره التي أرادوا بها سوء و طعنوا فيها فأكثرها فيها الفساد فصّبّ عليهم ربك سوط عذاب و أخذهم بذنوبهم و ما كان لهم من اللّٰه من واق، فجماعه و ذكر التي تقدّم ذكرها من الكيدري و أضاف إليها المختار بن أبي عبيده الثّقفي.

و أنت خير بأنّ عد المختار في ذلك العداد ظلم في حقّه و سوء أدب بالنسبه إليه إذ الأخبار في ذمّه و إن كانت كثيره إلا أنّها مع ضعف سندها معارضه بأخبار المدح، و قد ذكرهما الكشي في رجاله فغايه الأمر مع عدم الترجيح لأخبار المدح هو التوقف، و على فرض الترجيح لأخبار الذّم فهي لم تبلغ حدّا يوجب الجرأه على عدّه في عداد أمثال زياد و حجاج و مصعب و نحوهم، و على جعله من الجبابره الموصوفه لعنهم اللّٰه.

كيف؟ و ابن طاوس بعد القدح في روايات الذّم قال: إذا عرفت هذا فإنّ الرجحان في جانب الشكر و المدح، و لو لم يكن تهمه فكيف و مثله موضع أن يتّهم فيه الرواه و يستغشّ فيما يقول عنه المحدثون لعيوب تحتاج إلى نظر و يكفى في فضله ما رواه الكشي عن عبد اللّٰه بن شريك قال: دخلنا على أبي جعفر عليه السّلام يوم النّحر و هو متّك و قد أرسل إلى الحلاق فقعدت بين يديه إذ دخل عليه شيخ من أهل الكوفه فتناول يده ليقبلها فمنعه، ثمّ قال: من أنت؟ قال: أنا

أبو محمّد الحكم بن المختار بن أبي عبيد الثقفي، و كان متباعدا من أبي جعفر فمديده إليه حتّى كاد أن يقعه في حجره بعد منعه يده، ثم قال: أصلحك الله إنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا: والقول و الله قولك، قال: أى شيء يقولون؟ قال: يقولون كذاب ولا تأمرني بشيء إلا قبلته، فقال: سبحان الله أخبرني أبي و الله أنّ مهر أمي كان ممّا بعث به المختار أو لم بين دورنا، و قتل قاتلنا، و طلب بدمائنا؟ رحم الله، و أخبرني و الله أنّه كان ليقم عند فاطمه بنت عليّ يمهدا الفراش و يشئى لها الوسائد و منها أصاب الحديث رحم الله أباك رحم الله أباك ما ترك لنا حقّا عند أحد إلا طلبه قتل قتلنا و طلب بدمائنا هذا و اعلم أنّ فى قوله: ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله إشعارا بمدح الكوفة و فضلها و قد جاء عن أهل البيت عليهم السلام فى ذلك شيء كثير مثل قول أمير المؤمنين عليه السلام نعمت المدره، و قوله عليه السلام أنّه يحشر من ظهرها يوم القيامة سبعون ألفا وجوههم فى صوره القمر، و قوله عليه السلام مدينتنا و محلّتنا و مقرّ شيعتنا، و قول الصّادق عليه السلام اللهم ارم من رماها و عاد من عادها، و قوله عليه السلام تربه تحبنا و نحبها و فى البحار من معانى الأخبار و الخصال للصدوق بإسناده عن موسى بن بكير عن أبي الحسن الأوّل قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله إنّ الله اختار من البلدان أربعة فقال عزّ و جلّ:

«والتّين و الزّيتون و طور سينين و هذا البلد الأمين» فالتّين المدينه، و الزّيتون البيت المقدّس، و طور سينين الكوفه، و هذا البلد الأمين مكّه، الخبر.

قال المجلسي: لعلّه إنّما كنى عن المدينه بالتّين لو فوره و جودته فيها، أو لكونها من أشراف البلد كما أنّ التّين من أفاضل الثّمار، و كنى عن الكوفه بطور سينين لأنّ ظهرها هو النّجف كان محلّ مناجاه سيّد الأوصياء كما أنّ الطور محلّ مناجاه الكلیم، أو لأنّ الجبل الذى سأل موسى عليه الرّؤيه تقطّع فوق جزء منها

هناك كما ورد في بعض الأخبار، أو أن ابن نوح لما اعتصم بهذا الجبل تقطع فصار بعضها في طور سينا، أو أنه طور سينا حقيقه.

و غلط فيه المفسرون و اللغويون كما روى الشيخ في التهذيب باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في وصيه أمير المؤمنين أن أخرجوني إلى الظهر فاذا تصوّبت أقدامكم و استقبلتكم ريح فادفوني و هو أول طور سينا ففعلوا ذلك و من مجالس الشيخ باسناده عن عبد الله بن الوليد قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فسلمنا عليه و جلسنا بين يديه فسألنا من أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة فقال: أما إنه ليس من بلد من البلدان أكثر محبًا لنا من أهل الكوفة، ثم هذه العصابة (١) خاصه إن الله هداكم لأمر جهله الناس، أحببتمونا و أبغضنا الناس، و صدقتمونا و كذبنا الناس، و اتبعتمونا و خالفنا الناس، فجعل الله محياكم محيانا و مماتكم مماتنا

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در ذکر حال کوفه و خراب شدن آن از دست ظلمه می فرماید: گویا می بینم تو را ای کوفه در حالتی که کشیده می شوی همچو کشیدن چرم عکاظی، مالیده شوی بسبب فرود آمدن مصیبتها و حادثها، و سوار کرده شوی بجنبشها و زلزلهها، این همه اشاره است به انواع بلا و محنت و جفا و مصیبت که واقع شد بأهل کوفه از ظلم ظلمه و ستم فجره، و بدرستی که می بینم آنکه اراده نکند بتو هیچ گردن کش ستمکار بدی و مضرت را مگر این که گرفتار سازد او را خداوند قهار بیلائی که مشغول کننده اوست، و بیندازد او را بدست قاتلی که کشنده او است و الله أعلم بمعانی کلامه

و من خطبه له عليه السلام عند المسير الى الشام و هي الثامنة

اشاره

و الاربعون من المختار في باب الخطب

و هي مرويه في كتاب صفين لنصر بن مزاحم باختلاف و زياده تطلع عليه انشاء الله

ص: ٢٤٨

١- (١) ای هم فيها أكثر من سایر البلدان و المراد عصابه الشيعة فإنّ المحب أعمّ منها (بحار)

الحمد لله كلما وقب ليل و غسق، و الحمد لله كلما لاح نجم و خفق و الحمد لله غير مفقود الانعام، و لا مكافا الافضال، أما بعد، فقد بعثت مقدّمتي و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط، حتّى يأتيهم أمرى، و قد رأيت أن أقطع هذه النطفه إلى شرذمه منكم، موطنين أكناف دجله، فأنهضهم معكم إلى عدوّكم، و أجعلهم من أمداد القوّه لكم. قال السيّد (ره) أقول يعنى عليه السلام بالملطاط السيّم الذى أمرهم بلزومه، و هو شاطئ الفرات، و يقال ذلك لشاطئ البحر و أصله ما استوى من الأرض، و يعنى بالنطفه ماء الفرات و هو من غريب العبارات و أعجبها

اللغة

(الوقوب) الدّخول و (غسق) الليل أظلم، و منه الغاسق قال سبحانه:

«وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» قال الطبرسى: الغاسق فى اللغة الهاجم بضرره و هو ههنا الليل لأنّه يخرج السّباع من آجامها و الهوام من مكانها فيه، يقال: غسقت القرحة إذا جرى صديدها و منه الغساق صديد أهل النّار لسيّلانه بالعذاب و غسقت عينه سال دمعها و (خفق) النّجم يخفق خفوقا غاب و (المكافا) بصيغه المفعول من كافاه مكافئه كعامله و كفاء جازاه و (مقدمه) الجيش بالكسر و قد يفتح أوّله ما يتقدّم منه على العسكر و (الملطاط) حافه الوادى و ساحل البحر، و المراد هنا شاطئ الفرات كما قال السيّد و (النطفه) بالضمّ الماء الصّافى قلّ أو كثر و (الشرذمه) بالكسر القليل من النّاس و (موطنين) إمّا من باب الافعال أو التّفعل يقال: أوطنه و وطنه و استوطنه اتّخذة وطنا و (الكنف) بالتحريك الجانب و النّاحيه و (نهض) كمنع قام و أنهضه غيره أقامه و (الامداد)

جمع مدد بالتَّحريك و هو النَّاصر و المعين.

الاعراب

غير منصوب على الحاليه، و قوله: و لا مكافا الافضال، و لا زايده عند البصريين للتوكيد و عند الكوفيين هي بمعنى غير كما قالوا جئت بلا شيء فادخلوا عليها حرف الجرّ فيكون لها حكم غير، و أجاب البصريون عن هذا بأنّ لا دخلت للمعنى فتخطاها العامل، و الجار في قوله: إلى شرذمه، و متعلّق بمحذوف أى متوجّها إليهم و مثلها إلى في قوله: إلى عدوّكم

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه خطب بها أمير المؤمنين عليه السّلام و هو بالتّخيله خارجا من الكوفه متوجّها إلى صفّين بخمس مضين من شؤال سنه سبع و ثلاثين فقال:(الحمد لله كلّما وقب ليل و غسق) أى دخل و أظلم (و الحمد لله كلّما لاح نجم و خفق) أى ظهر و غاب.

تقييد الحمد بالقيود المذكوره قصدا للدّوام و الثّبات مع ما فى ذلك من الاشاره إلى كمال القدره و العظمه و التّنبيه بما فى وقوب الليل من النّعم الجميله من النّوم و السّكون و السّبات، و التّذكير بما فى طلوع الكواكب و غروبها من المنافع الجليله من معرفه الحساب و السّنين و الشّهور و السّاعات و الاهتداء بها فى الفيافى و القلوات إلى غير هذه ممّا يترتّب عليها من الفوايد و الثمرات (و الحمد لله غير مفقود الأنعام) و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الخطبه الرّابعه و الأربعين فى بيان معنى قوله عليه السّلام و لا تفقد له نعمه (و لا مكافا الافضال) إذ إحسانه سبحانه لا يمكن أن يقابل بالجزاء، إذ القدره على شكره و ثنائه الذى هو جزاء احسانه نعمه ثانيه من نعمه و قد مرّ تفصيل ذلك فى شرح الخطبه الاولى فى بيان معنى قوله عليه السّلام: و لا- يؤدّى حقّه المجتهدون (أمّا بعد فقد بعثت مقدّمى) أراد مقدّمه جيشه التى بعثها مع زياد بن النّصر و شريح بن هانى نحو صفّين، و قد كانوا إثنا عشر ألف فارس

(و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط) و الوقوف فى شاطئ الفرات (حتى يأتهم أمرى) و يبلغهم حكمى (و قد رأيت) المصلحه فى (ان اقطع هذه النطفه) أراد ماء الفرات كما مر متوجها (إلى شذمه منكم موطنين أكناف دجله) أراد بهم أهل المداين (فانهضهم معكم إلى عدوكم و أجعلهم من أمداد القوه لكم) و فى روايه نصر بن مزاحم الآتيه فانهضهم معكم إلى أعداء الله و قال نصر: فسار عليه السلام حتى انتهى إلى مدينه بهر سير، و إذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم بن طريف من بنى ربيعه ينظر إلى آثار كسرى و يتمثل بقول الاسود بن يعفر

جرت الرياح على محلّ ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام له ألا قلت:

«كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاحَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» أَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا وَارَثِينَ فَأَصْبَحُوا مَوْرَثِينَ، وَ لَمْ يَشْكُرُوا النِّعْمَةَ فَسَلَبُوا دُنْيَاهُمْ بِالْمَعْصِيَةِ إِيَّاكُمْ وَ كَفَرُوا النِّعْمَ لَا- تَحَلَّ بِكُمْ النَّقْمُ أَنْزَلُوا بِهِذِهِ النَّجْوَةَ، قَالَ نَصْرٌ فَأَمَرَ الْحَرْثَ الْأَعْوَرَ فَصَاحَ فِي أَهْلِ الْمَدَايِنِ مَنْ كَانَ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ فَلْيُؤَافِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَوَافَوْهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَحَمَدَ اللَّهُ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

فأنى قد تعجبت من تخلفهم عن دعوتكم، و انقطاعكم من أهل مصركم فى هذه المساكن الظالم أهلها الهالك أكثر ساكنها، لا معروف تأمرون به، و لا منكر تنهون عنه قالوا: يا أمير المؤمنين إنا كنا ننتظر أمرك مرنا بما أحببت، فسار و خلف عليهم عدى بن حاتم فأقام عليهم ثلاثا، ثم خرج فى ثمانمائة رجل منهم و خلف ابنه زيادا بعده فلحقه فى أربعمائه رجل، و هؤلاء هم الذين جعلهم من أمداد القوه لجيشه، هذا.

و من عجایب ما روى عنه عليه السّلام ما فى البحار من كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمى عن الأحوص، عن أبيه، عن عمار الساباطى قال: قدم أمير المؤمنين عليه السّلام المدائن فنزل بایوان كسرى و كان معه دلف بن بحیر، فلما صلی علیه السّلام قام و قال لدلف قم معی، و كان معه جماعه من أهل ساباط، فما زال يطوف منازل كسرى و يقول لدلف: كان لكسرى فى هذا المكان كذا و كذا و يقول دلف: هو و الله كذلك فما زال كذلك حتّى طاف المواضع بجميع من كان عنده و دلف يقول: یا سیدی و مولای كأنّك وضعت هذه الأشياء فى هذه المساكن ثمّ نظر إلى جمجمه نخره فقال لبعض أصحابه: خذ هذه الجمجمه ثمّ جاء إلى الایوان و جلس فيه، و دعا بطشت فيه ماء فقال للرّجل دع هذه الجمجمه فى الطشت ثمّ قال: أقسمت عليك یا جمجمه أخبرنى من أنا و أنت، فقال الجمجمه بلسان فصیح:

أما أنت فأمیر المؤمنین و سید الوصیین و إمام المتّقین، و أما أنا فعبد الله و ابن أمه الله كسرى أنو شیروان.

فقال له أمير المؤمنين: كيف حالک، فقال: یا أمير المؤمنين إننى كنت ملكا عادلا شفیقا على الرّعايا رحیما لا یرضى بظلم، و لكن كنت على دین المجوس، و قد ولد محمّد فى زمان ملكى فسقط من شرفات قصرى ثلاثه و عشرون ليله ولد، فهممت أن امن به من كثره ما سمعت من الزّیاده من أنواع شرفه و فضله و مرتبته و عزّه فى السّّموات و الأرض و من شرف أهل بیته، و لكنى تغافلت عن ذلك و تشاغلّت منه فى الملك، فیا لها من نعمه و منزله ذهبت منى حیث لم أومن به، فأنا محروم من الجنّه بعدم ایمانى به و لكننى مع هذا الکفر خلّصنى الله من عذاب النّار ببركه عدلى و انصافى بین الرّعیّه و أنا فى النّار، و النّار محرّمه على فوا حسرتا لو آمنت لكنت معک یا سید أهل بیت محمّد و یا أمير امّته قال: فبکی النّاس و انصرف القوم الذین كانوا من أهل ساباط إلى أهلیهم و أخبروهم بما كان و ما جرى، فاضطربوا و اختلفوا فى معنى أمير المؤمنین، فقال

المخلصون منهم: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام عبد الله و وليّه و وصيّ رسول الله، و قال بعضهم بل هو النّبيّ، و قال بعضهم: بل هو الرّبّ، و هو مثل عبد الله بن سبا و أصحابه، و قالوا لو لا أنّه الرّب كيف يحيى الموتى.

قال، فسمع بذلك أمير المؤمنين عليه السّلام، و ضاق صدره و أحضرهم و قال: يا قوم غلب عليكم الشّيطان إنّ أنا إلّا عبد الله أنعم عليّ بامامته و ولايته و وصيّته رسوله، فارجعوا عن الكفر، فأنا عبد الله و ابن عبده و محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم خير منّي، و هو أيضا عبد الله و إنّ نحن إلّا بشر مثلكم، فخرج بعضهم من الكفر و بقى قوم على الكفر ما رجعوا فألّح أمير المؤمنين عليهم بالرجوع فما رجعوا فأحرقهم بالنّار و تفرّق قوم منهم فى البلاد و قالوا: لو لا أنّ فيه الرّبوبيّه ما كان أحرقنا بالنّار، فنعوذ بالله من الخذلان.

تكملة

روى نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين بسنده عن عبد الرّحمن بن عبيد بن أبى الكنود، قال: لمّا أراد عليّ عليه السّلام الشّخص من النّخيلة قام فى النّاس لخمس مضيّن من شوال يوم الأربعاء فقال:

الحمد لله غير مفقود النّعم، و لا مكافا الفضال، و أشهد أنّ لا إله إلّا الله، و نحن على ذلكم من الشّاهدين، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله صلّى الله عليه و آله أمّا بعد ذلكم فأنّى قد بعثت مقدّماتى و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط، حتّى يأتيهم أمرى، فقد أردت أن اقطع هذه النّطفة إلى شردمه منكم موطنون بأكناف دجله، فانهضكم معكم إلى أعداء الله إنشاء الله، و قد أمرت على المصر عقبه بن عمرو الأنصارى، و لم الوكم و نفسى، فأياكم و التخلّف و التّربص، فأنّى قد خلّفت مالك بن حبيب اليربوعى و أمرته أنّ لا يترك متخلّفا إلّا الحقّه بكم عاجلا إنشاء الله.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرت است هنگام رفتن شام فرموده: سپاس بى قیاس خداوندی را سزااست هر وقتى که داخل شد شب و رو بتاریکی نهاد، و ثناء بى انتها

واجب الوجودی را رواست هر وقتی که طلوع نمود ستاره و در غروب افتاد، و ستایش بی حد معبود بحقی راست در حالتی که نایاب شده نیست إحسان او و جزا داده و برابر کرده نیست انعام او پس از حمد الهی و شکر نامتناهی پس بتحقیق فرستادم پیشرو لشکر خود را بجانب صفین، و امر کردم ایشان را بلازم شدن و مکث نمودن در این جانب فرات تا این که بیاید بایشان فرمان من، و بتحقیق که مصلحت را در این دیدم که قطع کنم آب فرات را یعنی بگذرم از فرات و متوجه شوم بطرف گروهی اندک از شما در حالتی که وطن گرفته اند آن گروه در کنار شط، پس بر پای کنم ایشان را با شما و متوجه شوند بسوی عدوی شما، و بگردانم ایشان را از مددهای قوت شما در وقت پیدا شدن اماره محاربه

و من خطبه له علیه السلام و هی التاسعه و الاربعون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

الحمد لله الذی بطن خفیات الأمور، و دلت علیه أعلام الظهور، و امتنع علی عین البصیر، فلا عین من لم یره تنکره، و لا قلب من أثبتہ یبصره، سبق فی العلو فلا شیء أعلا منه، و قرب فی الدنو فلا شیء أقرب منه، فلا استعلائه باعده عن شیء من خلقه، و لا قربہ ساواهم فی المكان به، لم یطلع العقول علی تحدید صفتہ، و لم یحجبها عن واجب معرفتہ، فهو المذی تشهد له أعلام الوجود، علی إقرار قلب ذی الجحود، تعالی الله عما یقول المشبهون به و الجاحدون له علوا کبیرا.

ص: ۲۷۴

(بطنته) أبطنه علمته وأخبرته و (الأعلام) جمع العلم بالتحريك و هو ما يستدل به على الشيء كالأعلامه و (لم يطلع) من باب الافعال يقال اطلعت زيدا على كذا مثل أعلمته و زنا و معنا و (الجحود) الإنكار يقال جحد حقّه أى أنكره قال الفيومي و لا يكون إلا على علم من الجاحد به.

الاعراب

فاعل امتنع محذوف بقرينه المقام أى امتنع رؤيته، و كلمه لا- فى قوله فلا-عين و لا قلب بمعنى ليس، و فى قوله فلا شىء لنفى الجنس و به متعلق بقوله ساواهم، و اضافته الواجب إلى معرفته من باب إضافه الصّفه إلى الموصوف، و على اقرار متعلق بتشهد.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه مشتمله على مباحث جليله من الحكمه الالهيه و مطالب نفيسه من صفات الربوبيه.

الاول أنّه سبحانه عالم بالخفيات و السّراير و خبير بما فى الصّيدور و الضمائر و إليه الاشاره بقوله (الحمد لله الذى بطن خفيات الامور) و يدلّ ذلك على كونه عالما بالجلّيات بطريق أولى كما برهن ذلك فى الكتب الكلاميه، و قد حقّقنا الكلام فى علمه بجميع الأشياء و دللنا عليه بطريق النقل و العقل بما لا مزيد عليه فى تنبيه الفصل السابع من فصول الخطبه الاولى و لا حاجه لنا إلى إطناب الكلام فى المقام و كفى بما ذكره عليه السّلام شهيدا قوله سبحانه:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» و قوله: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»

وقوله: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» فَإِنَّ الْمُرَادَ بِالْغَيْبِ هُوَ الْغَايِبُ عَنِ الْحَوَاسِّ الْخَفِيِّ عَلَى الْخَلْقِ، وَأُظْهِرَ مِنْهَا دَلَالَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ:

«وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى» يَعْنَى لَا تَجْهَدْ نَفْسَكَ بِرَفْعِ الصَّوْتِ فَاتَّكَ وَإِنْ لَمْ تَجْهَرْ عِلْمَ اللَّهِ السِّرَّ وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ، قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: اخْتَلَفُوا فِيْمَا هُوَ أَخْفَى مِنَ السِّرِّ فَقِيلَ: السِّرُّ مَا حَدَّثَ بِهِ الْعَبْدُ غَيْرَهُ فِي خَفِيَّتِهِ وَأَخْفَى مِنْهُ مَا أَضْمَرَهُ فِي نَفْسِهِ مَا لَمْ يَحْدَثْ بِهِ غَيْرَهُ، وَقِيلَ: السِّرُّ مَا أَضْمَرَهُ الْعَبْدُ فِي نَفْسِهِ وَأَخْفَى مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ وَلَا أَضْمَرَهُ أَحَدٌ، وَرَوَى عَنِ السَّيِّدِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ السِّرُّ مَا أَخْفَيْتَهُ فِي نَفْسِكَ وَأَخْفَى مَا خَطَرَ بِبَالِكَ ثُمَّ أَنْسَيْتَهُ.

(و) الثَّانِي أَنَّهُ تَعَالَى (دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ) وَ الْمُرَادُ بِأَعْلَامِ الظُّهُورِ الْآيَاتُ وَالْآثَارُ الدَّالَّةُ عَلَى نُورِ وَجُودِهِ الظَّاهِرِ فِي نَفْسِهِ الْمَظْهَرِ لغيره، وَ إِلَيْهَا الْإِشَارَةُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ الْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» وَ لَا يَخْفَى أَنَّ الْإِسْتِدْلَالَ بِتِلْكَ الْأَدْلَةِ وَ الْآيَاتِ هُوَ طَرِيقُ الْمَلَكِيِّينَ وَ سَائِرِ فِرْقِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَانْهَمَ قَالُوا: إِنَّ الْأَجْسَامَ لَا يَخْلُو عَنْ الْحَرَكَةِ وَ السَّكُونِ، وَ هُمَا حَادِثَانِ وَ مَا

لا يخلو عن الحوادث فهو حادث، فالأجسام كلّها حادثه، و كلّ حادث مفتقر إلى محدث فمحدثها غير جسم و لا جسماني و هو الباري جلّ اسمه دفعا للدور و التسلسل.

و قريب منها طريقه الطبيعيين و هو الاستدلال بالحركه قالوا: إنّ المتحرّك لا- يوجب حركه بل يحتاج إلى محرّك غيره، و المحرّك لا محاله ينتهي إلى محرّك غير متحرّك أصلا دفعا للدور و التسلسل، و هو لعدم تغييره و براءته عن القوه و الحدوث واجب الوجود.

و هنا طريقه اخرى أحكم من السابقتين و هو الاستدلال بالفعل على الفاعل و إليه الاشاره في حديث الزنديق المروى في الكافي فأنّه بعد ما سأل أبا عبد الله عليه السّلام عن دليل التّوحيد و أجاب عنه عليه السّلام فكان من سؤاله أن قال: فما الدّليل عليه أى على وجوده تعالى؟ فقال أبو عبد الله عليه السّلام: وجود الأفاعيل دلّت على أنّ صانعا صنعها، ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني علمت أنّ له بانيا و إن كنت لم تر الباني و لم تشاهده، قال: فما هو: قال: شيء بخلاف الاشياء.

و إنّما قلنا: إنّ هذه الطريقه أحكم لأنّه يرجع إلى البرهان اللّميّ و ذلك لأنّ كون الشّيء على صفه قد يكون معلولا لما ذاته علّه له، ألا ترى أنّ البنامن حيث إنّّه بناء لا يعرف إلّا بالبناء، و الكاتب من حيث هو كاتب يدخل في حدّ الكتابه و ما يدخل في حدّ الشّيء يكون سببا له و برهانا عليه لميّة، فذاته تعالى و إن لم يكن من حيث ذاته برهان عليه إذ لا جنس له و لا فصل له، و ما ليس له جنس و لا- فصل لا- حدّ له و ما لا حدّ له لا برهان عليه، إلّا أنّه من حيث صفاته و كونه مصدرا لأفعاله ممّا يقام عليه البرهان، كقولنا: العالم مصنوع مبنيّ يقتضى أن له صانعا بانيا، و إذا ثبت أنّ له صانعا ثبت وجوده في نفسه ضروره، إذ ثبوت الشّيء على صفه في الواقع لا ينفكّ عن ثبوته في نفسه كما هو ظاهر، و كيف كان فهذه الطرق هي المشار إليها بقوله سبحانه:

«سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»

و هي كلها مشتركة في أنَّ التَّوسُّيلَ فيها إلى معرفته سبحانه إنَّما هو باعتبار امر آخر غيره، كالامكان للمهيَّه و الحدوث للخلق و الحركة للجسم.

و هنا طريقه اخرى هي أسد و ألطف و أشرف و هي أن يستدلَّ به تعالى عليه ثم يستشهد بذاته على صفاته و أفعاله واحدا بعد واحد و إليها أشار الشَّارح البحراني بقوله: و أمَّا الالهيون فلهم في الاستدلال طريق آخر، و هي أنَّهم ينظرون أولا- في مطلق الوجود أهو واجب أو ممكن، و يستدلُّون من ذلك على اثبات واجب، ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحده الحقيقيه على نفى الكثره بوجه ما المستلزمه(١) لعدم الجسميه و العرضيه و الجبهه و غيرها، ثم يستدلُّون بصفاته على كيفيه صدور أفعاله عنه واحدا بعد آخر.

و ظاهر أنَّ هذا الطريق أجَلَّ و أشرف من الطريق الأوَّل و ذلك لأنَّ الاستدلال بالعلَّه على المعلول أولى البراهين باعطاء اليقين، لكون العلم بالعلَّه المعينه مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس.

قال بعض العلماء: و إنَّه طريق الصَّديقين الذين يستشهدون به لا عليه أي يستدلُّون بوجوده على وجود كلِّ شيء إذ هو منه و لا يستدلُّون بوجود شيء عليه بل هو أظهر وجودا من كلِّ شيء فان خفى مع ظهوره، فلشَّده ظهوره، و ظهوره سبب بطونه، و نوره هو حجاب نوره، إذ كلُّ ذرَّه من ذرَّات مبدعاته و مكوناته فلها عدَّه ألسنه تشهد بوجوده و بالحاجه إلى تدبيره و قدرته لا يخالف شيء من الموجودات شيئا من تلك الشَّهادات و لا يتخصَّص أحدها بعدم الحاجات.

و قال الصَّيِّد السَّيرازي في شرح الكافي: و اعلم أنَّ للحكماء في إثبات هذا المطلب يعنى وجود الصَّيِّانغ منهجين احدهما الاستدلال على وجوده تعالى من جهه النظر في أفعاله و آثاره و ثانيهما الاستشهاد عليه من جهه النظر في حقيقه الوجود و أنَّها يجب أن يكون بذاتها محقَّقه و بذاتها واحده و هي ذات الواجب و أنَّ ما سواه من الأشياء التي لها مهيَّات غير حقيقه الوجوديه تصوير موجوده و أنَّ

ص: ٢٧٨

وجودها رشح و تبع لوجوده فدلّت ذاته على ذاته.

و إلى هذين المنهجين اشير في الكتاب الالهي حيث قال الله تعالى:

«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» هذا منهج قوم و قال: «أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» هذا منهج قوم آخروهم الصّديقون الذين يستشهدون من ذاته على حقيقه ذاته و من حقيقه ذاته على احديّه ذاته كما قال الله تعالى:

«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و من أحديّه ذاته على ساير صفاته، و من معرفه صفاته على كيفيه أفعاله الأوائل و الثواني واحدا بعد واحد على ترتيب الأشرف و الأشرف إلى أن ينتهي إلى الجسمانيات و المتحركات، و لا شك أنّ هذا المنهج أحكم و أوثق و أشرف و أعلا انتهى كلامه.

فليفهم جيّدا فأنّه غير خال عن ايهام القول بوحده الوجود الفاسد عند أهل الشّرع كما يأتي تفصيلا في شرح الكلام المأتين و الثمانين إنشاء الله تعالى، و قد قرّر هذا المرام في أوّل السّيفر الالهي من كتابه الأسفار بتقرير أوضح و أبسط، و لا حاجه بنا إلى ذكره و فيما أوردناه هنا كفايه للمستتر شد و هدايه للمهتدي.

و في كلّ شيء له آيه تدلّ على أنّه واحد

(و) الثالث أنّه سبحانه (امتنع) رؤيته (على عين البصير):

فَ «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» و هذا هو مذهب أصحابنا وفاقا للمعتزله، و عليه دلّت الآيات الكريمه و البراهين المتينه و الأخبار المتواتره عن أهل بيت العصمه سلام الله عليهم و لقتصر منها على روايه واحده.

و هو ما رواه في الكافي باسناده عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السّلام أسأله عن الرؤيه و ما اختلف فيه النّاس قال: فكتب لا يجوز

الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر فاذا انقطع الهواء من الرائي والمرئي لم يصح الرؤية و كان فى ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي فى السبب الموجب بينهما فى الرؤية وجب الاشتباه و كان ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات.

و هذه الزوايه كما ترى داله على امتناع الرؤية بوجهين احدهما أن من شرايط تحقق الرؤية وجود الهواء أو ما يجرى مجراه كالماء الصافى و نحوه بين الرائي والمرئي لتنفيذ فيه شعاع البصر و يتصل بالمبصر فاذا انقطعت الهواء عنهما أو عن أحدهما امتنعت الرؤية الثانى لو جاز رؤيته سبحانه لزم كونه مشابها لخلقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا و إليه أشار عليه السلام بقوله: و كان فى ذلك الاشتباه، يعنى فى كون الهواء بين الرائي والمرئي الاشتباه يعنى شبه كل منهما بالآخر يقال اشتبها إذا شبه كل منهما الآخر لأن الرائي متى ساوى المرئي و ماثله فى النسبه إلى السبب الذى أوجب بينهما الرؤية وجب الاشتباه و مشابها أحدهما الآخر فى توسط الهواء بينهما.

و كان فى ذلك التشبيه أى كون الرائي والمرئي فى طرفى الهراء الواقع بينهما يستلزم الحكم بمشابهة المرئي بالرائي من الوقوع فى جهه ليصح كون الهواء بينهما فيكون متحيزا ذا صوره وضعيه فإن كون الشئ فى طرف مخصوص من طرفى الهواء و توسط الهواء بينه و بين شئ آخر سبب عقلى للحكم بكونه فى جهه و متحيزا و ذا وضع، و هو المراد بقوله: لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات فقد تحقق و استبان من ذلك امتناع رؤيته سبحانه مطلقا فى الدنيا و الآخرة.

و ظهر بطلان ما ذهبت إليه الاشاعره من امكان رؤيته متزها عن المقابل و الجهه و المكان كما قال عمر النسفى و هو من عظماء الأشاعره: و رؤيه الله جايزه فى العقل واجبه بالنقل فيرى لا فى مكان و لا على جهه من مقابله أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافه بين الرائي و بين الله تعالى.

و قوله: فيرى لا- فى مكان له ناظر إلى منع اشتراط الهواء بين الرائي والمرئي و اشتراط الجهه و المكان كما استدلل به الباقون للرؤية، و توضيح هذا المنع ما ذكره الغزالي فى محكى كلامه من كتابه المسمى بالاقتصاد فى الاعتقاد، فإنه بعد

ما نقل استدلال أهل الحق في نفى الرؤية من أنه يوجب كونه تعالى في جهة و كونه في جهة يوجب كونه عرضا أو جوهرًا جسمانيا و هو محال.

قال: إنَّ أحد الأصلين من هذا القياس مسلّم و هو أنَّ كونه تعالى في جهة يوجب المحال، و لكنَّ الأصل الأوّل و هو ادّعاء هذا اللازم على اعتقاد الرؤية ممنوع، فنقول: لم قلتُم أنّه إن كان مرئيا فهو في جهة من الرائي أعلمتم ذلك ضروره أم بنظر و لا سبيل إلى دعوى الضروره، و أمّا النظر فلا بدّ من بيانه و منتهاه أنّهم لم يروا إلى الآن شيئا إلّا و كان بجهه من الرائي مخصوصه، و لو جاز هذا الاستدلال لجاز للخصم «للمجسم خ ل» أن يقول: إنّ الباري تعالى جسم لأنّه فاعل فاعلا لم نر إلى الآن فاعلا إلّا جسميا، و حاصله يرجع إلى الحكم بأنّ ما شوهد و علم ينبغي أن يوافقه ما لم يشاهد و لم يعلم أقول: و هذا معنى قول التفتازاني في شرح العقائد النسفيه في هذا المقام من أنّ قياس الغايب على الشاهد فاسد هذا، و غير خفيّ على الفطن العارف فساد ما زعموه، إذ دعوى كون المرئي بهذا العين مطلقا يجب أن يكون في جهة ليست مبتيه على أنّ المرئيات في هذا العالم لا يكون إلّا في جهة حتّى يكون من باب قياس الغايب على الشاهد، بل النظر و البرهان يؤدّيان إليه.

بيان ذلك على ما حقّقه بعض المحقّقين (١) هو أنّ القوّه الباصره التي في عيوننا قوّه جسمانيه وجودها و قوامها بالمادّه الوضعيه، و كلّ ما وجوده و قوامه بشيء فقوام فعله و انفعاله بذلك الشيء إذ الفعل و الانفعال بعد الوجود و القوام و فرعه، إذ الشيء يوجد أولا إمّا بذاته أو بغيره، ثمّ يؤثّر في شيء أو يتأثّر عنه، فلاجل هذا نحكم بأنّ البصر لا يرى إلّا لما له نسبه وضعيه إلى محلّ الباصره، و السامعه لا تنفعل و لا تسمع إلّا ما وقع منها في جهة أو أكثر فهذا هو البرهان.

ثمّ إنّ عليه السلام بعد ما تبّه على امتناع رؤيته سبحانه أردف ذلك بجملتين.

إحداهما قوله: (فلا- عين من لم يره تنكره) مشيرا بذلك إلى ردّ ما ربما يسبق إلى الوهم في بادى الرأى من أنّ العين إذا امتنع عليها رؤيته فلا بدّ من إنكارها

ص: ٢٨١

له، و محصل دفع ذلك التوهم أنّ عدم الرؤيه لا يستلزم الانكار، إذ آيات القدره و علامات المقدره و آثار العظمه من الآفاق و الأنفس شاهد حقّ على وجوده و برهان صدق على ذاته، فكيف يمكن مع هذه الآيات الظاهره و البراهين الساطعه الانكار بمجرد عدم الابصار، مضافا إلى أنّ حظّ العين أن يدرك بها ما صحّ إدراكه فأما أن ينفي بها ما لا يدرك من جهتها فلا، و يأتي تحقيق الكلام في ذلك بما لا مزيد عليه في شرح الخطبه الرابعه و الستين إنشاء الله تعالى.

و الثانيه قوله عليه السلام: (و لا قلب من أثبتة يبصره) مریدا بذلك تأكيد امتناع الاحاطه به و بيان عجز العقول عن الوصول إلى كنه حقيقته، فإنّ معنى الابصار هو الادراك على وجه الاكتناه، فالمقصود أنّ المثبت لا يمكن له أن يعرفه بقلبه معرفه ضروريّه و أن يحيط به إحاطه تامّه.

و لما كان الابصار حقيقه في الرؤيه بالعين المستلزمه للاحاطه بالعلم و العرفان الضروري فاطلق لفظ يبصر و ارید به ذلك مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم على اللازم.

بيان ذلك أنّ اثباته تعالى بالقلب الّذى هو عبارته اخرى عن الايمان به ممّا يضعف و يشتدّ و ينقص و يكمل و يكون في مبدء اكتسابه ضعيفا ناقصا، ثمّ يتدرج بمزاولة الأفكار و الأعمال و يشتدّ شيئا فشيئا و يستكمل قليلا قليلا كما يقع للفحم بمجاوره النار يتسخن أولا تسخنا قليلا، ثمّ يشتدّ تسخنه حتّى يحمرّ، ثمّ يتنور ثمّ يضيء و يحرق، و يفعل كما يفعله النار من التسخين و الاضاءه و الاحراق، فهكذا يشتدّ نور العلم و قوّه الايمان حتّى يصير العلم عينا، و الايمان عيانا، و المعرفه تنقلب مشاهده و لهذا قيل إنّ المعرفه بذر المشاهده.

و لكن يجب أن يعلم أنّ العلم إذا صار عينا لم يصرعينا محسوسا، و أنّ المعرفه إذا انقلب مشاهده لم ينقلب مشاهده بصريّه حسيه لأنّ الحسّ و المحسوس نوع مضاد للعقل و المعقول لا يمكن لشيء من أفراد أحد النوعين المضادين أن ينتهى في مراتب استكمالاته و اشتداداته إلى شيء من أفراد النوع الآخر فالابصار إذا اشتدّ لا يصير

تخيلاً مثلاً، ولا التّخيل إذا اشتدّ يصير تعقّلاً، ولا بالعكس.

نعم إذا اشتدّ التّخيل ير مشاهدته ورؤيه بعين الخيال لا بعين الحسّ وكثيراً ما يقع الغلط من صاحبه أنّه رأى بعين الخيال أم بعين الحسّ الظاهر كما يقع للمجانين والكهنة، وكذا التّعقل إذا اشتدّ يصير مشاهدته قلبيه ورؤيه عقله لا خياليه ولا حسيه وهذا هو معنى الابصار بالقلب على ما ثبت في بعض الأخبار.

وهو ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السّلام في جواب الرّجل الخارجى الذى قال له: أى شىء تعبد؟ قال: الله، قال: رأيته؟ قال عليه السّلام: بل لم تره العيون بمشاهدته الابصار ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان.

فإنّ المراد برؤيه القلوب له هو ادراك العقول القدسيه له بالأنوار العقلية الناشيه من الايمان والاذعان الخالص فإنّ الايمان إذا اشتدّ حسبما ذكرنا حصل فى القلب نور يشاهد به الرّب كمشاهدته العيان، وسيأتى لهذا مزيد توضيح وتحقيق فى مقامه المناسب إنشاء الله.

فان قلت: فكيف يجتمع ذلك مع كلامه عليه السّلام الذى نفى فيه الابصار.

قلت لعلك لم تتأمّل فيما حقّقناه حقّ التأمّل إذ لو تأمّلت عرفته عدم التدافع بين الخبرين لعدم رجوع النفى والاثبات فيهما إلى شىء واحد إذ الابصار المنفى فى حقّه هو إدراكه على وجه الاحاطه ومعرفته حقّ المعرفة، كما قال صلوات الله عليه: ما عرفناك حقّ معرفتك، والرؤيه المثبتة فى خبر أبي جعفر عليه السّلام هو إدراكه لا على وجه الاحاطه، بل غايه ما يمكن أن يتصوّر فى حقّ العبد التى هى أشدّ مراتب الايمان وأكمل درجاته، ويأتى لذلك الخبر توجيهات اخر فى شرح الكلام المأه والثامن والسبعين إنشاء الله.

فان قلت: هل لك شاهد من الأخبار على حمل الابصار المنفى فى كلامه على المعنى الذى ذكرت؟ قلت: نعم وهو ما رواه فى الكافي باسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السّلام فى قوله تعالى:

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» قال: إحاطه الوهم ألا ترى إلى قوله:

«قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ» ليس يعنى به بصر العيون:

«فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ» ليس يعنى من أبصر بعينه:

«وَمَنْ عَمِيَ فَغَلِيظًا» ليس يعنى عمى العيون إنما عنى إحاطه الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر، و فلان بصير بالفقه، و فلان بصير بالدراهم، و فلان بصير بالثياب الله أعظم من أن يرى بالعين فإنَّ السائل لما توهم كون المراد بالآيه نفى الرؤيه المعتاده بهذا البصر الحسى نبه عليه السّلام على أنّ المراد بها ليس ذلك، لأنّه أمر مستغنى عنه، و ذاته تعالى أجلّ من أن يحتمل فى حقّه ذلك حتّى يصير الآيه محموله عليه، بل المراد نفى إحاطه الوهم به عنه و أنّ الابصار ليست ههنا بمعنى العيون بل بمعنى العقول و الأوهام على ما وردت فى الآيات و اشتهر اطلاقها عليها بين أهل اللسان و مثله ما رواه أيضا عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن أبى هاشم الجعفرى عن أبى الحسن الرضا عليه السّلام قال: سألته عن الله هل يوصف، فقال: أما تقرأ القرآن قلت: بلى قال: أما تقرأ قوله تعالى:

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» قلت: بلى، قال: فتعرفون الابصار، قلت: بلى، قال: ماهى؟ قلت: إبصار العيون، قال:

إنَّ أوهام القلوب أكبر من إبصار العيون، فهو لا يدركه الأوهام و هو يدرك الأوهام قال المحدث المجلسى فى مرآت العقول: و المراد بأوهام القلوب إدراك القلوب باحاطتها به، و لما كان إدراك القلوب بالاحاطه لما لا يمكن

أن يحاط به و هما عبر عليه السلام عنه بأوهام القلوب هكذا ينبغي أن يفهم هذا المقام و يحمل عليه كلام الامام عليه السلام، و أمّا ما ذكره الشارح البحراني من أنّ المراد بقوله: و لا- قلب من أثبتة يبصره، أنّ من أثبتة مع كونه مثبتا له بقلبه لا يبصره فبعيد لفظا و معنى فافهم جيّدا (و) الرابع أنّه سبحانه (سبق في العلوّ) و تقدّم على من عداه (فلا شيء أعلا منه) و المراد بالعلوّ العقلي لا الحسيّ كعلوّ السّماء بالنّسبة إلى الأرض، و لا- التّخيلي كما للملك بالنّسبة إلى الرّعيه إذ الأوّل مقصور في المحسوسات و المتحيّزات، و الثّاني متغيّر بحسب الاشخاص و الأوقات، و هو سبحانه منزّه عن الحسّ و المكان، و مقدّس عن الكمال الخيالي القابل للزياده و النّقصان، فله الفوقيه المطلقه و العلوّ العقلي و ذلك أنّ أعلى مراتب الكمال هو مرتبه العليّه و لمّا كان الأوّل تعالى مبدء كلّ شيء حسيّ و عقليّ و علّته التي لا يتصوّر فيها النّقصان بوجه لا جرم كان مرتبته أعلى المراتب العقليّه مطلقا، و له الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافه إلى شيء دون شيء، و عن إمكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه أو في مرتبته ما يساويه، فهو المتفرد بالفوقيه المطلقه و العلوّ المطلق لا يلحقه فيهما غيره و يحتمل أن يكون المراد بالعلوّ العلوّ بالقدره و القهر و الغلبه أو بالكمال و الاتّصاف بالصّفات الحسنه و تماميّته بالنّسبة إلى كلّ شيء و نقص الكلّ بالنّسبة إليه فكلّ متوجّه إلى فوق ما عليه متوجّه إليه، فهو فوق كلّ شيء و لا يقال شيء فوقه و مرجع ذلك كلّ إلى كمال رتبه وجوده و شدّه نوره (و) الخامس أنّه جلّت عظمتة (قرب في الدّنوّ) إلى من سواه (فلا شيء أقرب منه) إليهم، و لمّا كان السّبق في العلوّ مستلزما للبعد عن الغير حسن المقابله بينه و بين القرب في الدّنوّ، و كما أنّ علوّه على خلقه كان علوّا عقليّا، فكذلك قربه إليه قرب عقليّ و هو القرب بالعلم و الاحاطه أو القرب بالرّحمه و الافاضه، فهو الذي لا يعزب عن علمه شيء و أقرب إلى النّاس من حبل الوريد و لمّا كان قربّه إلى الأشياء و إلى الخلق بهذا المعنى لا يكون له منافاه لبعده

عنهم اللازم من علوه، فهو سبحانه في كمال علوه عليهم وبعده عنهم من حيث الذات و الصِّفات منهم قريب، و في كمال قربهم منهم و دنوّ إليهم من حيث العلم و الاحاطه عنهم بعيد، لأنّ النور كلّما كان أشدّ و أقوى كان مع علوه و بعده أقرب و أدنى و اعتبر ذلك بنور الشمس و هي في السماء الرابعه و بنور السراج و المشعل و هو عندك في وجه الأرض فانظر أيهما أقرب منك حتّى تعلم أنّ أعلى الموجودات شرفا و نورا يجب أن يكون أقربها منك و حيث إنّ علوه سبحانه لم يكن علوا حسيّا و لا فوقيته فوقيه مكانيّه (فلا) يكون (استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه) بعدا مكانيّا و إن كان بعيدا منهم بمقتضى علوه العقليّ و متباعدة عن عقولهم بسبب ارتفاعه الذاتى (و) حيث إنّ قربهم من الخلق لم يكن قربا حسيّا و لا دنوّ دنوّا مكانيّا ف (لا) يكون (قربه) منهم (ساواهم في المكان به) و المقصود بهاتين الجملتين ردّ توهم اولى الأوهام الناقصه و الأذهان القاصره الذين لم يفهموا من العلوّ إلّا الحسيّ المستلزم للتباعد، و لم يعرفوا من القرب إلّا المكانى المستلزم لمساواه المتقاربين في المحلّ، و قد عرفت هنا و في شرح الفصل الخامس و السّياس من الخطبه الاولى في بيان معنى قوله: و من قال علام فقد اعلا منه، و قوله: مع كلّ شيء لا بمقارنه بطلان هذا التوهم بما لا مزيد عليه و أقول الآن تأكيدا لما سبق و توضيحا لما هنا إنّهُ روى في الكافي في باب الحركة و الانتقال باسناده عن يعقوب بن جعفر الجعفرى عن أبى إبراهيم عليه السّلام قال:

ذكر عنده قوم يزعمون أنّ الله ينزل إلى السّماء الدّنيا، فقال إنّ الله لا ينزل و لا يحتاج إلى أن ينزل إنّما منظره في القرب و البعد سواء، لم يبعد منه قريب و لم يبعد منه بعيد و لم يحتاج إلى شيء بل يحتاج إليه، و هو ذو الطول لا إله إلّا هو العزيز الحكيم الحديث أقول: لمّا كان زعم بعض العامّه أنّ لله سبحانه مكانا أعلى الأمكنه و هو العرش و أنّه ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السّماء الدّنيا ليقرب من أهل الأرض و يناديهم بما أراد، ردّ زعمهم بأنّه تعالى لا ينزل و لا حاجه له إلى أن ينزل، و ذلك لأنّ المتحرّك من مكان إلى مكان إنّما يتحرّك لحاجته إلى الحركة، حيث

إنَّ نسبه جميع الأمكنه إليه ليست نسبه واحده بل إذا حضر له مكان أو مكانى غاب عنه مكان أو مكانى آخر، وإذا قرب من شيء بعد من شيء آخر، فيحتاج في حصول مطلوبه الغائب إلى الحركة إليه، والله تعالى لما لم يكن مكانيا كانت نسبته إلى جميع الامكنه و المكانيات نسبه واحده، وليس شيء أقرب اليه من شيء آخر ولا أبعد ولا هو أقرب إلى شيء من شيء آخر ولا أبعد، ونظره في القرب والبعد أى فيما يتصور فيه القرب والبعد بالنظر إلى عالم الحواس وأوهام الخلق سواء لا تفاوت فيه أصلا وفيه أيضا عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى:

«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» فقال: استوى في كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب، استوى في كل شيء.

و عن ابن اذينه عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى:

«مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» فقال هو واحد واحد الذات، باين من خلقه، وبذلك وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالاشراف والاحاطه والقدرة ولا يعزب عنه مثقال ذره فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالاحاطه والعلم لا بالذات لأن الأماكن محدوده تحويها حدود أربعة فاذا كان بالذات لزمها الحوايه توضيح جوابه عليه السلام إن وحدته سبحانه وحده ذاتيه لا عددية حتى ينافى الكثره و كونه رابعا لثلاثة و بعينه سادسا لخمسه، باين من خلقه و تباعد عنهم لا مباينته من حيث الشخصيات والأوضاع، و تباعدا من حيث الامكنه والحيزات، وإنما مباينته من حيث الذات و عدم مشاركتهم له فى شيء من الصفات، فهو تام كامل و هم ناقصون محتاجون إليه و به تمامهم و غنائهم، و بذلك التباين، وصف نفسه وقال: ليس كمثله شيء وهو بكل شيء محيط، لا يخلو منه شيء من الأشياء

و احاطته إنّما هو بالاشراف و الاطلاع و إحاطه العلم و القدره فمثال احاطته بكلّ شيء كمثال علم أحد منّا بأشياء كثيره متباينه الوضع من جهه العلم بأسبابها و مبادئها، لكن علمه عين ذاته و علمنا زايد على ذاتنا، و علمه تامّ و لكلّ شيء و علمنا ناقص و ببعض الأشياء و كما لا يلزم من علمنا بتلك الأشياء حصول شيء واحد بالعدد في أماكن متباينه الوضع، فكذلك لا يلزم فيه بل ذاته أشدّ إحاطه و أوسع علما و هو معنى قوله عليه السّلام لا بالذات يعنى أنّ عدم عزوب شيء من الأشياء عنه باعتبار الاحاطه العلميه لا باعتبار حصول ذاته في مكان قريب من مكانه، لأنّ الأماكن محدوده تحويها حدود أربعة، عدّها أربعة مع كونها ستّه لأنّ القدم و الخلف و اليمين و الشمال لما كانت غير متحيّزه إلّا باعتبار عدّ الجميع عدّين و عدّ الفوق و التحت حدّين فصارت أربعة، و المعنى أنه لو كان عدم بعد شيء عنه باعتبار كون ذاته في مكان قريب منه لزم احتواء المكان عليه كالتمكّن و كونه محاطا بالمكان تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا، و بذلك التحقيق ظهر معنى قوله عليه السّلام ولا قربه ساواهم في المكان به و السادس أنه تعالى شأنه (لم يطلع العقول على تحديد صفته) إذ ليس لصفاته الكماله التي هي عين ذاته حدّ يحدّ به حتّى يمكن للعقول الاطلاع عليه بيان ذلك أنّ الحدّ يراد به أحد معنيين أحدهما القول الشارح لمهيّء الشيء المؤلف من المعاني الذاتيه المختصّه إمّا بحسب الحقيقه أو بحسب الاسم الثاني النهايه و الطرف، و كلاهما منفيتان عنه سبحانه أمّا الحدّ بالمعنى الأوّل فلأنّ ذاته غير مؤلف من معاني و امور ذاتيه و لا تركيب فيها أصلا بشيء من أنحاء التركيب، بل هو بسيط الذات من جميع الجهات و صفاته عين ذاته و وجودها وجود ذاته، فليس لصفاته حدّ به تحدّد حتى يصحّ اطلاع العقول عليه و أمّا الحدّ بالمعنى الثاني فلأنّ التناهي و اللاتناهي إنّما يوصف بهما أوّلا

و بالذات المقادير و الأعداد و إذا وصف بها شيء آخر كان إما باعتبار تعلّقه بالكمّيات و إما باعتبار ترتّبها أو ترتّب ما يوصف بها على ذلك الشيء، و الله سبحانه أجلّ من ذلك و إلّا لزم كونه محلاً للحوادث مضافاً إلى أنّه لو كان له حدّ معيّن و نهايه معيّنه لزم احتياجه إلى علّه محدّده قاهره، إذ طبيعه الوجود بما هو وجود لا يقتضى حدّاً خاصّاً، و يلزم من ذلك أى من وجود العلّه المتباينه القاهره أن يكون لخالق الأشياء كلّها من خالق محدّد فوقه، و هو محال (و) السابع أنّه سبحانه (لم يحجبها) أى لم يجعل العقول محجوبه (عن واجب معرفته) بل قد وهب لكلّ نفس قسطاً من معرفته هو الواجب لها بحسب استعدادها لقبوله و لو لا ذلك لكان تكليفهم بالأصول و الفروع تكليفاً بما لا يطاق و لذلك قال الصادق عليه السّلام: ليس لله على خلقه أن يعرفوا و للخلق على الله أن يعرفهم و لله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا و فى روايه الكافى عن إبراهيم عمر اليماني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ أمر الله كلّه عجيب إلّا أنّه قد احتجّ عليكم بما عرفكم من نفسه، يعنى أنّ معرفه ذاته و صفاته الحقيقيه كما هي فوق إدراك كلّ أحد، تكلّ العقول و الأذهان و تبهر الألباب عن كنه جلاله و غور عزّه و كماله إلّا أنّه مع ذلك لكلّ أحد نصيب عن لوازم إشراقات نوره قلّ أو أكثر، فله الحجه على كلّ أحد بما عرفه من آيات وجوده و دلائل صنعه وجوده فوقع التّكليف بمقتضى معرفه و العمل بموجب العلم (فهو الذى تشهد له أعلام الوجود) و آيات الصّنيع و القدره (على اقرار) قلب كلّ أحد حتّى (قلب ذى الجحود) لأنّ الجاحد و إن كان يجحده متابعه لرايه و هواه إلّا أنّه لو تدبّر فى آثار القدره و الجلال و اعلام العظمه و الكمال لارتدع عن رأيه و هواه، و رجع عن جحده و إنكاره، و أذعن بوجود الإله، فلا يعبد معبوداً سواه، لكفايه تلك الآثار فى الشّهاده، و تماميه هذه الأعلام فى الهدايه و الدّلاله كما قال سبحانه:

«وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ»

«لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤَفَّكَونَ»، «وَلَيْسَ سِأَلَتُهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» وفي الكافي بإسناده عن أبي سعيد الزهري عن أبي جعفر عليه السلام قال: كفى لأولى الألباب بخلق الربّ المسخّر، وملك الربّ القاهر، وجلال الربّ الظاهر، ونور الربّ الباهر وبرهان الربّ الصادق، وما أنطق به ألسن العباد، وما أرسل به الرّسل، وما أنزل على العباد، دليلا على الربّ عزّ وجلّ قال بعض شراح الحديث: ذكر عليه السلام ثمانية أمور كلّ منها كاف لذوى العقول دليلا على وجود الربّ أحدها خلقه المسخّر له و ثانيها ملكه القاهر على كلّ مالك و مملوك و ثالثها جلاله الظاهر من عظام الخلقه و بدائع الفطره كالأجرام العاليه و النفوس و غيرها و رابعها نوره الغالب على نور كلّ ذى نور و حسّ كلّ ذى حسّ و شعور و خامسها برهانه الصادق و هو وجود آياته الكائنه فى السّموات و الأرض و سادسها ما أنطق به ألسن العباد من العلوم و المعارف و غيرهما و سابعها ما أرسل به الرّسل من الشّرايع و الأحكام و السّياسات و الحدود و ثامنها ما أنزل على العباد من الصّحايف الالهيه و الكتاب السّماويه ف (تعالى الله عمّا يقول المشبّهون به و الجاحدون له علوا كبيرا) و المراد بالمشبّهين المشبّهون للخلق بالخالق، و هم المشركون الذين جعلوا لله شركاء و قالوا: إنّّه ثالث ثلاثه، و نحو ذلك و بالجاحدين المنكرون للصّانع، و ليس المراد بالمشبّهين المشبّهه المعروفه أعنى الذين شبّهوه سبحانه بخلقهم كالمشبّتين له تعالى أوصافا زائده على الذات، و المجوّزين فى حقّه الرّؤيه و المكان و نحوهما و المشبّتين له الأعضاء و الجوارح إلى غير هذه ممّا هو من صفات الممكن و بالجملة المراد المشبّهون به كما هو صريح كلامه عليه السلام لا المشبّهون له بخلقهم على ما توهمه الشّارح البحرانى و اعلم أنّ المشبّهين به أوله مقرّون به سبحانه صريحا و جاهدون له لزوما

إذ المعنى الذى يتصوّرونه إلهها و يجعلونه له شركاء أو يجوّزون فى حقّه و يثبتون له صفات الممكن ليس هو نفس الاله، و الجاحدين منكرون له صريحا معترفون به لزوما و اضطرارا على ما حقّقناه آنفا فى شرح قوله: فهو الّذى يشهد له أعلام الوجودات و كلا الفريقين جاحدان له فى الحقيقة و إن كانا يفترقان فى الاعتراف باللسان

الترجمه

از جمله خطبهای شریفه آن حضرت است: حمد و ثنا مر خدای را سزااست که عالم است بیاطن امور پنهانی، و خبیر است بجمیع اشیاء نهانی، و دلالت کرده بر وجود او علامات ظاهره قدرت و آیات باهره عظمت، و ممتنع و محال شده دیدن او بر چشم بینا پس نه چشم کسی که او را ندیده انکار ذات او بتواند بنماید، و نه قلب کسی که اثبات وجود او را کرده احاطه و ادراک تام وجود او را دارد، پیشی گرفته در بلندی بمخلوقات پس هیچ چیز عالی مرتبه بلندتر از او نیست، و قریبست در نزدیکی بمخلوقات پس هیچ چیز نزدیکتر از او نیست پس نه بلندی او دور می گرداند او را از چیزی از مخلوقات، و نه نزدیکی او مساوی نموده ایشان را با او در مکان و جهات، و مطلع نگردانیده عقلها را بر تعریف صفات خود، و ممنوع نگردانیده عقلها را از واجب شناخت خود، پس او آن کسی است که گواهی می دهد از برای او نشانها وجود بر اقرار کردن دل صاحب انکار و وجود، پس بلند است حق سبحانه و تعالی و منزهست از آنچه می گویند تشبیه کنندگان خلاق باو و انکار کنندگان وجود او بلندی بزرگ یعنی او برتر است از اقوال باطله مشرکین و عقاید فاسده منکرین

و من خطبه له علیه السلام و هی الخمسون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

و رواها ثقه الاسلام الكلینی عطر الله مضجعه فی أصول الکافی و فی کتاب

ص: ۲۹۱

الرّوضه منه أيضا مسنده بالسّندين الآيتين باختلاف يسير فى الأوّل و مبسوطه فى الثّانى.

إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع، و أحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، و يتولّى عليها رجال رجالا على غير دين الله، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين، و لكن يؤخذ من هذا ضعف و من هذا ضعف فيمزجان، فهالك يستولى الشّيطان على أوليائه، و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

اللغة

(البدء) بفتح الباء و سكون الدالّ و الهمزة أخيرا بمعنى الأوّل و بمعنى الابتداء أيضا يقال بدأت بالشّىء بدء أى أنشأته إنشاء، و منه بدء الله الخلق أى أنشأهم و (الفتن) جمع الفتنة و هو الاختبار و الامتحان تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النّار لتتظر جودته، و قد أكثر استعمالها فيما يقع به الاختبار كما فى قوله تعالى:

«إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» ثم أكثر استعمالها فى الاثم و الكفر و الضّلال و الاحراق و الازالة و الصّيرف عن الشّىء كذا حكى عن النّهايه و (البدعه) اسم من ابتدع الامر اى ابتدئه ثم غلب على ما هو زياده فى الدّين أو نقصان منه و (التّولى) الاتباع و منه قوله سبحانه:

«وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» أى من يتّبعهم و (المزاج) ككتاب ما يمزج به قال سبحانه:

عَيْنًا «كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا» و قال الشّاعر:

كَانَ سَيِّئُهُ مِنْ بَيْتٍ رَسَّ يَكُونُ مَزَاجُهَا عَسَلٌ وَ مَاءٌ

و الارتياح الطلب و المرتاد الطالب و (الضَّغْث) قبضه حشيش مختلط رطبها بيابسها و يقال ملاء الكف من قضبان أو حشيش أو شماريخ و فى التنزيل:

«وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَخَنْتْ »

الاعراب

جمله تتبع و تبتدع مرفوعه المحل على الوصفية، و جمله يخالف و يتولى إمّا فى محلّ الرفع على الوصف أيضا أو فى محلّ النصب على الحالية، و قوله:

على غير دين الله متعلّق بالمقدّر، و هو إمّا حال من رجالا أو صفه له و إضافه المزاج إلى الحقّ بيانيّه

المعنى

إشارة

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبه هو توبيخ الخلق على متابعه الأهواء المبتدعه و الآراء المضلّة، و على مخالفه الكتاب القويم، و العدول عن الصّراط المستقيم المؤدّى إلى وقوع الفتن و فساد نظم العالم كما قال عليه السّلام: (إنّما بدء وقوع الفتن) و الضّلالات (أهواء) مضلّة (تتبع و أحكام) باطله (تبتدع) الّتى (يخالف فيها) أى فى تلك الأحكام (كتاب الله) إذ الاحكام المبتدعه خارجه من الكتاب و السنّه مخالفه لهما لما قد عرفت سابقا أنّ البدعه عباره عن إدخال ما ليس من الدّين فى الدّين فهى لا محاله مخالفه لاصول الشّريعه المستفاده من الكتاب و السنّه.

و من ذلك (١) أنّ يونس بن عبد الرّحمن لما قال لأبى الحسن عليه السّلام: بما أوّحد الله؟ قال له: يا يونس لا تكوننّ مبتدعا من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، و من ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر.

فإنّ المستفاد منه أنّ فى العمل بالرّأى و متابعه الهوى مخالفه لكتاب الله و عدولا عن سنّه رسول الله (و يتولّى فيها رجال رجالا على غير دين الله) أى يتخذ طائفه من المايلىن إلى تلك الأهواء الزّايفه و الآراء الباطله طائفه أخرى من أمثالهم أولياء

ص: ٢٩٣

و نواصر لهم، فيتبعونهم و يحبونهم تربيته لأهوائهم الفاسده و تقويه لبدعهم الضّاله.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى أنّ أسباب تلك الآراء أيضا إنّما هي امتزاج المقدمات الحقّه بالباطله فى الحجج التى يستعملها المبطلون فى استخراج المجهولات، و نبّه على ذلك بشرطيتين متّصلتين.

إحداهما قوله (فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم يخف على المرتادين) وجه الملازمه أنّ مقدمات الشّبهه إذ كانت كلّها باطله أدرك طالب الحقّ بطلانها بأدنى سعى و لم يخف عليه فسادها، مثال ذلك قول قوم من الباطنيّه: البارى تعالى لا موجود و لا معدوم و كلّ ما لا يكون موجودا و لا معدوما يصحّ أن يكون حيّا قادرا فالبارى تعالى يصحّ أن يكون قادرا فهاتان المقدمتان جميعا باطلتان و لذلك صار هذا القول مرغوبا عنه عند العقلاء.

و الاخرى قوله: (و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين) لأنّ المقدمات إذا كانت صحيحه حقّه كانت النتيجة حقّا و انقطع عنها اللّجاج و العناد، كقولنا: العالم حادث و كلّ حادث محتاج إلى المحدث فالعالم محتاج إلى المحدث، و لكن لما لم يخلص الباطل من المزاج و لم يمحض الحقّ من الالتباس بل امتزج الباطل بالحقّ و اختلط الحقّ بالباطل و تركّبت القضايا من المقدمات الحقّه و الباطله، مثل ما قال المدّعون للرؤيه: البارى تعالى موجود و كلّ موجود يصحّ أن يكون مرثيا فالبارى تعالى يصحّ أن يكون مرثيا، لا جرم خفى الامر على الطالب المرتاد و كثر لذلك اللّجاج و العناد.

و هذا هو معنى قوله عليه السّلام (و لكن يؤخذ من هذا ضعف و من هذا ضعف فيمزجان) أى الضّعفان (فهنا لك يستولى الشيطان على أوليائه) و يغلب على اتباعه و أحبائه و يجد مجالا للاضلال و الاغواء، و يزيّن لهم اتباع الآراء و الأهواء، فأولئك سيجدون قبائح أعمالهم و عقايدهم و هم عليها واردون و أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون (و) أمّا العارفون باللّله بعين الحقيقه و السّالكون لسبيله بنور البصيره ف (ينجوا) ن من ذلك و يتخلّصون من المهالك و هم (الذين سبقت لهم من الله الحسنى) و العناية

الازلئيه وقادتهم التوفيقات الربانيه وهؤلاء عن النار مبعدون و أولئك في الجنه هم خالدون.

واعلم أنّ ما ذكرته في شرح المقام إنّما هو جريا على ما هو المستفاد من ظاهر كلامه عليه السّلام المسوق على نحو العموم و الاطلاق، و الذي ظهر لى منه بعد النظر الدّقيق خصوصا بملاحظه الزّیادات الآتیه فی روايه الرّوضه هو أنّ غرضه بذلك الطعن على المتخلفين الغاصبين للخلافه و التابعين لهم و على من حذا حذوهم من الناكثين و القاسطين و المارقين و أضرابهم، فإنّهم أخذوا بظاهر أحكام الشّريعہ، و دسّوا فيها بدعاتهم الباطله الناشئه من متابعه أهوائهم المضلّہ، فخلطوا عملا صالحا بآخر سيّئ و صار ذلك سببا لافتتان النّاس بهم و اتباع أفعالهم و أقوالهم و اشتباه الأمر عليهم.

لأنّ كلّ باطل و كذب ما لم يكن فيه شبه حقّ و صدق لا يقبله ذو عقل و حجي كما أنّ كلّ مزيف كاسد ما لم يكن مغشوشا بنقد رايح لا- يصير رايجا في سوق ذوى الأبصار إذ التّمييز بين الذهب و النّحاس و الفضه و الرّصاص ممّا لا يخفى على ذوى العقول السّليمه.

لأنّ الباطل الصّيرف لاحظّ له في الوجود و لا- يقع في توهم ذوى العقول إلّا- إذا اقترن بشبه الحقّ، و لا- الكذب المحض ممّا يصدق به ذو عقل إلّا إذا امتزج بالصدق فلما حصل الامتزاج و الاختلاط و اشتبك الظلمه بالنور التبس الأمر على النّاس فأضلّهم الشيطان و زین لهم أعمالهم فصدّوا عن سبيل الدّين و انحرفوا عن الامام المبین، فارتدّ کلّهم أجمعون إلّا أولياء الله المخلصين، ف «إنّہ لیس لہ سلطان علی الذّین آمنوا و علی ربّہم یتوکّلون إنّما سلطانہ علی الذّین یتولّونہ و الذّین ہم بہ مشرکون»

تكملة

اشاره

قد أشرنا سابقا إلى أنّ هذه الخطبه مرویہ مسنده في الكافي فينبغي لنا أن نورد ما هناك جريا على ما هو دأبنا في هذا الشّرح ثمّ نعقبه بتفسير بعض كلماته الغريبه و توضيح ما فيه من النّكات اللطيفه الشّريفه فأقول:

ص: ٢٩٥

فى باب البدع والرأى والمقاييس من كتاب العقل والجهل منه عن الحسين بن محمّد الأشعري، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، وعدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن ابن فضال جميعا، عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن مسلم، عن أبى جعفر عليه السّلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام النّاس فقال:

أيّها النّاس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحكام تبتدع يخالف فيها كتاب يتولّى فيها رجل «رجال خ ل» رجالا، فلو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذى حجبى، و لو أنّ الحقّ خلص لم يكن اختلاف، و لكن يؤخذ من هذا ضعف و من هذا ضعف فيمزجان فيجئان معافها لك استحوذ الشيطان على أوليائه و نجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

و فى كتاب الزّوضه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن إبراهيم ابن عثمان عن سليم بن قيس الهلالي، قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ صلّى على النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ثمّ قال:

ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم خلّتان: اتّباع الهوى و طول الأمل أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة، ألا إنّ الدّنيا قد ترخّلت مدبره، و إنّ الآخرة قد ترخّلت مقبله، و لكلّ واحد بنون فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ اليوم عمل و لا حساب و إنّ غدا حساب و لا عمل.

و إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و آراء تبتدع يخالف فيها حكم الله يتولّى فيها رجال رجلا إنّ الحقّ لو خلص لم يكن اختلاف، و لو أنّ الباطل خلص لم يخف على ذى حجبى، لكنه يؤخذ من هذا ضعف و من هذا ضعف فيمزجان فيجتمعان فيجللان معا فهنا لك يستولى الشيطان على أوليائه و نجى الذين سبقت لهم من الله «مناخ» الحسنى.

إنّى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصّغير و يهرم فيها الكبير، يجرى النّاس عليها و يتخذونها سنّه، فإذا غيّر منها شيء قيل قد غيّرت السنّه و قد أتى النّاس منكرا ثمّ تشدّد البليّه و نسي الدّريّه و تدقّهم الفتنة كما تدقّ النّار الحطب و كما تدقّ الرّحا بثفالها و يتفقّهون لغير الله،

و يتعلمون لغير العمل و يطلبون الدنيا بأعمال الآخرة.

ثم أقبل بوجهه و حوله ناس من أهل بيته و خاصيته و شيعته فقال عليه السلام: قد عملت الولاية قبلى أعمالا خالفوا فيها رسول الله متعمدين لخلافه ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، و لو حملت الناس على تركها و حوّلتها إلى مواضعها و إلى ما كانت فى عهد رسول الله لتفرّق عني جندى حتى أبقي وحدى أو قليل من شيعتى الذين عرفوا فضلى و فرض امامتى من كتاب الله عزّ ذكره و سنّه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم.

أرايتم لو أمرت بمقام ابراهيم فرددته إلى الموضع الذى وضعه فيه رسول الله، ورددت فدك إلى ورثه فاطمه، ورددت صاع رسول الله كما كان، و أمضيت قطاع أقطعها رسول الله صلى الله عليه و آله لأقوام لم تمض لهم و لم تنفض، ورددت دار جعفر عليه السلام إلى ورثته و هدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضى بها، و نزعت نساء تحت رجال بغير حقّ فرددتهنّ إلى أزواجهنّ و استقبلت بهنّ الحكم فى الفروج و الأحكام و سبيت ذرارى بنى تغلب، و رددت ما قسم من أرض خيبر، و محوت دواوين العطايا و أعطيت كما كان رسول الله يعطى بالسوية و لم أجعلها دولة بين الأغنياء، و ألقيت المساحه، و سويت بين المناكح، و أنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عزّ و جلّ و فرضه، ورددت مسجد رسول الله على ما كان عليه، و سدّدت ما فتح فيه من الأبواب، و فتحت ما سدّ منه، و حرّمت المسح على الخفين، و حددت على النّبيذ، و أمرت باحلال المتعتين، و أمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، و ألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم، و أخرجت من ادخل مع رسول الله فى مسجده ممّن كان رسول الله أخرجه، و أدخلت من اخرج بعد رسول الله ممّن كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم أدخله، و حملت الناس على حكم القرآن، و على الطلاق على السّنة، و أخذت الصّيدقات على أصنافها و حدودها، و رددت الوضوء و الغسل و الصّلاه إلى مواقيتها و شرايعها و مواضعها، و رددت أهل نجران إلى مواضعهم، و رددت سبايا فارس و ساير الامم إلى كتاب الله و سنّه نبيه إذا لتفرّقوا عني.

و الله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا فى شهر رمضان إلّا فى فريضة و علمتهم

أَنَّ اجتماعهم في التَّوَّافِلِ بدعه فنادى بعض أهل عسكري مَمَّنْ يقاتل معي: يا أهل الاسلام غَيِّرْتِ سَنَّهُ عمر ينهانا عن الصَّلَاةِ في شهر رمضان تَطَوُّعًا.

و لقد خفت أن يثوروا في ناحيه جانب عسكري ما لقيت هذه الامه من الفرقه و طاعه أئمه الصَّلاله و الدَّعاه إلى النَّارِ، و أعطيت من ذلك سهم ذى القربى الذى قال الله عزَّ و جلَّ: إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ.

فنحن و الله عنى بذى القربى الذى قربنا الله بنفسه و برسوله فقال تعالى: فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ، فينا خاصه كيلا يكون دوله بين الأغنياء منكم و ما آتاكم الرُّسُولُ فخذوه و ما نهىكم عنه فانتها و اتَّقُوا اللَّهَ فِي ظِلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ ظَلَمَهُمْ رَحِمَهُ مِنْهُ لَنَا وَ غَنَا أَغْنَانَا اللَّهُ بِهِ.

و وصَّيْ بِهِ نَبِيَّهِ و لم يجعل لنا فى سهم الصَّيْدِ دقه نصيبا أكرم الله رسوله و أكرمنا أهل البيت أن يطعمنا من أوساخ الناس فكذبوا الله و كذبوا رسول الله و جحدوا كتاب الله النَّاطِقِ بِحَقِّنَا و منعونا فرضا فرضه الله لنا، ما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقيته بعد نبينا و الله المستعان على من ظلمنا و لا حول و لا قوَّه إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

بيان

«يجللاين» بضم الياء بصيغه المضارع المبني للمفعول مأخوذ من التَّجْلِيلِ يقال جللت الشَّيْءَ إذا غطيته «ألْبَسْتَكُمْ» كذا فى اكثر النسخ و فى بعضها البستم على بناء المجهول من باب الافعال و هو الأظهر و فى بعض النسخ لبستم «و الثفال» بالفاء مثل كتاب جلد أو نحوه يوضع تحت رضى اليد يقع عليه الدَّقِيقُ قال الفيروز آبادى بthalها أى على ثفالها أى حال كونها طاحنه لأنهم لا يثقلونها إِلَّا إذا طحت، و فى أكثر النسخ ثفالها بالقاف و لعلَّه تصحيف، و عليه فلعلَّ المراد مع ثفالها أى إذا كانت معها ما يثقلها من الحبوب فيكون أيضا كناية عن كونها طاحنه.

قال المجلسى (ره): «لو أمرت بمقام إبراهيم» اشاره إلى ما فعله عمر من

تغيير المقام عن الموضع الذى وضعه فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى موضع كان فيه فى الجاهليه «وردت صاع رسول الله» كان صاعه على ما قيل أربعة أمداد فجعله عمر خمسه أمداد «و نزع نساء» اه كالمطلقات ثلاثا فى مجلس واحد و غيرها مما خالفوا فيه حكم الله «و سييت ذرارى بنى تغلب» لأن عمر رفع عنهم الجزية.

قال المطرزي: بنو تغلب قوم من مشركى العرب طال بهم عمر بالجزية فأبوا فصولحوا على أن يعطوا الصّيدقه متضاعفه فقبلوا و رضوا اه، و لعدم كونهم من أهل الذمه يحلّ سبى ذراريهم «و محوت دواوين العطايا» أى التى بنيت على التفضيل بين المسلمين فى زمن عمر و عثمان «و ألقيت» إشاره إلى ما عدّه الخاصّه و العامّه من بدع عمر أنّه قال ينبغى أن نجعل مكان هذا العشر و نصف العشر دراهم نأخذها من أرباب الأملاك، فبعث الى البلدان من مسح على أهلها فألزمهم الخراج، فأخذ من العراق و مايلها ما كان أخذه منهم ملوك الفرس على كلّ جريب درهما واحدا و قفيزا من أصناف الحبوب، و أخذ من مصر و نواحيها ديناراً و ازدبّا عن مساحة جريب كما كان يأخذ منهم ملوك الاسكندريه، و الازدب لأهل مصر أربعة و ستون مئاً، و كان أوّل بلد مسحه عمر بلد الكوفه.

«و سويت بين المناكح» بأن يزوّج الشريف و الوضيع كما فعله رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و زوّج بنت عمه مقدادا و عمر نهى عن تزويج الموالى و العجم «وردت مسجد رسول الله» اه إشاره إلى ما وقع فيه من التغيير فى زمن عثمان حيث و سمعوه و أدخلوا فيه بعض الدّور التى كانت جواره غصبا و عدوانا «و أمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات» أى لا أربعا كما ابتدعتة العامّه و نسبوه إلى عمر «و ألزمت الناس الجهر» قال فى البحار: يدلّ ظاهرا على وجوب الجهر بالبسملة مطلقا و إن امكن حمله على تأكّد الاستحباب.

«و أخرجت من ادخل» يحتمل أن يكون المراد إخراج جسد الملعونين الذين دفنوا فى بيته بغير اذنه مع أنّ النّبى صَلَّى الله عليه و آله لم يأذن لهما لخوخه فى مسجده

و ادخال جسد فاطمه و دفنها عند النبى أو رفع الجدار من بين قبريهما، و يحتمل أن يكون المراد إدخال من كان ملازما لمسجد رسول الله صلى الله عليه و آله فى حياته كعمار و أبى ذر و أضرابهما و إخراج من أخرجه الرسول صلى الله عليه و آله من المطرودين كحكم ابن أبى العاص و ابنه مروان، و قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله أخرجهما فأدخلهما عثمان «وردت أهل نجران إلى مواضعهم» قال المجلسى: لم أظفر إلى الآن بكيفية إخراجهم و سببه و بمن أخرجهم «وردت سبايا فارس» لعل المراد الاسترداد ممن اصطفاهم أو أخذ زائدا من حقه «ما لقيت» كلام مستأنف للتعجب «و أعطيت» رجوع إلى الكلام السابق و لعل التأخير من الرواه «إن كنتم آمنتم بالله» من تتمه آيه الخمس حيث قال تعالى: «و اَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِلَّذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ»، الآية.

قال البيضاوى: إن كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه و اعلموا أى إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه إليهم و اقتنعوا بالأخماس الأربعة الباقية، فإن العلم المتعلق بالعمل لم يرد منه العلم المجرد، لأنه مقصود بالعرض و المقصود بالذات هو العمل «و ما أنزلنا على عبدنا» محمد من الآيات و الملائكة و النصر «يوم الفرقان» يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق و الباطل «يوم التقى الجمعان» المسلمون و الكفار.

و قوله «كيلا- يكون دوله» تتمه لآيه اخرى ورد فى فيئهم حيث قال: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كيلا يكون، أى الفىء الذى هو حق الامام «دوله بين الأغنياء منكم» الدوله بالضم ما يتداوله الأغنياء و يدور بينهم كما كان فى الجاهليه «رحمه لنا» أى قرّر الخمس و الفىء لنا رحمه منه لنا و ليغنيانا بهما عن أوساخ أيدي الناس.

الترجمه

از جمله كلام فصاحت نظام آن امام است كه مى فرمايد: جز اين نيست كه ابتداء واقعه شدن فتن ها هواها و خواهشات نفسانيست كه پيروي کرده مى شود و حكم

های شیطان‌نست که اختراع کرده می‌شود، مخالفت کرده می‌شود در آن اهواء و احکام کتاب خدا، و متابعت می‌نماید در آن احکام مردانی مردانی را در حالتی که می‌باشند ایشان بر غیر دین خدا، پس اگر باطل خالص می‌بود از آمیزش حق مخفی نمی‌ماند بر طلب کنندگان، و اگر حق خالص می‌بود از التباس بیاطل بریده می‌شد از او زبانهای ستیزه نمایندگان، و لیکن فرا گرفته می‌شود از حق دستۀ و از باطل دستۀ پس اینجا یعنی نزد امتزاج حق بیاطل مستولی می‌شود شیطان بر اولیاء خود، و نجات می‌یابد از خطر این شبهه آن کسانی که پیشی گرفته است از برای ایشان از جانب خدا حالتی نیکو که عبارتست از عنایت ازلی و توفیق لم یزلی.

و من خطبه له علیه السّلام لما غلب أصحاب معاویه

اشاره

اصحابه علی شریعه الفرات بصفین و منعوهم الماء

و هی الحادیه و الخمسون من المختار فی

باب الخطب

و رواها فی البحار و فی شرح المعتزلی جمیعاً من کتاب صفّین لنصر بن مزاحم، قال نصر: حدّثنا عمرو بن سعید عن جابر قال: خطب علی علیه السّلام: يوم الماء فقال:

أما بعد فإنّ القوم قد بدؤکم بالظّلم، و فاتحوکم بالبعی، و استقبلوکم بالعدوان، و قد استطعموکم القتال حیث منعوکم الماء، فأقروا علی مدّله و تأخیر محلّه، أو روّوا السيّوف من الدّماء ترووا من الماء، فالموت فی حیاتکم مقهورین، و الحیوه فی موتکم قاهرین، ألا

ص: ۳۰۱

و إنّ معاويه قاد لّمه من الغواه، و عمس عليهم الخبر، حتّى جعل نحورهم أغراض المتيّه.

اللغة

(استطعموكم القتال) اى طلبوه منكم يقال فلان استطعمنى الحديث اى يستدعيه مَنى و يطلبه (فأقزوا على مذله) من القرار و هو السكون و الثبات كالاستقرار، أو من الاقرار و الاعتراف و الأول أظهر و (اللّمه) بالضمّ و التخفيف جماعه قليله و (عمس عليهم الخبر) بفتح العين المهمله و تخفيف الميم و تشديدها أبهمه عليهم و جعله مظلما، و التشديد لافاده الكثره و منه ليل عماس أى مظلّم و (الأغراض) جمع غرض و هو الهدف.

الاعراب

ضمير الخطاب فى استطعموكم منصوب المحلّ بنزع الخافض على حدّ قوله تعالى: و اختار موسى قومه، أو مجروره على حدّ قوله: أشارت كليب بالأصابع، و الفاء فى قوله فأقزوا فصيحته، و قوله ترووا من الماء مجزوم لوقوعه فى جواب الأمر على حدّايتنى اكرمك، و مقهورين و قاهرين منصوبان على الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام من أبلغ الكلام و ألطفه فى التحريض على الحرب و الجذب إلى القتال و قد خطب به لما غلب أصحاب معاويه على شريعة الفرات بصفّين و منعوا أصحابه من الماء و حالوا بينهم و بينه فقال لهم(أنهم قد استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء)يعنى أنّهم من جهة ممانعتهم من الماء طلبوا منكم أن تطعموهم القتال فكانهم لما حازوا الماء أشبهوا فى ذلك من طلب الطعام له، و لما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال تعيّن تشبيه ذلك بالطعام و هو من لطايف الاستعاره.

(فأقزوا على مذله و تأخير محلّه اورّوا السيوف من الدماء ترووا من الماء) يعنى انهم لما طلبوا منكم القتال بالمنع من الماء فاللّازم عليكم حينئذ أحد الأمرين،

إِذَا الْكَفَّ عَنْ الْحَرْبِ وَالْإِذْعَانَ بِالْعِجْزِ وَالْإِسْتِقْرَارَ عَلَى الدَّلِّهِ الْمُسْتَلْزِمَ لِتَأْخِيرِ الْمَنْزِلَةِ وَانْحِطَاطِ الدَّرَجَةِ عَنْ رَتْبِهِ أَهْلُ الشَّرَفِ وَالشَّجَاعَةِ، وَإِذَا الْإِسْتِعْدَادَ لِلْقِتَالِ وَتَرْوِيهِ السَّيُوفِ مِنَ الدِّمَاءِ الْمُسْتَلْزِمَ لِلتَّرْوِيهِ مِنَ الْمَاءِ.

وَفِي هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْحَسَنِ وَاللَّطْفِ مَا لَا يَخْفَى إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِقْرَارَ بِالْعِجْزِ وَالثَّبَاتَ عَلَى الدَّلِّهِ مَكْرُوهٌ بِالطَّبْعِ، وَالتَّرْوَى مِنَ الْمَاءِ لِلْعَطَاشِ مَحْبُوبٌ بِالطَّبْعِ وَالْعَاقِلُ لَا يَخْتَارُ لِلْمَكْرُوهِ عَلَى الْمَحْبُوبِ قِطْعًا بَلْ يَرْجِّحُهُ عَلَيْهِ وَيَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ وَلَوْ بِتَرْوِيهِ سَيْفِهِ مِنَ الدِّمَاءِ فَيَكُونُ الْقِتَالُ مَحْبُوبًا عِنْدَهُ أَيْضًا مَعَ كَوْنِهِ مَكْرُوهًا بِالطَّبْعِ مِنْ أَجْلِ إِصَالِهِ إِلَى الْمَطْلُوبِ.

وَلَمَّا أَشَارَ عَلَيْهِ السَّيْلَامُ إِلَى كَوْنِ التَّوَانِي فِي الْجِهَادِ مُوجِبًا لِلدَّلِّ وَانْحِطَاطِ الرُّتْبَةِ فَرَّعَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَهُ (فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ) تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الدَّلِّهِ مَوْتُ فِي الْحَقِيقَةِ وَالْمَوْتُ مَعَ الْعِزِّهِ حَيَاةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَنْ فَاتَهُ نَيْلُ الْعُلَى بِعُلُومِهِ وَأَقْلَامُهُ فَلْيَبْغِهَا بِحَسَامِهِ

فَمَوْتُ الْفَتَى فِي الْعِزِّ مِثْلُ حَيَاتِهِ وَعِشْتُهُ فِي الدَّلِّ مِثْلُ حَمَامِهِ

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَيَاةَ فِي حَالِهِ الْمَقْهُورِيَّةِ وَمَعَ الدَّلِّهِ وَسُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ أَشَدَّ مَقَاسَاهُ مِنْ مَوْتِ الْبَدَنِ عِنْدَ الْعَاقِلِ بِكَثِيرٍ، بَلْ مَوَاتٌ مُتَعَاْقِبُهُ عِنْدَ ذِي اللَّبِّ الْبَصِيرِ، كَمَا أَنَّ الْمَوْتَ فِي حَالِهِ الْقَاهِرِيَّةِ وَمَعَ الْعِزِّهِ مُوجِبٌ لِلذِّكْرِ الْبَاقِي الْجَمِيلِ فِي الدُّنْيَا وَلِلْأَجْرِ الْجَزِيلِ فِي الْعَقْبَى، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ حَيَاةٌ لَا تَنْقُطُ وَلَا تَفْنَى كَمَا قَالَ تَعَالَى:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» هَذَا وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَاتَيْنِ الْفَقْرَتَيْنِ مِنْ حَسَنِ الْمَقَابِلَةِ كَمَا فِي مَا قَبْلَهُمَا مِنَ السَّجْعِ الْمَطْرَفِ، وَفِي مَا قَبْلَهُمَا مِنَ السَّجْعِ الْمَتَوَازِي.

ثُمَّ أَنَّهُ بَعْدَ حَثِّ أَصْحَابِهِ عَلَى الْجِهَادِ أَشَارَ إِلَى مَا عَلَيْهِ مَعَاوِيَةُ وَأَصْحَابُهُ مِنَ الْغَوَى

و الضلالة و العدول عن المنهج القويم و الصراط المستقيم بقوله (ألا إن معاوية قاد لمه من الغواه و) ساق طائفه من البغاه (عمس عليهم الخبر) و أظلم عليهم الأثر (حتى جعل نحورهم أغراض المنيه) بايهام أن عثمان قتل مظلوما و أنه عليه السلام و أصحابه قاتله و أن ذلك الملعون و أصحابه أولياء دمه و المستحقون لأخذ ثاره، مع أنهم «عَنِ الصَّرَاطِ لَنَا كِبُونَ» و «فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ»، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» و اما كيفيه غلبه اصحاب معاويه على الماء فنحن نرويها من البحار و من شرح المعتزلى جميعا من كتاب صفين لنصر بن مزاحم بتلخيص منا.

قال نصر: كان أبو الأعور السلمي على مقدمه معاويه و اسمه سفيان بن عمرو و كان قد ناوش مقدمه على و عليه الأشتر النخعي مناوشه ليست ما بعظيمه، فلما انصرف أبو الأعور عن الحرب راجعا سبق إلى الماء فغلب عليه فى الموضع المعروف بقنصرين إلى جانب صفين قد نزلوا منزلا اختاروه مستويا بساطا واسعا و أخذوا الشريعه، فهى فى أيديهم.

و ساق الأشتر يتبعه فوجده غالبا على الماء و كان فى أربعه آلاف من مستبصرى أهل العراق فصدموا أبا الأعور و أزالوه عن الماء، فأقبل معاويه فى جميع الفيلق (١) بقضه و قضيضه، فلما رآهم الاشر انحاز الى على و غلب معاويه و أهل الشام على الماء و حالوا بين أهل العراق و بينه و أقبل على عليه السلام فى جموعه، فطلب موضعا لعسكره و أمر الناس أن يضعوا أثقالهم و هم أكثر من مائه ألف فارس فلما نزلوا تسرع فوارس من فوارس على عليه السلام على خيولهم إلى معاويه يطعنون و يرمون بالسهم و معاويه بعد لم ينزل، فناوشهم أهل الشام القتال فاقتتلوا هويًا (٢).

قال نصر: فحدثني عمر بن سعد، عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباته قال فكتب

ص: ٣٠٤

-
- ١- (١) الفيلق الجيش و القضا الحصاء الصغار و القضيض الحصاء الكبارى جاء فى جميع جيشه بالصغير و الكبير، قاموس.
 - ٢- (٢) أى قطعه من الزمان، شرح.

معاويه إلى عليّ عليه السلام عافانا الله وإياك.

ما أحسن العدل و الانصاف من عمل و أفبح الطيس ثم النفس(١) في الرجل

و كتب بعده شعرا يحثه فيه بأن يروع بجيشه من التسرع و العجله عند الحرب، فأمر عليّ عليه السلام أن يوزع الناس عن القتال حتى أخذ أهل الشام مصافهم، ثم قال:

أيها الناس إن هذا موقف من نطف(٢) فيه نطف يوم القيامة و من فلح فيه فلح يوم القيامة.

قال فتراجع الناس كل من الفريقين إلى معسكره و ذهب شباب من الناس إلى الماء ليستسقوا فمنعهم أهل الشام و قد أجمعوا أن يمنعوا الماء و روى نصر عن عبد الله بن عوف قال: فتسرعنا إلى أمير المؤمنين فأخبرناه بذلك فدعا صمصعه بن صوحان فقال: انت معاويه فقل إننا صرنا إليك مصيرنا هذا و أنا أكره قتالكم قبل الاعذار إليكم و أنك قدمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك و بدئتنا بالحرب و نحن من رأينا الكف حتى ندعوك و نحتج عليك، و هذه اخرى قد فعلتموها قد حلتكم بين الناس و بين الماء فخل بينهم و بينه حتى ننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدمنا له و قدمتم له، و إن كان أحب إليك أن ندع ما جئنا له و ندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا فلما مضى صمصعه برسالته إلى معاويه قال معاويه لأصحابه: ما ترون؟ فقال الوليد بن عقبة: أمنعهم الماء كما منعه ابن عفان، حصروه اربعين يوما يمنعونه برد الماء و لين الطعام، اقتلهم عطشا قتلهم الله، و قال عمرو بن العاص: خل بين القوم و بين

ص: ٣٠٥

١- (١) النفس كثره الكلام و الدعاوى.

٢- (٢) أى من تلطخ فيه بعيب من فرار او نكول عن العد و يقال نطف فلان بالكسر اذا تدنس بعيب و نطف ايضا افسد يقول من افسدت اذا حاله اليوم فى هذا الحرب فسدت حاله غدا عند الله، شرح معتزلى.

الماء فانهم لن يعطشوا و أنت ريّان، و لكن لغير الماء، فانظر فيما بينك و بينهم فأعاد الوليد مقالته.

و قال عبد الله بن سعيد بن أبي سرح و كان أخا عثمان من الرضاعة امنعهم الماء إلى الليل فأنهم إن لم يقدرُوا عليه رجعُوا و كان رجوعهم هزيمتهم، امنعهم الماء منعهم الله يوم القيامة فقال صعصعه أنما يمنع الماء يوم القيامة الفجره الكفره شربه الخمر ضربك و ضرب هذا الفاسق يعنى الوليد فتواثبوا إليه يشتمونه و يتهدّدونه، فقال معاويه: كفّوا عن الرّجل فأنما هو رسول قال عبد الله بن عوف: إنّ صعصعه لمّا رجع إلينا حدّثنا بما قال معاويه و ما كان منه و ما ردّه عليه، قلنا: و ما الذى ردّه عليك؟ فقال: لمّا أردت الانصراف من عنده قلت ما تردّد علىّ قال سيأتىكم رائي، قال: فو الله ما راعنا إلّا تسويه الرّجال و الصّفوف و الخيل فأرسل إلى أبى الأعورا منعهم الماء فازدلفنا و الله إليهم فارتمينا و اطعنا بالرّماح و اضطربنا بالسّيوف، فقال: ذلك بيننا و بينهم حتّى صار الماء بأيدينا فقلنا: لا و الله لا نسقيهم فأرسل علىّ عليه السّلام أن خذوا من الماء حاجتكم و ارجعوا إلى معسكركم و خلّوا بينهم و بين الماء فإنّ الله قد نصركم عليهم ببغيهم و ظلمهم و قال نصر: قال عمرو بن العاص: خلّ بينهم و بين الماء فإنّ عليّا لم يكن ليظمأ و أنت ريّان و فى يده أعنه الخيل و هو ينظر إلى الفرات حتّى يشرب أو يموت و أنت تعلم أنّه الشّجاع المطرق، و قد سمعته أنا و أنت مرارا و هو يقول لو أنّ معى أربعين رجلا- يوم فتش البيت يعنى بيت فاطمه و يقول لو استمسكت من أربعين رجلا يعنى من أمر الأوّل.

قال: و لمّا غلب أهل الشّام على الفرات فرجعوا بالغلبه و قال معاويه: يا أهل الشّام هذا و الله أوّل الظفر لا سقانى الله و لا أبا سفيان إن شربوا منه أبدا حتّى يقتلوا بأجمعهم و تباشر أهل الشام فقام إلى معاويه رجل من أهل الشّام همدانى ناسك يتألّه و يكثر العباده يقال

له المعرى بن الافيل، و كان صديقا لعمر و بن العاص مواجا له، فقال: يا معاويه سبحان الله سبقتهم القوم إلى الفرات تمنعونهم الماء أما و الله لو سبقوكم إليه لسبقوكم منه أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوههم الفرات فينزلون على فرضه(١) اخرى فيجازونكم بما صنعتهم، أما تعلمون أن فيهم العبد و الامه و الاجير و الضعيف و من لا ذنب له، هذا و الله أول الجهل (الجور) فأغلظ له معاويه و قال لعمر: اكفني صديقك فأتاه عمرو فأغلظ له فقال الهمداني في ذلك شعرا

لعمر و ابى معاويه بن حربو عمرو ما لدائهما دواء

سوى طعن يحار العقل فيهو ضرب حين يختلط الدماء

و لست بتابع دين ابن هندطوال الدهر يا ارسى حراء

لقد وهب العتاب فلا عتابو قد ذهب الولاء فلا ولاء

و قولى فى حوادث كل حربعلى عمرو و صاحبه العفاء

ألا لله درك يا ابن هندلقد برح الخفاء فلا خفاء

أ تحمون الفرات على رجالو فى أيديهم الأسل الظماء

و فى الأعناق أسياف حدادكأن القوم عند هم نساء

أ ترجو أن يحاوركم على بلا ماء و للأحزاب ماء

دعا هم دعوه فأجاب قومكجرب الابل خالطها الهناء

قال ثم سار الهمداني فى سواد الليل حتى لحق بعلى عليه السلام و مكث أصحاب على يوما و ليله بغير ماء و اغتم عليه السلام بما فيه أهل العراق من العطش و فى روايه سهل بن حنيف المرويه فى المجلد التاسع من البحار أنه لما أخذ معاويه مورد الفرات أمر أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر أن يقول لمن على جانب الفرات: يقول لكم على: اعدلوا عن الماء، فلما قال ذلك: عدلوا عنه فورد قوم أمير المؤمنين عليه السلام الماء فأخذوا منه، فبلغ ذلك معاويه فأحضرهم و قال لهم فى ذلك فقالوا: إن عمرو بن العاص جاء و قال: إن معاويه يأمركم أن تفرجوا عن الماء

ص: ٣٠٧

فقال معاويه لعمره: إنك لتأتى أمرا ثم تقول ما فعلته فلما كان من غدو كل معاويه حجل بن عتاب النخعي في خمسه آلاف فأنفذ أمير المؤمنين مالكا فنأدى مثل الأول فمال حجل عن الشريعة فورد أصحاب علي و أخذوا منه، فبلغ ذلك معاويه فأحضر حجلا- و قال له في ذلك، فقال: إن ابنك يزيد أتاني فقال: إنك أمرت بالتنحي عنه، فقال ليزيد في ذلك فأنكر، فقال معاويه: فإذا كان غدا فلا تقبل من أحد و لو أتيتك حتى تأخذ خاتمي فلما كان اليوم الثالث أمر أمير المؤمنين عليه السلام لمالك مثل ذلك فرأى حجل معاويه و أخذ منه خاتمه و انصرف عن الماء و بلغ معاويه فدعا و قال له في ذلك فأراه خاتمه فضرب معاويه يده على يده فقال: نعم و أن هذا من دواهي علي، رجعنا إلى روايه نصر بن مزاحم قال: فأتى الأشعث عليا فقال يا أمير المؤمنين أ يمنعنا القوم ماء الفرات و أنت فينا و السيوف في أيدينا؟ خل عنا و عن القوم فوالله لا نرجع حتى نردّه أو نموت و مرّ الأشعث يعلو بخيله و يقف حيث يأمره علي عليه السلام فقال علي: ذلك إليكم فرجع الأشعث فنأدى في الناس من يريد الماء أو الموت فمبعاده موضع كذا فأتى ناهض فأتاه إثني عشر ألفا من كنده و أفناء قحطان واضعى سيوفهم على عواتقهم فشدّ عليه سلاحه و نهض بهم حتى كاد يخالط أهل الشام و جعل يلقي رمحه و يقول لأصحابه: بأبي أنتم و أمي تقدّموا إليهم قاب رمحي هذا فلم يزل ذلك دأبه حتى خلط القوم و حسر عن رأسه و نادى أنا الأشعث بن قيس خلّوا عن الماء فنأدى أبو الأعور أما حتى لا يأخذنا و إياكم السيوف فلا، فقال الأشعث قد و الله أظنّها دنت منا و منكم، و كان الأشعث قد تعالى بخيله حيث أمره علي فبعث إليه الأشعث أقحم الخيل، فأقحمها حتى وضعت بسنابكها في الفرات و أخذت أهل الشام السيوف فولّوا مدبرين.

قال نصر: و حدّثنا عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر و زيد بن الحسن قالاً:

فنادى الأشعث(١) عمرو بن العاص فقال: ويحك يا بن العاص خلّ بيننا وبين الماء فوالله لئن لم تفعل لتأخذنا وإياكم السيوف: فقال عمرو: والله لا نخلى عنه حتى تأخذنا السيوف وإياكم فيعلم ربنا سبحانه أيننا أصبر اليوم، فترجل الأشعث والأشتر وذووا البصاير من أصحاب عليّ و ترجل معهما اثني عشر ألفا فحملوا على عمرو وأبي الأعور ومن معهما من أهل الشام، فأزالوهم عن الماء حتى غمست خيل عليّ عليه السلام سنابكها في الماء قال نصر: فروى عمر بن سعيد أنّ عليّا قال ذلك اليوم: هذا يوم نصرتم فيه بالحميّة.

قال نصر: فحدّثنا عمر بن «شمر عن ظ» جابر قال: خطب عليّ يوم الماء فقال: أمّا بعد فإنّ القوم قد بدؤكم بالظلم إلى آخر ما رويناه سابقا قال نصر: و حدّثنا عمر بن شمر عن جابر عن الشعبي عن الحرث بن أدهم و عن صعصعه قال أقبل الأشتر يوم الماء فضرب بسيفه جمهور أهل الشام حتى كشفهم عن الماء و كان لواء الأشعث بن قيس مع معاوية بن الحرث، فقال الأشعث: لله أبوك ليست النّخع بخير من كنده قدّم لواءك فإنّ الحظّ لمن سبق، فتقدّم لواء الأشعث و حملت الرّجال بعضها على بعض فما زالوا كذلك حتى انكشف أهل الشام عن الماء، و ملك أهل العراق المشرعه هذا و في روايه أبي مخنف عن عبد الله بن قيس قال قال أمير المؤمنين يوم صفّين و قد أخذ أبو الأعور السّلمي الماء على الناس و لم يقدر عليه أحد فبعث إليه الحسين عليه السّلام في خمسمائه فارس فكشفه عن الماء، فلمّا رأى ذلك أمير المؤمنين قال: ولدى هذا يقتل بكر بلا عطشانا و ينفرّ فرسه و يحمم و يقول في حممته: الظّليمه الظّليمه من امّه قتلت ابن بنت نبيّها و هم يقرءون القرآن الذي جاء به اليهم ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام أنشأ يقول:

ص: ٣٠٩

١- (١) و في روضه الصفا لما اخبر معاوية بضعفت ابى الاعور و انحيازه بعث عمرو بن العاص و ضمّ اليه ثلاثه الاف ليكونوا مدد الابى الاعور و عوناً، منه.

أرى الحسين قتيلا قبل مصرعه علما يقينا بأن يبلى بأشرار

و كل ذى نفس أو غير ذى نفس يجرى إلى أجل يأتي باقدار

قال و قال عمرو بن العاص لمعاويه لئما ملكك أهل العراق الماء: ما ظنك يا معاويه بالقوم إن منعوكم اليوم الماء كما منعهم أمس أترأى تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السورة، فقال له معاويه: دع عنك ما مضى فما ظنك بعلي بن أبي طالب؟ قال ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحلت منه و إنّ الذى جاء له غير الماء قال نصر: فقال أصحاب عليّ له: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوكم، فقال: لا، خلّوا بينهم و بينه لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله و ندعوهم إلى الهدى فان أجابوا و إلّا ففى حدّ السيف ما يغنى إنشاء الله قال: فو الله ما أمسى النّاس حتّى رأوا سقاتهم و سقاه أهل الشّام و رويا أهل الشّام يزدحمون على الماء ما يؤذى إنسان إنسانا

الترجمه

از جمله کلام آن امام اناست که فرموده در حینی که غالب شدند أصحاب معاویه بر شریعه فرات در صفین و منع نمودند اصحاب آن حضرت را از آب: بتحقیق که اصحاب معاویه طلب می کنند از شما آنکه طعام بدهید بر ایشان قتال را پس قرار بدهید یا اقرار نمائید بر خواری و مذلت و بر باز پس انداختن منزلت و مرتبت یا سیراب سازید شمشیرهای خود را از خونهای آن جماعت یاغی تا سیراب شوید از آب صاف جاری پس مرگ در زندگانی شما است در حالتی که مقهور و مغلوب هستید و زندگانی در مرگ شما است، در حالتی که غالب و قاهر باشید، بدانید و آگاه شوید که معاویه بد بنیاد کشیده دست بحرب جماعت اندک را از صاحبان ضلالت و عناد و پوشانیده است بر ایشان خبر را تا آنکه گردانیده است گلوهای ایشان را نشانیهای سهام موت از طعن و ضرب و سایر اسباب فوت.

اشاره

فى باب الخطب

و هي ملتقطه من خطبه طويله خطب بها يوم النحر رواها الصيّدوق مرسله فى كتاب من لا يحضره الفقيه على ما ستطلع عليه و شرح ما أورده السيد فى الكتاب فى ضمن فصلين:

الفصل الاول

اشاره

ألا و إنّ الدّنيا قد تصرّمت و آذنت بانقضاء و تنكّر معروفها و أدبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكّانها، و تحدو بالموت جيرانها، و قد أمرّ منها ما كان حلوا، و كدر منها ما كان صفوا، فلم يبق منها إلّا سمله كسمله الإداوه، أو جرعه كجرعه المقله لو تمزّزها الصيّديان لم ينقع، فأزمعوا عباد الله الرّحيل عن هذه الدّار المقدور على أهلها الرّوال، و لا يغلبنكم فيها الأمل، و لا يطولنّ عليكم الأمد، فوالله لو حننتم حنين الولّه العجال، و دعوتهم بهديل الحمام، و جأرتهم جوار متبتلى الرّهبان، و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد، التماس القربه إليه فى ارتفاع درجه عنده، أو غفران سيئه أحصتها كتبه، و حفظها رسله، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه، و أخاف عليكم من عقابه، و تالّله لو انماثت قلوبكم انميّاثا، و سالت عيونكم من رغبه إليه أو رهبه منه دما، ثم عمّرتكم فى الدّنيا ما الدّنيا باقيه، ما جزت

أعمالكم، و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم أنعمه عليكم العظام، و هداه إياكم للإيمان.

اللغة

(تَصَرَّمت) انقطعت و فנית و (آذنت) بالمدّ أعلمت و (تنكّر) جهل و (الحذاء) السريعة الذهاب و روى جذّاء بالجيم و هى منقطعة النفع و الخير و (حفزه) يحفزه من باب ضرب دفعه من خلفه، و بالزّمح طعنه، و عن الأمر أعجله و أزعجه، و حفز الليل النّهار ساقه و (أمّر) الشّيء صار مرّا و (كدر) الماء كدرا من باب تعب زال صفائه و كدر كدوره من باب صعب.

و (السمله) بالفتحات البقيّة من الماء يبقى فى الاناء و (الاداوّه) بالكسر المطهره و (المقله) بفتح الميم و سكون القاف حصاه للقسم يقسم بها الماء عند قلته فى المفاوز و فى السّيفر تلقى فى الماء ليعرف قدر ما يسقى كلّ واحد منهم و (التمزّز) تمزيّص الشّراب قليلا قليلا و (الصّديان) كعطشان لفظا و معنى و (نقع) ينقع أى سكن عطشه و (ازمعت) الأمر أى أجمعت و عزمت على فعله و (المقدور) المقدّر الذى لا بدّ منه و (الأمد) بالتحريك الغايه و (الحنين) مصدر بمعنى الشوق واصله ترجيع النّاقه صوتها أثر ولدها.

و (الوله) جمع واله من الوله و هو ذهاب العقل و فقد التّميز و (العجال) جمع عجول و هى النّاقه التى تفقد أولادها و (هديل الحمام) نوحها و (جار) يجار من باب منع جارا و جّارا بالضّم رفع صوته و تضرّع و استغاث و (التّبتل) الانقطاع إلى الله باخلاص النّيه و (انماث) القلب ذاب و (الجهد) بالضّم و الفتح الطاقه و (الأنعم) كأفلس جمع النّعمه.

الاعراب

حدّاء منصوب على الحال، و الرّحيل منصوب على المفعوليّه، و قوله التماس منصوب على المفعول له، و لكان قليلا- جواب لوحننتم، و ما فى قولها ما الدّنيا باقيه ظرفيه أى مدّه بقاءه، و جمله و لو لم تبقوا اه معترضه بين الفعل و هو جزت و مفعوله الذى هو أنعمه و العظام صفه الانعم، و هداه بالنّصب المحلّى عطف على أنعمه.

اعلم أنّ مدار هذا الفصل من الخطبه على فصول ثلاثه.

الفصل الاول

متضمّن للتنفير عن الدّنيا و التّحذير منها و النّهي عن عقد القلب عليها و الأمر بالرحيل عنها، و إليه أشار بقوله (ألا و إنّ الدّنيا قد تصرّمت) اى انقطعت (و آذنت بانقضاء) قد مضى فى شرح الخطبه الثّامنه و العشرين و الخطبه الثّانيه و الأربعين ما يوضح معنى هذه الفقره من كلامه عليه السّلام، فان رجعت إلى ما ذكرناه هناك تعرف أنّ مراده عليه السّلام من تصرّم الدّنيا و انقطاعها هو تقضى أحوالها الحاضره شيئا فشيئا و أنّ المراد من إعلامها بالانقضاء هو الاعلام بلسان الحال على ما مرّ تفصيلا.

(و تنكّر معروفها و أدبرت حذاء) و هى اشاره إلى تغيّرها و تبدّلها و سرعه انقضائها و ادبارها حتّى أنّ ما كان منها معروفا لك يصير فى زمان يسير مجهولا عندك و ادنى ما هو شاهد على ذلك هو حاله شبابك الذى كنت انس إليه متبهجا به كيف طرء عليها المشيب فى زمان قليل:

فولّى الشّباب كأن لم يكن و حلّ المشيب كأن لم يزل

كأنّ المشيب كصبح بدا و أمّا الشّباب كبدر أفل

(فهى تحفز بالفناء سكّانها) اى تعجلهم و تسوقهم أو تطعنهم برماح الفناء و تدفعهم من خلفهم حتّى توقعهم فى حفرتهم (و تحذو بالموت جيرانها) حتّى توصلهم إلى دار غربتهم، أفلا ترى إلى السّيلف الماضين و الأهلين و الأقربين كيف توالى عليهم السّينون و طحتهم المنون و فقدتهم العيون، أو لا ترى إلى الملوك و الفراعنه و الأكاسره و السّياسنه كيف انتقلوا عن القصور و ربّات الخدور إلى ضيق القبور.

باتوا على قلل الجبال تحرسهم غلب الرّجال فلم ينفعهم القلل

و استنزّلوا بعد عزّ عن معاقلهم إلى مقابرهم يابّس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا أين الأسره و التّيجان و الحلل

أين الوجوه الّتى كانت محبّبه من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود تنتقل
قد طال ما أكلوا فيها و هم شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
و طال ما كثروا الأموال و ادّخروا فخلّفوها على الأعداء و ارتحلوا
و طال ما شيدوا دورا لتحصنهم ففارقوا الدّور و الأهلين و انتقلوا
أضحت مساكنهم و حشا معطله و ساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
سل الخليفة إذ وافت منيته أين الجنود و أين الخيل و الخول
أين الكنوز التى كانت مفاتحها تنوء بالعصبه المقوين لو حملوا
أين العبيد التى أرصدتهم عددا أين الحديد و أين البيض و الأسل
أين الفوارس و الغلمان ما صنعوا أين الصّوارم و الخطّيه الذبل
أين الكفاه أ لم يكفوا خليفتهم لمّا رأوه صريعا و هو يبتهل
أين الكمّاه التى ماجوا لما غضبوا أين الحمّاه التى تحمى به الدّول
أين الرّمّاه أ لم تمنع بأسهمهم لمّا أتتك سهام الموت تنتصل
هيهات ما منعوا ضيما و لا دفعوا عنك الميته إذ وافى بك الأجل
و لا الرّشا دفعتها عنك لو بذلوا و لا الرّقى نفعت فيها و لا الخيل
ما ساعدوك و لا واساك أقربهم بل سلّموك لها يا قبح ما فعلوا(1)

(و قد أمرّ منها ما كان حلوا و كدر منها ما كان صفوا) و ذلك مشاهد بالوجدان و مرئى بالعيان، إذ الامور التى تقع لذيله فيها و يجدها الانسان فى بعض الأحيان حلوه صافيه عن الكدورات خاليه عن مراره التّغيص هى فى معرض التّغير و التّبدّل بالمراره و الكدر، فما من أحد تخاطبه بما ذكر إلّا و يصدق عليه أنّه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوتها كدرا و حلاوتها مراره إمّا من شباب تبدّل بمشيب أو غنى بفقر أو عزّ بذلّ أو صحّحه بمرض.

(فلم يبق منها إلّا- سمله كسمله الاداوه أو جرعه كجرعه المقله لو تمرّزها الصّيديان) و تمصّصها العطشان لم يرو (لم ينفع) قال الشّارح البحرانى: هذا

١- (١) الابات مقتبسه من الديوان المنسوب الى امير المؤمنين (عليه السلام) منه.

تقليل و تحقير لما بقى منها لكلّ شخص شخص من النَّاس، فإنّ بقاء ماله على حسب بقاءه فيها و بقاء كلّ شخص فيها يسير و وقته قصير، و استعار لفظ السّمله لبقيتها و شبهها بقيّه الماء فى الاداوه و بجرعه المقله، و وجه الشّبه ما أشار إليه بقوله:

لو تمزّزها الصّديدان لم ينقع، أى كما أنّ العطشان الواحد لبقّيه الماء فى الاداوه أو الجرعه لو تمصّصها لم ينقع عطشه، كذلك طالب الدّنيا المتعطش إليها الواحد لبقّيه عمره و للسير من الاستمتاع فيه بلذّات الدّنيا لا يشفى ذلك غليله و لا يسكن عطشه.

ثمّ أنّه بعد التّنبيه على تحقير الدّنيا و التّنفير عنها أمر بالرحيل عنها بقوله (فازمعو عباد الله الرّحيل عن هذه الدّار المقدور على أهلها الزوال) يعنى إذا كانت الدّنيا بهذه المثابه من الدّنائيه و الحقاره معقبه صفوها للكدوره متغيّره حلاوتها إلى الممراره فلا بدّ لكم من العزم على الرّحيل عنها بقطع العلايق الدّنيويه عن القلب و الاقبال إلى الله و الرغبه إلى رضوان الله مع ما قدّر فى حقّ أهلها من الزّوال و كتب لسكانها من الرّحيل و الانتقال، أفلا تنظر إلى الامم الماضيه و القرون الفانيه و إلى من عاشرتهم من صنوف النَّاس و شيّعتهم إلى الارماس كيف اخترمتهم أيدي المنون من قرون بعد قرون، أو لا تعتبر ممّن مضى من أسلافك و من وارته الأرض من الأفك، و من فجعت به من اخوانك و نقلت إلى دار البلاء من أقرانك.

فهم فى بطون الارض بعد ظهورها محاسنهم فيها بوال دواثر

خلت دورهم منهم و اقوت عراضهم و ساقتهم نحو المنايا المقادر

و خلوا عن الدّنيا و ما جمعوا لها و ضمّتهم تحت التّراب الحفاير

(و) بعد ما اعتبرت بما رأيته من الأهلين و الاخوان، و اذكرت بما شاهدته من الامثال و الأقران فالبته (لا يغلبنكم فيها الأمل و لا يطولنّ عليكم) فيها (الأمد) أى لا تتوّهم طول مده البقاء فيها مع ما شاهدت من قصر مدّتها و قرب زوالها.

و الفصل الثّانى

متضمّن للتّنبيه على عظيم ثواب الله و عقابه، فإنّه بعد ما تبّه على تحقير الدّنيا و التّحذير عنها و أمر بالعزم على الجّد و الارتحال أشار إلى ما ينبغى أن يهتمّ به

و يلتفت إليه و يرجى و يخشى من ثواب الله و عقابه فأشار إلى تعظيمها بتحقيق الأسباب و الوسائل التي يتوصل بها العباد، و يعتمدون عليها في الفوز إلى الثواب و الهرب من العقاب.

و قال (فو الله لو حننتم) إلى الله مثل (حنين الوله العجال) شوقا و رغبة (و دعوتهم) له تعالى (بهديل) مثل هديل (الحمام) استيحاشا و وحشه (و جأرتهم) إليه سبحانه بمثل (جؤار متبتلى الزهبان^(١)) خوفا و خشيه (و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد) و تركتم الأوطان و البلاد و فعلتم كل ذلك (لا لتماس القربه إلى الله) و ثمينا للوصول إلى رضوان الله (في ارتفاع درجه عنده أو غفران سيئه أحصتها كتبه و حفظها رسله) الكرام البرره (لكان) ذلك كله (قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه.) و محصله على ما ذكره البحراني هو أنكم لو أتيتم بجميع أسباب التقرب إلى الله الممكنه لكم من عبادته و زهد ملتزمين بذلك التقرب إليه في أن يرفع لكم عنده درجه أو يغفر لكم سيئه أحصتها كتبه و الوجه المحفوظه لكان الذي أرجوه من نوابه للمتقرب إليه في أن يرفع منزلته من حضره قدسه أكثر مما يتصوره المتقرب أنه يصل إليه بتقربه، و لكان الذي أخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئه عنده أكثر من العقاب الذي يتوهم أنه يدفعه عن نفسه بتقريه.

فينبغي لطالب الزيادة في المنزله عند الله أن يخلص بكيئته في التقرب إليه ليصل إلى ما هو أعظم مما يتوهم أنه يصل إليه من المنزله عنده، و ينبغي للهارب من ذنبه إلى الله أن يخلص من هول ما هو أعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته، فإن الأمر في معرفه ما أعد الله لعباده الصالحين من الثواب العظيم و ما أعدّه لأعدائه الظالمين من العقاب الأليم أجل مما يتصوره عقول البشر ما دامت في عالم الغربه، و إن كان عقولهم في ذلك الادراك متفاوتة، و لما كانت نفسه القدسيه أشرف نفوس الخلق لا-جزم نسب الثواب المرجو لهم و العقاب المخوف عليهم إلى رجائه و خوفه و ذلك لقوّه اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه^(٢).

ص: ٣١٦

١- (١) و التشبيه بهم لشهرتهم بشده التضرع منه.

٢- (٢) حيث قال أرجو و أخاف، منه.

متضمّن للتّنبیه علی عظیم نعمه اللّٰه علی العباد و إلیه أشار بقوله (و تالّٰه لو انماثت قلوبکم انمیثا و سالت عیونکم فی رغبه إلیه) سبحانه (أو رهبه منه دما ثم عمّرتم فی الدّٰنیا ما الدّٰنیا باقیه ما جزت أعمالکم) الّٰتی أتیتموها و بذلتم فیها جهدکم و سعیکم (و لو لم تبّقوا شیئا من جهدکم أنعمه) الّٰتی أنعم بها (علیکم) من نعمه (العظام و هداه ایاکم للایمان).

یعنی أنّ کلّ ما أتیتم به من الأعمال الّٰتی بذلتم جهدکم فیها فی طاعه اللّٰه و ما عساه یمکنکم أن تأتوا به منها فهو قاصر عن مجازاه نعمه العظام و لا سیّما نعمه الهدایه الّٰتی هی أشرف الآلاء و أفضل النّعماء، مع أنّ القیام بوظایف العبودیّه لیس إلّا بتوفیق منه سبحانه و تأیید منه، و ذلک من جمله نعمه أيضا فکیف یجازی نعمته و نعم ما قیل:

شکر الاله نعمه موجبہ لشکره و کیف شکری برّه و شکره من برّه

الترجمه

از جمله خطب لطیفه و شریفه آن حضرتست در بیان تحقیر دنیای فانی و ترغیب به عقبای جاودانی می فرماید:

آگاه باشید که بدرستی دنیا روی آورده بانقطاع و فنا و اعلام کرده است به زوال و انقضاء و مجهول شده است معروف آن بجهت این که باندک فرصتی و کمتر مدتی تغییر و تبدیل می یابد لذا یند آن بر ضدّ آن، و پشت کرده و ادباده نموده در حالتی که سرعت کننده و شتابنده است، پس آن میراند بنیزه فنا ساکنان خود را و میراند بسوی مرگ همسایگان خود را، و به تحقیق که تلخ گشت از دنیا آنچه بود شیرین و با کدورت و ناصاف شد از آن آنچه بود صاف و گزین، پس باقی نمانده است از دنیا مگر بقیه مانده بقیه آب در مطهره یا مقدار یک آشامیدن مثل مقدار یک آشامیدن که بمقله اخذ نمایند در وقت قحط آبی که اگر بمکد آن بقیه و جرعه را صاحب عطش فرونه نشاند تشنگی او را پس عزم نمائید ای بندگان خدا بر کوچ

نمودن از این سرای پر جفا که مقدر شده است در حق اهل او زوال و فنا، و باید که غالب نشود شما را در این دنیا آرزوی نفس و هوا و باید که توهّم ننمائید در این سرا در ازی مدت و طول بقا را.

پس قسم به خداوند که اگر ناله کنید شما مثل ناله کردن شتران حیران و سرگردان که گم نماینده باشند بچه کان خود شان را، و بخوانید خدا را بنوحه حزین مثل نوحه نمودن کبوتران، و تضرع نمائید بخداوند مانند تضرع نمودن زاهدان نصاری و بیرون آید از اموال و اولاد بجهه خدا در بلند شدن درجه نزد او سبحانه و تعالی، یا آمرزیدن گناهی که شمرده باشد آن گناه را نامه اعمال و ضبط نموده باشد او را فرشتگان حضرت ذو الجلال هر آینه باشد این جمله اندک در آنچه امید می دارم برای شما از ثواب دادن او و در آنچه می ترسم از برای شما از عقاب کردن او.

و سوگند به خدا که اگر گداخته شود قلبهای شما گداختنی از ترس الهی، و روان شود چشمهای شما بجهت رغبت ثواب او و از جهت ترس از عذاب او بخون های دمام پس از آن عمر نمائید در دنیا مادامی که دنیا باقیست جزا و مکافات نباشد عملهای شما که در این مدت به عمل آورده اید و اگر چه باقی نگذارید چیزی از سعی و طاقت خود بنعمت های عظیمه او سبحانه، که بشما انعام فرموده، و به هدایت و راهنمایی او بسوی ایمان که در حق شما مرعی داشته:

یعنی اگر تا انقراض دنیا مشغول عمل صالح شوید و دقیقه فتور ننمائید برابری این نعم عظیمه که در حق شما التفات فرموده است نخواهد بود.

الفصل الثانی

اشاره

منها فی ذکر یوم النحر فی صفه الاضحیه و من تمام الاضحیه استشراف اذنہا، و سلامه عینہا، فإذا سلمت الاذن و العین سلمت الاضحیه و تمّت، و لو کانت عضباء القرن تجرّ رجلها إلى المنسک.

ص: ۳۱۸

(الاضحية) بضم الهمزة و كسرهما اتباعا للحاء و الياء المخففة و الجمع أضاحى و يقال ضحيه أيضا و الجمع ضحايا كعطيه و عطايا و هى الشاة التى تضحى بها أى تذبح بها ضحاه، و منها سَمِيَ يوم الاضحى للعاشر من ذى الحجة و (الاستشراف) الارتفاع و الانتصاب يقال اذن شرفاء أى منتصبه و (العضباء) المكسور القرن و قيل القرن الدّاخل و (المنسك) محلّ النسك و هو العباده و المراد به هنا المذبح و يجوز فيه فتح السّين و كسرهما.

الاعراب

قوله و لو كانت، شرطية و صليته، و جملة تجزّ فى محلّ الرّفع على النّصب من اسم كان أو فى محلّ النّصب على الحالّيه، و فى نسخه الفقيه على ما ستطلع عليه و لو كانت عضباء القرن أو تجزّ رجلها إلى المنسك فلا تجزى.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الاضحيه مستحبه مؤكده إجماعا بل يمكن دعوى ضروره مشروعيتها و قول الاسكافى بوجوبها شاذّ و يدلّ على شدّه الاستحباب مضافا إلى الاجماع أخبار كثيره.

ففى الفقيه قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم استفر هو اضحياكم فانّها مطاياكم على الصّراط.

و جاءت أم سلمه إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فقالت يا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يحضر الأضحى و ليس عندى ثمن الاضحيه فأستقرض فأضحى؟ فقال: استقرضى و ضحى فأنّه دين مقضىّ و يغفر لصاحب الاضحيه عند أوّل قطره يقطر من دمها.

و من العلل عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قلت له: ما علّه الاضحيه؟ فقال:

إنّه يغفر لصاحبها عند أوّل قطره تقطر من دمها فى الأرض و ليعلم الله عزّ و جلّ من يتّقيه بالغيب قال الله عزّ و جلّ: «لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ» ثم قال: انظر كيف قبل الله قربان هابيل وردّ قربان قابيل.

و روى عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: ما من عمل يوم النّحر أحبّ إلى الله عزّ و جلّ من

إراقه دم و أنّها لتأتى يوم القيامة بقرونها و أظلافها، و أنّ الدّم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع الارض فطيبوا بها نفسا.

و عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضا أنّ لكم بكلّ صرفه من جلدها حسنه، و بكلّ قطره من دمها حسنه، و أنّها لتوضع فى الميزان فابشروا.

إذا عرفت ذلك فأقول إنّ قوله (و من تمام الاضحيه استشراف اذنها و سلامه عينها) أراد بذلك أن لا يكون بعض أذنها أو جميعها مقطوعه و أن لا يكون عوراء (فاذا سلمت الاذن) من النقص (و العين) من العور (سلمت الاضحيه و تمت) أى أجزئت (و لو كانت عضباء القرن) و عرجاء (تجرّ رجلها إلى المنسك).

فروع

الاول

قد عرفت أنّ الاضحيه مستحبه عندنا و هل سلامه العين و الاذن شرط الاجزاء أو شرط الكمال ظاهر كلامه يعطى الأوّل، لأنّ قوله: إذا سلمت الاذن و العين سلمت الاضحيه يدل بمفهومه على أنّه إذا لم تسلم الاذن و العين لم تسلم الاضحيه، و معنى عدم سلامتها عدم كفايتها فى الاتيان بالمستحب.

و هو المستفاد أيضا ممّا رواه فى الوسائل عن محمّد بن الحسن الصّيفار باسناده عن شريح بن هانئ عن عليّ صلوات الله عليه قال: أمرنا رسول الله صلّى الله عليه و آله فى الأضاحى أن تستشرف العين و الاذن و نهانا عن الخرقاء و الشّرقاء و المقابله و المدابره.

و عن الصّدوق فى معانى الاخبار الخرقاء أن يكون فى الاذن نقب مستدير و الشّرقاء المشقوقه الاذن باثنين حتّى ينفذ إلى الطرف و المقابله أن يقطع فى مقدم اذنها شيء ثم يترك ذلك معلقا لاثنين كأنه زنمه و يقال لمثل ذلك من الابل المزمن و المدابره ان يفعل ذلك بمؤخر اذن الشّاه.

و فى الوسائل أيضا عن السكونى عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لا يضحّى بالعرجاء البين عرجها، و لا بالعوراء البين عورها و لا بالعجفاء، و لا بالخرقاء، و لا بالجداء، و لا بالعضباء هذا.

و لكن الأظهر هو أنَّهما شرطا الكمال فيكون المراد بالأمر و التَّهْي في روايه شريح هو الاستحباب و الكراهه دون الوجوب و الحرمة، و على الكراهه أيضا يحمل قوله: لا يضحى بالعرجاء اه فى الروايه الثانيه.

و يدلّ على ما ذكرناه ما رواه الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السَّلام عن الضَّحيه تكون الاذن مشقوقه، فقال: إن كان شَقَّها و سما فلا بأس و إن كان شَقًّا فلا يصلح، فان لفظه لا يصلح ظاهره فى نفى الكمال أو المراد بالاضحيه فى الروايتين هى الاضحيه الواجبه المسماه بالهدى دون المستحبه، و على ذلك فيبقى الامر و النهى و التَّفى على ظاهرها فيكون الشُّروط المذكوره شرطا للصَّحه.

و يدلّ عليه ما رواه الصَّدوق باسناده عن عليّ بن جعفر أنّه سأل أخاه موسى ابن جعفر عليه السَّلام عن الرّجل يشتري الاضحيه عوراء فلا يعلم إلّا بعد شرائها هل تجزى عنه؟ قال: نعم إلّا أن يكون هديا واجبا فإنّه لا يجوز أن يكون ناقصا، هذا.

و لعلّ حمل الروايتين على الوجه الأخير أولى نظرا إلى فهم الأصحاب حيث إنّ بناء استدلالهم فى الشروط الواجبه للهدى عليهما و لا يتم إلّا بعد صرف الاضحيه فيهما إلى الهدى، و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ سلامه العين و الاذن فى الاضحيه شرط الكمال كما هو صريح روايه عليّ بن جعفر التى قد مرّت، و قد نصّ به غير واحد من الأصحاب أيضا، و عليه فلا بدّ أن يراد بقوله عليه السَّلام فى الخطبه: و من تمام الاضحيه انه كمالها فافهم جيّدا

الثانى

أنّ كسر القرن الخارج مع سلامه الداخل و هو الابيض الذى فى وسط الخارج لا بأس به فى الهدى و الاضحيه جميعا، و أمّا كسر الدّاخل فان كان فى الهدى فلا يجزى قطعاً، و أمّا فى الاضحيه فظاهر كلامه عليه السَّلام على ما رواه السيّد (ره) يعطى الاجزاء، و أمّا على روايه الصَّدوق الآتيه فالعدم، قال المحدث الحرّ فى الوسائل بعد نقله روايه الصَّدوق: و هو محمول على الاستحباب.

الثالث

أنّ الاستفادة من كلامه هنا أيضا إجزاء العرجاء و على ما رواه الصَّدوق فهى

أيضا غير مجزيه و يطابقه قوله: و لا يضْحَى بالعرجاء البَيْن عرجها فى روايه السكونى السالفه، إلا أن يراد بها التّضحيه بالواجب على ما ذكرناه سابقا، قال العلامة (ره) فى محكّى المنتهى العرجاء البَيْن عرجها التى عرجها متفاحش يمنعها السّير مع الغنم و مشاركتهم فى العلف و الرّعى فتَهزل.

تكملة استبصاره

روى الصّدوق هذه الخطبه فى الفقيه مرسله قال: و خطب عليه السّلام أى أمير المؤمنين عليه السّلام فى عيد الأضحى فقال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله و الله أكبر الله أكبر و لله الحمد الله أكبر على ما هدانا و له الشّكر على ما «فيما» أولانا و الحمد لله على ما رزقنا من بهيمه الأنعام، و كان عليه السّلام يبدء بالتّكبير إذا صلّى الظهر من يوم النّحر و كان يقطع التّكبير آخر أيام التشريق عند الغداه، و كان يكبر فى دبر كلّ صلاه فيقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله و الله أكبر الله أكبر و لله الحمد، فاذا انتهى إلى المصلّى تقدّم فصلّى بالنّاس بغير أذان و لا إقامه، فاذا فرغ من الصّلاه صعد المنبر ثمّ بدء فقال:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر زنه عرشه رضا نفسه و عدد قطر سمائه و بحاره له الأسماء الحسنى و الحمد لله حتّى يرضى و هو العزيز الغفور، الله أكبر كبيرا متكبّرا و إلها متّعززا و رحيمًا متحنّنا يعفو بعد القدره و لا يقنط من رحمته إلا الضّالّون.

الله أكبر كبيرا و لا إله إلا الله كثيرا و سبحانه الله حنانا قديرا و الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نستهديه و نشهد أن لا إله إلا هو و أنّ محمّدا عبده و رسوله، من يطع الله و رسوله فقد اهتدى و فاز فوزا عظيما، و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالا بعيدا و خسر خسرانا مبينا.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله و كثره ذكر الموت و الزّهد فى الدّنيا التى لم يتمتّع بها من كان فيها قبلكم، و لن تبقى لأحد من بعدكم، و سبيلكم فيها سبيل الماضين ألا- ترون أنّها قد تصرّمت و آذنت بانقضاء و تنكّر معروفها و أدبرت حذاء فهى تخبر «تحفز خ» بالفناء و ساكنها يحدى بالموت، فقد أمرّ منها ما كان حلوا و كدر منها ما كان

صفوا فلم يبق منها إلا سمله كسمله الادواه و جرعه كجرعه الاناء و لو يتمزّزها الصّديان لم تنقع غلبه بها.

فازمعا عباد الله بالرحيل من هذه الدار المقدور على أهلها الزوال، الممنوع أهلها من الحياه المذلل أنفسهم بالموت، فلا حيّ يطمع بالبقاء و لا نفس إلا مدعنه بالمنون، فلا يغلبنكم الأمل، و لا يطل عليكم الأمد، و لا تغتروا فيها بالآمال، و تعبّدوا لله أيام الحياه.

فو الله لو حننتم حنين الواله العجلان، و دعوتكم بمثل دعاء الأنام، و جأرتكم جوار متبتلى الزهبان، و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد التماس القربه إليه في ارتفاع درجه عنده، أو غفران سيئه أخصتها كتبه و حفظتها رسله، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أتخوّف عليكم من أليم عقابه.

و بالله لو انماثت قلوبكم انميثا، و سالت عيونكم من رغبه إليه أو رهبه منه دما، ثم عمّرتكم في الدنيا ما كانت الدنيا باقيه ما جرت أعمالكم و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم لنعمه العظام عليكم، و هداه إياكم إلى الايمان ما كنتم لتستحقّوا أبد الدهر ما الدهر قائم بأعمالكم جنته و لا رحمته و لكن برحمته ترحمون، و بهداه تهتدون، و بهما إلى جنته تصيرون، جعلنا الله و إياكم برحمته من التائبين العابدين.

و إنّ هذا يوم حرّمته عظيمه و بركته مأموله، و المغفره فيه مرجوه، فأكثرُوا ذكر الله و استغفروه و توبوا إليه إنّّه هو التّواب الرّحيم، و من ضحّى منكم بجذع من المعز فأنّه لا يجزى عنه، و الجذع من الضّأن يجزى، و من تمام الاضحيه استشرف عينها و اذنها، و إذا سلمت العين و الاذن تمّت الاضحيه، و إنّ كانت عضباء القرن أو تجرّ برجلها إلى المنسك فلا تجزى.

و إذا ضحيتكم فكلوا و أطعموا و اهدوا و احمداوا الله على ما رزقكم من بهيمه الانعام و أقيموا الصّلاه، و آتوا الزكاه، و أحسنوا العباده، و أقيموا الشّهاده، و ارغبوا فيما كتب عليكم و فرض الجهاد و الحجّ و الصّيام، فإنّ ثواب ذلك عظيم لا ينفذ، و تركه و بال لا يبيد، و أمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر، و اخيفوا

الظالم، و انصروا المظلوم، و خذوا على يد المريب و احسنوا إلى النساء و ما ملكت أيمانكم، و اصدقوا الحديث، و أدّوا الأمانة و كونوا قوّامين بالحقّ، و لا تغرّنكم الحياه الدّنيا و لا يغرّنكم بالله الغرور

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه در یاد کردن عید قربان در صفت گوسفند قربانی بیان می فرماید: که از تمامی گوسفند قربانیست درازی گوش او و سلامتی چشم او پس هر گاه سلامت باشد گوش و چشم بسلامت باشد آن قربانی و بمرتبه تمامیت می رسد، و اگر چه باشد گوسفند شاخ شکسته و بکشد پای خود را بسبب لنگی بسوی رفتن بموضع عبادت که عبارتست از قربانگاه، و الله أعلم بالصواب، و إليه المآب.

و من خطبه له علیه السلام و هی الثالثه و الخمسون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

فتدّاكوا علیّ تدّاكّ الإبل الهیم یوم وردها قد أرسلها راعیها و خلعت مثنایها، حتّی ظننت أنّهم قاتلّی، أو بعضهم قاتل بعض لدیّ، و قد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره، حتّی منعنی النّوم فما وجدتنی یسعنی إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلی الله علیه و آله و سلّم، فكانت معالجه القتال أهون علیّ من معالجه العقاب، و موتات الدّنيا أهون علیّ من موتات الآخرة.

اللغه

(الدّك) هو الدّق و التّداك مأخوذ منه و (الهیم) بالكسر العطاش و (الورد)

الشَّرب و فى بعض النسخ يوم ورودها و هو حضورها لشرب الماء و (المشاني) جمع مثناه بالفتح و الكسر و هى الحمال من صوف أو شعر يثنى و يعقل بها البعير و (قاتلى) على صيغه الجمع مضافه إلى ياء المتكلم، و (وجدتنى) على صيغه المتكلم.

الاعراب

بعضهم بالتَّصْب عطف على محلّ اسم أنّ و التَّوْم منصوب بنزع الخافض، و جملة يسعنى مفعول ثان، و على فى قوله اهون على، للاستعلاء المعنوى على حدّ قوله تعالى «وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ».

المعنى

قال الشَّارح البحرانى: هذا الكلام إشارة إلى صفه أصحابه بصفّين لما طال منهم من قتال أهل الشَّام و فى البحار أنّ كثيرا من الشَّواهد تدلّ على أنّه لبيان حاله البيعه لا سيّما ما كان فى نسخه ابن أبى الحديد فانه ذكر العنوان: و من كلام له عليه السَّلام فى ذكر البيعه و كيف كان فقوله (فتداكّوا علىّ تداكّ الابل الهيم يوم وردها) كناية عن شدّه ازدحامهم يعنى أنّهم اجتمعوا علىّ و تراحموا مثل تراحم الابل العطاش حين شرب الماء تدكّ بعضها بعضا (قد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها) اى اطلقها راعيها و خلع عقالها (حتّى ظننت أنّهم قاتلى أو بعضهم قاتل بعض لىّ) لفرط ما شاهدت منهم من الزَّحام و شدّه ما رأيت منهم من الاجتماع و التداكّ (و قد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره) و صرت أتفكّر فى أمر القتال مع أهل الشَّام و أتردّد بين الاقدام عليه و تركه، او المراد أمر الخلافه حسبما استظهره المحدث المجلسى (حتّى منعنى) ذلك من (التَّوْم) و الكرى (فما وجدتني يسعنى إلّا قتالهم) اى قتال معاويه و أصحابه على ما ذكره البحرانى أو قتال النّاكثين على ما ذكره المجلسى «قد» (او الجحود بما جاء به محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم) و قد مرّ وجه انحصار أمره فى القتال و الجحود فى شرح كلامه الثَّالث و الأربعين مفصّلا و قد ذكرنا هناك أنّه كان مأمورا من الله و من رسوله بقتال النّاكثين و القاسطين

و المارقین، فكان أمره دائرا بين الجهاد و القتال امثالاً لحكم الله و حكم رسوله و بين الترك و المنابذه المستلزمين للوجود و المخالفه و العقاب فى الآخرة (فكانت معالجه القتال أهون على من معالجه العقاب) إذ سعادته الدّنيا و شقاوتها و نعمتها و نعمتها لا نسبه لها إلى سعادته الآخرة و شقوتها، لأنّها فانيه لا تبقى و تلك دائمه لا تزول (و موتات الدّنيا أهون على من موتات الآخرة) و المراد بموتات الدّنيا شدايدها و أهوالها و متاعبها بقرينه موتات الآخرة، و يحتمل أن يراد بالاولى أنواع الموت و بالثانيه الشّدايد التى هى أشدّ من الموت

الترجمه

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرت است که اشاره است بحال اصحاب خود در صفین در حینی که ایشان را منع می فرمود از قتال أهل شام بجهه این که حرص و شوق ایشان بجهاد بیشتر گردد بملاحظه این که طبیعت انسان مجبولست به آن که هر چند او را از امری منع نمایند شوق او در طلب او زیاد خواهد شد چنانکه گفته اند:

أحبّ شيء إلى الانسان مامعاً، و یا اشاره است بحال بیعت کندگان مرا و را بعد از قتل عثمان که ازدحام داشتند در بیعت او می فرماید:

پس کوفتند یکدیگر را بر سر بیعت من چون کوفتن شتران تشنه یکدیگر را در روز وارد شدن ایشان بر آب در حالتی که واگذاشته باشد ایشان را چراندۀ ایشان و برکنده شده باشد ریسمانهای زانو بند ایشان تا این که گمان کردم که ایشان کشندۀ منند یا بعض ایشان کشندۀ بعض دیگرند نزد من و بتحقیق که برگرداندم پشت و شکم این کار را حتّی این که بازداشت تفکّر در آن مرا از خواب، پس نیافتم خود را که وسعت داشته باشد بمن امری مگر کار زار نمودن با أهل شام یا با طلحه و زبیر و اتباع ایشان، و یا انکار نمودن به آن چه که آمده است با او حضرت خاتم الأنبياء از جانب حقّ جلّ و علا، پس شد علاج جنک نمودن و کوشش نمودن در آن آسان تر نزد من از علاج کردن عقاب و عذاب، و مرگ های دنیا آسانتر در نزد من از مرگ های آخرت و سختیهای روز قیامت

اشاره

فى باب الخطب

و قد استبطأ اصحابه اذنه لهم فى القتال بصفين أمّا قولكم أكلّ ذلك كراهيه الموت فو الله ما أبالى أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إلىّ، و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشّام فو الله ما دفعت الحرب يوما إلّا و أنا أطمع أن تلحق بى طايفه فتهدى بى و تعشو إلى ضوئى و ذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها و أن كانت تبوء بآثامها.

اللغة

(عشى) إلى نار و إليها يعيشو عشوا رآها ليلا من بعيد ببصر ضعيف فقصدها، و يقال لكلّ قاصد عاش، قال الشّاعر:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و (باء) باثمه رجع به قال سبحانه:

«إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبْوَءَ بِإِثْمِىَ وَ إِيْمِىَ» اى ترجع إلى ربّك متلبّسا باثمى و اثمك

الاعراب

كلّ ذلك فى بعض النّسخ بالنّصب فيكون مفعولا لفعل محذوف، و كراهيته منصوب على المفعول لاجله اى تفعل كلّ ذلك لأجل كراهيته الموت، و فى أكثر النّسخ كلّ مرفوع فيكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره أكلّ هذا مفعول او تفعله كراهيه للموت، و جوز فى الكراهيه الرّفْع أيضا على قراءه كلّ بالرّفْع على أنّه خبر منه و شكّا منصوب على أنّه مفعول له أيضا و عامله محذوف اى إنّى اسامح فى القتال للشّكّ، او منصوب على المصدرية اى أشكّ شكّا

اعلم أنه قد روى أنه لما ملك أمير المؤمنين الماء بصفيين وسمح بأهل الشام في المشاركة و المساهمه رجاء أن يعطفوا إليه استماله لقلوبهم و إظهار المعدله و حسن السيره فيهم، مكث أياما لا يرسل إلى معاويه أحدا و لا يأتيه من عنده أحد، قال له أهل العراق: يا أمير المؤمنين خلفنا نساءنا و ذرارينا بالكوفه و جئنا إلى أطراف الشام لتتخذها وطنا ائذن لنا في القتال فإن الناس قد قالوا، قال لهم: ما قالوا؟ فقال منهم قائل: إن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهيه للموت و أن من الناس من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام فأجابهم عليه السلام بذلك و ردّ زعم الفرقه الاولى بقوله (أما قولكم أ كل ذلك كراهيه الموت فو الله ما أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إلى) ضروره أن العارف بالله بمعزل عن تقيته الموت خصوصا من بلغ الغايه في الكمالات النفسانيه و الخصال القدسيه و ردّ زعم الفرقه الثانيه بقوله (و أما قولكم شكّا في أهل الشام فو الله ما دفعت الحرب يوما إلا و أنا أطمع أن تلحق بي طائفه) منهم (فتهتدي بي و تعيشو إلى ضوئي) و تستضيئوا بي و فيه تعريض بضعف بصائر أهل الشام فهم في الاهتداء بهداه كمن يعيش ببصر ضعيف إلى النار في الليل و لما كان المقصود بالذات للأنبياء و الأولياء هو اهتداء الخلق بهم و الاكتساب من كمالاتهم و الاستضاءه بأنوارهم، و كان تحصيل ذلك المقصود باللفظ و الرفق أولى من القتل و القتال، لا جرم حسن انتظاره بالحرب و مدافعتها يوما فيوما طمعا لأن يلحق به منهم من يجذب العناية الالهيه بذهنه و يجزّه نور التوفيق الأزلي إلى مدارج الكمال و اليقين و سلوك طريق الحق المبين و لأجل ذلك رتب عليه قوله (و ذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها و ان كانت) الطائفه الضالّه (تبوء) إلى ربّها (بآثامها)

إِذْ «كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً» «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»

الترجمه

از جمله کلام آن عالیمقام است در حالتی که دیر شمردند اصحاب او رخصت و اذن دادن او ایشان را در جنگ صفین که فرمود:

اُمّیا گفتار شما که آیا این همه تعلّل و تأخیر و منع از قتال بجهه مکروه داشتن مرگست و فنا پس قسم بخداوند که هیچ باک ندارم که داخل شوم بسوی مرگ یا خارج شود مرگ بسوی من، و اُمّیا گفتار شما که این تاخیر و مسامحه بجهه شک من است در قتال اهل شام پس بحقّ خدا که دفع نکردم حرب را یک روز مگر بملاحظه طمعى که دارم در این که لاحق شود بمن طایفه پس هدایت یابند بجهه اقتداء بمن و بنگرند بچشم ضعیف بسوی روشنی راه من، و این محبوب تر است نزد من از آنکه بکشم آن گروه را بگمراهی ایشان و اگر چه باشند که باز می گردند بگناهان خود در آن جهان.

و من کلام له علیه السلام و هو الخامس و الخمسون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و قد قاله فی قصّه ابن الحضرمی بعد إصابه محمّد بن أبی بکر بمصر حسبما تطلع علیه لا فی يوم صفّین علی ما زعمه الشّارح البحرانی و لقد کنا مع رسول الله صلّی الله علیه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و إخواننا و أعمامنا ما یزیدنا ذلک إلاّ إیماننا و تسلیما، و مضیا علی اللّقم، و صبرا علی مضض الألم، و جدّا فی جهاد العدو، و لقد کان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا یتصاولان تصاول الفحلین، یتخالسان أنفسهما أيّهما یسقی

ص: ۳۲۹

صاحبه كأس المنون، فمرّه لنا من عدوّنا و مرّه لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الاسلام ملقيا جرانه، و متبوّء أوطانه و لعمرى لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، و لا اخضرّ للإيمان عود، و أيم الله لتحلبّنها دما، و لتتبعنّها ندما.

اللغة

(لقم) الطريق بالتحريك الجادّه الواضحه و (المضض) بفتح الأوّل و الثانى أيضا وجع الالم و (الصّوله) الحمله و التصاول مأخوذ منه و هو أنّ يحمل كلّ واحد من القرنين على صاحبه و (التخالس) التّسالب و (الكبت) الاذلال و (جران) البعير مقدّم عنقه من مذبحه إلى منحره و (تبوّأت) المنزل نزله

الاعراب

جمله يتصاولان فى محلّ النّصب على الخبريّة، و أيّهما يسقى بالرفع مرفوع على الابتداء، و جمله يسقى خبره و اىّ هذه استفهاميّة لا- يجوز كونها موصوله لفساد المعنى مضافا إلى أنّ الموجود فى النّسخ رفعها، و لو كانت موصوله لا بدّ من انتصابها قال نجم الأئمه الرّضى: يتبين الاستفهام من غيره فى اىّ لكونه معربا تقول فى الاستفهام علمت أيّهم قام برفع اىّ، و إذا كان موصولا قلت علمت أيّهم قام بنصبه و ليس معنى الاستفهام هنا هو استفهام المتكلم للزوم التّناقض لأنّ علمت المقدّم على أيّهم مفيد أنّ قائل هذا الكلام عارف بنسبه القيام إلى القائم المعين، لأنّ العلم واقع على مضمون الجملة فلو كان اىّ لاستفهام المتكلم لكان دالاّ على أنّه لا- يعرف انتساب القيام إليه، لأنّ ايّهم قام استفهام عن مشكوك فيه هو انتساب القيام إلى معين ربّما يعرفه الشّاك بأنّه زيد أو غيره، فيكون المشكوك فيه اذن النّسبه و قد كان المعلوم هو تلك النّسبه و هو تناقض فنقول اذن أداه الاستفهام لمجرّد الاستفهام

لا لاستفهام المتكلم والمعنى عرفت المشكوك فيه الذى يستفهم عنه و هو أن نسبه القيام إلى أى شخص هى ثم قال: ثم اعلم أن جميع أدوات الاستفهام ترد على الوجه المذكور أى لمجرد الاستفهام لا لاستفهام المتكلم بعد كل فعل شك لا ترجيح فيه لأحد الجانبين على الآخر لتبيين المشكوك فيه نحو شككت أزيد فى الدار أم عمرو، ونسيت أو ترددت أقوم أم أقعد، كما ترد بعد كل فعل يفيد العلم كعلمت و تبينت و دريت و بعد كل فعل يطلب به العلم كفكرت و امتحنت و بلوت و سألت و استفهمت و جميع أفعال الحواس الخمس كلمست و أبصرت و نظرت و استمعت و شممت و ذقت، تقول: تفكرت أزيد يأتينى أم عمرو، و قد يضمن الدال على التفكير كقوله تعالى:

«يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ».

أى مفكراً أيمسكه أم يدسه و فى نهج البلاغه: يتخالسان أنفسهما أيهما يسقى صاحبه كأس المنون، أى مفكرين أيهما يسقى انتهى كلامه رفع مقامه و مره، منصوب على الظرفيه و العامل محذوف تقديره فمره تكون الدواله لنا من عدونا و مره تكون له منا، و ملقيا و متبوء منصوبان على الحالتيه، و دما و ندما منصوبان على التمييز

المعنى

اشاره

اعلم أن مقصوده بهذا الكلام توبيخ أصحابه على التثاقل عن الجهاد و التقصير فى الحرب، فمهّد قبل الاثيان بمقصوده مقدّمه تهيجا لهم و الهابا بالاشاره إلى حاله و حال ساير الصحابه فى الثبات على الشدايد و تحمّل المشاق فى الحروب فى زمن الرسول صلى الله عليه و آله.

و ذلك قوله: (و لقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله نقتل آبائنا و أبنائنا و اخواننا و أعمامنا) ابتغاء لمرضات الله (ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً) بالله (و تسليماً) لقضاء الله

(و مضياً على اللقم) و الجادّه الوسطى (و صبراً على مضض الألم) و مراره البلاء (و جدّاً فى جهاد العدو) و الخصماء (و لقد كان الرّجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما) مفكرين (أيهما يسقى صاحبه كأس المنون) و جرع الموت (فمرّه) كانت الدّواله (لنا من عدوّنا و مرّه) اخرى كانت (لعدوّنا منّا فلمّا رأى الله صدقنا) و علم استعدادنا و قابليتنا بمشاهده الصّبر و الثبات الذى كان منّا (أنزل بعدوّنا الكبت) و الخذلان (و أنزل علينا النّصر) و التأييد.

كما قال سبحانه: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ » (حتّى) انتظم أمر الدّين و(استقرّ الاسلام ملقياً جراحه) تشبيه الاسلام بالبعير استعاره بالكنايه و اثبات الجران تخيل و ذكر اللقاء ترشيح و كذلك قوله (و متبوّأ أوطانه) استعار لفظ التّبوّأ و نسبه إلى الأوطان تشبيهاً له بمن كان من النّاس خائفاً مترلزللاً غير مستقرّ ثمّ اطمأنّ و استقرّ فى وطنه، و استعار لفظ الأوطان لقلوب المؤمنين و كنى يتبوّأ أوطانه عن استقراره فيها ثمّ إنّ بعد ما مهّد المقدّمه التى أشرنا إليها رجع إلى ما هو مقصوده الأصلي من سوق الكلام، و هو تنبيه الأصحاب على التّقصير و التفریط فقال: (و لعمري لو كنّا نأتى) مثل (ما أتيتم) يعنى لو قصرنا فى بدو الاسلام كتقصيركم اليوم (ما قام للدّين عمود و لا اخضرّ للايمان عود) الأوّل تشبيه للدّين بالبيت ذى العمود الذى قوائمه عليه و لولاه لا نهدم و خرب و الثانى تشبيه للايمان بالشّجره ذات الفروع و الاغصان التى بهجتها و نصارتها بها (و أيم الله لتحتلبتها دما) قال البحرانى استعار لفظ حلب الدّم لثمره تقصيرهم و تخاذلهم عمّا يدعوهم إليه من الجهاد، و لاحظ فى تلك الاستعاره تشبيههم لتقصيرهم فى أفعالهم

بالتّاقه التي اصيب ضرعها ناقه من تفريط صاحبها فيها، و الضّمير المؤنث يرجع فى المعنى إلى أفعالهم، و كذلك الضّمير فى قوله: (و لتبتّعنّها ندما)فإنّ ثمره التّفريط الندامه

تنبیه

زعم السّارح البحرانى أنّ هذا الكلام صدر منه يوم صفّين حين أقرّ النّاس بالصّيلح و أنّه هو الذى قدّمنا ذكره فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين بروايه نصر ابن مزاحم عند شرح كيفيّة التّحكيم، و لكنّ الأظهر بملاحظه الاختلاف بين ما هنا و ما سبق أنّه ليس بذلك، و المستفاد من روايه الواقدى الآتيه أنّه قال فى قضيه ابن الحضرمى.

و أصل تلك القضيه على ما رواه ملخصا فى البحار من كتاب الغارات لابراهيم ابن محمّد الثقفى هو أنّ معاويه لمّا أصاب محمّد بن أبى بكر بمصر بعث عبد الله بن عامر الحضرمى إلى أهل البصره ليدعوهم إلى نفسه و إلى الطلب بدم عثمان، فلما أتاهاهم و قرء عليهم كتاب معاويه اختلفوا، فبعضهم ردّوا و أكثرهم قبلوا و أطاعوا، و كان الأمير يومئذ بالبصره زياد بن عبيد، و قد استخلف عبد الله بن العيّاس و ذهب إلى عيّى ليعزيه عن محمّد بن أبى بكر فلمّا رأى زياد إقبال النّاس على ابن الحضرمى استجار من الأزد و نزل فيهم، و كتب إلى ابن عيّاس و أخبره بما جرى، فرفع ابن عبّاس ذلك إلى عيّى عليه السّلام و شاع فى النّاس بالكوفه ما كان من ذلك و اختلف أصحابه عليه السّلام فيمن يبعثه اليهم فقال عليه السّلام:

تناهوا أيّها النّاس و ليرد عكم الاسلام و وقاره عن التباغى و التّهاوى، و لتجتمع كلمتكم، و الزموا دين الله الذى لا يقبل من أحد غيره، و كلمه الاخلاص التى هى قوام الدّين، و حجّه الله على الكافرين، و اذكروا إذ كنتم قليلا- مشركين متباغضين متفرّقين، فألف بينكم بالاسلام، فكثرتم و اجتمعتم و تحاببتم، فلا تتفرّقوا بعد إذ اجتمعتم، و لا تباغضوا بعد إذ تحاببتم، و إذا رأيتم النّاس و بينهم النّايه و قد تداعوا إلى العشائر و القبائل فاقصدوا لهمهم و وجوهم بسيوفكم حتى يفرغوا إلى الله و كتابه و سنّه نبيه صلى الله عليه و آله، فأما تلك الحميه فانها من خطوات الشيطان فانتهاوا عنها لا أبأ لكم

ثم قال: وقال ابن أبي الحديد: و روى الواقدي أنّ عليّاً استنفر بنى تميم أتياما لينهض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي و يردّ عاويه بنى تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد فخطبهم و قال:

أليس من العجب أن ينصرني الأزدي و يخذلني مضر، و أعجب من ذلك تقاعد بنى تميم الكوفه بى و خلاف بنى تميم البصرة و أن أستنجد بطائفه منهم ما يشخص إلى أحد منها فيدعوهم إلى الرّشاد فان أجابت و إلّا فالمنابذه و الحرب، فكأنى اخاطب صمّا بكم لا يفقهون حوراء و لا يجيئون نداء، كلّ ذلك حباً عن الناس و حباً للحياه، لقد كنّا مع رسول الله نقتل آباءنا إلى آخر ما مرّ فى المتن قال: فقام إليه أعين بن صبيعه المجاشعي فقال: أنا إنشاء الله أكفيك يا أمير المؤمنين هذا الخطب و أتكفل لك بقتل ابن الحضرمي و إخراجة عن البصرة، فأمره بالتهيؤ للشخص فشحخص حتّى قدم البصرة قال: قال الثّقفى فى كتاب الغارات: فلما قدمها دخل على زياد و هو بالأرد مقيم فرحب به و أجلسه إلى جانبه فأخبره بما قال له علىّ و أنّه ليكلّمه إذ جاءه كتاب من علىّ فيه:

من عبد الله أمير المؤمنين علىّ إلى زياد بن عبيد، سلام عليك أمّا بعد فأنّى قد بعثت أعين بن صبيعه ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فارقب ما يكون منه فان فعل و بلغ من ذلك ما يظنّ به و كان فى ذلك تفريق تلك الأوباش فهو ما نحبّ، و إن ترامت الامور بالقوم إلى الشقاق و العصيان فانبد من أطاعك إلى من عصاك فجاهدهم، فان ظفرت فهو ما ظننت، و إلّا فطاولهم و ما طلهم فكان كتاب المسلمين قد أظلت عليك، فقتل الله الظالمين المفسدين، و نصر المؤمنين المحقّين و السيّلام فلتمّا قرأه زياد أقرئه أعين بن صبيعه فقال له: إننى لأرجو أن يكفى هذا الأمر إنشاء الله، ثم خرج من عنده فأتى رحله فجمع إليه رجالا من قومه فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

يا قوم على ما ذا تقتلون أنفسكم و تهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء

والإشرار، وإني والله ما جئكم حتى عيّت إليكم الجنود، فإن تنيوا إلى الحق نقبل منكم ونكف عنكم، وإن أبيتم فهو والله استيصالكم وبواركم فقالوا بل نسمع ونطيع فقال: انهضوا اليوم على بركة الله، فنهض بهم على جماعه ابن الحضرمي فخرجوا إليه فصافوه ووافقهم عامه يومه يناشدهم الله ويقول: يا قوم لا- تنكثوا بيعتكم ولا- تخالفوا إمامكم ولا تجعلوا على أنفسكم سيلا، فقد رأيتم وجرّبتكم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيعتكم وخلافكم، فكفّوا عنه وهم في ذلك يشتمونه فانصرف عنهم وهو منهم منتصف فلما آوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يظنّ الناس أنهم خوارج فضربوه بأسيا فهم وهو على فراشه لا- يظنّ أنّ الذي كان يكون فخرج يشتدّ عريانا فلحقوه في الطريق فقتلوه فكتب زياد إلى عليّ عليه السلام ما وقع، وكتب أني أرى أن تبعث إليهم جاريه بن قدامه فانه نافذ البصيره، ومطاع في العشيره، شديد على عدوّ أمير المؤمنين فلما قرء الكتاب دعا جاريه فقال عليه السلام، يابن قدامه تمنع الأزد عاملي وبيت مالي وتشاقتني مضروتنا بذني وبنا ابتدأها الله بالكرامه، وعرفها الهدى وتدعو الى المعشر الذين حادّوا الله ورسوله وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه حتى علت كلمته عليهم وأهلك الكافرين.

فروى إبراهيم باسناده عن كعب بن قعين قال: خرجت مع جاريه من الكوفه في خمسين رجلا من بني تميم وما كان فيهم يمانى غيرى وكنت شديد التشيع فقلت لجاريه إن شئت كنت معك وإن شئت ملت إلى قومي، فقال، بل سر معي فوالله لوددت أنّ الطير والبهائم تنصرني عليهم فضلا عن الانس، فلما دخلنا البصره بدء بزياد فرحّب به وأجلسه إلى جانبه وناجاه ساعه وسائله، ثم خرج فقام في الأزد فقال: جزاكم الله من حيّ خير الجزاء، ثم قرء عليهم وعلى غيرهم كتاب أمير المؤمنين فاذا فيه:

من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرء عليه كتابي هذا من ساكني البصره من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم أمّا بعد فإنّ الله حلّيم ذوّاناه لا يعجل بالعقوبه قبل البينه،

و لا يأخذ المذنب عند أوّل و هله، و لكنّه يقبل التّوبه، و يستديم الاناه، و يرضى بالانابه ليكون أعظم للحجّه و أبلغ فى المعذره.

و قد كان من شقاق جلكم أيها النّاس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه، فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السّيف عن مدبركم، و قبلت من مقبلكم، و أخذت بيعتكم، فان تفوا ببيعتى و تقبلوا نصيحتى و تستقيموا على طاعتى، أعمل فيكم بالكتاب و قصد الحقّ، و اقم فيكم سبيل الرّشد، فو الله ما أعلم أنّ واليا بعد محمّد صلّى الله عليه و آله أعلم بذلك منّى و لا أعلم، أقول قولى هذا صادقا غير ذامّ لمن مضى و لا منتقصا لأعمالهم و إن خطت بكم الأهواء المرديه و سفه الرّأى الجائر إلى منا بذتى و تريدون خلافى فيها أناذا قربت جيادى و رحلت ركابى.

و أيم الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعه لا يكون يوم الجمل عندها إلّا كلعقه لاعق، و إنّى لظانّ إنشاء الله أن لا تجعلوا على أنفسكم سيلا، و قد قدمت هذا الكتاب حجه عليكم، و ليس أكتب إليكم من بعده كتابا إن أنتم استغششتم نصيحتى، و نابذتم رسولى حتّى أكون، أنا الشّاخص نحوكم إنشاء الله و السّلام.

فلما قرء الكتاب على النّاس قام صبره بن شقان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك، و إن أحببت أن نصرك نصرناك، و قام وجوه النّاس فتكلّموا مثل ذلك فلم يأذن لأحد أن يصير معه و مضى نحو بنى تميم و كلّمهم فلم يجيبوه، و خرج منهم أوباش فنا و شوه بعد أن شتموه، فأرسل إلى زياد و الأزد يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه.

فسارت الأزد بزياد، و خرج إليهم ابن الحضرمى فاقتتلوا ساعه و اقتتل شريك ابن أعور الحارثى و كان من شيعه علىّ و صديقا لجاريه، فما لبث بنو تميم أن هزموهم و اضطروهم إلى دار سبيل السّعدى، فحصرها ابن الحضرمى فيها، و أحاط جاريه و زياد بالدار، و قال جاريه علىّ بالنّار، فقالت الأزد: لسنا من الحريق

فی شیء و هم قومک و أنت أعلم، فحرق جاریه الدار علیهم، فهلك ابن الحضرمی فی سبعین رجلاً أحدهم عبد الرحمن بن عثمان القرشی، و سارت الأزد بزیاد حتی أوطئوا قصر الاماره، و معه بیت المال و قالت له: هل بقی علینا من جوارک شیء؟ قال: لا، فانصرفوا عنه و كتب زیاد إلى امیر المؤمنین: أما بعد فإن جاریه بن القدامه العبد الصالح قدم من عندک، فناهض جمع ابن الحضرمی مَن نصره و أعانه من الأزد، فقصّه و اضطره إلى دار من دور البصره فی عدد کثیر من أصحابه، فلم یخرج، حتی حکم الله بینهما، فقتل ابن الحضرمی و أصحابه، منهم من احرق و منهم من القی علیه جدار و منهم من هدم علیه البیت من أعلاه، و منهم من قتل بالسیف، و سلم منهم نفر فتابوا و أنابوا فصفح عنهم، و بعد المن عصی و غوی و السیلام علی امیر المؤمنین و رحمه الله و برکاته.

فلما وصل الکتاب قرأه علی الناس فسرّ بذلك و سرّ أصحابه و أثنی علی جاریه و علی الأزد، و ذمّ البصره فقال إنها أول القری خرابا إما غرقا و إما حرقا حتی یبقی مسجدھا کجؤجو سفینه.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در بیان حال اصحاب سید ابرار و تحریر اصحاب خود را بر این که متابعت نمایند بر ایشان در افعال و کردار و ثابت قدم باشند در روز مصاف و کارزار که می فرماید:

و هر آینه بتحقیق بودیم ما با رسول خدا صلوات الله و سلامه علیه و آله در حالتی که می کشتیم پدران خود را و پسران خود را و برادرها و عموهای خود را، زیاده نمی ساخت ما را آن کشتن مگر ایمان و تسلیم و گذشتن بر راه راست مستقیم و صبر نمودن بر سوزش الم و محن و جد و جهد کردن در محاربه دشمن، و هر آینه بود در زمان پیغمبر که مردی از ما و مردی دیگر از دشمن ما حمله می آوردند بر یکدیگر مثل حمله آوردن دو نر با قوه تمامتر که می ربودند نفس یکدیگر در

حالتی که فکر می نمودند که کدام یک از ایشان می نوشاند به همراه خود کاسه مرگ را.

پس یک بار نوبت گردش دولت ما را بود از دشمن ما، و بار دیگر دشمن ما را بود از ما، پس چون که دید حق سبحانه و تعالی صدق و راستی ما را نازل فرمود بر دشمن ما ذلت و خواری را، و نازل فرمود بر ما نصرت و یاری را، تا این که قرار گرفت دین اسلام در حالتی که افکنده بود پیش گردن را بر زمین مثل شتر آرام گیرنده، و جای گیرنده بود در مکانهای خود که عبارتست از قلوب مؤمنان گرونده.

و سوگند به زندگانی خودم که اگر می بودیم ما در آن زمان که می آمدیم با مثل آنچه که شما آمدید به آن یعنی تقصیر می کردیم در حرب چنانچه شما تقصیر می کنید بر پای نمی شد از برای دین هیچ ستونی، و سبز نمی شد از برای ایمان هیچ شاخ و دعوی، و بحق خدا سوگند هر آینه می دوشید از آن حالت تقصیر خون را بعوض شیر، و در می آورید پشیمانی را عقب آن حالت تفریط و تقصیر، و الله أعلم بحقایق کلماته.

و من کلام له علیه السلام و هو السادس و الخمسون من

اشاره

المختار فی باب الخطب

أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، و يطلب ما لا يجد، فاقتلوه، و لن تقتلوه، ألا و إنه سيأمركم بسبى و البراءه منى، فأما السب فسبوني، فإنه لى زكاه و لكم نجاه، و أما البراءه فلا تتبرؤا منى، فإننى ولدت على الفطره،

ص: ۳۳۸

و سبقت إلى الإيمان و الهجره.

اللغة

(ظهر) عليه غلب و (رحب البلعوم) و اسعه و البلعوم بضم الباء مجرى الطعام فى الحلق و (المندحق) البارز من اندحقت رحم الناقه إذا خرجت من مكانه و (الفطره) بالكسر الخلقه و المراد بها الاسلام.

الاعراب

أما بالفتح و التخفيف حرف استفتاح بمنزله ألا قال الرضى كأنهما مركبان من همزه الانكار و حرف النفى، و نفى النفى اثبات ركبا لافاده الاثبات و التحقيق و قول الشارح البحرانى يحتمل أن يكون المشدده و التقدير أما بعد إنه كذا، فيه أن أما الشرطيه يلزمها الفاء بعدها اللازمه للشرط و لا يجوز حذفها إلا فى مقام الضروره قال الشاعر:

فأما القتال لا قتال لديكم

و أيضا فأنهم قد قالوا فى كتب الأدبيه إن أما بعد أصله مهما يكن من شىء بعد الحمد فوقعت كلمه أما موقع اسم هو المبتدأ و فعل هو الشرط و تضمنت معناهما فلتضمّنها معنى الابتداء لزمها لصوق الاسم اللازم للمبتدأ أداء بحق ما كان و إبقاء له بقدر الامكان، و لتضمّنها معنى الشرط لزمها الفاء، فعلى ما ذكره يستلزم حذف كلمه بعد القائها عن اصلها و عدم أداء الحق الواجب مراعاته.

المعنى

اشاره

اعلم أن هذا الكلام له عليه السيّلام اخبار ببعض ما يتلى به أهل الكوفه بعده و أمر لهم بما يجب عليهم أن يعملوه حين الابتلاء بتلك البليه فخاطبهم بقوله (أما أنه سيظهر عليكم بعدى رجل) أكل (رحب البلعوم منذ حق البطن) و هو لفرط حرصه بالأكل (يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد) و حيث أدركتموه (فاقتلوه) لعدوله عن طريق السداد و كونه من أهل الزندقه و الالحاد (و لن تقتلوه ألا و إنه سيأمركم بسبى)

لشدّه ما فيه من الكفر و التّفاق (و بالبرائه منّي) لغلبه ما عليه من البغضاء و الشقاق (فأما السّب فسبوني فأنّه لى زكاه) إذ ذكر المؤمن بسوء هو زكاه له و سبّه ما ليس فيه هو زياده فى جاهه و شرفه كما ورد فى الحديث (و لكم نجاه) إذ مع السّب يرتفع التّهمه عنكم و لا- يؤخذ بأعناقكم (و أما البراءه فلا تتبرّءوا منّي) و ذلك (فأنّى ولدت على الفطره) أى على فطره الاسلام التى فطر النّاس عليها (و سبقت) النّاس (إلى الايمان و الهجره).

و فى هذا الكلام نكات شريفه ينبغى الاشاره اليها

الاول

أنّ هذا الكلام له عليه السّلام إخبار بما يكون قبل كونه باعلام من الله و تعليم من رسول الله، و نحو هذا قد وقع منه عليه السّلام كثيرا فوق حدّ الاحصاء فى الوقائع الملحمه و الخطوب المعظمه حسبما يأتى فى شرح الخطبه الثانيه و التسعين و غيرها أيضا، و لا باس بالاشاره إلى نبذ منها هنا.

مثل ما عن كتاب الغارات لابراهيم بن هلال الثقفى عن زكريا بن يحيى العطار عن فضيل، عن محمّد بن على عليهما السّلام، قال قال لَمِيّا قال علىّ عليه السّلام: سلونى قبل أن تفقدونى فو الله لا تسألونى عن فئه تضلّ مأئه و تهدى مأئه إلاّ أنبأتكم بناعقها و سائقها، قام إليه رجل فقال: أخبرنى بما فى رأسى و لحيتى من طاقه شعر، فقال له علىّ عليه السّلام: و الله لقد حدّثنى خليلى أنّ علىّ كلّ طاقه شعر من رأسك ملكا يلعنك، و أنّ علىّ كلّ طاقه شعر من لحيتك شيطانا يغويك، و إنّ فى بيتك سخل يقتل ابن رسول الله، و كان ابنه قاتل الحسين يومئذ طفلا يعبو، و هو سنان بن أنس النخعى.

و روى الحسن بن محبوب، عن ثابت الثّمالى، عن سويد بن غفله أنّ عليّا خطب ذات يوم فقام رجل من تحت منبره فقال: يا أمير المؤمنين إنّى مررت بواد القرى فوجدت خالد بن عرفطه قد مات، فاستغفر له فقال عليه السّلام: ما مات و لا يموت حتّى يقود جيش ضلاله صاحب لوائه حبيب بن حمّاد، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمّاد و أنّى لك شيعه و محبّ، فقال: و أنت حبيب ابن حمّاد؟ قال: نعم فقال له ثانيه: و الله إنّك لحبيب بن حمّاد؟ فقال اى و الله

قال: أما والله إنك لحاملها و لتحملنها و لتدخلن بها من هذا الباب، و أشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة، قال ثابت فوالله مامت حتى رأيت ابن زياد و قد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن علي و جعل خالد بن عرفطه على مقدمته، و حبيب بن حماد صاحب رايته، و دخل بها من باب الفيل.

و روى عثمان بن سعيد، عن يحيى التميمي عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجا قال قام أعشى باهله و هو غلام يومئذ حدث إلى علي و هو يخطب و يذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث الخرافه، فقال: إن كنت آثما فيما قلت يا غلام فرماك الله بغلام ثقيف ثم سكت، فقال رجال: و من غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدكم هذه لا يترك لله حرمه إلا انتهكها يضرب عنق هذا الغلام بسيفه.

فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا فيقتل قتلا أم يموت موتا، قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن يثقب مريره لكثره ما يخرج، قال اسماعيل بن رجا: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهله و قد احضر في جملة الاسرى الذين اسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقرعه و ذبحه و استنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس.

و روى إبراهيم بن ميمون الأزدي عن حبه العرنى قال: كان جويريه بن مسهر العبدى صالحا، و كان لعلي بن أبي طالب صديقا، و كان علي يحبه، و كان له شدة اختصاص به حتى دخل على علي يوما و هو مضطجع و عنده قوم من أصحابه، فناداه جويريه أيها النائم استيقظ فلتضر بن علي رأسك ضربه تخضب منها لحيتك، قال: فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام قال: و أحدثك يا جويريه بأمرك أما و الذي نفسى بيده لتعتلن إلى العتل الزنيم فليقطعن يدك و رجلك و ليصلبنك تحت جذع كافر، قال:

فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويريه، فقطع يده و رجله و صلبه إلى جانب جذع ابن مكعب، و كان جذعا طويلا فصلبه على جذع

و عن كتاب الغارات عن أحمد بن الحسن الميثمي قال: كان ميثم التمار مولى علي بن أبي طالب عبدا لا مرثه من بني أسد، فاشتره علي منها و أعتقه، و قال له ما اسمك؟ فقال: سالم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله: أخبرني أن اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم، فقال: صدق الله و صدق رسوله و صدقت يا أمير المؤمنين فهو و الله اسمي قال: فارجع إلى اسمك و دع سالما فنحن نكنّيك به فكناه أبا سالم.

قال: و قد كان قد اطلعه علي عليه السلام على علم كثير و أسرار خفيه من أسرار الوصيّه، فكان ميثم يحدث ببعض ذلك فيشكّ فيه قوم من أهل الكوفة و ينسبون عليا في ذلك إلى المخرفة و الايهام و التدليس.

حتى قال له يوما بمحضر من خلق كثير من أصحابه و فيهم الشّاك و المخلص:

يا ميثم إنك تؤخذ بعدى و تصلب، فاذا كان اليوم الثّاني ابتدر منخراك و فمك دما حتى يخضب لحيتك، فاذا كان اليوم الثّالث طعنت بحربه يقضى عليك، فانتظر ذلك، و الموضع الذي تصلب فيه نخله على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشره أنت أقصرهم خشبه و أقربهم من المطهره يعنى الأرض، و لاريّتك النّخله التي تصلب على جذعها، ثم أراه إيّاها بعد ذلك بيومين.

و كان ميثم يأتيها فيصلّى عندها و يقول: بوركت من نخله، لك خلقت، ولى نبت، فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها و يتعاهده و يتردّد إليه و يبصره، و كان يلقي عمرو بن حريث فيقول له: إننى مجاورك فأحسن جوارى، فلا- يعلم ما يريد فيقول له: أ تريد أن تشتري دار ابن مسعود أم دار ابن حكيم؟ قال: و حجّ في السّنه التي قتل فيها، فدخل على أم سلمه رضى الله عنها، فقالت له: من أنت؟ قال: عراقى فاستنسبته فذكر لها أنّه مولى علي بن أبي طالب، فقالت:

و أنت ميثم؟ قال: أنا ميثم، فقالت: سبحان الله و الله لربما سمعت رسول الله يوصى بك عليا في جوف الليل فسألها عن الحسين بن علي عليه السلام فقالت: هو فى حائط له،

قال: أخبريه أني قد أحبيت السلام عليه و نحن ملتقون عند رب العالمين إنشاء الله و لا اقدر اليوم على لقائه و أريد الرجوع.

فدعت بطيب فطيب لحيته فقال لها: أما أنها ستخضب بدم فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدى فبكت أم سلمه و قالت له: إنه ليس بسيدك وحدك و هو سيدى و سيد المسلمين ثم و دّعت.

فقدم الكوفه فاخذوا دخل على عبيد الله بن زياد، و قيل له: هذا كان من أثر الناس عند أبى تراب، قال: و يحكم هذا الأعجمي؟ قالوا: نعم، فقال له عبيد الله:

أين ربك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغنى اختصاص أبى تراب لك، قال: قد كان بعض ذلك فما تريد؟ قال: و أنه ليقال إنه قد أخبرك بما سيلقاك، قال نعم: أخبرنى.

قال: ما الذى أخبرك أني صانع بك؟ قال: أخبرنى أنك تصلبنى عاشر عشره و أنا أقصرهم خشبه و أقربهم من المطهره، قال: لاخالفته، قال: ويحك كيف تخالفه؟ إنما أخبر عن رسول الله، و أخبر رسول الله عن جبرئيل، و أخبر جبرئيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء أما و الله لقد عرفت الموضع الذى أصلب فيه أين هو من الكوفه، و إننى لأول خلق الله الجم فى الاسلام بلجام كما يلجم الخيل، فحبسه و حبس معه المختار بن أبى عبيده الثقفى، فقال ميثم للمختار و هما فى حبس ابن زياد: إنك تفلت و تخرج نائرا بدم الحسين فتقتل هذا الجبار الذى نحن فى حبسه و تطاء بقدمك هذا على جبهته و خديه، فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاويه إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتخليه سبيله و ذاك أن اخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع فأمضى شفاعته و كتب بتخليه سبيل المختار على البريد فوافى البريد و قد اخرج ليضرب عنقه فاطلق.

و أما ميثم فاخرج بعده ليصلب و قال عبيد الله لأمضين حكم أبى تراب فيك فلقيه رجل فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم؟ فتبسّم فقال و هو يؤمى إلى

النخله لها خلقت ولى غذيت، فلما رفع على الخشبه اجتمع الناس حوله على باب عمرو ابن حريث، فقال عمرو: و لقد كان يقول لى إني مجاورك فكان يأمر جاريته كل عشيّه أن تكنس تحت خشبته و ترشه و تجمر بالمجمر تحته.

فجعل ميثم يحدث بفضايل بنى هاشم و مخازى بنى أميه و هو مصلوب على الخشبه فقيل لابن زياد: قد فضحك هذا العبد، فقال: أَلجموه، فالجم، فكان أوّل خلق الله أَلجم فى الاسلام، فلما كان اليوم الثانى فاضت منخراه و فمه دما، فلما كان اليوم الثالث طعن بحربه فمات، و كان قتله قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشره أيام.

و روى صاحب الغارات عن زياد بن النّصر الحارثى قال كنت عند زياد و قد اتى برشيد الهجرى و كان من خواص أصحاب على عليه السلام فقال له زياد: ما قال لك خليلك إنّنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي و رجلى و تصلبوننى! فقال زياد: أما و الله لأكذبنّ حديثه خلّوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: ردّوه لا نجد شيئا أصلح ممّا قال لك صاحبك، إنّك لا تزال تبغى لنا سوء إن بقيت، اقطعوا يديه و رجليه، فقطعوا يديه و رجليه و هو يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقا فى عنقه، فقال رشيد: قد بقى لى عندكم شيء ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه ليقطع قال: خلّوا عني أتكلم كلمه، فنفسوا عنه، فقال: هذا و الله تصديق خبر أمير المؤمنين أخبرنى بقطع لسانى، فقطعوا لسانه و صلبوه.

و فى البحار من كتاب كشف الغمه، من كتاب لطف التّدير لمحمد بن عبد الله الخطيب قال: حكى أنّ معاويه بن أبى سفيان قال لجلسائه بعد الحكومه: كيف لنا أن نعلم ما تؤل إليه العاقبه فى أمرنا، قال جلساؤه: ما نعلم لذلك وجهها، قال:

فأنا استخراج علم ذلك من على فأنّه لا يقول الباطل.

فدعا ثلاثه رجال من ثقاته و قال لهم امضوا حتّى تصيروا جميعا من الكوفه على مرحله، ثمّ تواطئوا على أن تنعونى بالكوفه و ليكن حديثكم واحد فى ذكر العلّه و اليوم و الوقت و موضع القبر و من تولّى الصلاه عليه و غير ذلك حتى لا تختلفوا

فى شىء ثم لىءءل أءءكم فلىءبر بوفاءى؁ ثم لىءل الءانى فىءبر بمءله؁ ثم لىءل الءالء فلىءبر بمءل ءبر صاءبه و انظروا ما فىقول علىؑ

فءبروا كما أمرهم معاوىة ثم ءل أءءهم و هو راكب معءً (١) شاءب فءال له الءاس بالكوفة: من أين ءئء؟ قال: من الشام قالوا له: ما الءبر؟ قال:

ماء معاوىة؁ فأءوا علىا علىه السلاء فءالوا رءل راكب من الشام فىءر بموء معاوىة فلم فىءل علىا علىه السلاء بءلك؁ ثم ءل آخر من العء و هو معءً فءال له الءاس: ما الءبر؟ فءال: ماء معاوىة و ءبر بمءل ما ءبر صاءبه؁ فأءوا علىا علىه السلاء فءالوا: رءل راكب فىءر بموء معاوىة بمءل ما أءبر صاءبه و لم فىءلء كلامهما؁ فأمسك علىا علىه السلاء ثم ءل الآخر فى الءوم الءالء فءال الءاس: ما وراك؟ قال: ماء معاوىة؁ فسألوه عما شاهد فلم فىءالف قول صاءبىه؁ فأءوا علىا فءالوا: يا أمىر المؤمنىن صءء الءبر هءا راكب ءالء قء ءبر بمءل ما ءبر صاءباه.

فلمّا أكءروا علىه قال علىا صلواء الله علىه؁ كلاًّ أو ءءضب هءه من هءه فىعى لءىءه من هامءه و ىءلاءب بها (٢) ابن آكله الاءباء؁ فرءع الءبر بءلك إلى معاوىة هءا.

و الأنباء الغىبىه منه علىه السلاء مءءاوزه عن ءء الاءصاء؁ و لو أردنا أن نءمع منها ما فىسعاها الطاقه و ءناولها ىء الءبع لصار ءتابا كبرىء الءءم؁ و ىأءى بعض منها فى ءضاءىف الشرح؁ و منها إءباره بفرق البصره و من فى ءمناها و بقاء مسءءها كءوءوء سفىنه فى لءه ءر على ما مرّ إلىه الاءاره فى كلامه الءاءى عىشر.

الءانى

افءلء الشراح فى الرءل الذى أءبر علىه السلاء بظهوره على أهل الكوفة فقىل:

هو زىاء بن ابىه؁ و قىل: الءءاء بن ىوسف؁ و قىل المعىره بن شعبه؁ و الأكءرون على أن المراء به معاوىة بن ابى سفىان؁ لاءصافه بما وصفه علىه السلاء به من الءهم و ءثره

ص: ٣٤٥

١- (١) الاءذاء فى السىر الاسراع و الشاءب المءغىر اى كان علىه لون السفر «ءار»

٢- (٢) بها اى بالءلافه و الرىاسه «ءار»

الأكل، و كان بطينا يقعد بطنه إذا جلس على فخذه، و كان جوادا بالمال و الصّلاه و بخيلا على الأكل و الطعام.

يقال: إنّه مازح أعرابيا على طعامه و قد قدم بين يديه خروف، فأمعن الاعرابى فى أكله فقال له ما ذنبه اليك انطحك أبوه، فقال الأعرابى (للأعرابى): و ما حنوك عليه أرضعتك أمه، و قد روى أنّه كان يأكل فيكبر ثمّ يقول: ارفعوا فو الله ما شبت و لكن مللت و تعبت.

قال فى شرح المعتزلى تظاهرت الأخبار أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله دعا على معاويه لمّا بعث إليه يستدعيه فوجده يأكل ثمّ بعث فوجده يأكل فقال: اللهم لا تشبع بطنه قال الشّاعر:

و صاحب لى بطنه كالهوايه كانّ فى أمعائه معاويه

و يدلّ على ما ذكرنا من أنّ مراده عليه السّلام بالرجل الموصوف معاويه قوله: أما أنّه سيأمركم بسبّى و البراءه منّى، فإنّ غيره ممّن ذكرنا و إن كان يأمر بالبراءه و السّب أيضا إلّا أنّ هذا الملعون ابن الملعون قد أخذ ذلك شعارا له، و قد أمر الناس بالشّام و العراق بسبّه و البراءه منه، و خطب بذلك على منابر الاسلام حتّى صار ذلك سنه فى أيام بنى أمّيه على ما يأتى تفصيله فى شرح الكلام السّابع و التسعين إلى أن قام عمر بن عبد العزيز، فأزاله.

روى الجاحظ أنّ قوما من بنى اميه قالوا لمعاويه يا أمير المؤمنين إنك قد بلغت ما أملت فلو كففت عن لعن هذا الرّجل، فقال: لا و الله حتّى يربو عليها الصغير و يهرم عليها الكبير و لا يذكر له ذاكر فضلا.

و أمّا السّبب فى منع عمر بن عبد العزيز عن ذلك فهو على ما روى عنه أنّه قال: كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبه بن مسعود، فمرّ بى يوما و أنا ألعب مع الصّبيان و نحن نلعن عليا، فكره ذلك و دخل المسجد فتركت الصّبيان و جئت إليه لادرس عليه وردى، فلمّا رءانى قام و صلّى و أطال فى الصّلاه شبه المعرض عنى حتّى أحسست منه بذلك فلمّا انفتل من صلاته كلح فى وجهى، فقلت له: ما

بالشيخ، فقال لى: يا بنى أنت اللاعن عليا منذ اليوم، قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم؟ فقلت: يا ابيه و هل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك و هل كان بدر كلها إلا له، فقلت: لا أعود، فقال: الله انك لا تعود، قلت: نعم، فلم العنه بعدها ثم كنت احضر تحت منبر المدينة و أبى يخطب يوم الجمعة و هو حينئذ أمير المدينة فكنت أسمع يمر فى خطبه حتى تهدر شقاشقه حتى يأتى إلى لعن علي فيجمع و يعرض له من الفهاهه و الحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك فقلت له يوما: أنت أفصح الناس و أخطبهم فما بالى أراك أفصح خطيب يوم حفلك و إذا مررت بلعن هذا الرجل صرت ألكن عييا فقال: يا بنى إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد، فوقرت كلمته فى صدرى مع ما كان قال لى معلمى ايام صغرى، فأعطيت الله عهدا لئن كان لى فى هذا الأمر نصيب لاغيرن، فلما من الله على بالخلافه أسقطت ذلك و جعلت مكانه:

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » و كتبت به إلى الآفاق فصار سنه و عن مروج الذهب جعل مكانه:

«رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » و فى هذا المعنى قال السيد الرضى رحمه الله عليه:

يا بن عبد العزيز لو بكت العين فتا من أميه لبكيته

غير انى أقول إنك قد طبت و إن لم يطب و لم يزك بيتك

أنت نَزَّهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالْقَذْفِ فَلَوْ أَمْكَنَ الْجَزَاءَ جَزَيْتُكَ
وَلَوْ إِنِّي رَأَيْتُ قَبْرَكَ لاسْتَحْيَيْتُ مَنْ أَنْ أَرَى وَ مَا حَيَّيْتُكَ
وَقَلِيلٌ أَنْ لَوْ بَذَلْتُ دِمَاءَ الْبَدَنِ صَرَدَا عَلَى الَّذِي اسْقَيْتُكَ
دِيرِ سَمْعَانَ (١) فَيُكِّدُ نَادِي أَبِي حَفْصٍ يُوْدِي لَوْ أَنَّيْ أَوْتَيْتُكَ
دِيرِ سَمْعَانَ لَا أُعْبِكَ (٢) غَيْثٌ خَيْرٌ مَيِّتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيِّتُكَ
أَنْتَ بِالذِّكْرِ بَيْنَ عَيْنِي وَ قَلْبِي إِنْ تَدَانَيْتَ مِنْكَ أَوْ إِنْ نَأَيْتُكَ
وَ عَجَبْتُ إِنْني قَلَيْتُ بَنِي مَرْوَانَ كَلَّا وَ أَنَّنِي مَا قَلَيْتُكَ
قَرَبَ الْعَدْلَ مِنْكَ لَمَّا نَأَى الْجَوْرَ مِنْهُمْ فَاحْتَوَيْتَهُمْ وَ اجْتَنَيْتُكَ
فَلَوْ أَنِّي مَلَكَتُ دَفْعًا لَمَّا نَابَكَ مِنْ طَارِقِ الرَّدَى لَفَدَيْتُكَ (٣)

(٤)

الثالث

لقائل أن يقول: ما الفرق بين السَّبِّ والتَّبَرُّيِّ حيث رَخَّصَ فِي الْأَوَّلِ وَ نَهَى عَنِ الثَّانِي مَعَ أَنَّ السَّبَّ أَفْحَشُ مِنَ التَّبَرُّيِّ قَالَ الشَّارِحُ
الْمُعْتَرِضُ: لِأَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ مَا وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ إِلَّا عَنِ الْمَشْرُكِينَ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ:

ص: ٣٤٨

١- (١) دِيرِ سَمْعَانَ مَوْضِعٌ بِحَمَصٍ بِهِ دَفَنَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَامُوسٌ

٢- (٢) اَعْبِ الْقَوْمَ جَاءَهُمْ يَوْمًا وَ تَرَكَ يَوْمًا، ق

٣- (٣) نَأَى مِنْهُ أَيِ بَعْدَ، لَعَهُ

٤- (٤) لَا يَخْفَى عَلَى الْفُطْنِ الْعَارِفِ أَنَّ الْمُسْتَفَادَ مِنْ آيَاتِ السَّيِّدِ إِنْ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَسَنِ فَعَالِهِ الْحَمِيدَةِ مُسْتَحَقٌّ لِلْمَدْحِ إِلَّا أَنَّهُ
لِكُونِهِ مِنْ جَمَلَةِ الْغَاصِبِينَ لِلْخِلَافَةِ غَيْرِ مُسْتَحَقٍّ لِلْجَزَاءِ فِي الْآخِرَةِ بَلْ جَزَائُهُ النَّكَالُ وَالْعُقُوبَةُ وَ إِلَى ذَلِكَ يَنْظُرُ مَا رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَطَاءٍ التَّمِيمِيُّ قَالَ كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ فَمَرَّ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَ عَلَيْهِ شِرَاكَانُ مِنْ فَضْلِهِ وَ كَانَ مِنْ أَمَحْنِ النَّاسِ
يَعْنِي أَصْلَبِهِمْ وَ أَغْلَظَهُمْ وَ هُوَ شَابٌّ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ عَطَا أ تَرَى هَذَا الْمَطْرَفَ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ حَتَّى يَلِي
النَّاسَ قُلْتُ أَنَا لِلَّهِ هَذَا الْفَاسِقُ، قَالَ نَعَمْ فَلَا يَلْبَثُ فِيهِمْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَمُوتَ فَإِذَا مَاتَ لَعَنَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ،

منه

«بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ».

و قال تعالى: «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» فقد صارت بحسب العرف الشرعى مطلقه على المشركين خاصه، فاذن يحمل هذا النهى على ترجيح تحريم لفظ البراءه على لفظ السب و إن كان حكمهما واحدا أقول و التحقيق فى الجواب ما ذكره الشارح البحرانى حيث قال: إنَّ السَّبَّ من صفات القول اللسانى و هو أمر يمكن ايقاعه من غير اعتقاده مع احتمال التّعريض و مع ما يشتمل عليه من حقن دماء المأمورين و نجاتهم بامتنال الأمر به و أما التبرّء فليس بصفه قوليه فقط بل يعود إلى المجانبه القلبيه و المعاداه و البغض و هو المنهى عنه ههنا، فأنه أمر باطن يمكنهم الانتهاء عنه و لا يلحقهم بسبب تركه و عدم امتثال الأمر به ضرر، و كأنه لحظ فيه قوله تعالى «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» الآية.

و محصّيه ارجاع النهى عن التبرّى فى قوله: و لا تتبرّؤا، على التبرّى بالقلب دون التبرّى بمجرد اللسان مع اطمينان القلب بالايمان، و يدل على ذلك ما يأتى فى حديث الطبيب اليونانى مع أمير المؤمنين عليه السّلام فى شرح الفصل الأوّل من الخطبه المأه و السابعة، من أمره عليه السّلام له باظهار التبرّى فى مقام التّقيه، و يستفاد من بعض الأخبار أنّ ترك كلمه الكفر و الصّبر على القتل أفضل من التّقيه و هو ما رواه المحدث الجزائرى.

قال فى زهر الزّبيع: روى أنّ مسيلمه الكذاب أخذ رجلين من المسلمين فقال لأحدهما: ما تقول فى محمّد؟ قال: رسول الله صلى الله عليه و آله قال: فما تقول فىّ؟ قال:

أنت أيضا، فخلاه، و قال للآخر فما تقول فى محمّد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فىّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثا، فأعاد جوابه الأوّل فقتله، فبلغ ذلك رسول الله

فقال: أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ اللَّهِ، وَ أَمَّا الثَّانِي فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ فَهَنِيئًا لَهُ

الترجمه

از جمله کلام بلاغت انجام آن حضرت است که فرمود بأصحاب خود: آگاه باشید که زود باشد غالب شود بر شما بعد از من مردی گشاده گلوی بر آمده شکم که می خورد آنچه را که یابد و می جوید آنچه را که نیابد، منظور معاویه بن ابی سفیان علیه اللعنه و النیرانست پس بکشید آنرا و حال آنکه هرگز نخواهید کشت، بدانید بدرستی زود باشد که امر نماید شما را آن مرد بناسزا گفتن بمن و به تبری کردن از من، پس اما ناسزا گفتن پس ناسزا گوئید مرا از جهة این که آن ناسزا گفتن شما باعث پاکیزگی من است و سبب نجاه و خلاصی شماست و اما براءت و بیزارى پس تبری نکند از جهة این که من مولود شده ام بر فطره اسلام و پیشی گرفته ام بر هجرت و ایمان و معلوم است کسی که متّصف باین صفت باشد تبرى از او جایز و سزا نیست، بلکه باعث عذاب ابدیست و سبب عقاب دائمی

و من کلام له علیه السلام کلم به الخوارج و هو السابع

اشاره

و الخمسون من المختار فی باب الخطب

أصابکم حاصب، و لا بقى منکم آبر، أبعد إيماني بالله و جهادی مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أشهد على نفسي بالكفر، لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين، فأوبوا شرّ مآب، و ارجعوا على أثر الأعقاب، أما إنکم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً، و سيفاً قاطعاً، و أثره يتخذها الظالمون فيكم سنّه.

ص: ۳۵۰

(الحاصب) الريح الشديده التي تثير الحصباء، و هي صغار الحصى قال أبو نواس:

كَأَنَّ صَغْرَى وَ كَبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا (١) حصباء درّ على أرض من الذهب

قال السّيد قوله (و لا بقى منكم أبر) يروى بالراء من قولهم ابر للذى يأبر النخل اى يصلحه، و يروى آثر و هو الذى يأثر الحديث أى يحكيه و يرويه، و هو أصحّ الوجوه عندى كأنه قال: لا بقى منكم مخبر، و يروى آبز بالراء المعجمه و هو الواثب و الهالك يقال له أيضا آبز انتهى.

و قيل: يجوز أن يكون المراد بالآبر النمام و (آب) يؤب رجع و (الاعقاب) جمع عقب بالكسر و هو مؤخر القدم و أثرها و علامتها و (الأثره) بالفتحات اسم من الاستيثار و هو الاستبداد بالشئ و التّفرد به أو من آثر ايثارا إذا اعطى

الاعراب

جملة اصابكم حاصب و لا بقى منكم أبر، دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب، و كلمه بعد ظرف لغو متعلّق بقوله اشهد، و الفاء فى قوله فاوبوا فصيح، و جملة يتخذها الظالمون فى محلّ التّصّب على الوصفيه

المعنى

اعلم أنّ المروى فى عدّه من شروح الكتاب و فى البحار هو أنّ الخوارج لمّا اعتزلوا منه و تنادوا من كلّ ناحيه لا حكم إلّا الله الحكم لله يا على لا لك، و قالوا: بان لنا خطائنا فرجعنا و تبنا فارجع إليه أنت و تب، و قال بعضهم: اشهد على نفسك بالكفر ثم تب منه، حتّى نطيعك، على ما مرّ تفصيل ذلك كلّ فى شرح الخطبه السادسة و الثلاثين و الكلام الأربعين أيضا أجابهم بهذا الكلام فقال (أصابكم حاصب) و هو كناية عن العذاب و قيل أى أصابكم حجاره من السيّماء (و لا بقى منكم أبر) و هو دعاء عليهم بانقطاع نسلهم كما قال نوح:

ص: ٣٥١

«رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلْدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا» ثم تبّه على إنكار مقاتلتهم و طلبهم شهادته على نفسه بالكفر بقوله (أ بعد ايماني بالله و جهادى مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أشهد على نفسى بالكفر) و الخطاء (ل «قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ») إذ الشّهاده على النفس بالكفر مع وجود الايمان الرّاسخ ضلال عن الهدى و عدول عن الرّشاد لا محاله قال المبرّد و من شعر أمير المؤمنين عليه السّلام الذى لا اختلاف فيه أنّه قال، و كان يرووه أنّهم لما سألوه أن يقرّ بالكفر و يتوب حتّى يسيروا معه إلى الشّام فقال: أ بعد صحبه رسول الله و التّفقّه فى دين الله أرجع كافرا، ثم قال عليه السّلام:

يا شاهد الله علىّ فاشهد إننى على دين النّبىّ أحمد

من شكّ فى الله فأنّى مهتدى يا ربّ فاجعل فى الجنان موردى

و قوله (فأوبوا شرّ مآب و ارجعوا إلى أثر الاعقاب) قيل هو أمر لهم بالرجوع و الاياب إلى الحقّ من حيث خرجوا منه قهرا كان القاهر يضرب فى وجوههم بردهم على الاعقاب و الرجوع هكذا شرّ الأنواع، و قيل هو دعاء عليهم بالذلّ و انعكاس الحال قال العلّامة المجلسىّ (ره): و يحتمل أن يكون الأمر على التّهديد كقوله تعالى:

«قُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ» (أما أنكم ستلقون بعدى ذلّا- شاملا- و سيفا قاطعا) و هو كناية عن ابتلائهم بعده بالقنل و الاستيصال و قد كان الأمر بعده على ما أخبر، و قتلوا بيد مهلب و غيره حتى أفناهم الله تعالى و تفصيل احوالهم و استيصالهم و مقاتلتهم مع المهلب المذكور فى شرح المعتزلى من أراد الاطلاع فليرجع اليه (و اثره يتخذها الظالمون فيكم سنّه) يعنى أنّ الظالمين يختارون لأنفسهم فى الفىء و الغنائم أشياء حسنه، و ينفردون بها، أو أنّهم يفضّلون غيركم عليكم

فی نصیبکم و یعطونهم دونکم.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست که تکلم کرده به آن با خوارج در وقتی که ایشان گفتند ما و تو بجهت تحکیم خطا نمودیم و کافر شدیم و ما از کفر خود توبه نمودیم بایست تو هم شهادت بدهی بر نفس خود با کفر و توبه کنی از آن پس تعرّض فرمود بایشان و گفت که:

برسد بشما عذاب و باقی نماند از شما مصلح کار ساز، آیا بعد از ایمان آوردن من بحضرت پروردگار و مجاهده نمودن من با رسول مختار شهادت بدهم بر نفس خود بکافر شدن و از دین برگشتن، هر آینه گمراه باشم این هنگام که شهادت بر کفر خود دهم، و نباشم از هدایت یافتگان پس برگردید از بدترین جای بازگشت بسوی حق، و رجوع نمائید بحق بر اثر پاشنهای خود، آگاه بشوید که شما زود باشد که ملاقات نمائید بعد از من بخواری فراوان و بشمشیر بران و باشیاء نفیسه که فرا گیرند آنرا ظالمان در شما سینه جاریه یعنی بعد از من ظالمین خوب ترین مالهای شما را از شما می گیرند و بجهت خودشان اختیار می نمایند، و این سنت می شود در میان شما.

و قال علیه السلام لما عزم علی حرب الخوارج و هو

اشاره

الثامن و الخمسون من المختار فی باب الخطب

و قيل له انهم قد عبروا جسر النهر وان:

مصارعهم دون النطفه و الله لا يفلت منهم عشرة و لا يهلك منكم عشرة. قال السيد يعنينا لنطفهماء النهر و هي أفصح كنایه عن الماء و إن كان كثيرا

ص: ۳۵۳

جَمًّا و قد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما اشبهه.

اللغة

(الجسر) معروف و (الصَّرع) الطرح على الارض و المصروع يكون موضعا و مصدرا و المراد هنا موضع هلاكهم و (النطفه) بالضم الماء الصّافي قلّ أو كثر و النطفتان في الحديث بحر المشرق و المغرب أو ماء الفرات و بحر جدّه، و المراد بها هنا كما ذكره السيّد (ره) ماء النهران، و قد مضى التعبير بها أيضا في الخطبه السابعه و الأربعين و (الافلات) و التفلت و الانفلات التخلّص من الشّئ فجأه.

الاعراب

كلمه لما في كلام السيّد ظرفيه بمعنى حين، و جمله قيل له عطف على عزم و قوله مصارعهم دون النطفه في محلّ النّصب مقول لقال.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ قوله (مصارعهم دون النطفه و الله لا يفلت منهم عشره و لا يهلك منكم عشره) اخبار عمّا يكون قبل كونه و هو من معجزاته المتواتره.

و روى أنّه لما قتل الخوارج وجدوا المفلت منهم تسعه تفرّقوا في البلاد، فانهزم اثنان منهم الى عمّان، و اثنان إلى كرمان، و اثنان الى سجستان، و اثنان الى الجزيره، و واحد الى تلّ موزون، فظهرت بدعهم في البلاد و صاروا فرقا كثيره على ما ستطلع عليه في شرح كلامه الآتي، و وجدوا المقتول من أصحابه ثمانية و يمكن أن يكون خفي على القوم مكان واحد من المقتولين أو يكون التعبير بعدم إهلاك العشره للمشاكله و المناسبه بين القرينتين.

تذكره

قد مضى في شرح الخطبه السادسة و الثلاثين أسماء المقتولين من أصحابه، و مضى أيضا في شرح كلامه الخامس و الثلاثين سند تلك الزوايه و نقلها من العلّامه المجلسي من كتاب الخرائج عن جندب بن زهير.

و أقول هنا مضافا إلى ما سبق: أنّه روى عن المدائني في كتاب الخوارج أنّه لما خرج

علّى إلى أهل النهروان أقبل رجل من أصحابه مّين كان على مقدمته يركض حتى انتهى إلى علّى فقال: البشرى يا أمير المؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال: إنّ القوم عبروا النهر لما أبلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم، فقال الله أنت رأيتهم قد عبروا، قال: نعم فأحلفه ثلاث مرّات فى كلّها يقول نعم، فقال: والله ما عبروا و لن يعبروا و أنّ مصارعهم لدون النطفه و الذى فلق الحَبّه و برء النسمة لن يبلغوا الا ثلث و لا قصر بوران حتى يقتلهم الله، و قد خاب من افترى.

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركض فرسه فقال كقول الأوّل فلم يكثرث عليه السّلام بقوله، و جاءت الفرسان كلّها تركض و تقول مثل ذلك فقام عليه السّلام فجال فى متن فرسه.

قال فقال شابّ من النّاس: و الله لأكوننّ قريبا منه فان كان عبروا النهر لأجعلنّ سنان رمحى فى عينه أيدعى علم الغيب، فلما انتهى علّى إلى النّهر وجد القوم، قد كسروا جفون سيوفهم و عرقبوا خيولهم و حبوا على ركبهم و تحكّموا تحكيمه واحده بصوت عظيم له نرجل، فتزل ذلك الشّاب فقال: يا أمير المؤمنين انّى كنت شككت فيك آنفا و إنّى تائب إلى الله و إليك فاغفر لى فقال علّى: إنّ الله هو الذى يغفر الذّنوب فاستغفره.

تنبیه و تحقیق

اشاره

قال الشّارح المعتزلى: هذا الخبر من الأخبار التى تكاد تكون متواتره، لاشتهاره و نقل النّاس له كافه، و هو من معجزاته و إخباره المفصله عن الغيوب و الاخبار على قسمين:

أحدهما الأخبار المجمله و لا إعجاز فيها نحو أن يقول الرّجل لأصحابه:

إنّكم ستنصرون على هذه الفئه التى تلقونها غدا فان نصر جعل ذلك له حجه عند اصحابه و سماها معجزه و إن لم ينصر قال لهم تغيّرت نيّاتكم فمنعكم الله نصره و نحو ذلك من القول.

و القسم الثّانى الأخبار المفصله عن الغيوب مثل هذا الخبر فأنّه لا يحتمل التّلبیس

لتقييده بالعدد المعين في أصحابه و في الخوارج و وقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زياده و لا نقصان، و ذلك أمر إلهي عرفه من جهه رسول الله و عرفه رسول الله من جهه الله سبحانه، و القوه البشريه تقصر عن إدراك مثل هذا، و لقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره.

و بمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته و أحواله المنافيه لقوى البشريه غلافه من غلا حتى نسب إلى أنّ الجوهر الإلهي حلّ في بدنه كما قالت النصارى في عيسى، و قد أخبره النبي صلى الله عليه و آله بذلك، فقال يهلك فيك محبّ غال و مبغض قال، و قال له تاره: و الذي نفسى بيده لو لا أنّي اشفق أن يقول طوايف من امتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرّ بملاء من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركه.

قال الشّارح: و أوّل من جهر بالغلوّ في أيّامه عبد الله بن سبا قام إليه و هو يخطب فقال له أنت أنت و جعل يكرّرها، فقال له ويلك من أنا فقال أنت الله فأمر بأخذه و أخذ قوم كانوا على رأيه.

و روى ابو العباس أحمد بن عبيد الله من عمّار الثّقفي عن عليّ بن محمّد بن سليمان التّوفلي عن أبيه و عن غيره من مشيخته أنّ عليّاً قال: يهلك فيّ رجلان: محبّ مطر يضعني غير موضعي و يمدحني بما ليس فيّ، و مبغض مفترير ميني بما أنا منه بريء.

قال أبو العباس: و هذا تأويل الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه و آله فيه و هو قوله صلى الله عليه و آله إنّ فيك مثلاً عن عيسى بن مريم، أحبّته النصارى فرفعته فوق قدره، و أبغضته اليهود حتى بهتت أمّه.

قال ابو العباس و قد كان عليّ عثر على قوم خرجوا من محبّته باستحواذ الشيطان عليهم إلى أن كفروا برّبهم و جحد و اما جاء به نبيّهم و اتّخذوه ربّاً و إلها و قالوا:

أنت خالقنا و رازقنا فاستتابهم و توعدهم فأقاموا على قولهم فحفر لهم حفراً دخن عليهم طمعا في رجوعهم فأبوا فحرّقهم بالنّار.

قال الشَّارح: و روى أصحابنا فى كتاب المقالات أنه لما حرقهم صاحوا إليه الآن ظهر لنا ظهورا بينا أنك أنت الاله لأن ابن عمك الذى أرسلته قال لا يعذب بالنار إلا رب النار.

و روى أبو العباس عن محمّد بن سليمان بن حبيب المصيصى عن على بن محمّد النوفلى عن أبيه و مشيخته، أن عليّا مرّ بهم و هم يأكلون فى شهر رمضان فقال أسفر أم مرضى؟ قالوا: و لا واحده، قال: أفمن أهل الكتاب أنتم؟ قالوا: لا قال:

فما بال الأكل فى شهر رمضان نهارا؟ قالوا: أنت أنت لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم و نزل عليه السّلام عن فرسه فألصق خدّه بالتّراب ثم قال عليه السّلام: ويلكم إنّما أنا عبد من عبيد الله فاتّقوا الله و ارجعوا إلى الاسلام فأبوا فدعاهم مرارا فأقاموا على أمرهم فنهض عنهم، ثم قال شدّوهم وثاقا و علىّ بالفعل و النار و الحطب ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل أحدهما سربا و الآخره مكشوفه و ألقى الحطب فى المكشوفه و فتح بينهما فتحا و ألقى النّار فى الحطب فدخل عليهم و جعل يهتف بهم و يناشدهم ارجعوا إلى الاسلام فأبوا فأمر بالحطب و النار و القى عليهم فاحترقوا فقال الشّاعر:

لترم بى المنيه حيث شئت اذا لم ترم بى فى الحفرتين

اذا ما حشّتا حطبا بنار فذاك الموت نقدا غير دين

قال أبو العباس ثم إنّ جماعه من أصحاب علىّ منهم عبد الله بن عباس شفّعوا فى عبد الله بن سبا خاصّه و قالوا: يا أمير المؤمنين إنّه قد تاب فاعف عنه فأطلقه بعد ان اشترط عليه أن لا يقيم بالكوفه، فقال: أين أذهب؟ قال: المداين فنفاه إلى المداين فلما قتل أمير المؤمنين أظهر مقالته و صارت له طائفه و فرقه يصدّقونه و يتبعونه.

و قال لما بلغه قتل علىّ عليه السّلام: و الله لو جئتمونا بدماعه فى سبعين صره لعلمنا أنّه لم يمت و لا يموت حتّى يسوق العرب بعصاه، فلما بلغ ابن عباس ذلك قال: لو علمنا لما تزوّجنا نساءه و لا قسّنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات: و اجتمع إلى عبد الله بن سبا بالمداين جماعه على هذا

القول و تفاقم أمرهم و شاع بين الناس قولهم و صار لهم دعوه يدعون إليها و شبهه يرجعون إليها و هى ما ظهر و شاع بين الناس من اخباره بالمغيبات حالا بعد حال، فقالوا:

إِنَّ ذَٰلِكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ حَلَّتْ ذَاتُ الْإِلَهِ فِي جَسَدِهِ، وَ لِعَمْرَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَٰلِكَ إِلَّا بِإِقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ عَلَيْهِ، وَ لَكِنْ لَا يُلْزَمُ مِنْ إِقْدَارِهِ إِيَّاهُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِلَهِ أَوْ تَكُونَ ذَاتُ الْإِلَهِ حَالَهُ فِيهِ هَٰذَا.

و حيث انجزّ الكلام إلى هذا المقام فلا بأس بأن نحقق الكلام فى معنى الغلوّ و التفويض و نشير إلى بعض الآيات و الأخبار الواردة فيهما، و نذكر وجوه التفويض و ما ينبغى أن يدان به و يعتقد عليه.

فأقول: قال الصّيدوق فى اعتقاداته: اعتقادنا فى الغلاء و المفوضه أنّهم كفار باللّٰه جلّ جلاله و أنّهم شرّ من اليهود و النصارى و المجوس و القدرية و الحرورية و من جميع أهل البدع و الأهواء المضلّة، و أنّه ما صغر اللّٰه جلّ جلاله تصغيرهم شىء و قال اللّٰه جلّ جلاله:

«مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّيْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَ لَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَ النَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَمْ يُؤْمَرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ » و قال اللّٰه عزّ و جلّ: «لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ » و اعتقادنا فى النبىّ و الأنمه أنّ بعضهم قتلوا بالسيف و بعضهم بالسّم و أنّ ذلك جرى عليهم على الحقيقة و أنّه ما شبّه أمرهم كما يزعمه من يتجاوز الحدّ فيهم «إلى أن قال» و كان الرضا عليه السّلام يقول فى دعائه:

اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِيءُ إِلَيْكَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ وَأُبْرءُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ أَدْعُوا لَنَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُبْرءُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فِينَا مَا لَمْ نَقْلَهُ فِي أَنْفُسِنَا، اللَّهُمَّ لَكَ الْحَقُّ وَمَنْكَ الرِّزْقُ وَ«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُنَا وَخَالِقُ آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ وَآبَائِنَا الْآخِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَلِيقَ الرَّبُّوبِيَّةُ إِلَّا بِكَ، وَلَا تَصْلَحُ الْإِلَهِيَّةُ إِلَّا لَكَ، فَالْعَنُ النَّصَارَى الَّذِينَ صَغَرُوا عِظَمَتَكَ، وَالْعَنُ الْمُضَاهَيْينَ لِقَوْلِهِمْ مِنْ بَرِيَّتِكَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدك و أبناء عبيدك، لَا نملك لأنفسنا نفعا وَلَا ضَرًّا، وَلَا مَوْتًا، وَلَا حَيَاةً، وَلَا نَشُورًا، اللَّهُمَّ مِنْ زَعَمَ أَنَّنَا أَرْبَابٌ فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ إِلَيْنَا الْخَلْقَ وَعَلَيْنَا الرِّزْقَ، فَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ كِبْرَاءَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنَ النَّصَارَى، اللَّهُمَّ إِنَّا لَمْ نَدْعُهُمْ إِلَى مَا يَزْعُمُونَ، فَلَا تَوَاضَعُنَا بِمَا يَقُولُونَ، وَاعْفِرْنَا مَا يَدْعُونَ، وَلَا تَدْعَ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنْهُمْ دِيَّارًا، «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلْتَدُوا إِلَّا- فَاجِرًا كَفَّارًا» وَرَوَى عَنْ زُرَّارَةَ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِلصَّيَادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ رَجُلًا- مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَا يَقُولُ بِالتَّفْوِيضِ، فَقَالَ: وَمَا التَّفْوِيضُ؟ قُلْتُ: يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَفَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِمَا فَخَلَقَا وَرَزَقَا وَأَمَاتَا وَأَحْيَا، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ إِذَا انْصَرَفَتْ إِلَيْهِ فَاتَّلَّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ الرَّعْدِ «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ».

فَانْصَرَفَتْ إِلَى الرَّجُلِ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَأَنِّي أَلْقَمْتُهُ حَجْرًا أَوْ قَالَ فَكَأَنَّمَا خَرَسَ وَ قَدْ فَوَّضَ اللَّهُ عِزَّ وَ جَلَّ إِلَى نَبِيِّهِ أَمْرَ دِينِهِ فَقَالَ عِزَّ وَ جَلَّ:

«وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا».

وَقَدْ فَوَّضَ ذَلِكَ إِلَى الْأَثَمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَ عَنْ الْمَفِيدِ فِي شَرْحِ هَذَا الْكَلَامِ: الْغُلُوفُ فِي اللُّغَةِ هُوَ تَجَاوُزُ الْحَدِّ وَالْخُرُوجُ عَنِ الْقَصْدِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» الآية فهي عن تجاوز الحد في المسيح و حذر من الخروج عن القصد في القول و جعل ما ادعته النصارى فيه غلوًا لتعديده الحد على ما بيناه، و الغلاة من المتظاهرين بالاسلام الذين نسبوا أمير المؤمنين و الأئمة من ذريته عليهم السّلام إلى الالهية و النبوة، و وصفوهم من الفضل في الدين و الدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد، و خرجوا عن القصد و هم ضالّ كفار حكم فيهم أمير المؤمنين بالقتل و التحريق بالنّار و قضت الأئمة عليهم السلام عليهم بالكفار و الخروج عن الاسلام، و المفوّضه صنف من الغلاة و قولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترفهم بحدوث الأئمة و خلقهم، و نفى القدم عنهم و إضافه الخلق و الرزق مع ذلك إلههم، و دعواهم أنّ الله تفرد بخلقهم خاصه و أنّه فوّض إلههم خلق العالم بما فيه و جميع الأفعال انتهى كلامه رفع مقامه و قال المحدث العلامة المجلسي طاب ثراه: اعلم أنّ الغلو في النبيّ و الأئمة عليهم الصّلاه و السّلام إنّما يكون بالقول بالوحيّتهم، أو بكونهم شركاء لله تعالى في المعبوديّة أو في الخلق و الرزق، أو أنّ الله تعالى، حلّ فيهم، أو اتحد بهم، أو أنّهم يعلمون الغيب بغير وحى أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة أنهم كانوا أنبياء أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأنّ معرفتهم تغنى عن جميع الطاعات و لا تكليف معها بترك المعاصى، و القول بكلّ منها الحاد و كفر و خروج عن الدين كما دلّت عليه الأدلّة العقلية و الآيات و الأخبار و قد عرفت أنّ الأئمة عليهم السّلام تبرؤوا منهم و حكموا بكفرهم و أمروا بقتلهم و إن قرع سمعك شىء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك فهي إمّا مأوله أو هي من مفتريات الغلاة، و لكن أفرط بعض المتكلمين و المحدثين في الغلو لقصورهم عن معرفه الأئمة عليهم السّلام و عجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم و عجائب شئوناتهم فقدحوا في كثير من الرّوات الثّقاه لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتّى قال بعضهم من الغلو نفى السّهو عنهم أو القول بأنّهم يعلمون ما كان و ما يكون و غير ذلك

مع أنه قد ورد في أخبار كثيرة: لا تقولوا فينا ربا و قولوا ما شئتم و لن تبلغوا و ورد أن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، و ورد لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله و غير ذلك فلا بد من المتدين أن لا يبادر برده ما ورد عنهم من فضائلهم و معجزاتهم و معالي أمورهم إلا إذا ثبت خلافه بضروره الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمه أو بالأخبار المتواتره، انتهى كلامه رفع مقامه و هو كاف في تحقيق المقام و توضيح المرام و ما ذكره (ره) هي الجاده الوسطى و النمط الأوسط و الصراط المستقيم الذى ينبغى سلوكه و المذهب الحق الواجب أخذه و لزومه، فالزاعب عنه مارق و اللازم له لاحق و المقصير فيه زاهق و أما التفويض فالوارد فى الأخبار الكثيره المنع من القول به، و قد أكثروا فيها من ذم المفوضه و تكذيبهم و التبري منهم و من ذلك ذهب جمع من الاصحاب إلى نفيه و المنع من القول به، و لكن الانصاف أن القول بالمنع مطلقا تفريط، كما أن القول بثبوتة مطلقا إفراط إذ الأخبار فى طرفى المنع و الثبوت بالغه حد الاستفاضه لو لم تبلغ حد التواتر، فالعمل باحدى الطائفتين و طرح الطائيفه الأخرى بالمره و إسقاطها عن درجه الاعتبار غير ممكن، فاللازم الأخذ بكل منهما فى الجملة، و مقتضاه القول بالتفصيل فى المسأله و يظهر ذلك برسم وجوه التفويض فأقول و بالله التوفيق إن التفويض عبارته عن تسليم الأمر إلى الخلق و رده إليه، و هو على وجهين أحدهما تفويض أمور الخلق إلى أنفسهم، و هو الذى قال به القدرية و يقال لها المفوضه أيضا و محصل ما ذهبوا إليه أن الله أوجد العباد و أقدرهم على أفعالهم و فوض إليهم الاختيار فهم مستقلون بايجادها على وفق مشيئتهم و ارادتهم و طبق قدرتهم من دون أن يكون له سبحانه تأثير فيها بوجه من الوجوه، و بازاء هؤلاء الجماعه جماعه أخرى ذهبت إلى أن لا مؤثر فى الوجود إلا الله فيفعل ما يشاء و يحكم ما يريد لا عله لفعله و لا راد لقضائه و هذان الفريقان واقعان فى طرفى التضاد، أحدهما يسمى بالقدرية و الآخر

بالجبريّه، و زعم الفرقة الاولى أنّ بالقول بالتفويض يظهر فايده التكليف بالأمر و النهى و الوعد و الوعيد، و به يحصل استحقاق الثواب و العقاب، و به ينزه الله سبحانه عن ايجاد الشرور و القبائح التي هي أنواع الكفر و المعاصي، و زعم الفرقة الاخرى أنّ بالقول بالجبر يحصل سلطنه مالك الملوك في ملكوته و ملكه و أنّ فيه تعظيما لقدره الله تعالى و تقديسا له عن شوائب النقصان و الافتقار في التأثير إلى شيء آخر و أنت خير بأن القول الأول مستلزم للشرك، و الثاني مستلزم للكفر، و قد ورد في الأخبار الكثيره المنع منهما و الرد عليهما صريحا بقولهم: لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين، و تحقيق الأمر بين الأمرين و توضيح الرد على الفريقين لعلنا نشير إليها في مقام مناسب إنشاء الله.

الوجه الثاني تفويض أمور الخلق إلى النبي و الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم و ردّها إلى اختيارهم و هو يتصوّر على أنحاء بعضها صحيح و بعضها باطل

الاول

التفويض في الخلق و اليجاد و التربيّه و الرزق و الاماته و الاحياء و غيرها من الأفعال، و قد أثبتته بهذا المعنى بعض الناقصين من الغلاة فان كان مرادهم منه أنّهم يفعلون جميع ذلك بارادتهم و قدرتهم و هم الفاعلون لها حقيقه كما هو ظاهر كلماتهم على ما حكى عنهم غير واحد، فهو كفر صريح دلّت على امتناعه الأدلة العقلية و النقلية، و قد مضى الاشاره إلى بعضها في كلامي الصدوق و المفيد السابقين و يدلّ عليه صريحا (1) ما رواه في العيون عن الرضا عليه السلام أنّه قال: من زعم أنّ الله يفعل أفعالنا ثمّ يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، و من زعم أنّ الله فوّض أمر الخلق و الرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض، و القائل بالجبر كافر و القائل بالتفويض مشرك و فيه أيضا باسناده عن أبي هاشم الجعفرى قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن

ص: ٣٦٢

١- (١) و التقييد بذلك نظرا الى ان آيات الخلق و دلائل التوحيد و الآيات الواردة في كفر النصارى و بطلان مذهبهم و الاخبار الواردة فيها دالّه على الامتناع أيضا إلا أنّ المقصود في المقام ذكر الادله الخاصه الصريحه، منه

الغلاه و المفوضه فقال: الغلاه كفار و المفوضه مشركون من جالسهم أو خالطهم أو اكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج إليهم أو امنهم أو ائتمنهم على أمانه أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمه، خرج من ولاية الله عز وجل و ولاية رسول الله و ولايتنا أهل البيت و فى البحار من كتاب الرجال للكششى باسناده عن عبد الله بن شريك عن أبيه قال: بينا على عند امرأه له من غزوه و هى ام عمرو إذ أتاه قبر فقال: إن عشره نفر بالباب يزعمون أنك ربهم فقال: ادخلهم قال: فدخلوا عليه فقال لهم: ما تقولون فقالوا إنك ربنا و أنت الذى خلقتنا و أنت الذى رزقتنا، فقال لهم: ويلكم ربى و ربكم الله، ويلكم توبوا أو ارجعوا فقالوا: لا- نرجع عن مقالتنا أنت ربنا ترزقنا و أنت خلقتنا فقال: يا قبر ائتنى بالفعل فخرج قبر فأتاه بعشره رجال مع الزبل (١) و المروء، فأمر أن يحفروا لهم فى الأرض فلما حفروا خدًا (٢) أمر بالحطب و النار فطرح فيه حتى صار نارا تتوقد قال لهم: توبوا قالوا: لا نرجع فقدف على عليه السلام بعضهم ثم قذف بقيتهم فى النار قال عليه السلام:

إننى إذا أبصرت شيئاً منكراً أو قدت نارى و دعوت قنبرا

(٣) و عن العيون عن ماجيلويه، عن على، عن أبيه، عن ياسر الخادم قال: قلت للرضا عليه السلام ما تقول فى التفويض؟ فقال: إن الله تبارك و تعالى فوض إلى نبيه أمر دينه فقال:

«ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» فاما الخلق و الرزق فلا ثم قال: إن الله عز وجل خالق كل شىء و هو يقول عز وجل:

ص: ٣٦٣

١- (١) الزبل ككتب جمع زبيل كأمر و قنديل و سكين قاله فى القاموس

٢- (٢) أى الحفرة المستطيله فى الارض ق

٣- (٣) و فى بعض الروايات بعد هذا البيت هكذا: ثم احتفرت حفرا فحفروا قبر يحطم حطما منكرا (منه)

«الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»
و في الاحتجاج و عن العيون جميعا عن علي بن أحمد الدلال القمي، قال:

اختلف جماعه من الشيعة في أنّ الله عزّ و جلّ فوّض إلى الأئمة أن يخلقوا و يرزقوا فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله، لأنّ الاجسام لا- يقدر على خلقها غير الله عزّ و جلّ، و قال آخرون بل الله عزّ جلّ أقدر الأئمة على ذلك و فوّض إليهم، فخلقوا و رزقوا، و تنازعوا في ذلك نزاعا شديدا فقال قائل: ما بالكم لا- ترجعون إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان فتسألونه عن ذلك ليوضح لكم الحقّ فيه فأنّه الطريق إلى صاحب الأمر عليه السّلام فرضيت الجماعه بأبي جعفر و سلّمت و أجابت إلى قوله، فكتبوا المسأله فأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام و قسّم الأرزاق، لأنّه ليس بجسم و لا حال في جسم، ليس كمثله شيء و هو السّميع البصير، فأما الأئمة فإنّهم يسألون الله فيخلق و يسألونه فيرزق ايجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم إلى غير هذه من الأخبار الواردة في ردّ هذه المقالة الفاسده و طعن القائلين به، فلا- يستريب عاقل في الحكم بكفرهم إن كان مرادهم التّفويض بالاستقلال.

و إن كان مرادهم أنّ الله يفعل الأشياء مقارنا لإرادتهم كشقّ القمر و إحياء الموتى و قلب العصا حيّه و غير ذلك من المعجزات، بمعنى أن يكون الفاعل لها حقيقه هو الله سبحانه و يكون هو الخالق و الرّازق و المحيى و المميت و الضارّ و النافع إلّا أن ذلك لما كان مقارنا لإرادتهم و مقترنا لمشيئتهم فاطلق ذلك عليهم مجازا.

و بعبارة أخرى لما كان وقوع هذه الأفعال بسبب ارادتهم فصاروا بمنزله الفاعل لها حقيقه، فهذا المعنى مما لا إباء للعقل عنه لأنه لا يأبى عن أن يكون الله خلقهم و أكملهم و ألهمهم ما يصلح لنظام العالم ثم خلق كلّ شيء بقدرته مقارنا

لارادتهم و مشيتهم.

إلا أنّ المحدث المجلسى قال: إنّ الأخبار الكثيره تمنع من القول به فيما عدا المعجزات ظاهرا بل صريحا، مع أنّ القول به قول بما لا- يعلم، إذ لم يرد ذلك فى الأخبار المعتره فيما نعلم، و ما ورد من الأخبار الدّالّه على ذلك كخطبه البيان و أمثالها فلم يوجد إلّا فى كتب الغلاه و أشباههم مع أنه يمكن أن يكون المراد كونهم علّه غائيه لجميع الممكنات، و ايجاد جميع المكونات و انه تعالى جعلهم مطاعين فى الأرضين و السماوات، و يطيعهم باذن الله تعالى كلّ شىء حتى الجمادات، و انهم إذا شاءوا امرا لا يرد الله مشيتهم و لكنّهم لا يشاءون إلّا أنّ يشاء الله.

و أمّا ما ورد من الاخبار فى نزول الملائكه و الزّوج اليهم لكلّ أمر و أنه لا ينزل من السماء ملك لأمر إلّا بدء بهم فليس ذلك لمدخلهم فى ذلك و لا- للاستشاره بهم، بل له الخلق و الأمر تعالى شأنه و ليس ذلك إلّا لتشريفهم و إكرامهم و اظهار رفعه مقامهم

الثانى

التّفويض فى أمر الدّين فى الجملة و إنّما قيّدنا به و خالفنا ظاهر أكثر العباير لأنّ كثيرا من الأمور الدّينيّه ممّا نطق به الكتاب العزيز، و بعضها ثبت بالاحاديث القدسيّه، فلا- بدّ أن يكون التّفويض فيما عداها، و به يظهر ما فى إطلاقات الاكثر، فالمقصود بذلك أنّه سبحانه لمّا أكمل نبيّه بحيث لم يكن يختار من الأمور شيئا إلّا ما يوافق الحقّ و الصّواب، و لم يكن يخطر بباله ما يخالف مشيّه الله فى كلّ باب فوّض إليه تعيين بعض الامور كالزياده فى الصّلاه و تعيين التّوافل فى الصّلاه و الصّوم و طعمه بالجد، و تحرير كلّ مسكر و نحو ذلك ممّا سيأتى فى ضمن الأخبار و التّفويض بذلك المعنى حقّ ثابت بالأخبار المستفيضه و قد ذهب إليه جمع من الأصحاب و هو الظّاهر من أكثر المحدثين بل صريح بعضهم كالكلينى حيث عقد فى الكافى بابا فيه و الصّدوق فى جملة من كتبه، فقد ذكر الأخبار الداله على ذلك من غير تعرّض لردّها، و صرّح به فى عقايد حسيما عرفت سابقا، و المحدث

ص: ٣٦٥

المجلسي في جملة من كتبه و غيرهم فمما يدل على ذلك روايه ياسر الخادم التي أسلفناها و ما رواه في الكافي عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ أَدَبَ نَبِيِّهِ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ، فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ:

«وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ثم فَوَضَّ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأَمَّةِ لِيَسُوسَ عِبَادَهُ فَقَالَ:

«وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» و إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ مَسَدًّا مَوْفَقًا مُؤَيَّدًا بِرُوحِ الْقُدُسِ لَا يَذَلُّ «يَزَلُّ ظ» وَ لَا يَخْطِئُ شَيْءٌ مِّمَّا يَسُوسُ بِهِ الْخَلْقَ، فَتَأَدَّبَ بِآدَابِ اللَّهِ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ فَرَضَ الصَّيْلَةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ عَشْرَ رَكَعَاتٍ، فَأَضَافَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِلَى الرُّكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ وَ إِلَى الْمَغْرَبِ رَكْعَةً، فَصَارَتْ عَدِيلُ الْفَرِيضَةِ لَا يَجُوزُ تَرْكُهُنَّ إِلَّا فِي سَفَرٍ، وَ أَفْرَدَ الرُّكْعَةَ فِي الْمَغْرَبِ فَتَرَكَهَا قَائِمَةً فِي السَّفَرِ وَ الْحَضَرِ، فَأَجَازَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ فَصَارَتْ الْفَرِيضَةُ سَبْعَ عَشَرَ رَكْعَةً.

ثُمَّ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ النَّوَافِلَ أَرْبَعًا وَ ثَلَاثِينَ رَكْعَةً مِثْلَى الْفَرِيضَةِ فَأَجَازَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ، وَ الْفَرِيضَةُ وَ النَّافِلَةُ أَحَدِي وَ خَمْسُونَ رَكْعَةً، مِنْهَا رَكْعَتَانِ بَعْدَ الْعَتَمَةِ جَالِسًا تَعَدَّ بِرَكْعَةٍ مَكَانَ الْوُتْرِ، وَ فَرَضَ اللَّهُ فِي السَّنَةِ صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَوْمَ شَعْبَانَ وَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِثْلَى الْفَرِيضَةِ فَأَجَازَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَ حَرَّمَ اللَّهُ الْخَمْرَ بَعِينَهَا وَ حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ الْمُسْكِرَ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ فَأَجَازَ اللَّهُ ذَلِكَ وَ عَافَ رَسُولُ اللَّهِ أَشْيَاءَ وَ كَرِهَهَا لَمْ يَنْهَ عَنْهَا نَهْيَ حَرَامٍ إِنَّمَا نَهَى عَنْهَا نَهْيَ إِعَافَةٍ وَ كَرَاهَةٍ، ثُمَّ رَخَّصَ فِيهَا فَصَارَ الْإِخْذُ بِرَخِصَتِهِ وَاجِبًا عَلَى الْعِبَادِ كَوَجُوبِ مَا يَأْخُذُونَ بِنَهْيِهِ وَ عَزَايِمِهِ وَ لَمْ يَرَخَّصْ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ فِيمَا نَهَاهُمْ عَنْهُ نَهْيَ حَرَامٍ، وَ لَا فِيمَا أَمَرَ بِهِ أَمْرَ فَرَضٍ لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْأَشْرَبَةِ نَهَاهُمْ عَنْهُ نَهْيَ حَرَامٍ

و لم يرخص رسول الله تقصير الركعتين اللتين ضمهما إلى ما فرض الله بل ألزمهم ذلك إلزاما واجبا لم يرخص لأحد في شيء من ذلك إلا للمسافر، و ليس لأحد أن يرخص ما لم يرخصه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فوافق أمر رسول الله أمر الله عز و جل، و نهيه نهى الله عز و جل، و وجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك و تعالى و في الكافي أيضا عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما عرج برسول الله صلى الله عليه وآله نزل بالصلاة عشر ركعات ركعتين ركعتين، فلما ولد الحسن و الحسين زاد رسول الله سبع ركعات شكرا لله فأجاز الله له ذلك و ترك الفجر لم يزد فيها لضيق وقتها، لأنه يحضرها ملائكة الليل و ملائكة النهار، فلما أمره الله تعالى بالتقصير في السفر وضع عن أمته ست ركعات و ترك المغرب لم ينقص منها شيئا و في البحار من كتاب الاختصاص باسناده عن جابر بن يزيد، قال تلوت على أبي جعفر عليه السلام هذه الآية من قول الله:

«لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» فقال إن رسول الله صلى الله عليه وآله حرص أن يكون عليّ وليّ الأمر من بعده فذلك الذي عنى الله «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» و كيف لا يكون له من الأمر شيء و قد فوض الله إليه فقال: ما أحلّ النبيّ فهو حلال و ما حرّم النبيّ فهو حرام و فيه أيضا من بصائر الدرجات باسناده عن محمّد بن الحسن الميثمي، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الله أدب رسوله حتّى قومه على ما أراد ثمّ فوض إليه فقال:

«مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» فما فوض الله إلى رسوله فقد فوض إلينا، و رواه في الكافي أيضا مثله و في البحار من البصائر أيضا عن أديم بن الحرّ، قال أديم: سأله موسى بن اشيم يعني أبا عبد الله عليه السلام عن آية من كتاب الله فخبّره بها، و لم يبرح حتّى دخل رجل

فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبره، قال ابن أشيم فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كنت كاد قلبي أن يشرح بالسَّيِّئَ كاكين، وقلت. تركت أبا قتاده بالشَّام لا يخطئ في الحرف الواحد الواو و شبهها و جئت إلى من يخطئ هذا الخطاء كله فيينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية بعينها فأخبره بخلاف ما أخبرني والذي سأله بعدى فتجلى عني و علمت أن ذلك تعمدا منه، فحدثت نفسي بشيء فالتفت إلى أبو عبد الله عليه السلام فقال يا ابن أشيم لا تفعل كذا و كذا فحدثني عن الامر الذي حدثت به نفسي ثم قال: يا ابن أشيم إن الله فوض إلى سليمان بن داود فقال:

«هذا عطاؤنا فامتنن أو أمسك بغير حساب» و فوض إلى نبيه فقال:

«ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا» فما فوض إلى نبيه فقد فوضه إلينا، و رواه في الكافي نحوها إلى غير ذلك مما ورد في هذا الباب هذا و المستفاد من الروايتين الأخيرتين هو ثبوت التفويض إلى الأئمة كما ثبت للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، و هو نص الصِّدوق في عبارته التي نقلناها سابقا، و لكنه مشكل جدا، و ذلك لأن الظاهر من تفويض أمر الدين إليهم حسبما ذكرناه سابقا هو تسليم أمره إليهم و جعله موكولا إلى اختيارهم، بمعنى أن يكون لهم الخيار في تحريم شيء أو تحليله و الحكم بطهاره شيء أو نجاسته إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية و الوضعيه و هو مناف للأحاديث المستفيضه بل المتواتره الداله على أن جميع الأحكام مما علمه رسول الله عليا و الأئمة من ولده، و أنه ما بقى شيء يحتاج إليه الأئمة من الأحكام الشرعيه و المسائل الدينيه حتى أرش الخدش إلا بينه صلى الله عليه و آله و تنافيه للتفويض ظاهر، إذ المستفاد من هذه الأخبار أنه لم يبق من أمر الدين شيء إلا و أودعه صلى الله عليه و آله عندهم، فلم يبق حكم واقعي حتى يفوض الأمر فيه إليهم أو يحكموا به من تلقاء أنفسهم، بل الظاهر أن كل ما حكموا به فهو نور مقتبس من

و منه ينقذ إشكال آخر، و هو أنَّ المستفاد من كثير من الأخبار و الآيات أنَّ في القرآن بيان كل شيء و أنه لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين، و أنَّ جميع الأحكام ممَّا نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، و ذلك ينافي التفويض إلى النبي أيضا بالتقريب الذي ذكرناه آنفا، و قد قال سبحانه: «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، و إن أتبع إلا ما يوحى إلى و ما أنا إلا نذير مبين» و من المعلوم أنه كثيرا ما كان ينتظر الوحي و لا يجيب من تلقاء نفسه، فلو كان الأمر مفوضا إليه لما احتاج إلى ذلك و يمكن الجواب عن الاشكال الأول بحمل الأحكام المفوضه إليهم على الأحكام الظاهرية كالوارده في مقام التقيه و ربما يشعر به الروايه الأخيره إلا أنَّ المستفاد من ذيلها كالروايه المتقدمه عليها هو كون التفويض إلى الأئمه على حد التفويض إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أنَّ ما فوض إلى رسول الله فوض إلى الأئمه، و قد ظهر من روايه الفضيل أنَّ التفويض إليه صلى الله عليه و آله و سلم إنما هو في الأحكام الواقعيه فالأولى الجواب بأن المراد بالتفويض إليهم هو التفويض في تشريع الأحكام و اختراعها.

لا يقال: إنَّ تشريع الأحكام كان مختصا بالنبي صلى الله عليه و آله إذ لم يبق بعده حكم حتى يكون مفوض التشريع إلى الأئمه لأننا نقول: إنَّ غايه ما يستفاد من الأخبار هو أنَّ إكمال الدين و إنزال جميع الاحكام كان في زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أمَّا تبليغه لها كلها إلى الامه فلا بل لم يبلغ صلوات الله عليه إلا قليلا من الاحكام، و إنما أودعها كلها عند الأئمه و سلمها إليهم و هم عليهم السلام بلغوا منها إلى الامه ما كانت محتاجه إليه، و بقي مخزونا عندهم ما لم يكن لها إليه حاجه و بمثل هذا الجواب أيضا يمكن الدب عن الاشكال الثاني إلا أنَّ التحقيق في الجواب عنه أن يقال: إنَّ كون جميع الاحكام ممَّا اوحى بها إلى النبي لا ينافي

التفويض إليه، لأنَّ المستفاد من الأخبار أنَّ تفويض أمور الدين إليه صَلَّى الله عليه وآله إِنَّمَا وقع بعد أن أذبه الله سبحانه، والمراد بتأديبه هو اجتباؤه بالهدايه إلى جميع ما فيه صلاح العباد في أمر المعاش والمعاد، و اكرامه بالعصمه المانعه من الخطاء والزَّلَل، و اكمال عقله و إقداره على معرفه جهات الأفعال من المصالح و المفسدات الواقعه فيها فيكون محصّل المراد بتلك الأخبار أنَّ الله أكمل عقل نبيّه و علّمه جميع المصالح و المفسدات الواقعيه، فحسن علمه و كماله، ثمّ فوّض إليه أمر دينه أى أذن له فى مراجعته عقله فى معرفه الأحكام، فعرف فى شىء جهه حسن ملزم فحكم فى نفسه بوجوبه، و فى شىء آخر جهه قبح ملزم فحكم فى نفسه بحرمة، و هكذا ثمّ لحقه الاجازة من الله سبحانه، فحاله عند التحقيق كحال المجتهد إذا رجع الأدلّه فحكم بحكم ثمّ عرض على المعصوم فأقرّه عليه و أجاز له ذلك و بعبارة أخرى أنَّ الله لمّا أكمل نبيّه بالعقل و العلم و العصمه و الهدايه، و النّبىّ لمّا عرف الجهات الواقعيه للأفعال، فعين فى نفسه الشّريف لكلّ فعل حكما من الأحكام على حسب ملاحظه الجهات و مراعات اقتضاء المقتضيات الواقعيه فلحقه الاجازة منه سبحانه بما عينه فى نفسه، ثمّ كلف الناس به بعد لحوق الاجازة فيكون و حيا و يندرج فى أحكام الله سبحانه، ثمّ فى الكتاب المشتمل عليها و على غيرها، و كيف كان فلا ينطق بما اختاره فى نفسه إلّا بعد الاجازة و نزول وحي يدلّ على تقريره عليه.

و من هنا ذهب بعض أصحابنا الأصوليين إلى أنَّ المراد بقولهم كلّما حكم به العقل حكم به الشّرع: هو العقل الكلّ العالم بالجهات المحسّنه و المقبحه العارف بالمصالح و المفسدات الواقعيه، و يوضح ما حقّقناه ما ورد فى أمر تحويل القبله من أنَّ النّبىّ كان متعيّدا باستقبال بيت المقدّس، فلما عيرت به اليهود و قالوا له: إنك تابع لقبلتنا كره استقبال قبلتهم و أحبّ التحويل إلى الكعبه فأُنزل الله سبحانه:

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ»

«وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ».

فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ اخْتَارَ فِي نَفْسِهِ التَّحْوِيلَ، وَ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكْلِفِ النَّاسَ بِهِ مِنْ هَوَى نَفْسِهِ وَ إِنَّمَا كَلَّفَهُمْ بَعْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ، فَوَلَّى وَجْهَهُ شَطْرَهُ فَوَلَّوْا وَجُوهَهُمْ إِلَيْهِ، فَافْهَمُوا وَ اغْتَنِمُوا

الثالث

تفويض أمر الخلق إليهم من سياستهم و تأديبهم و تكميلهم و تعليمهم و وجوب إطاعتهم فيما أحبوا و كرهوا، و فيما علموا وجهه المصلحة فيه و ما لم يعلموا، و بعبارة أخرى أنه تعالى فَوَّضَ زمام الخلق إليهم و أوجب عليهم طاعتهم في كل ما يأمرون به و ينهون عنه، سواء علموا وجهه المصلحة أم لم يعلموا، و إنما الواجب عليهم الاذعان و الانقياد.

قال العلامة المجلسي (ره): و هذا المعنى حقّ دلّت عليه الآيات و الأخبار و أدلّه العقل اه أقول: من الآيات قوله تعالى:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» و قوله:

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ».

و من الأخبار ما رواه في الكافي بإسناده عن أبي اسحاق النحوي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فسمعتة يقول: إِنَّ اللَّهَ أَذَبَ نَبِيَّهَ عَلَى مُحِبَّتِهِ (١) فقال:

«وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» و قال: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» ثُمَّ قَالَ وَ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ فَوَّضَ إِلَى عَلِيٍّ وَ ائْتَمَنَهُ فَسَلِمْتُمْ وَ جَاهِدَ النَّاسَ فَوَ اللَّهُ لَنَحْبِكُمْ (لحسبكم خ ل) أَنْ تَقُولُوا إِذَا قُلْنَا، وَ أَنْ تَصْمِتُوا إِذَا صَمْتْنَا وَ نَحْنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ

ص: ٣٧١

١- (١) أى على ما أحبّ و أراد من التأديب، منه

اللّٰهُ ما جعل اللّٰهُ لأحد خيرا فى خلاف أمرنا و فى الكافى و البحار من بصاير الدّرجات باسنادهما عن زراره قال سمعت أبا جعفر و أبا عبد اللّٰهُ عليهما السّلام يقول: إنّ اللّٰهُ فوّض الى نبيّه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثمّ تلى هذه الآيه:

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا».

و عن زراره أيضا عن أبى جعفر عليه السّلام قال: وضع رسول اللّٰهُ صلّى اللّٰهُ عليه و آله و سلّم ديه العين و ديه النفس و ديه الأنف، و حرّم النّبىذ و كلّ مسكر فقال له رجل: فوضع هذا رسول اللّٰهُ من غير أن يكون جاء فيه شىء؟ قال: نعم ليعلم من يطع الرّسول ممن يعصيه

الرابع

تفويض القول بما هو أصلح لهم أو للخلق بسبب اختلاف العقول و الافهام و الازمنه و الحالات أو غير ذلك من الاعتبارات و بعبارة أوضح أنّه سبحانه فوّض إليهم بيان العلوم و الأحكام بما أراد و أراد المصلحه فيها بسبب اختلاف عقول النّاس و بسبب التقية فيفتون بعض النّاس بالواقع من الأحكام و بعضهم بالتقيه، و يبينون تفسير الآيات و تأويلها بحسب ما يحتمل عقل كلّ سائل و لهم أن يبينوا و لهم أن يسكتوا بحسب ما يريهم اللّٰهُ من مصالح الوقت و يشهد بذلك روايه ابن أشيم السّالفه.

و ما رواه الكلينى باسناده عن الوشا عن الرّضا عليه السّلام قال: قلت له: حقّا علينا أن نسألكم قال: نعم، قلت: حقّا عليكم أن تجيبونا، قال: لا ذاك إلينا إن شئنا فعلنا و ان شئنا لم نفعل أما تسمع قول اللّٰهُ:

«هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

و باسناده عن زراره بن أعين عن أبى جعفر عليه السّلام قال سألته عن مسأله فأجابنى ثمّ جاءه رجل آخر فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى ثمّ جاء آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى و أجاب صاحبى فلمّا خرج الرّجلان قلت له: يا بن رسول اللّٰهُ

رجلان من أهل العراق من شيعتكم قد ما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه، فقال: يا زرارہ إن هذا خير لنا ولكم و أبقى لنا و لكم و لو اجتمعتم على أمر واحد لما صدقكم الناس علينا و لكان أقل لبقائنا و لبقائكم و عن الخصال بسنده عن حماد قال: قلت للصادق عليه السلام: ان الأحاديث تختلف عنكم قال: فقال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف و أدنى ما للامام أن يفتي على سبعة وجوه ثم قال:

«هذا عطاؤنا فامتنن أو أمسك بغير حساب».

و فى الكافى مسندا عن منصور بن حازم قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام أسألك عن المسأله فتجيبنى فيها بالجواب، يجيئك غيرى فتجيب فيها بجواب آخر، فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة و النقصان قال العلامة المجلسى: و لعل تخصيص هذا النحو من التفويض بالنبي و الأئمة عليهم السلام لعدم تيسر هذه التوسعه لسائر الأنبياء و الأوصياء، بل كانوا مكلفين بعدم التقيه فى بعض الموارد و إن أصابهم الضرر

الخامس

التفويض فى قطع الخصومات و مقام القضاء، فلهم أن يحكموا بظاهر الشريعة و لهم أن يحكموا بعلمهم و بما يلهمهم الله من الواقع و مخ الحق فى كل واقعه و يدل عليه ما رواه محمد بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لا و الله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى الرسول و إلى الأئمة عليه و عليهم السلام فقال:

«إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله» و هى جاريه فى الأوصياء فإن الظاهر أن المراد بالارائه هو الالهام و ما يلقى فى القلب فتدل على التفويض بالمعنى المذكور، و يأتى تحقيق ذلك إنشاء الله فى شرح كلامه المأه و التاسع عشر

التفويض في العطاء والمنع، فإنَّ الله تعالى خلق لهم الأرض وما فيها وجعل لهم الأنفال والخمس والصَّفايا فلهم أن يعطوا من شاءوا وأن يمنعوا من شاءوا ويدلُّ عليه ما رواه في البحار من كتاب الاختصاص و بصاير الدَّرجات، عن محمَّد بن خالد الطيالسي عن سيف بن عميره عن أبي بكر الحضرمي عن رفيد مولى ابن هبيرة قال: قال أبو عبد الله عليه السَّلام إذا رأيت القائم اعطى رجلا- مائة ألف و أعطى آخر درهما فلا- يكبر في صدرك، و في روايه اخرى فلا- يكبر ذلك في صدرك فإنَّ الأمر مفوَّض اليه و في هذا المعنى أخبار كثيرة أوردها الأصحاب بعضها في أبواب الخمس و بعضها في أبواب الجهاد هذا، و أنت بعد ما أحطت خبرا بما ذكرناه من أقسام التفويض و عرفت صحيحها و باطلها ظهر لك فساد القول بالنفي و الاثبات على وجه الاطلاق، و عليك بالتأمل حقَّ التأمل في هذا المقام فإنَّه من مزالّ الاقدام

الترجمه

و گفته امير مؤمنان عليه السَّلام و السَّلام در وقتی که عزم نمود بر حرب خوارج نهروان و گفته شده آن حضرت را که خارجيان عبور کرده اند از پل نهروان: مواضع هلاک شدن ايشان نزد آب نهروانست، بخدا سوگند نمير هند از ايشان ده نفر و هلاک نمي شود از شما ده نفر، شارح می گوید بقراری که آن حضرت خبر داده بود نه نفر از خوارج خلاصی یافت و نه نفر از أصحاب آن حضرت شهید شد و این از جمله اخبار غيبیه آن حضرتست.

و قال عليه السلام لما قتل الخوارج و هو التاسع و الخمسون

اشاره

من المختار في باب الخطب

فقل له يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم:

كلّا و الله إنَّهم نطف في أصلاب الرِّجال، و قرارات النِّساء، كلّما

نجم منهم قرن قطع حتّى يكون آخرهم لصوصا سلاّين.

اللغة

(القرار) و القراره بالفتح ما قرّ فيه شىء و سكن و المراد هنا الأرحام و (نجم) ينجم من باب نصر ظهر و طلع و (القرن) الرّدق من الحيوان و موضعه من رأس الانسان أو الجانب الاعلى منه و القرن من القوم سيّدهم و رئيسهم و (اللصوص) جمع لص مثله و (السلب) الاختلاس

الاعراب

قوله فى أصلاب الرّجال متعلق بالاستقرار المقدّر صفه للنطف، و سلاّين حال مؤكده.

المعنى

إشارة

هذا الكلام أيضا من جملة اخباره الغيبية حسبما عرفت فى شرح كلامه السابق فإنّ أصحابه لمّا توهّموا هلاك القوم جميعا و استيصالهم ردعهم بقوله (كلّا و الله إنهم نطف) مستقرّه (فى أصلاب الرّجال و قرارات النساء) يعنى أنّ قوما ممّن يرى رأيهم و يقول بمثل مقالتهم الآن موجودون بعضهم فى أصلاب الآباء و بعضهم فى أرحام الامهات و سيظهرون و يتبعون لهم و يكون لهم رؤساء ذو و أتباع و (كلّما نجم منهم قرن قطع) أراد به استيصال رؤسائهم و استعمار لهم لفظ القرن مرشحا بذكر النجم و القطع لكونهما من ملايمات المستعار منه، ثمّ أشار إلى ما يصير إليه حالهم من الدّنائى و الابتذال بقوله (حتّى يكون آخرهم لصوصا سلاّين) أى قطاعا للطريق روى أنّ طائفه من الخوارج لم يحضروا القتال و لم يظفر بهم أمير المؤمنين عليه السّلام و قد عرفت فى شرح الكلام السّابق أنّ المفلتين من القتل كانوا تسعه نفر، فتفرّقوا فى البلاد و شاعت بدعهم فيها و صاروا نحوا من عشرين فرقه و كبارها ستّ و قيل سبع

أحداها المحكمه

و هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليه السّلام عند التحكيم و كفّروه، و هم اثنا عشر ألف رجل كانوا أهل صلاه و صيام، و فيهم قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله يحقر صلاه أحدكم فى

جنب صلاتهم، و صوم أحدكم فى جنب صومهم، و لكن لا يجاوز ايمانهم تراقيهم، قالوا: من نصب من قريش و غيرهم و عدل فيما بين الناس فهو امام، و إن غير السيره و جار و جب أن يعزل أو يقتل و لم يوجبوا نصب الامام، و جوزوا أن لا يكون فى العالم إمام و كفروا عثمان و أكثر الصحابه و مرتكب الكبيره

الثانيه البيهسيه

أصحاب أبى ييهس هيصم بن جابر و كان بالحجاز و قتل فى زمن الوليد قالوا:

الايمان هو الاقرار و العلم بالله و بما جاء به الرسول فمن وقع فيما لا يعرف أحلال هو أم حرام فهو كافر، لوجوب الفحص عليه حتى يعلم الحق، و قيل لا يكفر حتى يرجع أمره إلى الامام فيحدّه و كلما ليس فيه حدّ فمغفور، و قيل لا حرام إلا ما فى قوله: «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا» الآية.

و قالوا: إذا كفر الامام كفرت الرعيه حاضرا أو غايبا، و قال بعضهم السكر من شراب حلال لا يؤاخذ صاحبه

الثالثه الازرقه

أصحاب نافع بن الازرق و كانوا أكبر الفرق غلبوا على الأهواز و بعض بلاد فارس و كرمان فى أيام عبد الله بن زبير، و هم فى ثلاثين ألف فارس فأنفذ إليهم المهلب و لم يزل فى حربهم هو و أولاده تسع عشره إلى أن فرغ من أمرهم فى أيام الحجاج و مذهبهم أنهم قالوا: كفر على بالتحكيم، و هو الذى أنزل الله فى شأنه:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» و ابن ملجم محقّ فى قتله، و هو الذى انزل فى شأنه:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ».

و فيه قال شاعرهم:

يا ضربه من تقى ما أراد بها إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

إنى لأذكره يوما فأحسبه أو فى البريه عند الله ميزانا(١)

عليه و عليهم ألف ألف لعنه من الله و الملائكه و الناس أجمعين، و قالوا: أيضا بكفر عثمان و طلحه و الزبير و عايشه و عبد الله بن العباس و ساير المسلمين معهم و قضوا بتخليدهم فى النار، و كفروا الذين قعدوا عن القتال و إن كانوا موافقين لهم فى الدين، و قالوا بتحريم التقيّه فى القول و العمل و بجواز قتل أولاد المخالفين و نسائهم و أنّه لا- رجم على الزانى المحصن إذ هو غير مذكور فى القرآن، و المرأه إذا قذفت أحدا لا تحدّ، لأنّ المذكور فى القرآن هو صيغه الذين و هى للمذكّر، و جؤزوا أن يكون النبى كافرا و إن كان بعد النبوه، و قالوا: إنّ مرتكب الكبيره كافر.

الرابعه النجدات

نسبتهم إلى نجده بن عامر النخعى و كان معه أميران يقال: لأحدهما عطيه و للآخر أبو فديك، ففارقاه بشبهه ثم قتله أبو فديك و صار لكلّ منهما جمع عظيم، و قتلا فى زمن عبد الملك، و هم افترقوا من حيث المذهب إلى فرق عديده منها.

العاذريه و هم الذين عذروا الناس فى الجهالات بالفروع و ذلك أنّ نجده وجد لعنه الله بجيش إلى أهل القطيف فقتلوه و أسروا نسائهم و نكحوهنّ قبل القسمه و أكلوا من الغنيمه قبلها أيضا فلما رجعو إلى نجده و أخبروه بما فعلوا قال: لم يسعكم ما فعلتم، فقالوا: لم نعلم أنّه لا يسعنا فعذروهم بجهالتهم و قال النجدات كلّهم:

لا حاجه للناس إلى الامام بل الواجب عليهم رعايه التصفه فيما بينهم و يجوز لهم نصبه إذا توقفت عليه الامور و خالفوا الأزارقه فى غير التكفير.

و منها الأصغريه أصحاب زياد بن الأصغر يخالفون الأزارقه فى تكفير من قعد عن القتال إذ كانوا موافقين لهم فى الدين و فى إسقاط الرّجم فإنّهم لم يسقطوه

ص: ٣٧٧

و جَوَّزُوا التَّقِيَّهَ فِي الْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ، وَقَالُوا الْمَعْصِيَّةَ الْمَوْجِبَةَ لِلْحَدِّ لَا يَسْمَىٰ صَاحِبَهَا إِلَّا بِهَا فَيُقَالُ سَارِقٌ مِثْلًا وَلَا يُقَالُ كَافِرٌ وَلَا حَدٌّ فِيهِ لِعَظَمَتِهِ كَتَرَكَ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ يُقَالُ لَصَاحِبِهِ كَافِرٌ.

الخامسة الاباضيه

نسبتهم إلى عبد الله بن أباض كان في أيام مروان بن محمد فوجد إليه عبد الله محمد بن عطيه فقاتله و قتله، و هؤلاء ذهبوا إلى أنَّ مخالفينا من أهل القبله كفار غير مشركين يجوز مناكحتهم و غنيمه أموالهم حلال عند الحرب دون غيره، و دارهم دار الاسلام إلا معسكر سلطانهم، و مرتكب الكبيره مؤحد غير مؤمن بناء على أنَّ الأعمال داخله في الايمان، و فعل العبد مخلوق لله تعالى و مرتكب الكبيره كافر كفر نعمه لا كفر مله، و توقفوا في التَّفَاقُ أ هو شرك أم لا و كفَّروا علينا و أكثر الصَّيْحَابَهُ و تحت هذه الفرقه أيضا فرق عديده.

منهم الحفصيه نسبتهم إلى أبي حفص بن أبي المقدام و زادوا على الاباضيه أنَّ بين الايمان و الشَّرك معرفة الله تعالى فإنها خصله متوسطه بينهما، فمن عرف الله تعالى و كفر بما سواه من رسول أو جنَّه أو نار أو بارتكاب كبيره فكافر لا مشرك.

و منهم اليزيديه و هم أصحاب يزيد بن أنيسه زادوا على الاباضيه بقولهم: إنَّه سيبعث نبي من العجم بكتاب يكتب في السماء و ينزل جملة واحده و يترك شريعته محمد إلى مله الصَّابِيهِ المذكوره في القرآن، و قالوا أصحاب الحدود مشركون، و كلَّ ذنب شرك صغيره كانت أو كبيره.

و منهم الحارثيه و هم أصحاب أبي الحارث الأباضي، خالفوا الأباضية في القدر أي كون أفعال العباد مخلوقه منه تعالى، و في كون الاستطاعه قبل الفعل.

السادسه العجارده

أصحاب عبد الكريم بن عجرد، زعموا أنَّ العبد إذا أتى بما امر به و لم يقصد الله كان ذلك طاعه، و قالوا أيضا بوجوب التبري عن الطفل حتَّى يدعى الاسلام بعد البلوغ، و يجب دعاؤه إلى الاسلام إذا بلغ، و هذه الفرقه افترقوا

فرقا كثيره:

منهم الميمونيه نسبتهم إلى ميمون بن عمران قالوا: باسناد الأفعال إلى قدر العباد، و يكون الاستطاعه قبل الفعل و أن الله يريد الخير دون الشرّ ولا يريد المعاصي كما هو مذهب المعتزله، قالوا: و أطفال الكفار في الجنّه، و يروى منهم تجويز نكاح البنات للبنين و البنين للبنات، و جوّزوا أيضا نكاح بنات البنين و بنات البنات و بنات أولاد الاخوه و الأخوات، و نقل عنهم إنكار سوره يوسف فانهم زعموا أنّها قصّه من القصص، و لا يجوز أن تكون قصّه العشق قرآنا و منهم الحمزيه نسبتهم إلى حمزه بن أدرك وافقوا الميمونيه إلاّ أنّهم قالوا أطفال الكفار في النار.

و منهم الشّعبيّه نسبتهم إلى شعيب بن محمّد و هم كالميمونيه في بدعتهم إلاّ في القدر.

و منهم الحازميّه نسبتهم إلى حازم بن عاصم وافقوا الشّعبيّه و يحكى عنهم أنّهم يتوقّفون في أمر علىّ و لا يصرّحون بالبرائه منه كما يصرّحون بالبرائه من غيره.

و منهم الخلفيه أصحاب خلف الخارجى و هم خوارج كرمان أضافوا القدر خيره و شرّه إلى الله و حكموا بأنّ أطفال المشركين في النار بلا عمل و شرك.

و منهم الاطرافيه و هم على مذهب حمزه و رئيسهم رجل من سجستان يقال له: غالب إلاّ أنّهم قالوا بمعذوريه أهل الاطراف فيما لم يعرفوه من الشريعة إذا أتوا بما يعرف لزومه من جهه العقل، و وافقوا أهل السنّه في أصولهم.

و منهم المعلوميه هم كالحازميه إلاّ أنّهم قالوا يكفى المعرفه ببعض أسمائه، فمن علمه كذلك فهو عارف به و فعل العبد مخلوق له.

و منهم الصّليّتيه نسبتهم إلى عثمان بن أبى الصلت، و هم كالعجارده لكن قالوا من أسلم و استجار بنا تولّينا و تبرأنا من أطفاله حتّى يبلغوا فيدعوا إلى

ص: ٣٧٩

السابعه الثعالبه

و ربما عدت هذه من فرق العجارده فيكون الفرق الكبار ستًا، و بعضهم جعلها ستًا باسقاط المحكمه، و كيف كان فهم أصحاب ثعلبه بن عامر، قالوا بولايه الأطفال صغارا كانوا أو كبارا حتى يظهر منهم إنكار الحق بعد البلوغ، و نقل عنهم أنهم يرون أخذ الزكاه من العبيد إذا استغنوا و إعطائها لهم إذا افتقروا، و تفرقوا إلى أربع فرق.

الاولى الأخنسيه أصحاب الأخنس بن قيس، و امتازوا عن الثعالبه بأن توقفوا فيمن هو في دار التقية من أهل القبلة فلم يحكموا عليه بايمان و لا كفر، و نقل عنهم تجويز نكاح المسلمات من مشركى قومهنّ.

الثانيه المعبدية نسبتهم إلى معبد بن عبد الرحمن، خالفوا الأخنسيه في تزويج المسلمات من المشركين و خالفوا الثعالبه في زكاه العبيد أى أخذها منهم و دفعها إليهم.

الثالثه الشيبانيه نسبتهم إلى شيبان بن سلمه قالوا بالجبر و نفى القدره الحادثه الرابعه المكرميه نسبتهم إلى مكرم العجلي قالوا تارك الصلاه كافر لا ترك الصلاه بل لجهلهم بالله، فإن من علم أنه مطلع على سرّه و علنه و مجازيه على طاعته و معصيته لا يتصور منه الاقدام على ترك الصلاه، و كذا كل كبيره فإن مرتكبها كافر بجهله بالله

الترجمه

و فرموده آن حضرت وقتی که قتل نمود خوارج را و عرض کردند به آن حضرت که جميع طایفه خوارج هلاک و تمام شدند: نیست و همچنین بخدا قسم به درستی که ایشان نطفه ها هستند در پشتهای مردان و در رحمهای زنان هر گاه ظاهر شود از ایشان شاخی بریده شود تا این که می باشد آخر ایشان دزدان ربایندگان یعنی مآل کارشان به جائی رسد که در آخر از رذاله و دنائه نفس قطاع الطريق

و قال عليه السلام و هو الستون من المختار

اشاره

فى باب الخطب

لا تقتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه. قال السيد: يعنى معاويه و أصحابه.

اللغه

المراد (بالحق و الباطل) هنا كلما هو مطلوب لله سبحانه و مبعوض له.

الاعراب

الفاء فى الموارد الثلاثه للسببيه إلا أنها فى الأول بمعنى لام السببيه دون الأخيرين بل هى فيهما للسبب و العطف.

و توضيحه يظهر ممّا حَقَّقَه نجم الأئمه الرضى حيث قال: و الفاء التى لغير العطف أيضا لا نخلو من معنى الترتيب، و هى التى تسمى فاء السببيه و يختصّ بالجمل و تدخل ما هو جزاء مع تقدّم كلمه الشرط، نحو إن لقيته فأكرمه، و من جاءك فأعطه، و بدونها، نحو زيد فاضل فأكرمه إلى أن قال: و كثيرا ما يكون فاء السببيه بمعنى لام السببيه، و ذلك إذا كان ما بعده سببا لما قبله كقوله تعالى:

«فَاخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ».

و تقول اكرم زيدا فانه فاضل فهذه تدخل على ما هو الشرط فى المعنى كما أنّ الاولى دخلت على ما هو الجزاء فى المعنى، و ذلك إنّك تقول: زيد فاضل فأكرمه فهذا دخل على الجزاء فاذا عكست الكلام فقلت أكرمه فأنّه فاضل فقد دخل على ما هو شرط، ثمّ اعلم أنّه لا تنافى بين السببيه و العاطفه، فقد تكون سببيه و هى مع ذلك

عاطفه جملة على جملة، نحو يقوم زيد فيغضب عمرو، لكن لا يلزمها العطف نحو إن لقيته فاكرمه، انتهى كلامه رفع مقامه.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام نهى عن قتل الخوارج بعده مشيرا إلى عله انتهى بقوله (لا تقتلوا الخوارج بعدى) فإنه (ليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأدركه) ومحصّل التعليل أنّ استحقاق القتل إنّما هو بطلب الباطل والوقوع فيه عن علم وعمد لا مجرد الوقوع فى الباطل ولو من حيث لا يشعر، والخوارج لما لم يكن مقصودهم بالذات الإدراك الحق فخطئوا فيه ووقعوا فى الباطل من حيث لا يشعرون لا جرم نهى عن قتله، وأما معاويه وأصحابه فلما كان مطلوبهم بالذات هو الباطل ومحق الحق لم يمنع عليه السلام عن قتلهم بل أمر به فيما سبق من كلامه بقوله: أما أنّه سيظهر عليكم من بعدى رجل رحب البلعوم إلى قوله: فاقتلوه ولن تقتلوه آه.

أمّا أنّ الخوارج كان مقصودهم بالذات هو الحقّ ووقعهم فى الباطل كان بالعرض، فلما عرفت من حالهم فى شرح الخطبه السادسة والثلاثين وأنهم كانوا أهل عباده وزهاده حتّى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فى حقهم: يخرج قوم من امتى يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صومكم إلى صومهم بشيء، إلّا أنّهم بالغوا فى التحزى وشده الطلب للحقّ حتّى تجاوزوا عن فضيله العدل فيه إلى رذيله الافراط، وزعموا أنّهم كفروا بالتحكيم، وزعموا كفر أمير المؤمنين بذلك أيضا فوقعوا فى الباطل ومارقوا من الدين.

و أما أنّ مقصود معاويه كان بالذات هو الباطل وهكذا أصحابه فلما عرفت فى شرح الخطبه الخامسة والعشرين وغيرها و ستعرف بعد ذلك أيضا أنّه كان أهل زندقه والحادوذا تعرّض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحاربا لأمر المؤمنين عليه السلام وسابيا له ولاعنا فى الجمعه والأعياد، وكانت أحواله كلّها مؤديه بانسلاخه عن العداله واصراره على الباطل عليه لعنه الله ولعنه اللاعنين من الملائكه والانس والجنّ أجمعين ملأ السموات والأرضين.

فان قلت: إذا كان علّه المنع من قتل الخوارج بعده هو عدم كونهم بالذّات طالبيين للباطل، فهذه العلّه بعينها كانت موجوده فى زمانه فلم قاتلهم و قتلهم؟ قلت: أجب الشّارح البحرانى بأنّه نهى عن قتلهم على تقدير لزوم كل منهم نفسه و اشتغالهم بها و استتارهم فى بيوتهم، و هو إنّما قتلهم من حيث إنّهم أفسدوا فى الأرض و سفكوا الدّم الحرام و قتلوا جماعه من الصّالحين كعبد الله بن خباب، و شقوا بطن امرأته و دعوا النّاس إلى بدعتهم، و مع ذلك كان يقول لأصحابه:

لا تبدءوهم بالقتال حتّى يبدؤكم، و لم يشرع فى قتلهم حتّى بدءوا بقتل جماعه من أصحابه.

قال: و يحتمل أن يقال: إنّّه إنّما قتلهم لأنّه إمام عادل رأى الحقّ فى ذلك و إنّما نهى عن قتلهم بعده لأنّه علم أنّه لا يلى هذا الأمر بعده من له بحكم الشريعة أن يقتل و يتولّى الحدود.

أقول: و التّحقيق فى الجواب ما ذكره فى البحار تبعا للشّارح المعتزلى حيث قال: لعلّ المراد لا تقتلوا الخوارج بعدى ما دام ملك معاويه و أضرابه كما يظهر من التّعليل، و قد كان يسبّه عليه السّلام و يبرء منه فى الجمع و الأعياد و لم يكن إنكاره للحقّ عن شبهه كالخوارج، و لم يظهر منهم من الفسوق ما ظهر منه و لم يكن مجتهدا فى العباده و حفظ قوانين الشّرع مثلهم، فكان أولى بالجهاد، انتهى.

و يدلّ على ذلك ما رواه أبو العباس المبرّد قال: و خرج من الخوارج على معاويه بعد قتل على حوثره الأسدى و حابس الطائى خرجا فى جمعهما فصارا إلى موضع أصحاب النّخيله و معاويه يومئذ بالكوفه و قد دخلها فى عام الجماعه، و وفد الحسن بن على و خرج يزيد المدينه فوجه إليه معاويه و قد تجاوز فى طريقه يسأله أن يكون المتولى لمحاربه الخوارج فكان جواب الحسن: و الله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين(١) و ذاك يسعنى، أفا قاتل عنك قوما أنت و الله أولى بالقتل منهم

ص: ٣٨٣

١- (١) البياض كان فى اصل الروايه و الظاهر انه سقط هنا شيء و لعلّ اصل الكلام و ليس ذاك يسعنى و الله العالم، منه.

و هذا الجواب مطابق لكلام أبيه عليه السّلام، و المقصود منهما أنّ الخوارج أعذر من معاويه و أقلّ ضلّالا و معاويه أولى بالمحاربه منهم.

الترجمه

و فرموده است آن حضرت كه در شأن خوارج كه: نكشيد خارجيان را بعد از من، پس نيست كسى كه طلب كند حق را پس خطا كند در آن مثل كسى كه طلب كند باطل را پس دريابد آنرا، سيد رضى الله عنه گفته كه اراده فرموده حضرت بطالب باطل معاويه عليه الهاويه و أصحاب او را.

و من كلام له عليه السلام لما خوف من الغيله

اشاره

و هو الحادى و الستون من المختار فى باب الخطاب

و إنّ علىّ من الله جنّه حصينه، فإذا جاء يومى انفرجت عنيّ و أسلمتنى فحينئذ لا يطيش السهم، و لا يبرء الكلم.

اللغه

(الغيله) بالكسر فعله من الاغتيال و هو القتل على غفله و (الجنّه) بضم الجيم ما يجنّ به اى يستتر من درع و ترس و نحوهما و (طاش) السهم يطيش من باب ضرب صدف عن الغرض و انحرف عنه و (الكلم) بفتح الكاف و سكون اللّام الجرح.

الاعراب

علىّ خبر إنّ قدّم على الاسم توسّعا و على لاستعلاء المعنوى، و من الله متعلّق بمقدّر حال من فاعل حصينه و تقدّمه للتوسّع أيضا.

المعنى

روى أنّه عليه السّلام خوف من غيله ابن ملجم لعنه الله مرارا و أنّ الأشعث لقيه

متقلدا سيفه فقال له، ما يقلدك السيف و ليس بأوان حرب؟ فقال لعنه الله: أردت أن أنحربه جزور القريه، فأتى الأشعث إليه عليه السلام فأخبره و قال قد عرفت ابن ملجم و فتكه فقال ما قتلنى بعد.

و روى أنه عليه السلام: كان يخطب مژه و يذكر أصحابه و ابن ملجم تلقاء المنبر فسمعه يقول: و الله لا يريحنهم منك، فلما انصرف عليه السلام أتوا به ملتباً فأشرف عليهم، و قال ما تريدون، فخبروه بما سمعوا عنه، فقال فما قتلنى بعد خلّوا عنه (و إنّ على من الله جنّه حصينه) استعار الجنّه لعنايه الله سبحانه بحفظ أسباب حياته فى المده الممكنه له فى القضاء الالهى، و الجامع أنّ الجنّه كما أنّها حافظه للانسان عن آلام السّهام و نحوها، فكذلك بقاء أسباب الحياه و ثبات مادّتها حافظان له عن سهام الموت فحسن استعارتها لها و ذكر الحصينه ترشيح للاستعاره (فاذا جاء يومى) الذى قدّر فيه موتى (انفرجت) تلك الجنّه (عنى و أسلمتنى) للموت و كنى بانفراجها عن انعدام بعض أسباب الحياه فى حقّه، و هو ترشيح آخر للاستعاره المذكوره (فحينئذ لا يطيش السّهم) كما قال فى الديوان المنسوب إليه.

للموت فينا سهام غير خاطئه إن فاته اليوم سهم لم يفته غدا

(و لا يبرء الكلم) و فى معنى هذا الكلام قال عليه الصّلاه و السّلام فى الديوان:

أى يومى من الموت أفز يوم ما قدّر أو يوم قدر

يوم ما قدّر لم أخش الرّدى و إذا قدّر لا يغنى الحذر

أقول: و فى هذا الكلام إشعار بأنّ للانسان أجلا- موقوتا و أمدا ممدودا إذا أدركه يبطل حياته، و إلى ذلك ذهب جماعة، و استدّلوا عليه بقوله سبحانه:

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا»:

و قال أيضا: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ».

و بأنّ المقدّرات فى الأزل و المكتوبات فى اللّوح المحفوظ لا تتغيّر بالزّيادة و النّقصان، لاستحاله خلاف معلوم اللّهِ، و قد سبق العلم بوجود كلّ ممكن أراد وجوده و بعدم كلّ ممكن أراد عدمه الأزلّى أو إعدامه بعد ايجاده، فكيف يمكن الحكم بزياده العمر أو نقصانه بسبب من الاسباب.

و ذهب آخرون إلى قبوله الزّيادة و النّقصان مستدلين بقوله: «و ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فى كِتَابٍ» و بالأخبار الكثيره الدّاله على أنّ صله الرّحم توجب الزّيادة فى العمر و القطيعه توجب النّقصان، و كذلك البرّ و العقوق هذا.

و التّحقيق فى المقام هو التّفصيل بما يجمع به بين الأدلّتين، و توضيحه يحتاج إلى تمهيد مقدّمه، و هو أنّ المستفاد من بعض الآيات و الأخبار هو أنّ الأجل على قسمين محتوم، و موقوف، قال سبحانه فى سورة نوح:

«أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ يُغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ».

قال المفسّرون: الأجل المسمّى هو الأمد الأقصى الذى قدّر الله لهم بشرط الايمان و الطاعه و راء ما قدّره لهم على تقدير بقائهم على الكفر و العصيان، فإنّ وصف الأجل بالمسمّى و تعليق تأخيرهم إليه بالايمان صريح فى أنّ لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا، و هو المراد بقوله: «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ» أى ما قدّر لكم على تقدير بقائكم على الكفر إذا جاء و أنتم على ما أنتم عليه من الكفر و العصيان لا يؤخّر، فبادروا إلى الايمان و الطاعه قبل مجيئه حتّى لا يتحقّق شرطه الذى هو البقاء على الكفر، فلا يجىء و يتحقّق شرط التّأخير إلى الأجل المسمّى فتأخّروا إليه.

و فى الكافى باسناده عن حمّان عن أبى جعفر عليه السّلام قال سألته عن قول الله عزّ و جلّ:

«قَضَى أَجَلًا وَ أَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ».

قال هما أجلان: أجل محتوم، و أجل موقوف.

و عن عليّ بن إبراهيم باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام فى تفسير هذه الآية، قال:

الأجل المقتضى هو المحتوم الذى قضاة و حتمه، و المسمى هو الذى فيه البداء، و يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء، و المحتوم ليس فيه تقديم و لا تأخير.

إذا عرفت هذه المقدّمه ظهر لك أنّ من الأجل قسما قابلا للتغيير و قسما ليس قابلا له، و عليه فاللّازم حمل الأدله الاولى الدّاله على عدم التغيير فى الآجال بالتقدم و التأخر على الأجل المحتوم، و حمل الأدله الثانيه على الأجل الموقوف القابل للتغيير بحصول شروط الزّيادة و أسبابها و عدمه، و على ذلك فان كان مراد القائلين بثبوت التغيير و القائلين بعدمه هو ما ذكرناه فلا مشاحه بيننا و بينهم و يصير نزاع أحدهما مع الآخر أيضا على ذلك لفظيا، و إن أرادوا ثبوت التغيير فى مطلق الآجال و عدمه كذلك فالمنع على القولين واضح.

ثمّ لا- يذهب عليك أنّ وجود التغيير فى الأجل الموقوف حسبما ذكرنا لا يوجب التغيير فى علمه سبحانه حسبما يزعمه القائلون بالقول الأوّل، و ذلك لأنّه سبحانه كما علم كتيه العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص، و كما علم من زيد دخول الجنّه علم ارتباطه بأسبابه المخصوصه من ايجاده، و خلق العقل له و بعث الأنبياء و نسب الألفاف و حسن الاختيار و العمل بموجب الشرع، و علم أيضا حصول تلك الاسباب فى الخارج المحضيه لوجود المسبب، و بالجملة جميع ما يحدث فى العالم فهو معلوم لله سبحانه على ما هو واقع عليه من شرط أو سبب.

توضيح ذلك أنّ الله سبحانه قد خلق لوحا و سمّاه لوح المحو و الاثبات قد كتب فيه الآجال و الأرزاق و جميع ما يكون فى عالم الكون معلقا على الأسباب و الشرائط و هو الذى يقع فى المحو و الاثبات و التغيير و البداء، مثلا كتب أنّ عمر زيد عشر سنين إن لم يصل رحمه، و عشرون إن وصل، و أنّه إن أدّى الزّكاه يحصل له

البركه فى ماله و إن لم يؤدّه لم يحصل، و كذلك جميع الكائنات فهذا اللّوح الذى ابدع فيه صور الموجودات على الوجه القابل للتّغيير، و خلق لوحا آخر ابدع فيه صور الموجودات و جميع الأشياء مفصّله معقوله محفوظه عن التّغيير و هو المسمّى بأمّ الكتاب المشار إليه فى قوله تعالى:

«يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» و قد كتب الله فيه الكائنات على ما علمه فى الأزل و يسمّى ذلك بالعلم الملزم لا تغيّر فيه و لا تبدّل بوجه من الوجوه، لأنّ علمه بالاسباب و المسبّبات على نهج واحد، و قد علم وقوع الاسباب و عدم وقوعها و أنّ زيدا يصل رحمه فيكون عمره كذا، أو لا- يصل رحمه فيكون كذا و قد علم فى الازل أحد الطرفين فكتبه فى اللوح المحفوظ، و هذا هو المشار إليه فى الاخبار بقولهم: جفّ القلم بما هو كائن، يعنى أنّه كتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة فلن يكتب بعده أبدا إذ لم يبق شيء حتّى يكتب.

نعم يبقى الكلام فى فايده لوح المحو و الاثبات و تغيير الكائنات و صفاتها فيه مع وجود اللّوح المحفوظ، و لا- حاجه لنا إلى البحث فى ذلك الآن و إنّما الواجب التّسليم و الاذعان بعد دلاله نصّ الأخبار عليهما و القرآن، و الله العالم الخبير بأسرار عالم الامكان.

الترجمه

از جمله كلام آن امام عالی مقامست در وقتى که ترسانيدند او را از کشتن ابن ملجم ملعون غفلت مى فرمايد که: بدرستى بر من است از جانب خداوند سپرى محکم که عبارتست از بقاء اسباب حياه تا روز فوت، پس هر گاه بيايد روز مرگ من و ا شود آن سپر از من و باز گذارد مرا بدست مرگ، پس اين هنگام خطا نمى کند تير موت و البتّه بر نشانه بدن واقع مى شود، و خوب نشود اثر جراحت و روى بصحت نگذارد.

اشاره

من المختار في باب الخطب

الأ- و إنّ الدّنيا دار لا- يسلم منها إلّا- فيها، و لا- ينجى بشيء كان لها، أبتلى النّاس بها فتنه، فما أخذوه منها لها أخرجوا منه و حوسبوا عليه، و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه و أقاموا فيه، فإنّها عند ذوى العقول كفىء الظّلّ، بينا تراه سابغا حتّى قلص و زائدا حتّى نقص.

اللغة

(فاء) الظّلّ يفىء فينا رجع من جانب المغرب إلى جانب المشرق، قال الفيروز آبادى: الفىء ما كان مشمّسا فينسخه الظّلّ و (سبغ) الشىء سبوغا من باب قعد تمّ و كمل، و سبغ الدّرع طال من فوق إلى أسفل، و سبغ الظّلّ طال إلى الأرض و (قلص) الظّلّ انقبض

الاعراب

فتنه مفعول مطلق بغير لفظ فعله، نحو قعدت جلوسا و انتصابه بالفعل المقدّر على مذهب سيبويه اى ابتلى النّاس و فتنوا بها فتنه، و بالفعل الظاهر على مذهب المازنى و المبرد و السيرافى، و هو الأولى إذ الأصل عدم التّقدير بلا ضروره داعيه إليه، و قول الشّارح البحرانى بكونه منصوبا بالمفعول له أو كونه مصدرا بمعنى الضّلال سادّا مسدّ الحال بعيد عن الصّواب و إضافه الفىء إلى الظّلّ من قبيل إضافه الخاصّ إلى العامّ، و بينا أصله بين فاشبعت الفتحه فحدثت الألف، و قد يزداد ما فتقول: بينما، و المعنى واحد، و الجملة بعدها مجروره المحلّ باضافتها إليها، و هى فى الظاهر مضافه إلى الجملة و فى المعنى إلى مصدرها كساير ما يضاف إلى الجمل، تقول جئتكم يوم قدم زيد، أى يوم قدومه

والتقدير بين رؤيتك إياه زائداً، وحتى حرف ابتداء يعنى أنها حرف يستأنف بعدها الكلام، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية كقوله: حتى يقول الرسول، بالرفع.

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة وارده في مقام الترهيد عن الدنيا والترغيب في الآخرة وفيها إشارة إلى كونها دار بلاء وفتنة، وإلى أنها قريبة الزوال سريعه الفناء فقوله (ألا وإن الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها) تنبيه على أن السَّلامه من شرور الدنيا ومفاسدها وما يترتب عليها من العذاب الأليم والنكال العظيم لا تكون إلا في دار الدنيا بالزهد والرياضات وبملازمته التقوى والطاعات، وذلك لأن التكليف إنما هو في دار الدنيا، والآخرة ليست بدار تكليف بل هي دار جزاء، وبامتنال التكاليف فيها يسلم من العقاب وينال حسن الثواب كما أن بمخالفتها يحصل الشقاوه ويستحق العقوبه.

وإلى ذلك الإشارة في حديث الهيثم بن واقد الحريري «الجزري ظ» المروى في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمه في قلبه، وأنطق بها لسانه وبصيره عيوب الدنيا دائها ودوائها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام (و) منه يعلم أنه (لا- ينجي بشيء كان لها) بيان ذلك أن الدنيا والآخرة ضربتان متضادتان فما هو للدنيا مضاد للآخره فكيف يوجب النجاء فيها كما أن ما هو للآخره مضاد للدنيا ومضار لها، ولذلك قيل: إنهما ككفتي الميزان بقدر ترجيح إحداهما تخف الآخرى وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في طلب الدنيا إضراراً بالآخره وفي طلب الآخره إضراراً بالدنيا، فأضرّوا بالدنيا فأنها أحق بالاضرار وقال الله سبحانه:

«الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً»

يعنى أنّ المال و البنين يتفاخر بهما فى الدنيا و يتزّين بهما فيها و لا ينفعان فى الآخرة اذ لا يبقى شىء منهما للانسان فينتفع به فيها، و الأعمال الصّالحة و الطاعة الحسنه التى تبقى ثوابها أفضل ثوابا عند الله من المال و البنين و أصدق أملا من زهرات الدّنيا و زخارفها، لأنّها أمل لا يكذب فيها يؤمّل الثّواب و ينجى من أليم العقاب و قوله (ابتلى النّاس بها فتنه) اشاره الى أنّ الدّنيا دار ابتلاء و امتحان، و أنّ الله ابتلى عباده فيها تاره بالمسارّ ليشكروا تاره بالمضارّ ليصبروا قال الشّاعر:

ألا إنّما الدنيا بلاء و فتنه على كلّ حال أقبلت أو تولّت

فصارت المنحه و المحنه كلاهما بلاء، فالمنحه مقتضيه للشكر، و المحنه مقتضيه للصّبر كما قال تعالى:

«وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» قال الطبرسى: اى نعاملكم معامله المختبر بالفقر و الغنا و السّراء و الضّرّاء و الشّدّه و الرخاء، و قيل ممّا تكرهون و ما تحبّون ليظهر صبركم فيما تكرهون و شكركم فيما تحبّون، و قيل: الشّرّ غلبه الهوى على النّفس و الخير العصمه عن المعاصى و اعلم أنّ أصل الابتلاء و الاختبار أن يراد به الوقوف على حال المختبر بفتح الباء و الاطلاع على ما يجهل من أمره، و قد يراد به إظهار جودته و ردائه و ربما يقصد به الأمران، و لمّا كان الأوّل محالا فى حقه تعالى لاستلزامه الجهل لا- بدّ أن يراد به حيثما نسب الابتلاء إليه سبحانه المعنى الثانى، فاذا قيل: بلاء الله بكذا و ابتلاه فليس المراد إلّا اظهار حسن طينته و خبث سريره دون التعرّف لحاله و الوقوف على ما يجهل منه و على هذا يحمل الآيات القرآنيّه مثل «نَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ» «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ» الآية «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ».

و ربما يحمل على معنى ثالث قال فى الكشف فى تفسير الآية الأخيره: اختبره بأوامر و نواهى و اختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله

و ما يشتهيهِ العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك و قال الطبرسي في تفسيرها أى اختبر إبراهيم و هو مجاز و حقيقته أنه أمر إبراهيم ربّه و كلفه و سمّى ذلك اختباراً لأنّ ما يستعمل الأمر منافى مثل ذلك يجرى على جهه الاختبار و الامتحان فاجرى على امره اسم امور العباد توسّيعاً، و أيضاً فإنّ الله لما عامل عباده معاملته المبتلى المختبر إذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم أنّهم سيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازى المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه، سمّى أمره ابتلاء هذا و لما ظهر أنّ الدّنيا و ما فيها إنّما خلقت لاختبار النّاس و ابتلائهم لا بدّ و أن يكون همّتهم فيها مصروفه إلى ما هو محصّل للسّعادة فى الآخرة حتّى يخلصوا عن قالب الامتحان، و يستحقّوا الدّرجات الرّفيعه العليّه، و لا يكون نظرهم مقصوراً على عاجل زهراتها الخسيسه الدّنيّه (ف) أنّ (ما أخذوه منها لها اخرجوا منه و حوسبوا عليه و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه و أقاموا فيه) و من المعلوم أنّ العاقل لا يرحّج ما هو سريعه الانقراض و الانقضاء مشرفه على الزّوال و الفناء على ما هى دائمه البقاء خصوصاً إذا كانت الفانيه حقيره خسيسه و الباقيه خطيره نفيسه، و ذلك لأنّ خيرات الدّنيا حسيّه و خيرات العقبا عقليّه و العقليّه أشرف من الحسيّه بمراتب كثيره لا سيّما إذا كانت الدّنيويّه محاسباً عليها مسؤولاً عنها قال أبو عبد الله عليه السّلام: فى روايه الكافى فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بنى إنّ النّاس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا و لم يبق من جمعوا له و إنّما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل و وعدت عليه أجراً، فأوف عملك و استوف أجرك، و لا تكن فى هذه الدّنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر فأكلت حتّى سمت فكان حتفها عند سمنها، و لكن اجعل الدّنيا بمنزله فنطره على نهر جزت عليها و تركتها و لم ترجع إليها آخر الدّهر أخربها و لا تعمرها فإنّك لم تؤمر بعمارتها و اعلم أنّك ستسأل غدا إذا وقفت بين يدي الله عزّ و جلّ عن أربع: شبابك فيما أبليت، و عمرك فيما أفنيت، و مالك ممّا اكتسبته، و فيما أنفقته فتأهّب لذلك و أعد له

جواباً، ولا تأس على ما فاتك من الدنيا فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاءه، وكثيرها لا يؤمن بقاءه، فخذ حذرَكَ و جد في أمرَكَ، و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرض لمعروف ربك، و جدد التوبه في قلبك، و اكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك، و يقضى قضاؤك، و يحال بينك و بين ما تريد (فإنها عند ذوى العقول كفىء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص و زايدا حتى نقص) تخصيص ذوى العقول بالذكر من أجل أنهم هم الذين عبروا بقدمى الذكر و الفكر عن قشر الوجود الظلماني الفاني إلى لب الوجود الروحاني النوراني الباقي فشاهدوا بعيون البصائر و نواظر الضمائر سرعه زوال الدنيا و انقضائها، و عرفوا أن بقائها عين حدودها و تجددتها و وجودها نفس زوالها و فنائها، و أما غيرهم فانهم عن الذكر لمعزولون، و ما هم مهتدون إن هم إلا كالأنعام بل أضل سبيلا، هذا و تشبيه الدنيا بفىء الظل من التشبيهات السائرة فى الأشعار و الأخبار قال الباقر عليه السلام لجابر الجعفى: يا جابر أنزل الدنيا منك كمنزل نزلته تريد التحول عنه، و هل الدنيا إلا دابة ركبها فى منامك فاستيقظت و أنت على فراشك غير راكب، و لا أحد يعأ بها، أو كثوب لبسته أو كجاريه وطئتها، يا جابر الدنيا عند ذوى الألباب كفىء الظلال و عن العيون، عن البيهقى، عن الصولى، عن محمد بن يحيى بن أبى عباد، عن عمه قال: سمعت الرضا عليه التحيه و الشاء يوما ينشد شعرا

كلنا نأمل مدا فى الأجلو المنايا هن آفات الأمل

لا يغرنك أباطيل المنيو الزم القصد و دع عنك العلل

إنما الدنيا كظل زایلحل فيه راكب ثم رحل

و لبعضهم:

ألا إنما الدنيا كظل غمامه أظلت يسيرا ثم حفت فولت

و قال آخر:

ص: ٣٩٣

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا كُظْلٌ سَحَابُهُ أَظْلَلَتْكُمْ يَوْمًا ثُمَّ عَنْكُمْ أَضْمَحَلَّتْ

فَلَاتُكُمْ فَرَحَانَا بِهَا حِينَ أَقْبَلْتُمْ وَلَا تَكُ جَزَعَانَا بِهَا حِينَ وَلَّيْتُمْ

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در مقام تنفیر از دنیا و ترغیب در آخرت می فرماید که: بدانید و آگاه باشید که دنیا سرائیست که سلامت مانده نمی شود از آن مگر در آن، و خلاصی یافته نمی شود بچیزی که باشد از برای آن، امتحان شده اند مردمان با او امتحان شدنی، پس آنچه که گرفته اند از برای دنیا بیرون کرده میشوند از آن بصد رنج و عناء، و حساب کرده میشوند بر آن در روز جزاء، و آنچه که گرفته آنرا از دنیا از برای غیر دنیا یعنی از برای نجاه عقباء، می آیند بر او و می ایستند در او یعنی ثواب آنرا در می یابند و بجزای آن نایل میشوند بدرستی دنیا در نزد صاحبان عقل و شعور مانند سایه ایست در این اثنا که می بینی آنرا شایع و منتشر حتی آنکه بر چیده می شود در این که زاید و تمامست، تا این که ناقص می شود یعنی دنیا در نظر مردم ثبات و دوام دارد لکن اگر تأمل و فکر درست بکنی در معرض زوال و فنا است.

و من خطبه له علیه السلام و هی الثالثه و الستون من المختار

اشاره

فی باب الخطب

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ بَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَ ابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَ تَرَحَّلُوا فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ، وَ اسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَمَكُمْ، وَ كُونُوا قَوْمًا صَاحِبِينَ بِهَمِّ فَانْتَبَهُوا، وَ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بَدَارٌ فَاسْتَبَدَّلُوا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَ لَمْ يَتْرَكْكُمْ

ص: ۳۹۴

سدى، و ما بين أحدكم و بين الجنّه أو النار إلّا الموت أن ينزل به، و إنّ غايه تنقصها اللحظه و تهدمها السّاعه لجديره بقصر المده، و إنّ غائبا يحدوه الجديدان الليل و النهار لحرىّ بسرعه الأوبه، و إنّ قادما يقدم بالفوز أو الشّقوه لمستحقّ لأفضل العده، فتزوّدوا فى الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا. فاتّقى عبد ربّه نصح نفسه قدّم توبته غلب شهوته، فإنّ أجله مستور عنه، و أمله خادع له، و الشّيطان موكّل به، يزيّن له المعصيه ليركبها، و يمنيّه التّوبه ليسوّفها، حتّى تهجم متيّته عليه أغفل ما يكون عليها، فيا لها حسره على كلّ ذى غفله أن يكون عمره عليه حجّه، و أن يؤدّيه أيّامه إلى شقوه، نسئل الله سبحانه أن يجعلنا و إياكم ممّن لا تبطره نعمه، و لا تقصّر به عن طاعه ربّه غايه، و لا تحلّ به بعد الموت ندامه و لا كابه.

اللغه

(بادره) مبادره و بدارا و بدر غيره إليه عاجله و (جدّ بكم) بصيغه المجهول أى عجل بكم و حثّتم على الرّحيل و (استعدّ) له تهيأ و (أظلّنى) الشّىء غشّينى أودنا متى حتّى القى على ظلّه و (صيح بهم) من الصّياح و هو الصّوت بأقصى الطاقه و (استبدلوا) بصيغه الامر بمعنى أبدلوا و (السدى) بالضّم و قد يفتح المهمله من الابل يستعمل فى الواحد و الجمع و (الجديدان) و الاجدان الليل و النّهار و (الاوبه) الرّجوع و (العده) ما اعددت من مال أو سلاح أو غير ذلك و الجمع عدد مثل

غرفه و غرف و (الحرز) الحفظ و تحرزون إمّا ثلاثي مجزّد من باب نصر أو مزيد فيه من باب الافعال و (التسويق) المبطل و اصله أن يقول مرّه بعد أخرى سوف أفعل و (البطر) الطغيان و (كتب) الرجل كابه إذا صار كئيبا أى منكسرا حزنا

الاعراب

الباء فى قوله بأعمالكم للمصاحبه، و فى قوله بما يزول للمقابله، و فى قوله بكم للتّعديه، و الفاء فى قوله فقد جدّ بكم، و قوله فقد أظلكم للسّببّيّه، و فى قوله فانتبهوا عاطفه، و فى قوله فاستبدلوا فصيحته، و فى قوله فإنّ الله للسّببّيّه أيضا.

و ما فى و ما بين أحدكم للنفى، و قوله أن ينزل به فى محلّ رفع بدل من الموت، و قوله و أنّ غايه اه عطف على قوله فإنّ الله و الليل و النّهار بدل من الجديدان أو عطف بيان، و جمله يزين آه منصوب المحلّ على الحاليه و أغفل منصوب بنزع الخافض أى فى أغفل حاله، و قوله يالها حسره منادى مستغاث، و الحسره منصوب على التّمييز كأنّه قال يا للحسره على الغافلين ما أكثرك، أو أنّه مستغاث لأجله و المنادى محذوف أى يا قوم ادعوكم للحسره، و فتحه اللّام حيثنّذ من أجل دخولها على الضّمير، و مثل ذلك قول علىّ بن موسى الرضا عليه التّحيّه و الثّناء:

و قبر بطوس يا لها من مصيبه ألحت على الأحشاء بالزّفرات

و قوله أن يكون عمره آه فى محلّ الجرّ على كونه بدلا من كلّ ذى غفله، و جمله نسأل الله دعائيه لا محلّ لها من الاعراب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ المقصود بهذه الخطبه أيضا هو التنفير عن الدّنيا نظرا إلى قصر مدتها و سرعه زوالها و التّرهيب فى الآخره لتحصيل ما هو وسيله إلى ثوابها منجيه عن عقابها و هو التّقوى و لزوم الأعمال الصّالحه المشار إليها بقوله (فاتقوا الله عباد الله و بادروا آجالكم بأعمالكم) أى سارعوا إلى آجالكم الموعوده مصاحبا بأعمالكم الصّالحه و هو كناية عن ترّقب الموت و عدم الغفله عنه، و هو إنّما يكون بالتّجافى عن دار الغرور و الرّغبه إلى دار الشّرور و الاستعداد للموت قبل نزول الموت (و ابتاعوا

ما يبقى لكم بما يزول عنكم) و هو أمر بشراء الآخرة بالدنيا و توصيف المبتاع بالبقاء و الثمن بالزوال ترغيبا و تحريضا، إذ تبادل الزايل بالباقي يبعه رابحه و كفه راجحه لا- يرغب عنها العاقل، و استعمال المبايعه فى هذه المبادله و المعاوضه غير عزيز قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» و اعلم أنَّ البيع اعتماده على أركان أربعة: البايع، و المشتري، و الثمن، و المثلن فالثلن كما علمت هو متاع الحياه الدنياه الفانيه و لذايذاها النفسانيه، و المبتاع نعيم الآخرة الباقيه و الجنّه التى أكلها دائم و ظلها، و المشتري هو العبد، و معلوم أنَّ البايع لا- بد أن يكون هو الله سبحانه إذ هو مالك ملك السماوات و الأرض و له الآخرة و الاولى، و له الجنّه المأوى.

فقد شبه عليه السلام دار الدنيا بسوق تجاره عرض الله فيها متاع الآخرة للبيع و ليس فى يد الخلق إلا دراھم زيفه مغشوشه و هى زينه الحياه الدنياه، فأمر بابتياح ذلك المتاع بتلك الدراهم، فمن كان له عقل و كياسه امثل ذلك الأمر فربح و فاز فوزا عظيما و من كان ذا حمق و جهاله تضرّ و خاب فخرس خسرانا ميناو قد وقع الاشاره إلى تلك التجاره و ما فيها من الربح العظيم و المنفعه الكثيره فى قوله سبحانه:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

قال المفسرون في هذه الآيه وجوه من الدلاله على الحث و التاكيد بتلك المعامله.

الأول إن حقيقه الاشتراء غير جاز في حق سبحانه، لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملك و هو سبحانه مالك الأشياء كلها، لكنه ذكر لفظ الشراء تطفها لتأكيد الجزاء لأنه لما ضمن الثواب على نفسه في مقابله العبادات البدنيه و المائيه جعل نفسه بمنزله المشتري اللازم عليه رد الثمن بعد أخذ المبيع.

الثاني أنه جعل في مقابله النفس التي هي منبع الشرور و المفسد، و المال الذي هو منشاء الغرور و المهالك الجنه الدائم و السعادات الباقية و هذه تجاره لن تبور، فلا يرغب عنها عاقل و لا يستقبلها إلا جاهل روى أن أعرابيا مرّ بباب المسجد فسمع النبي صلى الله عليه و آله يقرأ هذه الآيه فقال هذا الكلام لمن؟ قالوا: لله سبحانه قال: متى وقع هذا البيع و الشراء؟ قالوا: في عالم الميثاق، قال: و الله بيع مربح لا نقيض و لا نستقيل.

الثالث قوله: وعدا، و وعد الله حق.

الرابع قوله: عليه، و كلمه على للوجوب.

الخامس قوله: حقا و هو التاكيد للتحقيق.

السادس قوله: في التوريه و الانجيل و القرآن، و ذلك يجرى مجرى اشهاد جميع الكتب الالهيه و جميع الأنبياء و الرسل على هذه المعامله.

السابع قوله: و من أوفى بعهد من الله، و هو في غايه التاكيد إذ معناه أنه يفيء و لا يخلف إذ عدم الوفاء للوعد، إما للعجز و عدم قدره أو للبخل و الدناءه، و كلها مستحيله في حق الله سبحانه مضافا إلى ما فيه من الكذب و الخيانه.

الثامن قوله: فاستبشروا و أبيعكم، و هو مبالغه في التاكيد أي فافرحوا بهذه المبايعه لأنكم بعتم فانيا بياق و زايلا بديم.

التاسع قوله: و ذلك هو الفوز.

العاشر قوله: العظيم، ثبت بهذه الوجوه العشره عظم منفعه هذه المبايعه

و جلاله قدرها و كثره ربحها(و ترحلوا فقد جدّ بكم)و هو أمر بقطع منازل السيّفر إلى الله و سلوك الطرق الموصلة إلى رضوان الله معلّلا بأنّكم حثثتم على هذا السير و السيّلوك و عجلتم على طي هذه المنازل، فشبه عليه السيّلام، الدّنيا بمنزل ينزل فيه قافله ليستريحوا ساعه ثمّ ينادى فيهم بالرحيل.

و نظيره ما يأتى منه عليه السيّلام فى أواخر الكتاب قال: تغرّ و تضرّ و تمرّ إنّ الله لم يرضها ثوابا لأوليائه و لا عقابا لأعدائه و إنّ أهل الدّنيا كركب بينهم حلّوا أن صاح بهم سايقهم فارتحلوا، و قال عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه.

تزوّد من الدنيا فانّك راحل و بادر فانّ الموت لا شك نازل

ألا إنّما الدنيا كمنزل راكب أراح عشيّا و هو فى الصّبح راحل

فان قلت: ظاهر التشبيه يعطى أنّ للنّاس فى دار الدنيا مناديا ينادى فيهم بالرحيل و آمرا يأمرهم بالسيّر و التعجيل، فمن ذلك المنادى، و ما المراد بذلك الأمر؟.

قلت يحتمل أن يكون ذلك إشاره إلى الملك المأمور بالنداء من جانب الله سبحانه كما ورد فى حديث أبى جعفر عليه السّلام، و فى الدّيوان:

له ملك ينادى كلّ يوم لدوا للموت و ابنوا للخراب

و يحتمل أن يكون كناية عن توارد الأسباب التى تعدّ المزاج للفساد و تقربه إلى الآخره و إلى ذلك أشار عليه السيّلام فى الدّيوان أيضا بقوله:

إلى م تجرّ أذيال التّصابى و شيبك قد نضا برد الشباب

بلال السّيب فى فوديك نادى بأعلى الصّوت حى على الذّهاب

خلقت من التّراب و عن قريب تغيب تحت أطباق التّراب

طمعت إقامه فى دار ظعن فلا تطمع فرجلك فى الركاب

و أرخيت الحجاب فسوف يأتى رسول ليس يحجب بالحجاب

أ عامر قصر ك المرفوع اقصر فانّك ساكن القبر الخراب

(و استعدّوا للموت فقد أظلمكم) أى تهَيّئوا له فإنّه قريب منكم و أشرف عليكم كأنّه أوقع ظلاله على رؤوسكم، و التّهيؤ له إنّما يحصل بالعلم بأنّ أمامه طريقا

بعيدا و سفرا مهولا- و ممرا على الصِّراط، و أنّ المسافر لا- بدّ له من زاد، فمن لم يتزوّد و سافر هلك و عطب، فاذا علم ذلك استكمل نفسه و قصر أمله و أصلح عمله و قطع العلايق الدنيويّه و ترك الشهوات النفسانيّه و أشرب قلبه حبّ الآخرة فحينئذ لا يبالى أوقع على الموت أم الموت وقع عليه و إلى ما ذكرناه ينظر ما عن تفسير العسكري عن آبائه عليهم السّلام قال: قيل لأمر المؤمنين عليه السّلام: ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض، و اجتناب المحارم، و الاشتغال على المكارم ثم لا يبالى أن وقع على الموت أو وقع الموت عليه، و الله ما يبالى ابن أبى طالب أن وقع على الموت أو وقع الموت عليه(و كونوا قوما صريح بهم فانتبهوا و علموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار)و هو أمر لهم بكونهم مثل أقوام التفتوا إلى منادى الله و هو لسان الشّريعه فحصل لهم بذلك الالتفات الانتباه من مراقب الطّبيعه، و علموا أنّ الدّنيا ليست لهم بدار و أنّ مأواهم الآخرة دار القرار فكانوا من الزّاهدين فى الدّنيا الزّاغيين فى الآخرة، و اتّخذوا الأرض بساطا، و التّراب فراشا، و الماء طيبا، و قرضوا من الدّنيا تقريضا، فإنّ من اشتاق إلى الجنّه سلا من الشهوات، و من أشفق من النّار رجع عن المحرّمات، و من زهد فى الدّنيا هانت عليه المصائب ألا إنّ لله عبادا كمن رأى أهل الجنّه فى الجنّه مخلّدين، و كمن رأى أهل النّار فى النّار معذّبين، شروهم مأمونه، و قلوبهم محزونه، أنفسهم عفيفه و حوايجهم خفيفه، صبروا أيّاما قليله فصاروا بعقبا راحه طويله أمّا الليل فصافّون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم يجارون إلى ربّهم يسعون فى فكاك رقابهم من النّار، و أمّا النهار فحكماء علماء برره اتّقياء كأنّهم القداح قد براهم الخوف من العباده ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى و ما بالقوم من مراض، أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار و ما فيها (فاستبدلوا) اى أبدلوا الآخرة بالدّنيا و هو تفريع على التشبيه يعنى أنّ القوم الذين صبح به كما أنّهم علموا أنّ الدّنيا ليست

لهم بدار و بدّلوها بالآخره فكذلك أنتم إذا كنتم مثلهم فاستبدلوها بها (فإنّ الله لم يخلقكم عبثا و لم يترككم سدى) إما عله لجميع ما أمر به سابقا من التقوى و المبادره إلى الآجال بالأعمال و ابتياع الآخره بالدنيا و غيرها مما تلاها، أو لخصوص الأمر الأخير أعنى الاستبدال، و كيف كان فالمقصود بذلك أنه سبحانه لم يخلق الناس عبثا و لم يتركهم مهملين كالابل المرسله ترعى حيث تشاء و إنما خلقهم للمعرفه و العباده كما قال سبحانه:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ».

فلا بدّ لهم من القيام بوظائف الطاعات و تحمّل المشاق فى أداء العبادات و تبديل سيئاتهم بالحسنات بتوبتهم من الخطيئات، لتمكّنوا من الوفود إلى الدّرجات العاليات و فى الحديث القدسى من منتخب التوراه: يابن آدم انى لم أخلقكم عبثا و لا جعلتكم سدى و لا- أنا بغافل عما تعملون، و إنكم لن تنالوا ما عندى إلّا بالصبر على ما تكرهون فى طلب رضائى، و الصبر على طاعتي أيسر عليكم من حرّ النار، و عذاب الدّنيا أيسر عليكم من عذاب الآخره، يابن آدم كلّم ضالّ إلّا من هديته، و كلّم مريض إلّا من شفيته، و كلّم فقير إلّا- من أغنيته، و كلّم هالك إلّا من أنجيته، و كلّم مسيء إلّا من عصمته، فتوبوا إلى أرحمكم و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، هذا و لما علل وجوب الابدال بما ذكر أكّد ذلك بقوله (و ما بين أحدكم و بين الجنه أو النار إلّا- الموت أن ينزل به) و ذلك لأنّ العاقل إذا لاحظ أنه لا- حجاب بينه و بين الجنه أو النار إلّا موته فيقطع العلايق الدنيويه و يفرغ قلبه من حبها و يستبدل الآخره بالدنيا، و يمثل لقوله: موتوا قبل أن تموتوا، شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب و مقصوده عليه السلام بذلك الاشاره إلى قرب الساعه و ما يكون فيها من الثواب و العقاب و أنها ليست بعيدة كما يزعمه أهل الحجاب بيان ذلك أنّ أهل الحجاب و أصحاب الشك و الارتياب يزعمون يوم القيامة بعيدا من الانسان بحسب الزمان

«وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» و بحسب المكان «وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ» و أما أهل العلم و اليقين فيرونه قريبا بحسب الزمان «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ» حاضرا بحسب المكان «وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً».

هذه هي القيامة الكبرى، و أما القيامة الصغرى فهي إذا انقطع علاقه الروح من الجسد كما قال: من مات فقد قامت قيامته ثم إن كان من السعداء فيكون قبره روضه من روض الجنة، و إن كان من الأشقياء فيكون القبر حفرة من حفر النيران، هذا بحسب مذاق أهل الشرع و أما مذاق أهل العرفان فهو على ما ذكروه أن كل من شاهد بنور البصيره باطنه في الدنيا لرآه مشحونا بأصناف السباع و الموزيات مثل الغضب و الشهوة و الحقد و الحسد و الكبر و العجب و الرياء و غيرها، و هي التي لا تزال تفرسه و تنهشه إن سبأ عنها بلحظه إلا- أن أكثر الناس محبوب العين عن مشاهدتها، فاذا انكشف الغطاء بالموت و وضع في قبره عاينتها و هي محدقه عليه، و قد تمثلت بصورها و أشكالها الموافقه لمعانيها، فيرى بعينه العقارب و الحيات قد أهدقت و إنما هي ملكاته و صفاته الحاضره الآن، و قد انكشف له صورها الطبيعيه و هذا عذاب القبر و ان كان سعيدا تمثّل له ما يناسب أخلاقه الحسنه و ملكاته المرضيه على وفق ما كانت تعتقدها أو فوقها من الجنات و الحقائق و الأنهار و الغلمان و الحور العين و الكاس من المعين فهذا عقاب القبر و ثوابه، و لذا قال صلوات الله عليه و آله: القبر روضه من رياض الجنّه أو حفرة من حفر النيران، فالقبر الحقيقي هذه الهيئه و ثوابه و عذابه ما ذكر.

ثم إنّه عليه السّلام علّل وجوب الاستبدال بعله ثانيه مشيره إلى سرعه زوال الدّنيا وفنائها وقصر مدّتها وانقضائها و هو قوله (وإنّ غايه تنقصها اللحظة و تهدمها السّاعه لجديره بقصر المدّه) أراد بالغايه أجل الانسان و مدّه تعيشه في دار الدنيا و تبّه على قصرها بأنّها تنقصها اللحظة أى النظرة لأن كلّ جزء من الزّمان فرضته قد مضى من مدّه الانسان منقص لها، و بأنّها تهدمها السّاعه أى ساعات اللّيل و النّهار، لأنّ الطّبايع الجرميّة فلكيه كانت أو عنصريّة متجدّده الوجود و الحدوث في كلّ آن، فوجودها نفس زوالها و حدودها نفس فنائها و الموادّ و الأعراض تابعه للطّبايع فاذاً تكون السّاعات هادمه لها و قال الشّارح البحراني: كنى بالسّاعه عن وقت الموت و لا- شكّ أنّ الآن الذى تنقطع فيه علاقه النّفس مع البدن غايه لأجل الانسان، و غايه الشّئ هي ما ينتهى عندها الشّئ فكنى بالهدم عن ذلك الانقطاع و الانتهاء كناية بالمستعار (و ان غايها يحدوه الجديدان اللّيل و النّهار لحرى بسرعه الأوبه) المراد بالغايه الانسان فأنّه غايه عن وطنه الأصلي و منزله الحقيقي الذى إليه معاده و مسيره و هو دار الآخره و شبّه اللّيل و النّهار بالحادى لكونهما مقربين للانسان بتعاقبهما إلى وطنه موصلين له إليه كما أنّ الحادى يحدو الابل و يحثّها على السّير بحدائه حتّى يوصلها إلى المنزل، و من المعلوم أنّ من كان حاديه اللّيل و النّهار فهو فى غايه سرعه السّير و الرّجوع إلى وطنه، و قيل المراد بالغايه الموت قال البحراني: و هو و إن كان محتملاً إلّا أنّه لا يطابقه لفظ الأوبه لأنّه لم يكن حتّى يرجع.

أقول: يمكن الجواب عنه بأنّ الموت لما كان عباره عن العدم الطارى للانسان و كان الانسان مسبقاً بالعدم أيضاً سمى حلول الموت بالأوبه قال الصّيدى الشيرازى: اعلم أنّ المبدأ هي الفطره الاولى، و المعاد هو العود إليها، فالإشاره إلى الأولى كان اللّهُ و لم يكن معه شئ «وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئاً»

فهذا خروج من العدم الأصلي إلى الوجود الكونى الحدوثى، و الاشاره إلى الانتهاء «كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ وَجَّهَ رَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» وهذا خروج من هذا الوجود الخاص إلى العدم الفطرى، فعلى هذا يصح توصيف الموت بأنه يثوب إلى الانسان إلا أن توصيفه بكون الليل و النهار حادين له لا يخلو عن بعد فافهم (و إن قادمًا يقدم بالفوز أو الشقوه لمستحق لأفضل العده) و المراد بالقادم بالفوز أو الشقوه هو الانسان لما قد علمت أنه غايب عن وطنه الأصلي و ساير إليه، فهو حين قدومه على منزله إما أن يكون سعيدا فيفوز بالسعاده الباقيه، و إما أن يكون شقيا فيقع فى الخيبه الدائمه، و من كان هذا شأنه فاللازم عليه أن يستعد أفضل العده، و يدخر لنفسه أحسن الزاد و الذخير حتى ينادى بنداء «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّاتِي».

(فترودوا فى الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا) يعنى أنَّ الانسان إذا كان مستحقا لأفضل العده فلا بد له أن يتزود من دنياه ما يحفظ به نفسه غدا بعد الموت و يوم القيامة من حرّ النار و من غضب الجبار، لأنّ ذلك أفضل العدد(1) و أحسن الزاد و هذا هو التقوى كما قال الله تعالى:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ» و إليه أشار بقوله (فاتقى عبد ربّه نصح نفسه قدم توبته غلب شهوته) و هذه جملات خبريّه فى معنى الانشاء مفصّله للزاد الذى به يحصل حرز النفس و حفظها، و المراد بنصح النفس النظر إلى مصالحها بأمرها بما هو محصل لها الكمال و نهيا عما يوقعها فى الضلال و حثّها بالخيرات و الحسنات و منعها عن الشرور و السيئات، و من جمله

ص: ٤٠٤

النَّصَحُ أَنْ يَقْدَمَ تَوْبَتَهُ عَلَى أَجَلِهِ وَلَا يَنْخَدِعَ بِطُولِ أَمَلِهِ وَيَسْتَغْفِرَ رَبَّهُ فِيمَا فَاتَ وَيَقْصِرَ عَنْ شَهْوَتِهِ فِيمَا هُوَ آتٍ (فَإِنَّ أَجَلَهِ مُسْتَوَرٌّ عَنْهُ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يَزِينُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيُرْكِبَهَا، وَيَمْنِيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، حَتَّى تَهْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَلَيْهَا) وَهَذِهِ كُلُّهَا عَلَّلَ لَوْجُوبِ تَقْدِيمِ التَّوْبَةِ وَتَحْذِيرِ عَنْ هَيْجُومِ الْمَوْتِ فِي حَالِهِ الْغَفْلَةِ بَيَانِ ذَلِكَ أَنَّ سِتْرَ الْأَجْلِ وَاخْتِفَاءَهُ عَنِ الْإِنْسَانِ مُوجِبٌ لَغَفْلَتِهِ عَنْ ذِكْرِهِ وَطُولِ الْأَمَلِ خَادِعٌ لَهُ يَخْدَعُهُ بِطُولِ الْحَيَاةِ كَمَا قِيلَ:

أَعْلَلِ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقِيهَا مَا أَضْيَقَ الدَّهْرُ لَوْ لَا فَسَحَهُ الْأَمَلُ

فَإِذَا انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ خَدَاعُ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَستُهُ وَتَزْيِينُ الْمَعْصِيَةِ فِي نَظَرِهِ وَتَسْوِيفُهُ لِلتَّوْبَةِ وَالْقَائِلُهَا فِي أَمْنِيَّتِهِ مَعَ كَوْنِهِ مُوَكَّلًا بِهِ مَلَاذِمًا لَهُ، كَانَتْ الْغَفْلَةُ أَشَدَّ وَالتَّنْسِيَانُ أَكْثَرًا، فَيَهْجُمُ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ فِي نَهَايَةِ غَفْلَةٍ مِنْ دُونِ تَمَكُّنٍ مِنْ تَوْبَتِهِ وَلَا تَدَارِكٍ مِنْهُ لِمَعْصِيَتِهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ وَالْجَهَالَةِ، وَيَقَعُ فِي كِمَالِ الْخَبِيثَةِ وَالتَّنَادُمَةِ، وَهُوَ عِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ:

«رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

(فِيهَا لَهَا حَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عَمْرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ) أَيْ شَاهِدًا بِلِسَانِ حَالِهِ عَلَى مَا اكْتَسَبَ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ (وَأَنْ يُؤَدِّيَهُ أَيَّامَهُ) الَّتِي أَمَهَلَهُ اللَّهُ فِيهَا لِتَحْصِيلِ السَّعَادَةِ (إِلَى شَقْوِهِ) ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُخَاطَبِينَ بِقَوْلِهِ: (نَسَأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا وَإِيَّاكُمْ مَمَّنًّا لَا تَبْطُرُهُ نَعْمُهُ) أَيْ مِنَ الَّذِينَ لَا يُوْجِبُ كَثْرَةُ النِّعَمِ لَهُ الْبَطَرُ وَالطَّغْيَانُ كَمَا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ جِبَلِهِ الْإِنْسَانُ قَالَ سُبْحَانَهُ:

«إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ ارْتَفَعَنِي».

(وَلَا تَقْصِرْ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةً) أَيْ لَا تَكُنْ مُقْصِرًا فِي الطَّاعَاتِ لَغَرَضٍ مِنَ الْأَغْرَاضِ

الدُّنْيَوِيَّة (و لا يحلُّ به بعد الموت) حُسْرَه و (ندامه و لا) حُزْن و (كابه) لانغماره فى المعصية و تسويفه التَّوْبَه و هجوم موته عليه فى حاله الغفله

هدايه فيها درايه

قد تحصيل من كلامه عليه السَّلام أنَّ اللازم على الانسان أخذ الزَّاد ليوم المعاد و أن لا يطمئن بطول الأجل و لا يغترَّ بخداع الأمل، إذ ربَّ آمل شيء لا يدرك ما أمل كما قال عليه الصَّلاه و السلام فى الدِّيوان:

يا من بدنياه اشتغل قد غرَّه طول الأمل

و الموت يأتى بغته و القبر صندوق العمل

و قال آخر

يار اقد الليل مسرورا بأولهايانَّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تامننَّ ليل طال أولهفرب آخر ليل اجج النارا

و لا سيما أنَّ الشيطان اللعين عدو مبين و هو فى الكمين:

«وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ» فينبغى للعاقل أن يحسن عمله و يقصر أمله و يقدم توبته أجله و يعجل فى طلب الغفران و لا- يغترَّ بتسويق الشيطان، و يتوب إلى الله سبحانه من صغائر ذنوبه و كبائرها، و بواطن سيئاته و ظواهرها، و سواف زلاته و حوادثها، توبه من لا يحدث نفسه بمعصيه، و لا يضمّر أن يعود فى خطيئه، حتّى يصل بذلك إلى روح و ريحان، و يتمكّن من نزول الجنان، و لا يقع بعد الموت فى الخيبه و الخسران و الحسره و الحرمان.

و لنذكر هنا حديثا ينور القلوب، و يكشف الحجاب عن وجه المطلوب، و يظهر به عظم منفعة التَّوْبَه، و يتّضح به معنى التسويق فيها و هو.

ما رواه فى الصَّافى من المجالس و بعض الأصحاب من الأمالى باسنادهما عن عبد الرحمن بن غنم الدَّوسى قال: دخل معاذ بن جبل على رسول الله صَلَّى الله عليه و آله باكيا، فسلم فردّ عليه السلام ثم قال

ما يبكيك يا معاذ؟ فقال يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنَّ بالباب شاب طرَى الجسد نَقَى اللون حسن الصّوره يبكى على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدّخول عليك فقال النّبىّ صلى الله عليه وآله ادخل علىّ الشاب يا معاذ فأدخله عليه فسلم، فردّ عليه السلام ثمّ قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال: كيف لا أبكى وقد ركبّت ذنوبا إن أخذنى الله عزّ وجلّ ببعضها أدخلنى نار جهنم ولا أرانى إلّا سيأخذنى بها ولا يغفر لى أبدا فقال رسول الله هل أشركت بالله شيئا؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك برّبى شيئا، قال: أقتلت النّفس التى حرّم الله؟ قال: لا، فقال النّبىّ صلى الله عليه وآله: يغفر الله لك ذنوبك وإن كان مثل الجبال الرّواسى قال الشاب: فإنّها أعظم من الجبال الرّواسى.

فقال النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم: يغفر الله لك ذنوبك وإن كان مثل الأرضين السّبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال الشاب: فإنّها أعظم من الأرضين السّبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، فقال النّبىّ صلى الله عليه وآله يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل السّماوات ونجومها ومثل العرش والكرسى، قال:

فإنّها أعظم من ذلك، قال: فنظر النّبىّ إليه كهيهة الغضبان ثمّ قال: ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربّك؟ فخرّ الشاب على وجهه وهو يقول سبحان ربّى ما من شيء أعظم من ربّى ربّى أعظم يا نبىّ الله من كلّ عظيم، فقال النّبىّ صلى الله عليه وآله: فهل يغفر لك الذّنوب العظيم إلّا الرّبّ العظيم؟ قال الشاب: لا والله يا رسول الله ثمّ سكت الشاب، فقال له النّبىّ صلى الله عليه وآله يغفر الله لك ذنوبك؟ قال:

بلى اخبرك.

إنّى كنت أنبش القبور سبع سنين اخرج الأموات وانزع الأكفان، فماتت جاريه من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم اللّيل أتيت قبرها فنبشتها، ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها وتركته مجرّده على شفير قبرها ومضيت منصرفا، فأتانى الشّيطان فأقبل يزيّن لى ويقول أما ترى بطنها وبياضها أما ترى وركيها، فلم يزل يقول لى هذا حتّى رجعت إليها ولم أملك نفسى حتّى جامعته وتركته مكانها، فاذا أنا بصوت من

ورائي يقول: يا شاب ويل لك من دَيَّان يوم الدين يوم يقفنى وإياك كما تركتنى عريانه فى عساكر الموتى و نزعتنى من حفرتى و سلبتنى أكفانى و تركتنى أقوم جنبه إلى حسابى، فويل لشبابك من النار، فما أظنَّ أننى أشمَّ ريح الجنَّة أبدا فما ترى لى يا رسول الله؟ فقال النبىَّ صلى الله عليه و آله و سلم: تنحَّ عنى يا فاسق إننى أخاف ان أحترق بنارك فما أقربك من النار، ثم لم يزل يقول و يشير إليه حتَّى أمعن أى أبعد من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزوَّد منها، ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها، و لبس مسحا و غلَّ يديه جميعا إلى عنقه و نادى:

يا ربَّ هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول يا ربَّ أنت الذى تعرفنى و زل منى ما تعلم سيِّدى يا ربَّ إننى أصبحت من النادمين و أتيت نبىَّك تائباً فطردنى و زادنى خوفاً، فأسألك باسمك و جلالك و عظم سلطانك أن لا تخيب رجائى سيِّدى و لا تبطل دعائى و لا تقنطنى من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً و ليلة تبكى له السباع و الوحوش، فلما تمت له أربعون يوماً و ليلة رفع يديه إلى السماء و قال: اللهمَّ ما فعلت فى حاجتى إن كنت استجبت دعائى و غفرت خطيئتى فأوح إلى نبىِّك، و إن لم تستجب دعائى و لم تغفر لى خطيئتى و أردت عقوبتى فعجل بنار تحرقنى أو عقوبه فى الدنْيا تهلكنى و خلّصنى من فضيحه يوم القيامة فأنزل الله تعالى على نبىِّه:

«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً « يعنى الزَّنا «أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» يعنى بارتكاب ذنب أعظم من الزَّنا و نبش القبور و أخذ الاكفان:

«ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ» يقول خافوا الله فعجلوا التوبة:

«وَمَنْ يَغْفِرِ الذَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» يقول عزّ وجلّ أتاك عبدي تائباً فطردته فأين يذهب و إلى من يقصد و من يسأل أن يغفر له ذنبه غيري ثم قال عزّ وجلّ:

«وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

يقول الله عزّ وجلّ لم يقيموا على الزّنا و نبش القبور و أخذ الأكفان:

«أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» فلما نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه و آله خرج و هو يتلوها و يتبسّم، فقال لأصحابه من يدلّنى على ذلك الشّاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنّه فى موضع كذا و كذا، فمضى رسول الله بأصحابه حتّى انتهوا إلى ذلك الجبل و صعدوا إليه يطلبون الشّاب، فاذا هم بالشّاب قائم بين صخرتين مغلوله يده إلى عنقه قد اسودّ وجهه و تساقطت أشفار عينيه من البكاء و هو يقول:

سيدى قد أحسنت خلقى و أحسنت صورتى و ليت شعرى ما ذا تريد بى، فى النّار تحرقنى أم فى جوارك تسكننى، اللهم إنك قد أكثرت الاحسان إلّى و أنعمت علىّ فليت شعرى ما ذا يكون آخر أمرى، إلى الجنّة ترفّنى، أم إلى النّار تسوقنى، اللهم إنّ خطيئتي أعظم من السّماوات و الأرض، و من كرسيك الواسع، و عرشك العظيم، فليت شعرى تغفر خطيئتي أم تفضحنى بها يوم القيامة.

فلم يزل يقول نحو هذا و هو يبكى و يحثو التّراب على رأسه و قد أحاطت به السّباع، و صفت فوقه الطير و هم ييكون لبكائه، فدنا رسول الله صلّى الله عليه و آله فأطلق يديه من عنقه و نفّض التراب عن رأسه و قال: يا بهلول ابشر فانك عتيق من النّار، ثمّ قال هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثمّ تلى عليه ما أنزل الله عزّ وجلّ و بشره بالجنّة.

و فى الصّيافى و البحار من المجالس باسنادہ عن قطر بن خليفہ عن الصّادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: لما نزلت هذه الآيه (١) صعد إبليس جبلا- بمكه يقال له ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فقالوا: يا سيّدنا لما ذا دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآيه فمن لها، فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا و كذا، قال لست لها، فقال آخر مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم و أمّنيهم التوبه، حتّى يواقعوا فى الخطيئه فاذا وقعوا الخطيئه أنسيّتهم الاستغفار، فقال: أنت لها فوكّله بها إلى يوم القيامه.

أقول: و من نظر إلى هاتين الرّوايتين بعين البصيره و تفكّر فيما تضمّنته الأولى من جلاله فايده التوبه و تأمل فيما تضمّنته الثانيه من عظم الخطر فى تأخيرها و تسويفها و عرف أنّ التسويف و التأخير من وسوسه الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس لا بدّ له أن يستيقظ من نوم الغفله و الجهاله و يتدارك الموت قبل حلوله و لا يغرّه الأمل بطوله.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لأبى ذر رضى الله عنه.

يا باذر اغتئم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، و صحتك قبل سقمك، و غناك قبل فقرك، و فراغك قبل شغلك، و حياتك قبل موتك.

يا باذر إياك و التّسويف بأملك، فإنّك بيومك و لست بما بعده، فان يكن غدلك فكن فى الغد كما كنت فى اليوم، و إن لم يكن غدلك لم تندم على ما فرطت فى اليوم.

يا باذر كم مستقبل يوم لا يستكمل، و منتظر غدا لا يبلغه.

يا باذر لو نظرت إلى الأجل و مسيره، لأبغضت الأمل و غروره.

يا باذر كن كأنك فى الدّنيا عابر سبيل، و عد نفسك من أصحاب القبور.

يا باذر إذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء، و إذا امسيت فلا تحدّث نفسك

ص: ٤١٠

١- (١) اى قوله تعالى، «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» الآيه، منه.

بالصباح، و خذ من صحتك قبل سقمك، و من حياتك قبل موتك، فانك لا تدري ما اسمك غدا.

و بالجمله فالتعجيل فى جميع الامور قبيح إلا فى التوبه فانه فيها حسن إذ التأخير مظنه الفوت الموجب للاقتحام فى الهلكات مع ما فى التأخير من خطر آخر و هو أنّ التوبه إذا وقعت عقب السيئه تؤثر فيها و تمحو أثرها، و إذا تأخرت يتراكم الزين و ظلمه الذنوب على القلب فلا يقبل التأثير و لذلك قال لقمان لابنه: يا بنى لا تؤخر التوبه فانّ الموت يأتى بغته، و من ترك المبادره إلى التوبه بالتسويف كان بين خطرين عظيمين أحدهما أن تتراكم الظلمه على قلبه من المعاصى حتى يصير رينا و طبعاً فلا يقبل المحو الثانى أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهله للاشتغال بالمحو و لذلك أيضاً ورد فى الخبر أنّ أكثر صياح أهل النار من التسويف، فما هلك من هلك إلا بالتسويف فيكون تسويده القلب نقداً و جلاؤه بالطاعه نسيه إلى أن يختطفه الموت فيأتى الله بقلب سقيم و لا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم، و إلى ما ذكرنا كله ينظر قوله سبحانه:

«إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَ لَيْسَ بِالتَّوْبَةِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام اُنام و حجّه عالی مقامست که می فرماید: پرهیز نمائید از معبود بسزاى بندگان خدا و بشتابید بسوى أجلهای خود با عملهای خود و بخرید آخرت باقى را در عوض دنیای فانی، و رحلت نمائید بسوى آخرت پس بتحقیق که

تعجیل کرده شده است بشما و مهیا باشید بمرگ که بتحقیق سایه انداخته است بر شما، و بشوید مثل طایفه که از طرف خدا ندا کرده شدند پس بیدار شدند و دانستند که نیست دنیای فانی از برای ایشان خانه و سرای زندگانی پس بدل نمائید دنیا را بآخرت از جهة این که خداوند عبث خلق نکرده است شما را، و سر خود و مهمل نگذاشته است شما را، و نیست میان یکی از شما و میان بهشت یا جهنم مگر مرگ که نازل شود بر او، و بدرستی مدت و مسافت عمری که کم می گرداند آنها نگریستن و خراب می سازد آنها را ساعتی شب و روز هر آینه سزاوار است آن بکوتاهی مدت، و بدرستی غایبی که میرانند او را تازه آیندگان که عبارتست از شب و روز هر آینه لایقست بسرعه بازگشت.

یعنی بسوی وطن اصلی که عبارتست از آخرت، و بدرستی که آینده که می آید بسوی آخرت با سعادت یا شقاوت هر آینه استحقاق دارد به بهترین توشه که عبارتست از عبادت و اطاعت تا برساند بسعادت، پس توشه بردارید در دنیا از دنیا آن چیزی را که حفظ نمائید با آن نفسهای خودتان را از عقوبت روز جزا.

پس متقی شد بنده برای پروردگار خود که نصیحت کرد نفس خود را و مقدم داشت توبه خود را و غلبه نمود بر شهوت خود، پس بدرستی که أجل آن پنهانست از او، و آرزوی او فریبنده اوست، و شیطان ملعون موکل اوست که زینت می دهد از برای او معصیت را تا سوار شود بر او، و آرزومند می سازد او را بتوبه و انابه تا بتاخیر اندازد آنها تا این که هجوم آورد مرگ او با او در غافلترین حالتی که میباشد بر آن حالت.

ای حسرت حاضر باش بر هر صاحب غفلت که باشد عمر او بر او حجت در روز قیامت، و برساند او را روزگار او ببدبختی و شقاوت، سؤال می کنیم از خداوند تعالی آنکه بگرداند ما و شما را از کسانی که بطغیان نیندازد او را نعمت و مقصّر نسازد او را از اطاعت پروردگار خود غرض و غایت، یعنی أغراض دنیویه

مانع اطاعت او نگردد، و از کسانی که حلول نکند بأو بعد از مرگ و رحلت هیچ حسرت و ندامت و نه اندوه و محنت.

الى هنا انتهى الجزء الرابع من هذه الطبعة البهيه القيمه و ذلك بتصحيح و تهذيب من العبد «السيد ابراهيم الميانجى» و وقع الفراغ فى اوائل شهر جمادى الاولى سنه ١٣٧٩ و يليه ان شاء الله الجزء الخامس و أوله أول المختار الرابع و الستين و الحمد لله رب العالمين

ص: ٤١٣

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البيت عليهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفاً ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱. JAVA

۲. ANDROID

۳. EPUB

۴. CHM

۵. PDF

۶. HTML

۷. CHM

۸. GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱. ANDROID

۲. IOS

۳. WINDOWS PHONE

۴. WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتاهای خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

